خوف

ترامب في البيت الأبيض

بوب وودورد

حائز جائزة بوليتزر مرتين

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

خوف

بوب وودورد

خوف

ترامب في البيت الأبيض

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

Arabic Copyright © All Prints Distributors & Publishers s.a.l.

© جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

يُمنع تصوير و/أو تحميل و/أو توزيع الكتاب إلكترونيًا أو التسهيل لذلك بأي شكل من الأشكال دون موافقة الناشر. يُرجى الاستحصال على النسخ الإلكترونية المصرّح لها من قبل الناشر فقط، وعدم المشاركة في قرصنة المواد الإلكترونية المحمية بموجب حقوق النشر أو التشجيع لها. نقدّر دعمكم لحقوق المؤلف.

القرصنة الإلكترونية جريمة يعاقب عليها القانون! لا تكن مجرمًا.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

ALL PRINTS DISTRIBUTORS & PUBLISHERS s.a.l.

الجناح، شارع زاهية سلمان

مبنى مجموعة تحسين الخياط

ص.ب.: ٨٣٧٥ - ١١ بيروت، لبنان

تلفون: ٨٣٠٦٠٨ ١ ٩٦١+ فاكس: ٨٣٠٦٠٩ ١ ٩٦١+

email: publishing@all-prints.com

tradebooks@all-prints.com

website: www.all-prints.com

الطبعة الأولى ٢٠١٩

ISBN: 978-6144-58-500-9

Originally published as: FEAR.

Copyright © 2018. by Bob Woodward

All rights reserved.

Published by arrangement with the original publisher Simon & Schuster, Inc.

صورة الغلاف: www.whitehouse.gov

صورة الكاتب: Lisa Berg

تصميم الغلاف: ريتا كلزي

الإخراج الفني: بسمة تقي

الإهداء

إلى إلسا

المحتويات

ملاحظة بقلم المؤلف ... ٩
ملاحظة إلى القرّاء ... ١٣
مقدّمة ... ١٥
الفصل الأول ... ٢٣
الفصل الثاني بعد ستة أعوام ... ٣١
الفصل الثالث ... ٤٣
الفصل الرابع ... ٥٣
الفصل الخامس ... ٦٥
الفصل السادس ... ٧٧
الفصل السابع ... ٨٣
الفصل الثامن ... ٩١
الفصل التاسع ... ١٠١
الفصل العاشر ... ١٠٩
الفصل الحادي عشر ... ١١٥
الفصل الثاني عشر ... ١١٩
الفصل الثالث عشر ... ١٢٧
الفصل الرابع عشر ... ١٣٧
الفصل الخامس عشر ... ١٤٥
الفصل السادس عشر ... ١٥٩
الفصل السابع عشر ... ١٦٥
الفصل الثامن عشر ... ١٧٥
الفصل التاسع عشر ... ١٨٧
الفصل العشرون ... ١٩٥

الفصل الحادي والعشرون ٢٠١
الفصل الثاني والعشرون ٢١١
الفصل الثالث والعشرون ٢٢٣
الفصل الرابع والعشرون ٢٣١
الفصل الخامس والعشرون ٢٣٩
الفصل السادس والعشرون ٢٤٥
الفصل السابع والعشرون ٢٥٣
الفصل الثامن والعشرون ٢٦٣
الفصل التاسع والعشرون ٢٧٣
الفصل الثلاثون ٢٨١
الفصل الحادي والثلاثون ٢٨٩
الفصل الثاني والثلاثون ٢٩٩
الفصل الثالث والثلاثون ٣٠٧
الفصل الرابع والثلاثون ٣١٧
الفصل الخامس والثلاثون ٣٢٧
الفصل السادس والثلاثون ٣٣٥
الفصل السابع والثلاثون ٣٤٣
الفصل الثامن والثلاثون ٣٤٩
الفصل التاسع والثلاثون ٣٥٥
الفصل الأربعون ٣٦٥
الفصل الحادي والأربعون ٣٧٥
الفصل الثاني والأربعون ٣٨٥
شكر وتنويه ٣٩٩
حقوق الصور ٤٠٣

ملاحظة بقلم المؤلف

أودُّ أن أتقدّم من أعماق قلبي بآيات الشكر إلى إفلين إم. دوفي، مساعِدتي في إنجاز خمسة كتب غطّت فترة حكم أربعة رؤساء. لكنّ الرئيس ترامب يشكّلُ عقبةً شديدة الخصوصية، بالنظر إلى المشاعر والعواطف العميقة التي يُثيرُها لدى جمهور المؤيّدين والمنتقدين. لقد أدركَت إفلين من فورها، أن التحدي الأكبر، كان في الحصول على معلومات جديدة، ثم توثيقها والتحقق من صحتها، ووضعها في السياق، مع التعمّق قدر الإمكان داخل أروقة البيت الأبيض.

كانت إفلين تعرف أن ما نقوم به من عمل، هو كتابة التاريخ. لذا، كان علينا أن نتحرّك بأسرع ما يمكن، ما دامت الذكريات لا تزال حيةً، والوثائق والمذكّرات متاحةً. في بعض الأحيان، كنا نُجري البحوث والمقابلات، ثم نفرّغها ونعيدُ كتابةَ مقاطع من الكتاب في خلال يوم أو يومين، محقّقين بذلك تغطيةً واسعةً للسياسة الخارجية من كوريا الشمالية حتى أفغانستان والشّرق الأوسط؛ ولمجموعة كاملة من القضايا المحليّة المتعلّقة بالتجارة والهجرة والضرائب. لقد تحقّقَت من أننا بنينا القصة على أساس أحداث محدّدة وتواريخ محدّدة، وسمّينا المشاركين فيها، ونقلنا تقارير ما حدث. كذلك حافظت إفلين بشكل رائع على أخلاقيات العمل، وعلى حسّ عميق بالنزاهة والفضول المهني والأمانة. لقد زوّدَتني برزم سميكة من البحوث والخلفيات، وتواريخ الأحداث وفق تسلسلها الزمني، والأفلام القصيرة، بالإضافة إلى رؤيتها الشخصية، وقائمة بالأسئلة الرئيسية التي لم تلقَ إجابات، واقتراحات مقابلات إضافية ينبغي إجراؤها. لقد أضفَت إفلين على العمل حسَّها السليم وحكمتَها اللامتناهية، وعمِلَت كمعاون أساسي بذهنية، وبمستوى مجهود المؤلّف المشارك.

«مردّ السلطة الحقيقية هو، لا أريد حتى أن أقول الكلمة، الخوف»

المرشَّح الرئاسي دونالد. ج. ترامب في مقابلة أجراها بوب وودورد، وروبرت كوستا بتاريخ ٣١ مارس/آذار ٢٠١٦، في مبنى البريد القديم، فندق ترامب الدولي، واشنطن دي سي[١].

(١) مبنى رسمي استأجره ترامب لمدة ٦٠ سنة، وحوّله فندقاً.

ملاحظة إلى القرّاء

أُجريت مقابلات هذا الكتاب وفق القواعد الصحفية الأساسية القائمة على «استخدام المعلومات مع عدم الاقتباس». أي إنني استخدمت معلومات لم أذكر مصدرها. فالكتاب مُستقى من مئات الساعات التي خُصّصت لإجراء المقابلات مع مشاركين في الأحداث، وشهود عيان من الصف الأول. وقد خوّلني معظمهم بتسجيل مقابلاتي معهم، وذلك بغية رواية القصة بشكل أدقّ. عندما نسبتُ الاقتباسات الدقيقة، والأفكار أو النتائج، إلى المشاركين، عنيت أن هذه المعلومات أوردها الأشخاص أنفسهم، أو زملاء مطّلعون: أو استُمدّت من تقارير الاجتماعات، أو من دفاتر اليوميات الشخصية، أو من الملفات الحكومية أو الوثائق الشخصية.

رفضَ الرئيس ترامب طلبَنا إجراء مقابلة معه في إطار هذا الكتاب.

مقدّمة(1)

في أوائل شهر أيلول/سبتمبر ٢٠١٧، أي في الشهر الثامن من تولّي ترامب سدّة الرئاسة، تقدّمَ غاري كوهن، رئيس غولدمان ساكس السابق، ومستشار الرئيس الأعلى للشؤون الاقتصادية في البيت الأبيض، بحذرٍ نحو طاولة مكتب الرئيس (The Resolute Desk) في المكتب البيضاوي.

خلال الأعوام السبعة والعشرين التي قضاها في غولدمان، كان «كوهن»، البالغ من الطول مئة وتسعين سنتيمتراً ونصفاً، الأصلع والخشن والشديد الثقة بالنفس، قد أثرى زبائنه بالمليارات، ونفسه بمئات الملايين. كذلك منحَ نفسَه امتيازَ زيارة مكتب ترامب البيضاوي من دون سابق موعد، وقَبِل الرئيس هذه الترتيبات.

كانت تعلو طاولة المكتب مسوَّدة رسالةٍ من صفحة واحدة موجَّهة من الرئيس إلى رئيس كوريا الجنوبية، تُنهي اتفاقية التجارة الحرة بين الولاياتِ المتحدة وكوريا، المعروفة باسم كوروس KORUS.

راعَ ذلك «كوهن». فمنذ أشهر كان ترامب يهدّد بالانسحاب من الاتفاقية، وهي واحد من أُسُسِ علاقة اقتصادية، وتحالف عسكري، والأهم من ذلك كله، أساس العمليات الاستخبارية والقدرات العسكرية المتّسمة بالسريةٍ البالغة.

بموجب معاهدةٍ تعودُ إلى خمسينات القرن الماضي، نشرَت الولايات المتحدة في كوريا الجنوبية قوات عسكرية تعدادها ٢٨ ٥٠٠ جندي أميركي يعملون على أعلى مستويات برامج «ساب» (SAP) السرية والبالغة الحساسية، والتي تتيح فكَ تشفير معلوماتٍ استخبارية معقّدة وسرية للغاية كما

(١) إن المعلومات الواردة في هذه المقدمة مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

تتيح قدرات عسكرية متطوّرة. اليوم، تستطيع صواريخ كوريا الشمالية الباليستية العابرة للقارات، حمل رؤوس نووية، قد تصل حتى الأراضي الأميركية. ويستغرق وصول صاروخ إلى لوس أنجلوس يُطلق من كوريا الشمالية ٣٨ دقيقة.

تُمكّنُ هذه البرامج الولايات المتحدة من رصد إطلاق صاروخ باليستي عابر للقارات من كوريا الشمالية خلال سبع ثوانٍ. وتستغرق القدرة المكافئة في قاعدة آلاسكا ١٥ دقيقة. وهو فارق زمني مذهل.

إن من شأن القدرة على رصد إطلاق خلال سبع ثوانٍ، أن تمنح الجيش الأميركي الوقت الكافي لإسقاط صاروخ كوريّ شمالي. لعلَّ هذه العملية، هي الأكثر أهميةً وسريّةً لحكومة الولايات المتحدة. ويمثّلُ الوجود الأميركي في كوريا الجنوبية جوهر الأمن القومي.

تعتبر كوريا الجنوبية اتفاقية كوروس أساسيَّةً لاقتصادها، وقد يؤدّي الانسحاب منها إلى تفكّك العلاقة بأكملها. ولم يكن «كوهن» قادرًا أن يصدّق أنّ الرئيس ترامب سيجازف بخسارة مصادر استخبارية أساسية وحيوية لأمن الولايات المتحدة القومي.

ذلك كله نابعٌ من غضب ترامب، الذي يُعزى إلى أنّ الولايات المتحدة لديها عجز تجاري سنوي قيمته ١٨ مليار دولار في تبادلاتها مع كوريا الجنوبية، وتنفقُ ٣,٥ مليارات دولار سنويًا من أجل الحفاظ على قواتها فوق أراضيها.

على الرغم من شبه إجماع التقارير اليومية على الفوضى والشقاق السائدين في البيت الأبيض، فإن الشعب لم يكن يعرف مدى السوء الذي بلغه الوضع الداخلي الحقيقي. كان ترامب يتقلّب باستمرار، لا يستقرُّ ولا يثبتُ على موقف إلّا فيما ندر. ويبدو غريب الأطوار تائهًا وغير منتظم. قد يسوء مزاجه لأي سبب كبيرًا كان أمْ صغيرًا، فيخرج عن طوره. وكان يقول بخصوص اتفاقية كوروس التجارية: «إننا سننسحب اليوم».

ولكن الآن، تقبع تلك الرسالة[1] هناك على سطح المكتب، تحمل تاريخ الخامس من أيلول/ سبتمبر ٢٠١٧، وهي رسالة قد تؤدي إلى حلول كارثة بالأمن القومي. كان «كوهن» قلقًا، فترامب سيوقع الرسالة إذا رآها.

خلسةً، أخذ «كوهن» مسوَّدة الرسالة عن سطح المكتب، ووضعها في ملفّ أزرق يحمل عبارة «للحفظ».

«سرقتُها عن مكتبه»، قالها لأحد شركائه في وقتٍ لاحق. «لم أكن لأدعه يراها. لن يرى قط تلك الوثيقة. كان عليَّ حماية البلد».

---

(١) حصل الكاتب على وثيقة الرسالة الأصلية.

في ظل الفوضى والاضطراب السائدَيْن في البيت الأبيض، وفي عقل ترامب. لم يلاحظ الرئيس قط اختفاء الرسالة.

جرت العادة أن تقع مسؤولية صياغة هذا النوع من الرسائل الموجَّهة إلى رئيس كوريا الجنوبية على عاتق روب بورتر، سكرتير موظّفي البيت الأبيض ومنظّم أعمال الرئيس المكتبيّة. ولكن هذه المرة، وعلى نحوٍ يدعو إلى القلق، وصلَت مسوَّدة الرسالة إلى ترامب عبر قناة مجهولة. تُعدُّ وظيفة سكرتير موظّفي البيت الأبيض منصبًا قليل الأهمية، لكنها تؤدّي أدوارًا حاسمةً في البيت الأبيض. لأشهر عدَّة، كان بورتر يُطلِع ترامب على مذكّرات القرارات، والوثائق الرئاسية الأخرى، ويوجزها له، بما في ذلك الموافقات على الأنشطة العسكرية والاستخبارية الأشد سريةً وحساسية في مجال الأمن القومي.

كان بورتر، البالغ من الطول مئة وثلاثة وتسعين سنتيمتراً ومن العمر أربعين عامًا، نحيفًا مثل قضيبٍ حديدي. ينتمي إلى العقيدة المرمونية التي نشأ وترعرع عليها. وهو أحد الرجال «الرماديين»(*): رجلُ تنظيم، يفتقر إلى التألق، درس في هارفارد وتخرَّج في كلية الحقوق العائدة إليها، كما اختارته جامعة أكسفورد ضمن دفعة باحثي رودز (**).

اكتشف بورتر مؤخرًا وجود نسخ عديدة من مسوَّدة الرسالة، وحرص هو و«كوهن» على عدم بقائها على سطح مكتب الرئيس.

عمل «كوهن» وبورتر يدًا بيد على عرقلة أوامر ترامب التي كانا يعتقدان أنها الأكثر تهوُّرًا وخطورةً. كانت تلك الوثيقة ومثيلاتها تختفي فحسب. عندما كانت تعلو مكتب ترامب مسوَّدةٌ ما لتدقيقها قبل الطباعة، كان «كوهن» في بعض الأحيان ينتزعها، وسرعان ما ينساها الرئيس. لكنها هذه المرة كانت على سطح مكتبه، وسوف يوقّعها. وقد قال كوهن في خصوص هذه المسوّدة، في حديث خاص: «لم يكن إخفاؤها أحد الأعمال التي قمنا بها من أجل بلادنا، بل كان أحد الأعمال التي منعنا ترامب من القيام بها».

لم يكن ذلك أقلّ من انقلاب إداري، وتقويض لإرادة رئيس الولايات المتحدة وسلطته الدستورية.

فضلاً عن تنسيق القرارات والجداول الزمنية، وإدارة مراسلات الرئيس وأعماله المكتبية، قال بورتر لأحد شركائه: «كان ثلثُ حجم عملي يتلخص في محاولة التصدي لأفكاره الخطيرة حقًا، وتوفير الأسباب التي تجعله يصدّق أنها قد لا تكون أفكارًا جيدة».

(*) مصطلح يعني الرجل الذي يتأقلم مع أي وضع أو موقف متقصّداً عدم إبراز طاقاته ومهاراته.

(**) دفعة سنوية من اثنين وثلاثين طالباً تختارهم جامعة أكسفورد سنوياً وتمنحهم منحة دراسية.

ثمة استراتيجية أخرى كان ينبغي تبنّيها، كالمماطلة، والتسويف والتأجيل وذكر القيود القانونية. قال المحامي بورتر: «عمدنا إلى إبطاء سير الأشياء، أو عدم إيصالها إليه. أو القول له، بجدارة وبحق، وليس فقط كعذر أو تبرير: 'لكنّ هذا يحتاج إلى تدقيق. أو نحتاج إلى العمل أكثر على هذا، أو ليس لدينا التخويل القانوني'. كانت هذه وسيلة نعتمدها عشرة مرات أكثر من اعتمادنا استبعاد الوثائق عن سطح مكتبه. بدا كما لو كنا باستمرار نمشي على شفير الهاوية».

كانت هناك أيام أو أسابيع، تبدو خلالها العملية تحت السيطرة، ونبدو وكأننا ابتعدنا خطوتين عن الحافة. «في مرات أخرى، كنا على وشك السقوط في الهاوية. ولا بدَّ من اتخاذ إجراء ما أو القيام بشيءٍ ما. كان الوضع كما لو أنك تمشي طوال الوقت بمحاذاة الهاوية».

مع ذلك، لم يذكر ترامب قط رسالة الخامس من أيلول/سبتمبر المفقودة. لكنه لم ينس ما كان يريد فعله باتفاقية التجارة. فقد قال بورتر لأحد شركائه: «كانت هناك نسخ عديدة مختلفة من تلك الرسالة»

خلال اجتماع لاحق في المكتب البيضاوي، احتدم النقاش حول اتفاقية كوريا الجنوبية. «لا يهمني». قالها ترامب. «لقد تعبتُ من هذه الحجج! لا أريد سماعها بعد الآن. سوف نخرج من اتفاقية كوروس». ثم راح يملي رسالةً جديدةً كان يريد إرسالها.

أخذ جاريد كوشنر، صهر الرئيس، كلمات ترامب على محمل الجد. كان جاريد البالغ من العمر ٣٦ سنة، وأحد كبار مستشاري البيت الأبيض، هادئًا رابط الجأش وذا هيئة أرستقراطية. وكان قد تزوج بإيفانكا ابنة ترامب سنة ٢٠٠٩.

ولما كان يجلس إلى جانب الرئيس، شرع جاريد في كتابة ما كان يقوله ترامب ويمليه.

«أكملِ الرسالة وآتني بها كي أوقّعها»، أمرَهُ ترامب.

كان جاريد بصدد تحويل ما كان يُمليه عليه ترامب إلى رسالةٍ جديدةٍ عندما سمع بورتر بذلك.

فقال له: «أرسل إليّ المسوَّدة». «إذا كان ينبغي لنا أن نفعل ذلك، فلا نستطيع فعله على قفا منديل ورقي. علينا أن نكتب الرسالة بطريقة تجنّبنا الإحراج».

أرسل كوشنر نسخة عن مسوَّدته. لم يكن لها أية فائدة. كان بورتر و«كوهن» قد صاغا نصًا مطبوعًا لمسوَّدة رسالة بحيث يبرهنا من خلاله أنهما كانا يقومان بتنفيذ ما طلبه الرئيس. كان ترامب ينتظر جوابًا فوريًا. وما كانا ليذهبا إليه خاليي الوفاض. كانت المسوَّدةُ جزءًا من الخدعة.

خلال اجتماع رسميّ، أقام معارضو الانسحاب من اتفاقية كوروس كل حججهم، على غرار أن الولايات المتحدة لم تنسحب قط، في أي وقت مضى، من اتفاقية تجارة حرةً. وأن ثمّة مشكلات

قانونية وجيوسياسية، وقضايا حيوية تتعلق بالاستخبارات والأمن القومي. لم تكن الرسالة جاهزة بعد. باختصار، خنقوا الرئيس بالوقائع والمنطق.

وما كان من ترامب إلّا أن قال: «حسنًا، فلنستمر في العمل على الرسالة؛ أريد رؤية المسوَّدة التالية».

لكنّ «كوهن» وبورتر لم يحضّرا مسوَّدةً تالية. لذا، لم يكن هناك شيء يُطلعان الرئيس عليه. وفي اللحظة الراهنة، كانت المسألة قد اختفت في سديم صناعة القرار الرئاسي. وانشغل ترامب بأمور أخرى.

بيد أن قضية اتفاقية كوروس لم تنته تمامًا. فقد تحدّث «كوهن» إلى وزير الدفاع جيمس ماتيس، جنرال البحرية المتقاعد، الذي كان الصوت الأكثر تأثيرًا على ترامب في حكومته وطاقمه. كان الجنرال ماتيس، محاربًا قديمًا، خدم أربعين عامًا في وحدات الجيش. بوضعيته وقامته المستقيمة، البالغة مئة وخمسة وسبعين سنتيمتراً، كان سلوكه ضجِرًا وبَرِمًا على الدوام.

قال «كوهن» للوزير: «نحن نترجَّح على شفير الهاوية. قد نحتاج إلى بعض الدعم هذه المرة».

كان ماتيس يحاول الحدَّ من زياراته للبيت الأبيض، ويتفرّغ قدر الإمكان للشؤون العسكرية، لكنّ إدراكه للضرورة العاجلة، جعلَه يأتي إلى المكتب البيضاوي.

قال: «سيدي الرئيس، إن كيم جونغ أون يمثّل أكبر تهديد فوريّ لأمننا القومي. ونحن بحاجة إلى كوريا الجنوبية كحليف. قد لا تبدو التجارةُ مرتبطةً بذلك كله، لكنها قضية مركزية».

يُعدّ الجيش الأميركي والترتيبات الاستخبارية في كوريا الجنوبية، العمود الفقري لقدرتنا على الدفاع عن أنفسنا ضد كوريا الشمالية. لذا أرجوك ألَّا تنسحب من الاتفاقية.

«لماذا تنفق الولايات المتحدة مليار دولار سنويًا على نظام دفاع جويّ مضاد للصواريخ الباليستية في كوريا الجنوبية؟»، سأله ترامب. لم يكن راضيًا عن قاعدة نظام الدفاع الجوي المضاد للصواريخ الباليستية التي تحلّق على ارتفاعات عالية (THAAD). وكان قد هدَّد بسحبها من كوريا الجنوبية ونصبها في بورتلاند، أوريغون.

«نحن لا نفعل ذلك لمصلحة كوريا الجنوبية بل نحن نساعد كوريا الجنوبية، لأن ذلك يساعدُنا».

بدا الرئيس مقتنعًا وموافقًا، ولكن فقط لحين.

في العام ٢٠١٦، قدَّم المرشح ترامب، إليّ وإلى بوب كوستاس، تعريفه للوظيفة الرئاسية. «إن وظيفة الرئيس تفوق أي شيءٍ آخر، إنها الحفاظ على أمنِ أمتنا.... هذه هي الأولوية الأولى والثانية

والثالثة.... ثم الحفاظ على القوة العسكرية، وعدم السماح لأمور سيّئة بإيذاء بلدنا من الخارج. وأعتقد بالتأكيد أن الجزء الأول من هذا التعريف سيكون دائمًا أولويتي الأولى»[1].

لكنّ الحقيقة هي أن الولايات المتحدة كانت عام ٢٠١٧، مقيَّدةً بكلماتِ وأفعالِ قائدٍ انفعاليّ هائج، وزئبقيّ بمزاج متقلّب. لا يمكن التنبؤ بما يمكن له أن يرتكب من أفعال. وقد اجتمعَ أعضاءٌ من طاقمه، على عرقلة نزواته التي كانوا يعتقدون أنها الأخطر، وتجميدها. كانت السلطة التنفيذية لأقوى بلدٍ في العالم تعاني من انهيارٍ عصبيّ شامل.

وما سوف يأتي يروي هذه القصة.

(١) من مقابلة مع الرئيس ترامب بتاريخ ٣١ آذار/مارس ٢٠١٦.

مقترح للبتّ فيه/ تشاوري

٥ أيلول/سبتمبر ٢٠١٧

فخامة الرئيس مون جي-إن
رئيس جمهورية كوريا
البيت الأزرق
سيؤول
جمهورية كوريا

معالي الوزير كيم هيون-جونغ
وزير التجارة
وزارة التجارة والصناعة والطاقة
٤٠٢ هانوري-دايرو
سيجونغ-سي ٣٠١١٨
جمهورية كوريا

السادة الأعزاء؛

إن اتفاقية الولايات المتحدة-كوريا للتجارة الحرة (اتفاقية)، هي في شكلها الحالي، لا تصبّ في مصلحة اقتصاد الولايات المتحدة الشاملة. لذلك، ووفقًا للمادة ٢٤٠٥ من نص الاتفاقية، تعلمكم الولايات المتحدة بموجب هذه الوثيقة، رغبتها في إنهاء العمل بالاتفاقية. وطبقًا لما ورد في بنود المادة ٢٤٠٥، فإن الاتفاقية تنتهي بعد مرور ١٨٠ يومًا على تاريخ هذا التبليغ. خلال هذه الفترة، تُعرب الولايات المتحدة عن استعدادها لإجراء مفاوضات مع جمهورية كوريا حول القضايا الاقتصادية التي تهم البلدين.

مع فائق الاحترام،

دونالد. ج. ترامب

رئيس الولايات المتحدة

روبرت. إي. لايتيزر

ممثل الولايات المتحدة التجاري

مسوَّدة الرسالة المؤرخة في الخامس من أيلول/سبتمبر ٢٠١٧، الموجَّهة إلى رئيس كوريا الجنوبية، والتي بموجبها تنسحب الولايات المتحدة من الاتفاقية. سرقها غاري «كوهن» عن سطح المكتب البيضاوي، لذلك لم تُوقَّع ولم تُرسَل.

الفصل الأول[1]

في شهر آب/أغسطس من العام ٢٠١٠، أي قبل ست سنوات من انتهاء الانتخابات الرئاسية بفوز دونالد ترامب، أجاب ستيف بانون على اتصال هاتفي ورده. كان في ذلك الحين يعمل منتجًا لأفلام جناح اليمين السياسية، وقد بلغ السابعة والخمسين من العمر.

«ماذا تفعل غدًا؟» سأله ديفيد بوسي، وهو محقّق جمهوري منذ فترة طويلة وناشط محافظ، قضى ما يقرب العقدين من الزمن في تصيّد فضائح بيل وهيلاري كلينتون ومطاردتها.

«يا رجُل»، أجاب بانون، «إنني أقوم بتقطيع تلك الأفلام اللعينة التي أنتجُها من أجلك ومَنْتَجتها».

كانت انتخابات التجديد النصفي لأعضاء الكونغرس للعام ٢٠١٠ تقترب. وكانت حركة حزب الشاي، ومعها الجمهوريون، في أوج زخمهما.

«ديف، نحن حرفيًا نستغني عن فيلمين آخرين. أنا أقوم بالتحرير. وأعمل ٢٠ ساعة يوميًا» في «المواطنون المتحدون» (Citizens United)، لجنة العمل السياسي المحافظة التي يرأسها بوسي، لإنتاج أفلامه المناهضة لآل كلينتون.

«هل تستطيع الذهاب معي إلى نيويورك؟».

«لمَ؟»

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم. انظر أيضًا:

Let Trump Be Trump by Corey Lewandowski and David Bossie (New York: Hachette, 2017).

«للقاء دونالد ترامب»، أجاب بوسي.

«لأي شأن؟».

«إنه يفكر في الترشّح للرئاسة»، قال بوسي.

«رئاسة أي بلد؟»، سأله بانون.

«لا إنّني جادٌّ»، قالها بوسي بإلحاح. كان يلتقي ترامب ويعمل معه منذ أشهر. وطلب إليه ترامب عقد اجتماع.

«لا وقت لديّ لأضيّعه، يا صاحبي»، قال بانون. «لن يترشح دونالد للرئاسة أبداً. دعكَ من ذلك. وضد مَن؟ أوباما؟ دعك من ذلك. لا وقت لديّ لأنفقه على هذا الهراء اللعين».

«ألا تريد مقابلته؟».

«لا، لا مصلحة لي في مقابلته». كان ترامب ذات مرة قد خصَّ بانون بمقابلة من ٣٠ دقيقة[1] لبرنامجه الإذاعي «جلسات النصر» (The victory Sessions). الذي يُبثُّ بعد ظهر الأحد من لوس أنجلوس ويصفه بانون «ببرنامج الرجل المفكّر الإذاعي».

قال بانون: «هذا الرجل ليس جادًا».

«أعتقد أنه جاد»، ردّ بوسي. كان ترامب من مشاهير الشاشة الصغيرة، ويقدم برنامجًا شهيرًا بعنوان المتدرب، ظلَّ لأسابيع يشغل المرتبة الأولى على قناة إن بي سي (NBC). «لا ضير من الذهاب لمقابلته، ولا شيء سلبي في ذلك».

أخيرًا، وافق بانون على الذهاب إلى برج ترامب في مدينة نيويورك.

صعدا إلى قاعة المؤتمرات في الطابق السادس والعشرين. حيث استقبلهما ترامب بحرارة. وقال بوسي إنه يحمل معه عرضًا مفصَّلًا، بمثابة درسٍ توجيهيّ خصوصي.

وقال إن الجزء الأول يبيّن كيفية الترشُّح إلى الانتخابات التمهيدية الجمهورية والفوز فيها. ويشرح الجزء الثاني كيفية الترشُّح إلى منصب رئاسة الولايات المتحدة ضد باراك أوباما. كما وصفَ استراتيجيات استطلاعات الرأي النمطية، وناقش سير العملية والقضايا التي تواجهها. كان بوسي تقليديًّا، ومحافظًا، ومن دعاة الحكومة المحدودة، وانضمَّ إلى حركة حزب الشاي اليمينية.

قال بوسي إنها كانت لحظةً حاسمةً في تاريخ السياسية الأميركية، وشعبوية حركة حزب الشاي

---

(١) "Bannon's 'Victory Sessions' Goes National," Breitbart, February 23, 2012

تجتاحُ البلد. كان الأميركي العادي المنتمي إلى عامة الشعب يجد فيها صوته. فالشعبوية حركة شعبية تسعى إلى زعزعة الوضع السياسي القائم لمصلحة الناس العاديين.

«أنا رجل أعمال». ذكّرهما ترامب. «لستُ محترفًا تدرّج في السياسة».

ردّ بوسي: «إذا كنت ستترشح إلى الرئاسة، فعليك أن تعرف الكثير من الأشياء الصغيرة، والكثير من الأشياء الكبيرة». كانت الأشياء الصغيرة تقضي بمعرفة مهل الترشح وكيفية إيداع الطلبات، ودقائق قواعد الانتخابات التمهيدية في كل ولاية. «عليك الاطلاع على السياسات، وكيفية كسب المندوبين. ولكن قبل كل شيء، عليك فهم طبيعة الحركة المحافظة».

أومأ ترامب برأسه.

فعقّب بوسي: «لديك مشكلة مع بعض القضايا».

ردّ ترامب: «ليست لديّ أية مشكلة مع أي قضايا: عن أي أمر تتحدث؟».

قال بوسي: «أولًا، لم يسبق قط أن فاز رجُلٌ لم يكن من أنصار الحياة، في انتخابات جمهورية تمهيدية: ولسوء الحظ، أنت من كبار مؤيدي الخيار الحر».

«ماذا يعني ذلك؟».

«يظهر في سجلك أنك تبرّعت بالمال لمؤيّدي الإجهاض، مرشّحي الخيار الحر. وقد أدليتَ بتصريحات في هذا الشأن. عليك أن تكون من أنصار الحياة، أي ضد الإجهاض».

ردّ ترامب: «أنا ضد الإجهاض. أنا من أنصار الحياة».

«حسنًا، ولكن لديك سجل حافل».

«يمكن إصلاح ذلك. قل لي فقط كيف أصلح ذلك. ماذا تسمّي ذلك؟ أنا من أنصار الحياة. أنا من أنصار الحياة، أقول لك».

كان بانون مبهورًا بالعرض. وكلما كان ترامب يستفيض في الكلام يزداد بانون انبهارًا. كان ترامب متحمّسًا وسريعًا، وذا لياقة بدنية عالية. كان حضوره أكبر من شخصه، وكان يخيّم على القاعة حضورُ قيادةٍ وسلطان. كان لديه شيء ما. كان أشبه برجلٍ في حانة يتحدّث إلى آرتشي بونكر[1]. بحسب تقييم بانون، كان ترامب آرتشي بونكر، ولكن آرتشي بونكر حقيقي شديد التركيز.

«أما الشيء الثاني الكبير»، قال بوسي، «فهو سجلّك الانتخابي».

(١) آرتشي بونكر، بطل مسلسل تلفزيوني تدور أحداثه في حي كوينز بمدينة نيويورك. وهو شخصية منفرة لا يعجبه شيء.

«ماذا تعني بسجلي الانتخابي؟».

«حجم مشاركتك في التصويت».

«عن أي شيء تتحدث؟».

«حسنًا، عن الانتخابات الجمهورية التمهيدية».

رد ترامب بثقة: «أنا أصوّت في كل مرة. لقد كنت أُدلي بصوتي على الدوام، مذ كنت في الثامنة عشرة أو العشرين من العمر».

«في الحقيقة هذا ليس صحيحًا. أنت تعلم أن هناك سجلًّا عامًّا لتصويتك». كان بوسي، المحقّق لدى الكونغرس، يملك رزمة من السجلّات.

«إنّهم لا يعرفون كيف أصوّت».

«لا، لا، لا، ليس كيف تصوّت، بل كم مرة صوَّتّ».

أدرك بانون أن ترامب لم يكن يعرف شيئًا عن أبسط شؤون السياسة.

«كنت أدلي بصوتي في كل مرة»، أصرَّ ترامب.

«في الواقع. لم تصوّت في انتخابات تمهيدية سوى مرة واحدة في حياتك كلها»، قال بوسي، مراجعاً السجل.

رد ترامب: «هذه كذبة لعينة، هذا محض كذب، في كل مرة كان عليَّ أن أصوّت، كنتُ أصوّت».

«لم تصوّت إلا في انتخابات تمهيدية واحدة. كان ذلك عام ١٩٨٨ أو نحو ذلك، في الانتخابات التمهيدية الجمهورية».

«أنت على حق»، أجاب ترامب، وهو يستدير على نفسه ١٨٠ درجة، لا تنقصها درجة واحدة. «كان ذلك لمصلحة رودي». ترشّح جولياني إلى منصب العمدة في انتخابات العام ١٩٨٩ التمهيدية. «هل تقصد تلك الانتخابات؟».

«نعم».

«سوف أتجاوز ذلك»، قالها ترامب.

رد بوسي: «قد لا يكون أيّ من هذه الأشياء مهمًّا، لكنها قد تصبح مهمة، وإذا قررت المضيّ قُدُمًا، عليك أن تكون منهجيًّا».

كان بانون التالي. حوّل الحديث إلى ما كانت تسوّقه حركة حزب الشاي، التي لم تكن تحبّ

النخبة. كانت الشعبوية في نظر المواطن العادي، تعني فساد النظام وزيفه. وكانت ضد رأسمالية المحسوبيات والصفقات والعروض الخاصة التي تُمنح لذوي النفوذ والعارفين خفايا الأمور، والتي تستنزف العمال.

قال ترامب: «أعشق ذلك. هذا أنا، شعبيّ[1]». لقد حرّف الكلمة.

رد بانون: «لا، لا. شعبوي».

أصرَّ ترامب على قوله: «نعم. نعم شعبيّ».

استسلم بانون. في البداية، ظنَّ أن ترامب لم يفهم الكلمة. ولكن ربما كان ترامب يعنيها على طريقته. أي أن يكون المرء شعبيًا مع الناس. كان بانون يعرف أن كلمة شعبيّ (popularist) شكل إنكليزي قديم لكلمة شعبوي (populist) تستخدمه العامة غير المثقّفة.

بعد ساعة من بدء الاجتماع، قال بوسي: «لدينا مشكلة أخرى كبيرة».

«ما هي؟». سأل ترامب، وقد بدا عليه الحذر.

«حسنًا ٨٠٪ من المنح التي تبرَّعت بها كانت للديمقراطيين». كان ذلك في نظر بوسي أكبر مسؤولية سياسية يتحمّلها ترامب، على الرغم من أنه لم يقل ذلك.

«هذا هراء!».

رد بوسي: «هناك سجلات عامة».

قال ترامب مذهولًا: «هناك سجلات لذلك!».

«هناك سجلٌ لكل منحةٍ تبرَّعتَ بها في الماضي فالكشف عن كل المنح السياسية إجراء نمطي».

«أنا أعطي دائمًا بالتساوي». قالها ترامب، وأضاف أنه كان يوزّع تبرُّعاته بالتساوي على الحزبين.

«في الواقع، أنت لا تعطي كثيرًا. ولكن ٨٠٪ ممّا تبرعت به كان للديمقراطيين. شيكاغو، أتلانتيك سيتي...».

«كنتُ مُجبرًا على ذلك. أولئك الديمقراطيون الأوغاد يديرون كل المدن. عليك أن تبني الفنادق. عليك أن ترضيهم. هؤلاء هم الناس الذين كانوا يأتون إليّ».

ردّ بانون: «اسمع. هذا ما يحاول ديف قوله. إن المشكلة في ترشّحك كممثل لحركة حزب الشاي

(١) هنا يحرّف ترامب كلمة شعبوي populist ويلفظها popularist والتي يمكن ترجمتها شعبيّ.

هي أنك تمثّل بالذات ما تعترض عليه الحركة. فهي تشكو من المستفيدين أمثالك من الصفقات الداخلية».

قال ترامب: «سأتجاوز ذلك. كل شيء فاسد ومزوَّر. إنه نظام فاسد ومزوَّر. كان هؤلاء الرجال يبتزونني لسنوات. لا أريد أن أعطي. يأتونك جميعهم بلا موعد مسبق. إذا لم تكتب شيكًا...».

أردف قائلاً: في حي كوينز كان رجل بولوني. رجل مخضرم يحمل دائمًا عصا بيسبول. تذهب إليه وعليك أن تعطيه شيئًا. نقوداً في العادة. إذا لم تعطه شيئًا، لا يمكنك إنجاز شيء. لا شيء يُبنى. ولكن إذا أخذته جانبًا وتركت له مغلّفاً. تسير أمورك كلها على أحسن ما يرام. هذه هي حال الأشياء. ولكنني أستطيع إصلاح ذلك».

قال بوسي إن لديه خارطة طريق: «إنها الحركة المحافظة. حزب الشاي تأتي وتذهب. الشعبوية تأتي وتذهب. أما الحركة المحافظة فهي حجر الأساس منذ غولدووتر[١]».

«ثانيًا، أنصحك بالترشُّح كما لو أنك تترشَّح إلى منصب الحاكم في ثلاث ولايات: آيووا، ونيو هامبشاير وكارولينا الجنوبية». عنى فيها المجالس الانتخابية الثلاثة الأولى أو الولايات التمهيدية. وتابع قائلاً: «ترشَّحْ واظهرْ كأنك من أبناء الولاية، كما لو أنك تريد أن تكون حاكمها». الكثير من المرشحين يرتكبون خطأً جسيمًا، إذ يحاولون الترشُّح في ٢٧ ولاية. «ترشَّح في ثلاث ولايات إلى منصب حاكم الولاية، وسوف تتوفر لك فرصة حقيقية للفوز. ركّز جهودك في ثلاث ولايات. وإذا أبليت فيها بلاءً حسنًا، ستتبعها باقي الولايات».

«أستطيع أن أكون المرشَّح المسمّى». قالها ترامب. «وأستطيع هزيمة أولئك الرجال. لا يهمني من هم. لقد فعلت ذلك من قبل. أستطيع تولّي أمر هذه الأشياء الأخرى».

يمكن إعادة النظر والتفاوض في كل موقف.

«أنا من أنصار الحياة». قالها ترامب. «سوف أبدأ».

رد بوسي: «إليك ما يجب فعله: سوف تحتاج إلى كتابة ما بين ٢٥٠ ألف دولار و ٥٠٠ ألف دولار من الشيكات الفردية لأعضاء الكونغرس ومجلس الشيوخ. سوف يأتونك جميعًا. انظرْ في عيونهم، وشدّ على أيديهم. أنت على وشك إعطائهم الشيك. لأننا نحتاج إلى نقاط علام. عليك أن تلتقيهم على انفراد: لذلك هؤلاء الرجال يعرفون. ففي وقت لاحق، سوف يشكّل ذلك على الأقل، مدخلًا لبناء العلاقات».

تابع بوسي: «قل لكلٍّ منهم، هذا الشيك لك. وليكن بقيمة ٢٤٠٠ دولار كحدّ أقصى. يجب أن

(١) رجل سياسي أميركي، جمهوري ومؤسس الحركة المحافظة.

تكون شيكات فردية، بمثابة تبرُّع لحملاتهم. بهذه الطريقة يعرفون أنها قادمة منك شخصيًّا، وأنك جِدّي في ما أنت مُقدم عليه».

قال بوسي: «كان المال دائمًا أساسيًّا في فن السياسة الرئاسية. ذلك أنه يدرُّ في وقت لاحق أرباحًا هائلة. أعطِ المرشّحين الجمهوريين في حفنة من الولايات غير المحسومة، مثل أوهايو وبنسلفانيا وفرجينيا وفلوريدا».

وفضلاً على ذلك، قال بوسي: «عليك أن تؤلّف كتابًا في السياسة، كتابًا يعبّر عن رؤيتك لأميركا، وموقفك من هذه السياسات».

بعد ذلك قدَّم بانون شرحًا موجزًا عن الصين وجهودها الناجحة في أخذ الوظائف والمال من الولايات المتحدة. كان مهووسًا بالتهديد الذي تشكّله الصين.

«ما رأيك به؟» سأل بوسي بانون في وقت لاحق.

«أعجبني الرجل كثيرًا»، قال بانون. أما كمرشح رئاسي، «فحظوظه صفر. أولًا، هذا اللعين لن يكتب شيكًا واحدًا. فهو لا ينتمي إلى هذا الصنف من الرجال الذين يكتبون الشيكات. إنه من صنف الذين يوقّعون على ظهرها»، عندما تكون مدفوعة لهم. «كان جيدًا أن تقول ذلك، لأنه لن يكتب شيكًا واحدًا أبداً».

«وماذا بشأن الكتاب السياسي؟».

«لن يؤلّف أبدًا كتابًا سياسيًّا. دعني أقل لك سبب ذلك. أولًا، لن يشتريَه أحد. ثانيًا سيكون مضيعةً للوقت. غير أنه سيكون مسلّيًا جدًّا».

قال بوسي إنه كان يحاول تحضير ترامب. إذا قرّر الترشُّح. كان ترامب يملك ورقة رابحة وحيدة: كان مبعدًا تمامًا عن العملية السياسية.

بينما كانا يسيران، راح بوسي يمارس تمرينًا ذهنيًّا، وهو التمرين نفسه الذي سيمارسه معظم الأميركيين بعد ست سنوات من ذلك الوقت. لن يترشَّح أبداً. لن يقدّم طلب ترشح أبداً. لن يعلن عن ترشّحه أبداً. لن يصرّح أبداً عن وضعه المالي. أليس كذلك؟ لن يفعل أيًا من هذه الأشياء. لن يفوز أبداً.

أخيرًا سأل بوسي بانون: «هل تعتقد أنه سيترشح؟».

كرّر بانون قائلاً: «إن حظوظه معدومة، صفر بل دون الصفر. يا رجل، انظر إلى هذه الحياة اللعينة التي يعيشها. صدّقني، لن يفعل ذلك. لن يعرّض نفسه للتمزيق إربًا».

الفصل الثاني[1]

بعد ستة أعوام

لو لم تتكشّف الأحداث على هذا النحو غير المتوقّع، بطريقة عشوائية ولا مبالية، لاختلف العالم اليوم بشكلٍ شبه مؤكد. قبِل دونالد ترامب تسمية الحزب الجمهوري بتاريخ ٢١ تموز/يوليو ٢٠١٦، واتّخذ سعيه للرئاسة منعطفًا مهمّاً في ساعةٍ مبكرةٍ من صباح يوم السبت الواقع في ١٣ آب/أغسطس ٢٠١٦.

جلس ستيف بانون وهو الآن رئيس عملية بريتبارت نيوز التابعة للجناح اليميني. على مقعد في حديقة براينت بارك بمدينة نيويورك سيتي، ثمّ جمع صحفه وبدأ طقس سَبْته المعتاد. راح في البداية يقلّب صفحات الفاينانشل تايمز، ثم انتقل إلى النيويورك تايمز.

«إخفاق المهمة الداخلية في تخفيف حدة لسان ترامب»[٢]، كان هذا هو عنوان الصفحة الأولى في التايمز، قبل ثلاثة أشهر من الانتخابات الرئاسية.

«أوه، يا إلهي»، قال بانون في نفسه.

إن أول فصل في مسرحية بانون هو مظهره: السترة العسكرية القديمة فوق عدة قمصان من طراز بولو. والفصل الثاني سلوكه: العدواني، الواثق والحاد.

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Alexander Burns and Maggie Haberman, "The Failing Inside Mission to Tame Trump's Tongue," *The New York Times*, August 14, 2016, p. A1. (Available online at https://www.nytimes.com/2016/08/14/us/politics/donald-trump-campaign-gop.html)

قال كتّاب مقالة التايمز إن لديهم ٢٠ مصدرًا جمهوريًا سريًا من المقربين إلى ترامب أو الضالعين بحملته. وقد وصف المقال ترامب شخصاً مشتت الذهن، منهكاً، ودائم الوجوم. وهو، فضلاً عن ذلك، عرضة لارتكاب الهفوات، ويواجه متاعب مع الجهات المانحة. كان في موقف خطرٍ غير مستقرّ في فلوريدا، وأوهايو، وبنسلفانيا وكارولاينا الشمالية، وكلها ولايات غير محسومة، وتقرر مصير الانتخابات. كانت الصورة قبيحة، وكان بانون يعرف أن تلك الصورة حقيقية. وقد أجرى حساباته، فخلُص إلى أن ترامب قد يخسر أمام المرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون بفارق ربما يصل إلى ٢٠ نقطة؛ لكنَّ المؤكد أن الفارق سيكون رقمًا بعددين.

كان ترامب شخصية إعلامية استعراضية. لكنه لم يكن يملك قدرةً عملياتية غير ما زوّدته به اللجنة الجمهورية الوطنية. وكان بانون يعرف أن طاقم حملة ترامب لا يتعدى عددًا قليلًا من الأشخاص الذين تتسع لهم غرفة واحدة: محرّرُ خطابات، وفريق متابعة من حوالى ستة أشخاص، يتولون جدولة التجمعات وتنظيمها في أرخص الأمكنة، التي غالباً ما تكون أمكنةً قديمة، من قاعاتٍ رياضية باهتة أو حلبات هوكي متفرقة من أنحاء البلد.

وعلى الرغم من ذلك، فاز ترامب بترشيح الجمهوريين ضد ١٦ مرشحًا، وكان فارضاً حضوره العارم والتخريبي والمفتقر إلى البراعة، ومنتزعاً انتباه الأمة بأكملها.

كان بانون في الثالثة والستين من العمر، تخرّج في قسم إدارة الأعمال بجامعة هارفارد، ويحمل رؤىً قومية متشددة: أميركا أولًا. اتصل بريبيكا ميرسر.

كانت ميرسر وعائلتها أحد أكبر المصادر المثيرة للجدل في تمويل حملات الحزب الجمهوري، وكان المال محرك السياسات الأميركية، خصوصًا في الحزب الجمهوري. وكان آل ميرسر على الهامش إلى حدّ ما، لكن أموالهم اشترت لهم مكانًا على الطاولة. وكانوا أيضًا يملكون حصة في بريتبارت[1].

«هذا أمر سيئ سنُلام عليه». قالها بانون لميرسر. وكانت بريتبارت قد وقفت إلى جانب ترامب ودعمته في أحلك ساعاته: «سوف تكون نهاية بريتبارت».

«لمَ لا تتدخل؟» قالت ريبيكا.

«لم أكن قط مدير حملة انتخابية في حياتي». أجاب بانون. كانت الفكرة غير معقولة.

«هذا الرجل، مانافورت، إنه كارثة». قالت ذلك مشيرةً إلى بول مانافورت مدير حملة ترامب: «لا أحد يدير الحملة الآن. ترامب يصغي إليك. إنه دائم البحث عن شخص حكيم يشرف على الحملة».

(١) مؤسسة إعلامية أميركية تابعة لليمين المتطرف.

«اسمعي»، قال بانون، «سأفعل ذلك في الحال. ولكنْ هو، ما الذي سيجعله يقبل؟».

أجابت: «كان طوال الوقت مرشحًا دخيلًا لا يملك أدنى حظّ في الفوز»، وذكرَت مقال النيويورك تايمز: «إنه الآن يعيش حالة ذعر». وهو، باختصار، قد يلجأ إلى بانون، لأنه يائس.

اتصل آل ميرسر بترامب. كان ذاهبًا إلى إيست هامبتون في لونغ آيلاند، موطن وودي جونسون، مالك نيويورك جتس[1]، لحضور حفل جمع تبرعات. وقد جرت العادة أن يحرّر آل ميرسر الشيكات من دون الحاجة إلى رؤية المرشح. هذه المرة كانوا يريدون قضاء عشر دقائق مع ترامب.

في حجرة زجاجية صغيرة مُشمسة، جلست ريبيكا بشعرها الأحمر الطويل الذي تركته منسدلًا، وبصعوبة تكلّمت. كان والدها بوب ميرسر، عالم الرياضيات الشديد الذكاء، أحد الأدمغة التي سمحت لصندوق الاستثمارات رونيسانس تكنولوجيز (Renaissance Technologies) الذي يدير ٥٠ مليار دولار، بتحقيق نجاح خرافيّ.

«على مانافورت أن يرحل»، قالت لترامب. وأضافت: «إنه كارثة».

«من تُزكّين؟» سألها ترامب.

قالت: «ستيف بانون سيحلُّ محلّه».

«لن يقبل قط».

«بل سيقبل بالتأكيد»، أجابت.

تلك الليلة، اتصل بانون بترامب.

«إن ما أوردته الصحيفة، لمحرجٌ حقًّا»، قال بانون، مشيراً إلى مقال النيويورك تايمز[2]. «أنت أفضل من ذلك. يمكننا الفوز. علينا أن نفوز في هذا. رباه، إنها هيلاري كلينتون التي تقف خلف ذلك».

تابع ترامب متحدثًا عن مانافورت: «إنه شخص يابس متخشّب، ولا يستطيع التعامل مع التلفزيون بشكل فعال».

---

(١) فريق New York Jets (كرة قدم أميركية) لعبة قريبة من الركبي.

(٢) Alexander Burns and Maggie Haberman, "The Failing Inside Mission to Tame Trump's Tongue," *The New York Times*, August 14, 2016, p. A1. (Available online at https://www.nytimes.com/2016/08/14/us/politics/donald-trump-campaign-gop.html)

«فلنلتقِ غدًا، ونرتّب الأمر معًا. يمكننا فعل ذلك»، قال بانون. «ولكن دعنا نعمل بصمت».

وافق ترامب على اللقاء صباح اليوم التالي. وكان ذلك يوم الأحد.

كانت هناك شخصية سياسية أخرى قلقة ذلك اليوم، إنها رينس بريبوس، البالغ من العمر ٤٤ عامًا. وهو رئيس لجنة الحزب الجمهوري الوطنية، ومحام في ويسكونسن. وكان، فضلاً عن ذلك، رجل الخدمات الإنسانية وتدعيم العلاقات في السنوات الخمس التي قضاها رئيساً. يخفي سلوكه المرح كونه يسعى إلى بناء إمبراطورية سلطة. كان صانع القرارات المالية في الحزب، يتربّع على رأس طاقم ميداني من ٦٥٠٠ موظّف، ويظهر على شاشات التلفزيون بشكل منتظم، ويملك شبكته الشخصية للتواصل والعلاقات العامة في الحزب. لكنه كان ذلك اليوم في وضع شاقّ وحرِج.

كان بريبوس يرى في قرارة نفسه، أنّ آب/أغسطس هو شهر كارثي. والشخص المسؤول عن ذلك كان المرشح ترامب.

منذ البداية، حاول بريبوس توجيه دفة الحملة وإدارتها. لكنْ، عندما نعت ترامب المكسيكيين «بالمغتصبين» في خطاب إعلان ترشحه بتاريخ ١٦ حزيران/يونيو ٢٠١٥، اتصل به بريبوس وقال له: «لا يمكنك الكلام بهذا الأسلوب. لقد عملنا بمشقة بالغة لكي نفوز بأصوات الناخبين المتحدّرين من أصول إسبانية».

إلّا أن ترامب لم يكن ليخفّف من حدة لهجته. وهاجم كل الذين هاجموه. لم يسبق أن تسبَّب أحد بصداع لرئيس حزب وطني مثل الذي تسبَّب فيه ترامب.

اتصل السيناتور ميتش ماكونيل، داهية الحزب الجمهوري، ورئيس كتلة الأكثرية ببريبوس سرًّا. كانت رسالته: انسَ ترامب. حوِّل المال الجمهوري إلينا، نحن مرشّحي مجلس الشيوخ، واقطع صنبور المال عن ترامب.

لكنّ بريبوس كان يريد الحفاظ على علاقته بترامب، فقرر أن يقف بثبات في الوسط، بين ترامب وماكونيل. كان يظنّ أنه موقف تكتيكي يخدم بقاءه الشخصي ومصلحة الحزب. وكان قد أعرب لترامب قائلاً: «أنا معك ١٠٠٪، وأحبك. سأستمر في العمل من أجلك. ولكن عليَّ أن أحمي الحزب. لديَّ مسؤولية مختلفة عن مسؤوليتي تجاهك فقط».

كان بريبوس قد وافق على مؤازرة حملة ترامب، وتقديمه في أثناء التجمعات والمهرجانات. وكان يعتبر أنه يمد يدًا لغريق.

أحدثَ مقال التايمز بخصوص لجم ترامب خضّةً كبيرة. «تبًا» قال بريبوس في نفسه «إنه لأمر سيئ حقًا». كانت الحملة تتهاوى. ثم خلُص إلى أنها لم تكن حملة، بل مزحة.

قيل الكثير من الكلام في مقال التايمز، ما جعل بريبوس يدرك أن هدف المصادر العشرين كان إما تخريب الحملة، وإما الظهور بمظهر الصالحين.

«كان وقتًا عصيبًا وخطِرًا، وربما الأسوأ، لترامب وللحزب»، قال بريبوس في نفسه. لم يكن هنالك من درب سالكة سوى التصعيد على كل الجبهات. ورفع مستوى العدوانية إلى الحد الأقصى للتستُّر على حالة الضعف القاتلة.

صباح ذلك الأحد، وصل بانون إلى برج ترامب في مانهاتن. وقال للحارس إنه على موعد مع السيد ترامب.

«عجيب»، قال الحارس. «إنه لا يأتي أبدًا في عطلة نهاية الأسبوع».

اتصل بانون بترامب.

«اسمع» شرح المرشح. «أنا في بدمينستر»، حيث كان يقع نادي الغولف الوطني الذي يملكه ترامب. «بما أنك لست هنا، فإنني سأذهب لممارسة الغولف. سأنتظرك وسنتناول الغداء معًا. كن هنا، حوالى الساعة الواحدة.

ثم شرع في إعطاء تعليمات مفصلة عن رحلة الأربعين ميلًا من نيويورك سيتي باتجاه الغرب.

«سأجده»، قال بانون.

«لا، انعطِف إلى اليمين عند جسر راتلسنيك تمامًا، ثم إلى اليمين لمسافة ميل واحد تقريبًا».

«سأجده. إنه ناديك الوطني».

لا. ألحَّ ترامب، عليك أن تفهم. ثم راح يزوّده بتعليمات كاملة عن الرحلة، وبتفاصيل لم يسبق لبانون أن سمع ما يضاهيها من ترامب بخصوص أي شيء.

نسّق بانون مع سائق يأتيه ظهرًا ليقوده إلى بدمينستر لئلّا يصل متأخرًا. وعندما أصبح في النادي، جرى توجيهه إلى طاولة كانت معدَّةً لاستقبال خمسة أشخاص.

«لقد جئت باكرًا»، قال أحد أفراد الطاقم. «لن يصل الآخرون قبل الساعة الواحدة».

- الآخرون؟ سأل بانون.

روجر إيلز، والحاكم كريس كريستي و«العمدة» رودي جولياني. إنهم مدعوون أيضًا.

كان بانون حانقًا. فهو لم يأتِ ليشارك في جلسة اختبار أمام أحد. كان هو وترامب قد اتفقا وعقدا صفقة غير قابلة للتعديل.

كان إيلز أول من حضر من المدعوين الآخرين، وهو المؤسس والرئيس لفوكس نيوز، إضافة إلى أنه سياسي جمهوري، فعّال منذ أيام ريتشارد نيكسون. وكان في السابق معلم بانون ومرشده.

«تبًا، ما الذي يحدث؟» قال إيلز، وانطلق في مهاجمة الحملة.

«ما مدى السوء الذي بلغته التقديرات؟» سأل بانون.

«سوف يكون انفجارًا».

«تحدثتُ مع ترامب الليلة الماضية»، قال بانون. «تحدثَ معه آل ميرسر أيضًا. من المفترض أن أتدخل وأتولّى إدارة الحملة، ولكن لا تُخبر الرجُلين الآخرين بذلك».

«تبًا، ما الذي يحدث؟» كرّر إيلز. «أنت لا تفقه في الحملات شيئًا». كان ذلك مرفوضًا تمامًا.

«أعرف، ولكن في مقدور أيّ كان أن ينظّم الأمور بشكلٍ أفضل من التنظيم الحالي».

على الرغم من أن بانون كان يعرف إيلز منذ عدة سنوات، لكنه لم يكن ليقبل الظهور على محطات شبكة فوكس نيوز.

قال بانون في إحدى المرات: «لم أظهر قط على الفوكس، لأنني لم أكن أريد أن أدين له بشيء... لا تكن مدينًا لروجر قط، فإنه يتملكك».

كان هذا يتناقض بشكل فاضح مع علاقته بترامب، الذي كان يراه مجرد متسوّل. وكان ترامب قد ظهر في سلسلة من المقابلات الإذاعية[1] التي أجراها معه بانون على راديو سيريوس إكس. إم. التابع لبرايبارت نيوز، بين تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٥ وحزيران/يونيو ٢٠١٦.

قال إيلز إنهم جاؤوا لإعداد جلسة النقاش الأسبوعية. وكان ذلك أول نقاش رئاسي ضد هيلاري كلينتون بتاريخ ٢٦ أيلول/سبتمبر، أي بعد شهر ونصف الشهر.

«إعداد جلسة النقاش؟» قال بانون. «أنت وكريستي ورودي؟».

«هذه الجلسة هي الثانية».

«أيُعدُّ نفسه للنقاشات حقاً؟» قال بانون، مندهشًا على نحو مفاجئ.

«لا، هو يأتي ويلعب الغولف، ونحن نتحدث عن الحملة فحسب، وعن أشياء أخرى من هذا القبيل. لكننا نحاول أن نعوّده ذلك».

انضمّ إليهما بول مانافورت مدير الحملة، مع أنه لم يكن مدعوًا.

---

(١) David A. Fahrenthold and Frances Stead Sellers, "How Bannon Flattered and Coaxed Trump on Policies Key to the Alt-Right," The Washington Post, November 15, 2016.

شعر بانون الذي تعوّد أن يُطلق على نفسه لقب «باصق النار الشعبوي» (*) بالاشمئزاز. إذ كان مانافورت يرتدي ملابس فاخرة من طراز سباق اليخوت، ويضع منديلًا حول عنقه، فبدا كأنه خارج لتوه من ساوثامبتون!

وصل ترامب وجلس. كانت سندويشات الهمبرغر والهوت دوغ مفروشة على الطاولة. «هي وجبة يحلم بها طفل في الحادية عشرة من العمر». قال بانون ذلك في نفسه. فيما كان ترامب يلتهم سندويشتي هوت دوغ.

مشيرًا إلى قصة النيويورك تايمز عن إخفاق محاولة كبح لسانه، سأل ترامب مانافورت: «كيف يمكن لمقال كهذا أن يصدُر». وكان ذلك أحد تناقضات ترامب: كان يستمتع في الهجوم على إعلام التيار السائد، وخصوصًا التايمز. ولكنْ، وعلى الرغم من لغتها الهجومية، فإنه كان يعد التايمز صحيفة المرجعية، ويصدق رواياتها على نحو كبير.

«بول، هل تعتقد أنني طفل رضيع؟ سأل ترامب. «هل هذا ما تقوله. أنا طفل رضيع؟ أنت سيئ جدًا على شاشة التلفزيون. ليست لديك أية طاقة. أنت لا تمثل الحملة. لقد قلتُ لك ذلك بلباقة. لن تظهر على التلفزيون ثانيةً».

«دونالد...»، حاول مانافورت الإجابة.

رأى بانون أن أسلوب مانافورت في مخاطبة الرئيس باسمه الأول، قد أزعج ترامب.

«ثمة شيء يجب أن تفهمه، سيد ترامب» قالها بانون، «خلف هذه القصة الكثير من تلك المصادر المجهولة، ولا نعرف مدى صحتها».

«لا، أنا أعرف»، أجاب ترامب، مصوّبًا نيرانه إلى مانافورت. «إنهم مسرّبون»، كان يعرف أن الاقتباسات صحيحة.

«الكثير مما جاء في المقال ليس منسوبًا»، قال بانون. «لم يصرّح أحد باسمه الشخصي، كلهم يختبئون». «والنيويورك تايمز، مليئة بالأكاذيب اللعينة. صدقني، كل ذلك مجرد هراء لا يساوي شيئًا»، تابع بانون هجومه المضاد، على الرغم من أنه كان يعرف أن القصة صحيحة.

لم يكن هذا الخطاب لينطلي على ترامب. كانت القصة لا ترقى إلى الشك، والحملة تعجُّ بالمسرّبين. استمرت مذبحة مانافورت برهةً من الزمن، ثم تحوَّل ترامب إلى الحديث عن بعض قصص الحرب لمدة نصف ساعة. بعدها ذهب مانافورت.

(*) بمعنى أن خطابه ناريّ.

«ابقَ على مقربة»، قال ترامب لبانون. «هذا شيء فظيع، وخارج السيطرة. يا له من رجل فاشل! إنه حقًا لا يدير الحملة. لقد جئت به ليساعدني على تجاوز المؤتمر والفوز في التسمية فقط».

«لا تقلق بشأن أي من هذه الأرقام»، قال بانون. «لا تهتم بفارق ١٢ إلى ١٦ نقطة، مهما تكن طبيعة استطلاع الرأي. ولا تقلق بشأن الولايات غير المحسومة. الأمر في غاية السهولة». وحاجج بأن ثلثي أهالي البلد يظنّون أننا على الطريق الخطأ، و٧٥٪ يظنون أننا نعيش مرحلة انحطاط. لقد هيأ ذلك الساحة لعامل التغيير. وهيلاري تمثل الماضي. كان الأمر على هذا القدر من الوضوح.

وعلى نحوٍ ما، كان بانون طوال حياته، ومنذ سن الرشد، ينتظر هذه اللحظة. «إليك الفرق، سوف نقوم فقط بعملية مقارنة نستخلص منها نقاط الشبه ونقاط الاختلاف مع كلينتون. وإليك ما يجب أن تتذكّره دائمًا»، قال بانون. ثم ردَّد أحد شعاراته: «إن النخبة في هذا البلد مرتاحة في إدارة الانحطاط. أليس كذلك؟».

أومأ ترامب برأسه موافقًا.

«والعمال في هذا البلد ليسوا كذلك. يريدون إعادة عظمة أميركا. سوف نبسّط هذه الحملة. إنها تجسّد (هيلاري) منبر النخبة المرتاحة في إدارة الانحطاط عبر الحفاظ على الوضع القائم بفساده وعجزه. وأنت تجسّد منبر المنسيين الذين يريدون إعادة عظمة أميركا. وسوف نترجم ذلك من خلال التركيز في موضوعين.

قال بانون: «سوف نوقف الهجرة الشاملة غير المشروعة، ونبدأ بتحديد الهجرة المشروعة لاستعادة سيادتنا. وسوف نُعيد الوظائف الصناعية إلى البلد. ثالثاً: علينا الخروج من هذه الحروب الخارجية التي لا تنتهي».

لم تكن هذه الأفكار جديدةً على ترامب. ففي خطاب الثامن من آب/أغسطس الذي ألقاه قبل أسبوع في نادي ديترويت الاقتصادي[1]، تحدّث عن جميع هذه الموضوعات مهاجمًا كلينتون: «إنها مرشحة الماضي. ونحن في حملتنا نمثل المستقبل».

«تلك هي الموضوعات الثلاثة التي لا تستطيع تبنّيها»، قال بانون. «فقد شاركت في فتح الحدود، وفي عقد اتفاقيات التجارة السيئة التي سمحَت بتسرب وظائفنا إلى الصين، وهي تنتمي إلى المحافظين الجدد. أليس كذلك؟».

بدا أن ترامب كان موافقًا على أن هيلاري هي من المحافظين الجدد.

---

(١) Donald J. Trump, "Remarks to the Detroit Economic Club," August 8, 2016. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb .edu/ws/?pid=119744

«لقد أيّدت كل الحروب»، قال بانون. «فقط علينا أن نستفيض في تكرار ذلك. هذا ما يجب فعله. يجب أن تركّز في هذا الأمر».

أضاف بانون قائلاً إن ترامب يملك ميزة أخرى. فهو لا يتكلم بأسلوب اللغة السياسية الخشبية. كان أوباما في العام ٢٠٠٨ يتمتع بهذه الميزة في مواجهة كلينتون، التي تتكلم كسياسية مدرّبة. كان إيقاعها في غاية الإتقان. حتى إنها، عندما تقول الحقيقة، تبدو وكأنها تكذب.

«لا يستطيع محترفو السياسة مثل هيلاري، التكلُّم بشكلٍ طبيعي»، قال بانون. فعندما ظهرت نتائج استطلاعات الرأي ومجموعات النقاش، كانت تجيبُ عن الأسئلة بطريقة آلية وأسلوب سياسي. وكان خطابها مهدئًا وليس صادمًا، ولم يكن نابعًا من القلب ولا ناتجًا من قناعة عميقة. بل مثّل الخطاب الذي ينصح به استشاريٌّ من ذوي الأجور المرتفعة. لم يكن خطاباً غاضبًا.

قال ترامب: «حسنًا، لقد أصبحتَ الرئيس التنفيذي للحملة».

«لا أريد إثارة الضجة ولا الانخراط في قصص القصر ومكائده». قال بانون. «فليبقَ مانافورت الرئيس. لن تكون له أية سلطة. دعني أتولَّ إدارة الأمر».

اتفقا على تعيين كيليان كونواي، وهي مستطلعةُ رأي جمهورية صريحة، ومن النوع المشاكس، وكانت تساعد بالفعل في الحملة، بل كانت مديرة الحملة.

«سوف نجعلها تظهر على شاشات التلفزيون يوميًّا على أنها أنثى الحملة الودودة»، اقترح بانون. «ولأنها محاربة، سترد على المكالمات فقط. لكنّ الناس معجبون بها ويحبونها. وعامل الإعجاب هو ما نحتاج إليه بالضبط».

وفي لحظة إدراك شخصي، أضاف: «لن أظهر على التلفزيون قط».

كذلك، فإنَّ كونواي لم تكن قد تولَّت إدارة حملة من قبل، ما يجعل منهم ثلاثة غير متمرّسين: المرشح المبتدئ اللامع ورئيس الحملة التنفيذي ومديرتها.

كانت كيليان كونواي تشرف على تصوير بعض أفلام الدعاية الإعلامية ذلك الشهر.

«هل أدفع أجرًا لهؤلاء الناس؟» سألها ترامب.

كان يشكو من الكاميرا وإعداداتها وموقعها. يبدو أن التجهيزات كانت قديمة، ولم يكن يُحبّ الإضاءة. ولم يكن التصوير عالي الدقة (HD). ثم راح يتذمَّر من فريق الكاميرا: «قولي لهم إني لن أدفع». كانت سياسة نمطية لديه.

وفي وقت لاحق، قال: «أريد أن يذهب الجميع باستثناء كيليان».

«الجميع يقولون لي إنني أفضل من هيلاري كلينتون»، قال ذلك، بمثابة نصف سؤال طالبًا تقييمها.

«نعم سيدي، لا حاجة إلى أي استطلاع للرأي، لكنهم قد يستطيعون فعل بعض الأشياء بطريقة مختلفة». «أنت ضد المرشحة الأشد كآبة في التاريخ الرئاسي. ويبدو أننا بدأنا نشبهها».

«لا لسنا كذلك».

«هذا هو الانطباع الذي تولّده. لقد دأبتُ على مراقبتك في أثناء الانتخابات التمهيدية، وكنتَ تبدو أكثر بهجةً وسعادةً».

«أشتاق إلى تلك الأيام، حيث كنّا قلّةً نتنقّل من مكان إلى آخر لحضور التجمعات، ومقابلة الناخبين»، قال ترامب.

«لقد رحلَت تلك الأيام»، أقرَّت. ولكن إنصافًا لك. علينا أن نعيدها ونحوّلها إلى استراتيجية انتخاباتٍ عامةٍ، وإلى عمليةٍ تسمح لك بمضاعفة تلك المهارات وتلك البهجة إلى الحد الأقصى».

ثم راحت تتكلم بصراحة: «هل تعرف أنك بصدد الخسارة؟ ولكن لا تيأس من ذلك. لقد اطّلعتُ على استطلاعات الرأي». ذلك اليوم، كانت استطلاعات قناة السي إن إن تظهره خاسرًا بفارق عشر نقاط. «ثمة طريق أخرى».

«ما هي؟».

كانت تعتقد أنه حقق شيئًا ما، من دون أن يدرك ذلك، «فتلك القصة بشأن أهلية الترشح والفوز بالانتخابات كانت تستنزف الحزب الجمهوري». بمعنى أنه لم يكن قادرًا على الفوز، ولم يكن مؤهلًا للترشح.

كان الناخبون يشعرون بخيبة الأمل من الأسماء التي رشحها الحزب الجمهوري للانتخابات الرئاسية. وكانت الحجج كالآتي: «يجب أن تقفوا جميعًا خلف ميت رومني. فهو الوحيد القادر على الفوز. عليكم أن تدعموا ماك كين، فهو يستطيع أن يفوز. جِب قادر على الفوز. ماركو قادر على الفوز. أما هذا»، ترامب، أي أنت، «فإنه ليس قادرًا على الفوز. لكن الناخب اتخذ قراره. وقال لن أُخدع ثانيةً»... وفاز ترامب بتسميته مرشحًا عن الحزب الجمهوري.

«لقد حشدتَ هذه الجماهير العريضة لأن حملتك لم تكن حملة سياسية تقليدية. وقد بنيتَ حركة جماهيرية، والناس يشعرون بأنهم جزء منها، ولا يحتاجون إلى بطاقة انتساب أو دفع اشتراكات. وباستطاعتي أن أعطيك تصوري عن استطلاعات الرأي. لدينا عقبتان رئيستان». قالت إنه لا ينبغي لهم أن يجروا استطلاعات رأي وطنية، بتاتًا. «هذه حماقة وسائل الإعلام»، التي كانت

تجري استطلاعات رأي وطنية. بالطبع كان الفوز يعني الحصول على أغلبية أصوات كبار الناخبين أي الـ ٢٧٠ صوتًا التي كانوا يحتاجون إليها. كانوا يحتاجون إلى تحديد الولايات الصحيحة والتركيز فيها. الولايات الثماني الصعبة غير المحسومة.

«الناس يريدون أشياء محددة»، قالت كونواي. لقد كان طرح ترامب، في شهر تموز/يوليو، مشروع إصلاح إدارة المحاربين القدماء المؤلف من عشرة بنود[1] طرحاً رائعاً، وكذلك طرحه خطة الإصلاح الضريبي المؤلفة من خمس نقاط. الناس يريدون هذا النوع من التفاصيل. لكنهم يحتاجون إلى تكرارها على مسامعهم، المرة بعد الأخرى.

«أمّا نقطة الضعف الثانية بنظري، فهي أن الناس يريدون التأكد من أنك ستفي بوعودك. فإذا لم تحققها أنت، كرجل أعمال، تكون مجرد رجل سياسي. في حين أنك تمامًا عكس ذلك».

كان خطابًا تسويقيًا، طريقةً للتقدم بدا أن ترامب يتبناها تمامًا.

«هل تعتقدين أن باستطاعتك إدارة هذا الشيء؟» سألها.

«ما هو «هذا الشيء»؟» سألته. «أنا أدير جلسة التصوير هذه».

قال ترامب: «الحملة، برمّتها. هل أنتِ على استعداد لعدم رؤية أطفالك لعدة أشهر؟».

قبلَت على الفور: «سيدي، يمكنني أن أفعل ذلك من أجلك. تستطيع الفوز بهذا السباق. لا أعدُّ نفسي ندًّا لك. ولن أخاطبك باسمك الأول أبدًا».

(١) انظر: Louis Nelson, "Trump Outlines 10-Point Plan to Reform Veterans Affairs Department," Politico, July 11, 2016.

الفصل الثالث[1]

في ليلة ذلك الأحد، توجّه بانون إلى مقر الحملة في برج ترامب بمدينة نيويورك. كانت زيارته الأولى، قبل ٨٥ يومًا من موعد الانتخابات الرئاسية.

عندما صعد إلى الطابق الرابع عشر، لم تكن الشمس قد غابت بعد تلك الليلة من آب/أغسطس. دخل متوقعًا وجود ألف من الأشخاص المتسائلين. ماذا يفعل بانون هنا؟ ولو أن ذلك حدث، لاحتاج إلى قصة ما لتغطية هذه الزيارة.

دخل غرفة العمليات، مركز الرد السريع، الممتلئة بأجهزة التلفزيون.

لم يكن فيها غير شخص واحد، بدا صبيًّا بنظر بانون.

«من أنت؟» سأله بانون.

«آندي سورابيان».

«تبًّا، أين هم الآخرون؟».

«لست أدري». أجابه سورابيان. «هذه هي الحال دائمًا هنا، مثل كل يوم أحد».

«أهذا مقرُّ الحملة؟».

«نعم».

«أقصد، أهو المكان الذي يُدار منه كل شيء؟».

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

نعم. ثم أشار سورابيان إلى مكتب جيسون ميلر، مدير عام الاتصالات، وهوب هيكس، عارضة الأزياء السابقة التي أصبحت الوجه الإعلامي الرئيسي في الحملة، وربما عضو الطاقم الأقرب لترامب. كان سورابيان مدير غرفة العمليات.

«هل تعملون في عطل نهاية الأسبوع أيها الشباب؟».

قال سورابيان نعم مرةً أخرى. يعمل البعض في العاصمة، وقد اتصلوا بنا.

حاول بانون مرةً أخرى. «في عطلة نهاية الأسبوع، هل ثمّة من يعمل هنا في هذا المكان؟»

«هذا هو المعدّل الوسطي لعدد الأشخاص تقريبًا».

«أين جاريد بحق السماء؟» يجب أن أتكلّم مع جاريد وإيفانكا».

كان بانون قد سمع أن جاريد كوشنر، صهر ترامب، هو العبقري والعقل المدبّر في هذا المكان.

كان جاريد وإيفانكا في رحلة بحرية على شواطئ كرواتيا، برفقة وندي دنغ سيدة الأعمال وزوجة روبرت مردوخ، على متن يخت قيمته ٣٠٠ مليون دولار، أحد أكبر اليخوت في العالم، يملكه إمبراطور قطاع الترفيه والمانح الديمقراطي دافيد جيفن.

اتصل مانافورت ببانون. كان يريد أن يلتقيه.

«لمَ لا تأتي؟» قال مانافورت.

«إلى أين؟».

«إلى البرج».

اضطرَّ بانون إلى أن يقفل عائدًا إلى البهو، ويركب المصعد إلى الشقق السكنية. فيما كان يصعد، راح يتساءل إن كان ذلك، هو الاتفاق الذي عقده ترامب مع رئيس حملته. فإذا كان ترامب سيرمي بي في شقة فخمة من برجه، لمَ لا؟ ذلك أفضل من المسكن الصغير الذي يشغله في برايانت بارك.

اتّضح أن مانافورت كان المالك.

شعر بانون بالأسف نحو مانافورت. كان مدير الحملة مذهولاً بنجاح حساب ترامب وقوته على تويتر، ففتح حسابًا لنفسه. لكن صحيفة نيويورك ديلي نيوز كانت قد نشرت في نيسان/إبريل هذا المقال[1]: «اجعل أميركا بلدًا غريباً من جديد». إشارةً إلى أن مانافورت، الذي يحتمل أنه لم

---

(١) Jennifer Fermino, "Senior Donald Trump Adviser Appears to Be Fan of NYC Bondage, Swinger's Club," New York *Daily News*, April 12, 2016.

يكن يعلم أن تويتر منبر عام، كان من متابعي نادٍ في ميدتاون للساديين ومتبادلي الزوجات يسمّى «انحطاط» (Decadence). «كان مانافورت يتابع السوانكي سبانك سبوت، الذي يعرّف عن نفسه بأنه «نادي تبادل الزوجات الأكثر حميمية» في المدينة.

كان مانافورت يسكن منزلًا جميلًا مع زوجته المحامية كاتلين مانافورت، وهي امرأة في الستينات من العمر، لكنها بدت أربعينية في عيني بانون، بثوبها الأبيض وطريقتها في الاسترخاء. على غرار جوان كولينز بطلة مسلسل ديناستي.

«أود أن أشكرك لمحاولتك التدخل»، قال مانافورت. «هكذا هو دونالد. وهكذا يتصرف طوال الوقت».

«أعتقد أنه قد وجّه إليك بعض الطعنات الحقيقية في الظهر»، قال بانون.

«لا عليك»، قالها مانافورت ملوحًا بيده. ثم أضاف «اسمعْ، الجميع يقولون إنك تعرف وسائل الإعلام جيدًا».

«أنا أدير موقعًا إعلاميًا للجناح اليميني، وبالتالي أعرف الوسط جيدًا».

«أريدك أن تلقي نظرة على هذا الشيء، من أجلي»، قال مانافورت وهو يسلّمه نسخة من مسوّدة قصة صادرة عن النيويورك تايمز بعنوان: «سجلّ حساباتٍ سريّ في أوكرانيا يُبرز مبالغ نقدية تلقّاها رئيس حملة ترامب»(١).

قرأ بانون: «تظهر سجلات الحسابات اليدوية أن مانافورت تلقّى دفعات بمبلغ ١٢,٧ مليون دولار من الحزب السياسي الموالي لروسيا.

«تبًا، ١٢ مليون دولار نقدًا من أوكرانيا!». صرخ بانون.

«ماذا؟» قالت السيدة مانافورت، وقد هبّت واقفةً على قدميها.

«لا شيء يا حبيبتي». قال مانافورت. «لا شيء».

«متى سيُنشر هذا الشيء؟». سأله بانون.

«قد ينشر هذه الليلة».

«هل يعلم ترامب أي شيء عن هذا؟».

---

(١) Andrew E. Kramer, Mike McIntire and Barry Meier, "Secret Ledger in Ukraine Lists Cash for Donald Trump's Campaign Chief," *The New York Times*, August 14, 2016.

أجاب مانافورت بالنفي.

«منذ متى تعلم بهذا؟».

«منذ شهرين»، قال مانافورت، «عندما بدأت التايمز التحقيق في القضية». قرأ بانون حوالى عشرة مقاطع. كانت ضربة قاتلة، ونهاية مانافورت.

«نصحني محاميَّ بعدم التعاون، واصفًا القضية بأنها مجرد ذرّ للرماد في العيون»، قال مانافورت.

«عليك أن تستغني عن خدمات محاميك».

«نعم، أفكر في ذلك».

«يجب أن تتصل بترامب... اذهب وقابله وجهًا لوجه. فلو نُشر ذلك في الصحيفة، من دون أن يعلم به، سيكون الأمر عسيرًا عليك. كيف يمكنك أن تأخذ ١٢,٧ مليون دولار نقدًا؟».

«كلها أكاذيب»، قال مانافورت. «كان لديَّ نفقات كثيرة».

«ماذا تقصد؟».

«أنا مجرد مستشار عام ولديّ أشخاص يعملون معي». كان هناك العديد ممن عملوا معه في أوكرانيا. «لقد دُفع كامل المبلغ للشباب. لم آخذ سوى ٥٠٠ ألف دولار».

«هذا الكلام لا يفيد. ليس مذكورًا في المقال. فأنت الذي 'قبضت ١٢,٧ مليون دولار' نقدًا، أليس كذلك؟».

اتصل بانون بجاريد.

«يجب أن تعود في الحال»، قال له.

ظهر المقال(١) الذي يتحدث عن مانافورت على الشبكة العنكبوتية خلال تلك الليلة. وصباح اليوم التالي، نُشر في الصحيفة الورقية. وكما تنبأ بانون، كان ترامب غاضبًا جدًّا، ولم يجرِ أي لقاء وجهًا لوجه.

اتصل ترامب ببريبوس ليخبره بأنه عيَّن ستيف بانون رئيسًا تنفيذيًّا للحملة. أبدى بريبوس استهجانه لاختيار ترامب، للمرة الثانية، شخصًا لا يملك خبرة إدارة أي شيء. لكنه لم يقل الكثير. كان يأتي إلى مؤسسة بريتبارت الإعلامية التي يديرها بانون. فبعد أن هاجمته لسنتين كأحد أفراد النخبة

---

(١) Andrew E. Kramer, Mike McIntire and Barry Meier, "Secret Ledger in Ukraine Lists Cash for Donald Trump's Campaign Chief," *The New York Times*, August 14, 2016.

في الحزب الجمهوري. طوَّر استراتيجية جديدة مفادها أن العمل مع بريتبارت، أسهل من الوجود في مرمى نيرانها.

بيَّنت استطلاعات الرأي أن ٧٠٪ فقط من الجمهوريين يؤيدون ترامب. كانوا يحتاجون إلى ٩٠٪. وذلك يعني استمالة جهاز الحزب لدعم ترامب.

«اسمع، أنت لا تعرفني»، قال بانون. كان قد التقى بريبوس قبل عدة سنوات. «أريد أن أراك هنا بعد ظهر اليوم. وهذه الفتاة أيضاً، كاتي والش. التي أعرف فقط أنها نجمة من الصف الأول». كان بريبوس ووالش، رئيسة طاقم لجنة الحزب الوطنية، يملكان قاعدة البيانات الجمهورية التي تضم معلومات عن كل ناخب محتمل في البلد.

كان بانون يريد التأكد من عدم تخلّي لجنة الحزب الوطنية عن ترامب. إذ كانت ثمة شائعات تتحدث عن هروب المانحين. وكيف أن الجميع في الحزب كانوا يبحثون عن مخرج من فوضى ترامب.

«لا. لن نتخلى عنه ولن نذهب إلى أي مكان»، طمأنه بريبوس.

«يجب أن نعمل كفريق واحد»، قال بانون.

«أتعتقد أنك ستنجح؟».

«اسمع، ترامب لا يكترث للتفاصيل»، قال بانون. كان الأمر متروكًا لهم.

في وقت لاحق، قال بانون ببذاءته المعهودة: «لقد اضطررت إلى تقبيل مؤخرة رينس بريبوس في الخامس عشر من آب/أغسطس والقول لمؤسسة النخبة: إننا لا نستطيع الفوز من دونكم».

حتى لو كان ترامب وحملته لا يعرفان ذلك، كان بريبوس يعرف أن ترامب يحتاج إلى بقاء لجنة الحزب الوطنية في صفه. لم يكن ترامب قد شارك في أي عملية ميدانية في أماكن وجود الناخبين، ولم يكن يعرف أبسط أساسيات السياسة.

كان بريبوس قد قضى السنوات الأخيرة في الإشراف على الجهود الجبارة التي بُذلت من أجل إعادة بناء اللجنة الجمهورية الوطنية على أساس قاعدة البيانات. فقد ألهمت حملة أوباما التي تكللت بالفوز اللجنة، وبدأت استراتيجية استثمار مبالغ طائلة، أكثر من ١٧٥ مليون دولار، في التحليلات وقواعد البيانات، متتبّعةً الناخبين التمهيديين الفرديين، ومستخدِمةً هذه المعلومات في المناطق التي قُسّمَت إلى أحياء، وزُوّدَت بجيوش من المتطوعين.

كانت التوقعات طوال الوقت، تشير إلى الآتي: بمجرد تسمية المرشح الجمهوري. ستقوم لجنة الحزب بشبك هذه العربة الجديدة الجبارة مع الآلة القوية للحملة الكبيرة. ولكن إثر

كل الإساءات والانتهاكات التي صدرت عن اللجنة الجمهورية الوطنية خلال الانتخابات التمهيدية[1]، والتي وصل الأمر بترامب أن يصفها في مرحلة ما، بأنها «عار» و«عملية احتيال» وأن على بريبوس أن «يشعر بالخجل من نفسه»، كانت اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري الطاقم الفعلي لحملة ترامب.

كانت الخطوة التي يجب أن يتخذها طاقم العمل الميداني تقضي بالحصول على تصويت غيابي أو مبكّر لأولئك الذين يُعتقَد أنهم من مؤيدي ترامب، إذ إنهم كانوا يسجلون ٩٠ نقطة على سلم قياس من صفر إلى مئة في قاعدة البيانات الوطنية. ففي أوهايو، يسجل مليون ناخب من ستة ملايين ٩٠ نقطة أو أكثر. هؤلاء الناخبون المليون، يشكّلون الشريحة التي سيجري العمل عليها، والحصول على تصويتها المبكر، وذلك بفضل طاقم العمل الميداني، والمتطوعين الذين سيلتقونهم فردًا فردًا، إلى أن يرسلوا قسيمة التصويت.

أما الخطوة التالية، فتقضي بأن يعمل الطاقم الميداني على إقناع الذين سجلوا من ٦٠ نقطة إلى ٧٠ بالتصويت لمصلحة ترامب. كان هذا النظام مصممًا ليقلّل من عشوائية الاتصال بالناخب، بحيث يركّز المتطوعون والطاقم الميداني جهودهم في الناخبين الذين تبيّن قاعدة البيانات أنهم على الأرجح سيصوتون لمصلحة ترامب.

أعلنت الحملة تغيير قيادتها بتاريخ ١٧ آب/أغسطس. وأفادت النيويورك تايمز أن «قرار ترامب بتعيين ستيفن ك. بانون، رئيس موقع برايبارت نيوز، رئيسًا تنفيذيًا لحملته، كان رفضًا مستفزًا وتحدّيًا لجهود الجمهوريين المبذولة منذ وقت طويل بهدف إبعاده وفصله عن خطابه الناري المشحون بالعنصرية، الذي أوصله إلى الفوز بالترشيح. لكنه الآن كان يهدّد ترشحه.... مع ذلك، كان تعيين بانون، في نظر السيد ترامب، المرادف السياسي لطلب وجبة مريحة»[2].

حاول بانون الجلوس مع ترامب والسير به في ركب التحسينات الاستراتيجية، وكيفية التركيز في ولايات معيّنة. لكن المرشح لم يكن يبدي اهتمامًا بالحديث في ذلك.

لقد أكّد بانون لترامب، قائلاً: إن لديّ «يقيناً ميتافيزيقيًا أنك ستفوز إذا تمسّكتَ بهذا البرنامج واعتمدت طريقة المقارنة والتباين» مع هيلاري كلينتون. «كل رقم أساسي يصب في مصلحتنا».

«لقد أدركتُ»، قالها بانون في وقت لاحق، «أنني أنا المخرج، وهو الممثل».

---

(١) انظر: Bob Cusack, "Trump Slams RNC Chairman, calls 2016 Process 'A Disgrace'" *The Hill*, April 12, 2016.

(٢) انظر: Jonathan Martin, Jim Rutenberg and Maggie Haberman, "Donald Trump Appoints Media Firebrand to Run Campaign," *The New York Times*, August 17, 2016.

في شهر تموز/يوليو، ذهبت كيليان كونواي إلى المؤتمر الديمقراطي في فيلادلفيا، الذي يستمر أربعة أيام. استمعَت إلى الخطابات، وتحدَّثَت مع المندوبين، وظهرَت على محطات التلفزيون. رسمَت ملاحظاتها شكلَ استراتيجيتها الراهنة. «كانت فحوى رسالتهم أن ترامب شخص شرير، ونحن لسنا ترامب. وتمحور باقي الرسالة حول العِرق، والجنس، والمثليين».

صاغت كونواي عبارة «ناخب ترامب المتخفّي»، وتعني أولئك الذين وجدوا أنفسهم حائرين بالتصويت الماثل أمامهم، والقائلين: «يا إلهي، أنا ووالدي وجدي، كلنا في الاتحاد. وسوف أصوّت لدونالد ترامب؟»، واضعين علامة استفهام في النهاية. «أنا، أصوّتُ للياردير جمهوري؟»، علامة استفهام أخرى.

«لديك أيضًا أولئك النساء اللواتي يقلن: أتعلَم، أنا من أنصار الخيار الحر... لكنني لا أعتقد أن قضية رو ضد وايد[1] ستتغيّر... لا أفهم لماذا لم يعد بإمكاننا تحمُّل نفقات الحياة اليومية، لذا سوف أصوّتُ بناءً على ذلك».

لم تقتنع وسائل الإعلام بمقولة «ناخب ترامب المتخفي». لكنّ قاعدة بيانات بريبوس ووالش أعطت لجنة الحزب الجمهوري الوطنية لمحة شاملة عن كل ناخب محتمَل: نوع البيرة التي يشربونها، ماركة السيارة التي يركبونها ولونها، أعمار أولادهم والمدرسة التي يذهبون إليها، قروضهم، والسجائر التي يدخنونها. هل يجدّدون رخصة صيدهم سنويًّا؟ هل يشتركون في المجلات المتخصصة في الأسلحة، أو المجلات الليبرالية على غرار ذا نيو ريبابليك؟

وكما قالت كونواي: «لا وجود لناخبٍ واحدٍ متخفٍّ لدى هيلاري في البلد كله. جميعهم في الخارج وفي كل مكان».

وفي شأن كلينتون، قالت: «لا يبدو أنها تحمل رسالة. لو كنت مكانها، لسعيت إلى إيجاد رسالة. سأتبنى رسالة، وسوف تكون إيجابيةً جدًا وساميةً ومتفائلة. وكل ما يمكنني رؤيته منها حتى الآن هو عدم التفاؤل».

لم تتمكن كلينتون من خرق أية ولاية من الولايات الثماني الرئيسية التي فاز فيها أوباما مرتين محرزًا نسبةً أعلى من ٥٠٪. وقد توافقا، كونواي وبانون، على الاستراتيجية الآتية: إذا استطاعت حملة ترامب التركيز في الهجوم على هيلاري، وليس في الدفاع عن ترامب، فسوف تفوز بفضل ناخبي ترامب المتخفّين. وإذا ظلّت الحملة تتمحور حول ترامب، «فمن المحتمل أن نُهزَم».

---

(١) قرار المحكمة العليا لعام ١٩٧٣، يمنح النساء حق الإجهاض شرط ألّا يتعارض مع سياسة الولاية الديموغرافية.

قال بانون، مكرّرًا الانطباع الذي شكّله عن ترامب قبل ست سنوات، عندما التقاه للمرة الأولى عام ٢٠١٠: «رأيت فيه نسخة عن آرتشي بونكر.... اليوم أرى فيه تيبيريوس غراكوس». النائب الشعبوي الروماني الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، والذي دافع عن قانون الإصلاح الزراعي، القاضي بتوزيع الأراضي التي يملكها الأرستقراطيون على الفقراء.

ألقى بانون نظرة على الجدول الزمني: كان الأسبوع التالي للتربية، ثم أسبوع تمكين المرأة واستقلاليتها، والثالث أسبوع الأعمال الصغيرة. بدا الوضع كما لو كان جورج بوش الأب يترشح لانتخابات العام ١٩٨٠، أشبه بنادي كونتري كلوب جمهوري تقليدي. «ارموا هذا القرف خارجًا»، قال بانون.

اقترح بانون على جاريد كوشنر خطة جديدة. كانت الاستطلاعات تضع ترامب خاسرًا برقمين في كل الولايات غير المحسومة، والخطة تنقسم إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى تشمل الأسابيع الستة القادمة. أي من منتصف آب/أغسطس وحتى ٢٦ أيلول/سبتمبر. حيث تكون المناظرة الأولى بين ترامب وهيلاري مبرمجة. «فإذا استطعنا كسب خمس نقاط أو سبع نقاط، فقد يشكل ذلك جسرًا يؤدي إلى الفوز».

المرحلة الثانية، تمثّل الأسابيع الثلاثة المخصّصة للمناظرات، مرحلة الخطر الأقصى. «فهو غير مهيّأ للمناظرات»، قال بانون. «سوف تقتله لأنها الأفضل» في المناظرة وفي السياسة. ثم أضاف قائلاً: «إن أفضل وسيلة لإدارة المناظرات هي العفوية. لم يكن ترامب يرى في تقلّبه أية مشكلة. لن نطرح أمراً أو نثير شيئًا غير الذي نسمعه في هذه المناظرات. هذا هو الشيء الوحيد لدينا... حيث يتمكّن من رد الفعل والتكيّف عبر تغيير موقفه». مع ذلك كان متشائمًا. «اسمع، سوف نسقط ونتحطّم... سوف نسقط».

المرحلة الثالثة، وتمثّلها الأسابيع الثلاثة التي تسبق موعد الانتخابات، والتي تفصل بين آخر مناظرة والثامن من تشرين الثاني/نوفمبر. كان بانون يرى أن جمع التبرُّعات عن طريق ستيف مونشن، خرّيج غولدمان ساكس ومدير الحملة المالي، ليس سوى مزحة سمجة. وكان يجب التحوّل إلى ترامب نفسه. فهو مرشحٌ يستطيع إنفاق مبالغ غير محدودة من ماله الخاص.

قال بانون إنه رأى بيانات تشير إلى إمكانية الفوز في ولايتي أوهايو وآيوا. كان عليهم أن يفوزوا في فلوريدا وفي نورث كارولاينا أيضًا. بعد ذلك، يمكن لبنسلفانيا وميشيغان وويسكونسين ومينسوتا العودة إلى الجمهوريين. بدا ذلك كله أشبه بتخيُّلات عملاقة.

قال: «إنها «غسق الآلهة» (Götterdämmerung)»، المعركة النهائية.

أُعلن عن رحيل مانافورت في التاسع عشر من آب/أغسطس.

في الثاني والعشرين من آب/أغسطس، احتلَّ رسمٌ لوجه ترامب الذائب غلاف التايم ماغازين بعنوان «الانهيار»[1].

---

(١) انظر غلاف التايم ماغازين ٢٢ آب/أغسطس ٢٠١٦. على الرابط:
http://time.com/magazine/us/4447970/august-22nd-2016-vol-188-no-7-u-s/

الفصل الرابع[1]

في صيف العام ٢٠١٥، ظهرت لأول مرة علامات «الاستطلاع» الروسي، أو التدخلات الرقمية كما تسميها وكالة الأمن القومي، في سجلات الدوائر الانتخابية المحوسبة، المحلية منها والتابعة للولاية، وهي تتضمن قوائم بأسماء الناخبين وعناوينهم. وقد بدأ ذلك في ولاية إيلينويز، ثم انتشر في البلاد حتى شمل ٢١ ولاية[٢].

جمعت وكالة الأمن القومي ومكتب التحقيق الفيدرالي المزيد من المعلومات عن هذه التدخلات الإلكترونية، ما جعل مدير الاستخبارات القومية جيمس كلابر، يبدي قلقه من إمكانية استخدام روسيا قاعدة البيانات، بهدف تغيير التصويت، أو التلاعب به بشكل ما. هل روسيا وحدها؟ تساءل. كان الروس يحاولون دائمًا ابتكار المتاعب.

حرص كلابر على وضع هذه المعلومات في الموجز الرئاسي اليومي، وهو المستوى الأعلى من التقارير الأمنية الموجزة، والسريّة للغاية. كان أوباما يقرأه يوميًا على جهاز آي باد مسبق البرمجة، ثم يعيده. وقد وزّع محرّرو التقارير الموجزة أجهزة آي باد مماثلة على وزير الخارجية ووزير الدفاع

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم. شكّل مشروع التاريخ الشفهي الواسع النطاق لموقع ياهو نيوز/هافنغتون بوست «٦٤ ساعة من تشرين الأول/أكتوبر: كيف فجّرت عطلة نهاية الأسبوع قواعد السياسة الأميركية»، مصدرًا مفيدًا على امتداد هذا الفصل. انظر الرابط:

https://www.huffingtonpost.com/entry/yahoo-64-hours-october-american-politics_us_59d7c567e4b072637c43dd1c

(٢) Pam Fessler, "10 Months After Election Day, Feds Tell States More About Russian Hacking," NPR, September 22, 2017.

ومستشار الأمن القومي ومدير وكالة الاستخبارات المركزية. ومع ذلك، يلزم المحررون الغرفة فيما يقرأ المسؤولون الموجز اليومي الرئاسي، ثم يطلبون بعد ذلك استعادة أجهزة الآي باد.

وفي العام ٢٠١٦، بدأ موقعا ويكيليكس ودي سي ليكس، وهو موقع آخر معروف بتسريب معلومات حكومية وعسكرية مخترَقة، بنشر رسائل إلكترونية مأخوذة من مخدّم لجنة ديمقراطية وطنية، حصل عليها مخترِقون روس معروفون باسم «الدب الدافئ» و«الدب الفاخر»(١).

تسبّبت المعلومات الاستخبارية عن التدخل الروسي في قلق عميق لمجلس أمن أوباما القومي. ومع مرور الوقت، أصبحت هذه المعلومات الاستخبارية أكثر دقّة وإقناعًا.

هل يجوز للرئيس أوباما الظهور على شاشات التلفزيون في أوقات الذروة، والإعلان عن هذه النتائج؟ هل سيبدو كما لو أنه يهاجم ترامب، متهمًا المرشح الجمهوري بالارتباط بروسيا؟ هل يمكن أن يأتي ذلك بنتائج عكسية، بحيث يبدو الرئيس وكأنه يتدخل في الانتخابات الأميركية عبر محاولة قلب الموازين.

إنّ لالتزام الصمت أخطاره: يا إلهي! نحن على علم بهذا التدخل الروسي، ولا نفعل شيئًا، ولا نعلن ذلك أمام الشعب؟ قد يكون هناك رد فعل عنيف موجّه ضد أوباما وفريق أمنه القومي بعد الانتخابات.

وإذا فاز ترامب وهو أمر غير متوقّع إطلاقًا، وإذا خرجت المعلومات الاستخبارية إلى العلن، فسوف تُطرح الأسئلة الآتية: ما الذي كانوا يعرفونه؟ متى علموا به؟ وماذا فعلوا؟

عارض مدير وكالة الاستخبارات المركزية، جون أو. برينان، وبشدّة، كشف الأوراق، ودافع بقوّة عن حماية مصادر الوكالة البشرية. وقال: «الآن ترون المعضلة»، وكان شعاره الدائم مع وكالة الاستخبارات المركزية: «احموا المصادر». ومع ذلك، أراد أن يفعل شيئًا ما.

كان برينان بحاجة إلى التحدث مع نظيره، رئيس جهاز المخابرات الروسية FSB، ألكسندر بورتنيكوف، بما خصّ سورية وما يتعرض له الديبلوماسيّون الأميركيون من مضايقات. فسأل أوباما إن كان يسمح له بإثارة موضوع التدخلات الانتخابية مع بورتنيكوف. وقد وافق أوباما أن يبقى الأمر سريًّا.

في الرابع من آب/أغسطس، قال برينان لبورتنيكوف: أنتم تتدخلون في انتخاباتنا، نعرف ذلك، وندّخره لوقت الحاجة.

إلّا أن بورتنيكوف أنكر ذلك بشكل قاطع.

---

(١) Eric Lipton, David E. Sanger and Scott Shane, "The Perfect Weapon: How Russian Cyberpower Invaded the U.S.," *The New York Times*, December 13, 2016; Ellen Nakashima, "Cybersecurity Firm Finds Evidence That Russian Military Unit Was Behind DNC Hack," *The Washington Post*, December 22, 2016.

وفي اليوم التالي، الخامس من آب/أغسطس، قام مايك موريل الذي شغل منصب نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية من العام ٢٠١٠ حتى العام ٢٠١٢، ومنصب المدير بالوكالة مرتين، بنشر افتتاحية في النيويورك تايمز[١]، بعنوان: «كنت مدير وكالة الاستخبارات المركزية، وأنا الآن أؤيد هيلاري كلينتون». واتهم ترامب بأنه «عميل غير متعمّد للاتحاد الروسي».

وقع الاختيار على كلابر ليحيط علماً المجموعة المدعوّة بعصابة الثمانية في الكونغرس والمؤلفة من أربعة قادة من الجمهوريين والديمقراطيين في مجلس الشيوخ والبرلمان، بالإضافة إلى رئيسَيّ لجنتي استخبارات مجلس الشيوخ والبرلمان، ونائبيهما.

وقد فوجئ كلابر بمدى تحيُّز القادة. لم يعجِب الجمهوريين أي شيء في موجز الإحاطة. أمّا الديمقراطيون فقد رحّبوا بكل آرائه، وأمطروه بوابل من الأسئلة، حول التفاصيل والمصادر. وقد ترك كلابر اجتماع الإحاطة مستاءً من تحوُّل الاستخبارات المتزايد إلى كرة قدم سياسية أُخرى يجب ركلها.

وبحلول الخريف، أظهرت التقارير الاستخبارية أن موسكو، على غرار الجميع، كانت تتوقع فوز كلينتون. لذلك، غيّر الرئيس فلاديمير بوتين استراتيجية التأثير في الانتخابات، ليركّز في تقويض رئاسة كلينتون القادمة.

كان كلابر ووزير الأمن الداخلي جيه جونسون الأكثر حرصًا على إعلام الجمهور وتحذيره من التدخل الروسي. وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الجمعة، في السابع من تشرين الأول/أكتوبر، أصدرا بيانًا رسميًا مشتركًا[٢] اتهما فيه روسيا بمحاولة التدخل في انتخابات الولايات المتحدة، إلّا أنهما، لم يسمّيا بوتين شخصيًا في إصدارهما العلني:

«إن مجتمع استخبارات الولايات المتحدة واثق كل الثقة أن الحكومة الروسية قادت ووجهت الفضح الأخير للبريد الإلكتروني العائد إلى أشخاص ومؤسسات أميركية. وتهدف هذه السرقات والفضائح إلى التدخل في العملية الانتخابية الأميركية. إن كبار المسؤولين الروس هم الوحيدون الذين يمكن لهم أن يسمحوا بهذه النشاطات».

وقد توقّع كلابر وجونسون وحملة كلينتون، أن يشكّل ذلك «الأنباء الصارخة» في عطلة نهاية الأسبوع، وكذلك فعل الصحفيون الذين بدأوا العمل على القضية.

---

(١) Michael J. Morell, "I Ran the C.I.A. Now I'm Endorsing Hillary Clinton," *The New York Times*, August 5, 2016.

(٢) بيان رسمي مشترك لوزارة الأمن الداخلي ومكتب مدير وكالة الاستخبارات القومية لأمن الانتخابات، في وزارة الأمن الداخلي (من الأرشيف ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦.

ولكنّ، بعد ساعة من ذلك، وفي الساعة الرابعة وخمس دقائق بعد الظهر، نشر ديفيد فاهرنتهولد في الواشنطن بوست مقالاً بعنوان: «محادثة بذيئة لترامب حول النساء مسجلة في العام ٢٠٠٥»[١].

نشرت الواشنطن بوست تسجيلاً صوتيًّا محذوفًا من النسخة النهائية لبرنامج محطة إن بي سي التلفزيونية آكسس هوليوود. تفاخر فيه ترامب بفظاظة بمآثره الجنسية، فقال إن بإمكانه تحسس النساء وتقبيلهن متى أراد: «عندما تكون نجمًا، يسمحن لك بفعل ذلك»، قال ترامب. «يمكنك أن تفعل أي شيء، أن تتحسس أعضاءهن الحميمة».

أحدثَ تسجيل برنامج هوليوود آكسس زلزالاً سياسيًّا، واختفت قصة روسيا تمامًا.

«كنت أتوقع أن يتحول ذلك إلى عملة رائجة في الأيام التالية»، قال جيه جونسون. «وأنه سيشكل حديثًا مستمرًّا في الصحافة عبر طرح المزيد من الأسئلة». لكن الصحافة ذهبت «إلى الطرف الآخر من المرعى، بسبب الجشع والجنس والتحرش»[٢].

وقد أدلى ترامب إلى الواشنطن بوست بتصريح مقتضب. قال فيه: «كان ذلك مجرد مزاح على انفراد. محادثة شخصية خاصة تعود إلى سنوات. لقد قال لي بيل كلينتون ما هو أسوأ بكثير على ملاعب الغولف. ولا مجال للمقارنة. وأنا أقدم اعتذاري إلى أي شخص شعر بالإهانة»[٣].

وبعد أقل من نصف ساعة، وفي الرابعة والنصف مساءً، تصدَّر موقع ويكيليكس أخبار اليوم عبر إغراق الشبكة العنكبوتية بآلاف الرسائل الإلكترونية، التي أُخذت من الحساب الشخصي على الإنترنت لرئيس حملة كلينتون جون بودستا، والذي جرى اختراقه. وقد كُشف عن مقاطع من خطابات هيلاري كلينتون المدفوعة الأجر من رجال المال في وول ستريت، والتي رفضت التصريح عنها، بالإضافة إلى رسائل موجّهة إلى طاقم الحملة، ومراسلات بين حملة كلينتون ورئيسة لجنة الحزب الديمقراطي الوطنية دونا برازيل، تتعلق بالقضايا والموضوعات التي ستُطرح في المناظرات والأحداث القادمة.

وبعد منتصف الليل، أي بعد ساعات من الردود الغاضبة على تسجيل آكسس هوليوود الذي انتشر في أوساط الطيف السياسي، أصدرَ ترامب اعتذارًا مسجلاً على شريط فيديو: «لم أقل يومًا إنني

(١) انظر: David A. Fahrenthold, "Trump Recorded Having Extremely Lewd Conversation About Women in 2005," *The Washington Post*, October 8, 2016.

(٢) Yahoo News Staff, "64 Hours in October: How One Weekend Blew Up the Rules of American Politics," *Yahoo News/ Huffington Post*, October 6, 2017.

(٣) David A. Fahrenthold، مصدر سابق.

شخص مثالي... هذه الكلمات لا تعكس شخصيتي ولا تعبّر عن هويتي. لقد قلتُ ذلك، أخطأتُ وأعتذر... أتعهد أن أكون غدًا رجُلًا أفضل، ولن أتخلى عنكم أو أخذلكم أبداً. فلنكن صادقين. نحن نعيش في العالم الحقيقي. لم يكن ذلك إلا للتسلية... لقد اعتدى بيل كلينتون فعليًا على النساء، وهيلاري تمرّدت، وهاجمت ضحاياه وشهَّرت بهنّ، واستخدمت معهنّ أساليب التهديد والوعيد... إلى اللقاء في مناظرة الأحد»[1].

اجتمعت قيادة ترامب صباح اليوم التالي، السبت، في الثامن من آب/أغسطس، في شقة الدور الأخير من برج ترامب.

قال بريبوس لبانون: «لقد ولّى كل المانحين، فرّوا جميعًا. وبول رايان سيلحق بهم بعد ظهر اليوم». كانت خسارة المموّلين والمتحدث باسم الكتلة البرلمانية الجمهورية قد أعلنت النهاية. «انتهى كل شيء»، قال بريبوس.

«ماذا تقصد، بقولك هذا؟»، سأل بانون.

«الجميع يسحبون تأييدهم. وأظنّ أن بنس لن يستمرَّ في هذا الشيء». كان مايك بنس شريك ترامب المخلص بشكك.

«تبًا! هل تمزح؟» سأل بانون. «إنه مجرد شريط كاسيت يا صاح».

«أنت لا تفهم»، قال بريبوس. «لقد انتهى كل شيء».

اجتمع الفريق في منزل ترامب، حيث جلس ترامب على كرسيه الذهبي الضخم.

«كم تبلغ النسب المئوية؟». سأل. «حسنًا، فلنر ذلك. أريد أن أعرف حقًا، بماذا توصون؟ ما هي نصيحتكم؟».

«لديك خياران»، بدأ بريبوس. «تنسحب الآن وفورًا، وإلاّ سوف تخسر في أكبر انهيار أرضي شهده التاريخ الأميركي مذلولاً ومهانًا مدى الحياة. أشعر أنني سأختنق. لقد التقيت كل القياديين، وكل الأعضاء في الكونغرس، وكل سيناتور، وكل الذين أكنُّ لهم مشاعر المودة في اللجنة الجمهورية الوطنية. لقد جُنّ جنونهم. وجميعهم يقولون لي إنك سوف تهزم هزيمة شاملة، لذا يجدر بك أن تنسحب من السباق. لا أستطيع جعل الوضع أفضل من ذلك».

«حسنًا»، قال ترامب، «أنا مسرور لأننا بدأنا بنوتة إيجابية».

«كفاك هراءً». قال بانون لبريبوس. «هذا هراء».

---

(١) انظر: “Transcript of Donald Trump’s Videotaped Apology,” *The New York Times*, October 8, 2016

«الآن، إذا كنت ستستمر»، تابع بريبوس، «فبنس مستعد للترشح. وستأتي كوندي رايس نائبة له». لقد شغلت منصبَيّ مستشارة مجلس الأمن القومي ووزيرة الخارجية في عهد جورج دبليو بوش».

«لن يحدث ذلك قط»، قال بانون بصوت مرتفع. «هذا كلام سخيف ومضحك».

في أقل من شهرين تمكّن رئيس الحملة التنفيذي من خفض الفارق في استطلاعات الرأي إلى النصف بفضل سلسلة لانهائية من التجمعات والمهرجانات. وأضحى ترامب الآن نجمًا من نجوم الروك.

وكان كريس كريستي، حاكم ولاية نيوجيرسي، يجلس بملابس الرياضة وقبعة بيسبول.

«لا شأن للحملة بذلك». قالها كريستي بنبرة مَن يستخلص الدروس. «لقد انتهى الأمر. تتعلّق المسألة بعلامتك التجارية التي عملتَ وجهدتَ حياة كاملة في بنائها لهؤلاء الشباب»: وأشار إلى ابن ترامب دون جونيور وصهره جاريد كوشنر. «عليك أن تنقذ علامتك التجارية من أجلهم وإلّا انتهَت إلى الأبد».

قال جولياني إن حظوظ ترامب في الفوز لا تصل إلى ٥٠٪. «عمليًّا تصل نسبتك إلى ٤٠٪».

«هل نتصل ببرنامج 'ستون دقيقة'؟» سألت كيليان كونواي. واقترحَت اعترافًا علنيًا. «لا تستطيع القيام بذلك يوم الأحد، فهو يوم المناظرة... أم نتصل بمحطة الإي.بي.سي أو الإن.بي.سي ونجري المقابلة معك وأنت تجلس على الأريكة بين ميلانيا وإيفانكا، حيث تقول شبه باك: أعتذِر».

كانت ميلانيا ترامب قد هبطت من الطابق العلوي، وراحت تتمشى خلف الأريكة، حيث اقترحَت كونواي أن يجلسوا. كان واضحًا أنها تغلي.

«لن نفعل ذلك»، قالت ميلانيا بلكنتها السلوفينية، وهي تلوّح بيدها رفضًا: «أبدًا. لا. لا. لا».

كان بانون يظنّ أنها الأشد تأثيرًا في ترامب، وأنها تعرف من يمالق، ومن يقول الحقيقة. «كانت قاتلة خلف الكواليس».

«ما رأيك؟» سأل ترامب بانون.

«مئة في المئة»، قال بانون.

«ماذا؟ مئة في المئة؟» سأل ترامب.

«أنا متيقن يقينًا ميتافيزيقيًا من أنك ستفوز مئة في المئة». كان يعبّر في الغالب عن يقينه بعبارة «مئة في المئة».

«توقفْ عن هذا الهراء»، صرخ به ترامب. «أنا تعِبٌ من هذه «المئة في المئة». يجب أن أعرف رأيك حقًا!».

لم يكن بريبوس يؤمن «بالمئة في المئة»، ولا يظنّ أن أحدًا في الغرفة يؤمن بها. ورأى أن ترامب كان مستاءً من نفسه.

«مئة في المئة». كرّر بانون. كانت كلمات ترامب «مجرد ثرثرة على انفراد». لن يتخلّى عنك مؤيدوك. «إن ما يهمهم هو إنقاذ بلدهم». كانت المقارنة بما فعله بيل كلينتون عملية جدًا. «سوف نقارن كلامك بما فعله». كان بيل كلينتون معارضاً لترامب بمستوى معارضة هيلاري نفسه. وربما هو الآن كذلك أكثر من أي وقت مضى.

«كيف سنفعل ذلك؟» سأل ترامب.

«لقد حجزنا أنا وجاريد قاعة الحفلات في فندق هيلتون مساء اليوم بدءاً من الساعة الثامنة. سوف ننشر ذلك على فيسبوك ونحشد ألف 'رأس مطرقة' بقبّعات البيسبول الحمراء. كان بانون يستخدم هذه التسمية للتعبير عن مؤيدي ترامب المخلصين. وسوف يكون ذلك تجمُّعًا شعبيًا تهاجم فيه وسائل الإعلام. وسوف نضاعف قيمة الرهان. وليذهبوا إلى الجحيم! أليس كذلك؟».

بدا ترامب مفتونًا.

اعترض الآخرون. ونشب صراع ضارٍ انتهى بتسوية:

تتصل كونواي بمحطة الإي.بي.سي. وتنسّق مع دافيد موير، نجم المحطة، ليأتي بمروحية. يقوم جولياني وكريستي بكتابة مقدمةٍ لترامب وموير وتكون مدة المقابلة عشر دقائق.

إنه انتحار سياسي. قال بانون في نفسه. وقد يشكّل ذلك بلا شك نهاية الحملة، وسيُهزم ترامب بفارق عشرين نقطة.

قال: يجب أن نُعلم الهيلتون بشأن الحجز، إذ يجب أن ندفع سلفًا.

قال بريبوس مرة أخرى إن على ترامب أن ينسحب فحسب: «أنتم لا تعرفون ماذا تفعلون. أنتم على وشك السقوط».

بدأت شخصيات مرموقة من الجمهوريين تتصل بترامب وتطالبه بالتنحي لمصلحة مايك بنس، الذي كان قد بدأ ببوادر حملة على الأرض في أوهايو، منذ أن انفجرت فضيحة تسجيل آكسس هوليوود.

قبل الساعة الواحدة ظهرًا، أدلى بنس ببيان قال فيه: «كوني زوجاً وأباً، فإنني شعرت بالإهانة بعد أن سمعت الكلمات ورأيت والأفعال التي جاءت في تسجيل ترامب، والذي يعود تاريخه إلى أحد عشر عامًا، ونُشر أمس. أنا لا أتغاضى عمّا قاله ولا أدافع عنه. لكنني أشعر بالامتنان لأنه أعرب

عن ندمه واعتذرَ إلى الشعب الأميركي. نحن نصلّي من أجل عائلته، ونتطلّع إلى أن ينتهزَ الفرصة ليُظهر حقيقة ما في قلبه، عندما سيتوجّه إلى الأمة مساء غد»[١].

وقد جرى تداول بعض الروايات التي تقول إن بنس سلّم بانون رسالةً مختومةً تحضُّ ترامب على الانسحاب.

بعد ساعتين، أصدرت ميلانيا ترامب بيانًا جاء فيه: «إن الكلمات التي تلفّظ بها زوجي مهينة ومرفوضة. إنها لا تمثل الرجل الذي أعرفه. إن له قلب قائد وعقل قائد. آمل أن يقبل الناس اعتذاره، كما فعلت أنا، وأن يركزوا في القضايا المهمة التي تواجه أمتنا والعالم»[٢].

وفي الساعة الثالثة وأربعين دقيقة بعد الظهر، غرَّد ترامب على تويتر[٣]: «تفعل وسائل الإعلام ومؤسسة النخبة كل ما في وسعها لإقصائي من السباق. لن أنسحب من السباق أبداً، ولن أتخلى عن مؤيديَّ أبداً! MAGA#[*]».

جلس ترامب، وكانت الاستعدادات لمقابلة محطة الإي.بي.سي على قدم وساق. كما لو أن الأمر يتعلّق بتحطيم رقم قياسي. سلَّم جولياني وكريستي ترامب ورقةً بمقترحاتهما.

قرأ ترامب: «لم تكن لغتي مناسبة، ولا تليق برئيس» كان كلامًا سياسيًا، لا يعبر عن ترامب، بل عن جولياني وكريستي. وكان ترامب عابسًا.

«لا أستطيع فعل ذلك»، قال. «هذا هراء. هذا ضعف. أنتم ضعفاء».

أدرك بانون هذه المرة ما عليه أن يفعله. لم يكن عليه سوى إطباق فمه.

«دونالد، أنت لا تفهم»، قال كريستي.

«دونالد. دونالد. دونالد»، قال جولياني. «عليك أن تفعل ذلك». فكِّرْ في الأمهات في الضواحي.

كانت الساعة تصدر أصواتها «تك، تك...» وكان الوقت يمرّ.

التفت بانون نحو كونواي قائلاً: «ما الذي يمكنكِ فعله لإيقاف هذه المهزلة؟». «لا يمكن إيقافها»، أجابت. «لقد فات الأوان، إنهم هنا»: الإي.بي.سي ودافيد موير.

---

(١) Yahoo News Staff, "64 Hours in October: How One Weekend Blew Up the Rules of American Politics," *Yahoo News/Huffington Post*, October 6, 2017.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(*) Make America Great Again -MAGA. فلنعد إلى أميركا عظمتها.

«ما الذي يمكنكِ فعله لإيقافها؟» كرَّر بانون.

«صدّقني، إنَّها كلّها على المحك. لا يمكنك إيقاف ذلك. لقد بدأ الأمر بالفعل، وسوف يحدث»، قالت كونواي.

«لن يحدث»، قال بانون. «لن يفعل ذلك. فإذا أجرى مقابلة على شكل مقدمة فلن يستطيع إجراء مقابلة حية. وسوف يُمزِّق إربًا». لم يكن الاعتذار يشبه ترامب. وإذا سُئل في وقت لاحق، فسوف يتراجع ويناقض نفسه.

حاولوا إعادة الصياغة.

قرأ ترامب سطرين.

«لن أفعل ذلك».

كان الزجاج في برج ترامب سميكًا، ولكنهم استطاعوا سماع زئير مؤيدي ترامب في الشارع: حشد هائج من «البائسين»، الذين تبنّوا هذه الكلمة الساخرة لهيلاري وأطلقوها على أنفسهم. «هؤلاء ناسي!» أعلن ترامب. «سأنزل إلى الشارع. لا تقلقوا بشأن التجمع. سوف أحييه هنا».

«لن تنزل إلى الشارع»، ألحَّ أحد عملاء الأمن السري. «لن تخرج من هنا».

«سوف أنزل»، قال ترامب. واتجه إلى الخارج. «إنه لشيء رائع».

حاولت كونواي التدخل: «لا يمكنك أن تلغي مقابلة الإي.بي.سي».

«لا يهمني. لن أفعل ذلك أبداً. كانت فكرة غبية. ولم أكن أريد فعل ذلك».

كان بانون على وشك اللحاق بترامب داخل المصعد. عندما قال كريستي: «انتظرْ لحظة واحدة».

ظلَّ في الخلف، فيما كان ترامب ينزل مع كونواي ودون جونيور وعميل الأمن السري.

«أنت المشكلة اللعينة»، قال كريستي لبانون. «لقد كنتَ المشكلة منذ البداية».

«ماذا تقول؟ عمَّ تتحدث؟».

«أنت المُساعد ومُسهّل الأمور. أنت تتلاعب بأسوأ غرائزه. هذا الشيء قد انتهى. وسوف تُلام على ذلك. في كل مرة تدفعه غرائزه إلى الاستمرار، كل ما تفعله أنت هو تشجيعه على المضي قدمًا. سوف يكون ذلك مهينًا».

كان كريستي يلوّح بيديه في وجه بانون. رغب بانون في أن يقول: «أيها البدين اللعين، فلنسوّ الأمر هنا، وعلى الفور».

لكنّه، وبدلًا من ذلك، أجاب: «سيدي الحاكم. سنركب الطائرة غدًا». كانوا في طريقهم إلى سانت لويس للمشاركة في النقاش الرئاسي الثاني. «إذا كنتَ في الطائرة غدًا، فأنت في الفريق».

في الأسفل، رضخ عميل الأمن السري. وتمكّن ترامب من الخروج إلى الشارع، ولكن لفترة وجيزة، لاحتمال وجود أسلحة في كل الأرجاء. كان حشدًا صاخبًا من المؤيدين والمحتجين.

في الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة من بعد ظهر ذلك اليوم، خرج ترامب للقاء الجموع. وقضى عدة دقائق في مصافحة الأيدي محاطًا بشرطة نيويورك وعملاء الأمن السري.

«هل ستستمر في خوض السباق؟»، سأله أحد الصحافيين.

«مئة في المئة». قال ترامب[1].

رفض كل العاملين في حملة ترامب الظهور في برامج صباح الأحد الحوارية، ما عدا رودي جولياني. ذلك أن بريبوس، وكريستي، وحتى كونواي الموثوقة ذات الدرع السميكة التي لا تقول «لا» أبداً، كانوا مُبرمَجين. جميعهم تمنّعوا[2].

ظهر جولياني على المحطات الخمس، محققًا بذلك ما يُسمّى بغينسبورغ كامل. وهو عبارة تدلُّ على وليم غينسبورغ محامي مونيكا لوينسكي، الذي كان أول من ظهر على المحطات الخمس، يوم الأحد بتاريخ ١ شباط/فبراير ١٩٩٨.

حاول جولياني تقديم الخطاب نفسه في كل برنامج[3]: كانت كلمات ترامب «مدانة ومرعبة وقبيحة». وقد اعتذَر. وترامب اليوم ليس الرجل نفسه الذي جرى تسجيل كلامه على هذا الشريط في العام ٢٠٠٥. لقد جعلت منه الحملة الانتخابية الرئاسية «التحويلية» رجلًا آخر[4]. وعلاوة على ذلك، كشفت خطابات هيلاري كلينتون التي صبّت في مصلحة غولدمان ساكس، والتي سرّبتها ويكيليكس عبر اختراقها بريد جون بودستا الإلكتروني، أنّ ثمة حميمية مع وول ستريت، تتناقض بشكل عنيف مع مواقفها الليبرالية العامة. وقد يحكم البلد على هذه التسريبات بشكل أكثر قساوة.

لم يكن بانون من متابعي برامج الأحد الحوارية، لكنه تابعها هذه المرة. كان البرنامج قاسيًا

---

(١) Yahoo News Staff, "64 Hours in October: How One Weekend Blew Up the Rules of American Politics," *Yahoo News/Huffington Post*, October 6, 2017.

(٢) Brent Griffiths, "Trump Campaign Manager Reemerges to Show Support for GOP Nominee," *Politico, October 9, 2016; State of the Union* transcript, CNN, October 9, 2016.

(٣) Meet the Press transcript, NBC, October 9, 2016

(٤) *Fox News Sunday* transcript, Fox News, October 9, 2016

جدًا. وعندما قال مقدّم البرنامج على محطة السي إن إن، جيك تابر، إن كلمات ترامب كانت وصفًا لاعتداء جنسي، وإنها حقًا مهينة على المستوى الإنساني»، اضطرَّ جولياني أن يقرَّ: «أجل. إنها كذلك»[1]. وكان منهكًا ومستنزفًا عمليًا. لكنه برهن عن تفانيه وصداقته. وكان يبذل جهودًا كبيرة[2]. ويتكئ غالبًا وبكثرة على إيمانه بمبادئ الكاثوليكية: «يعترف المرء بخطاياه. ويتخذ قرارًا حازمًا بعدم ارتكابها ثانيةً. بعد ذلك، يمنحه الكاهن الغفران، ثم مع الأمل، يتغير ويصبح شخصًا آخر. أقصد، نحن في هذا البلد نؤمن بأن المرء يمكنه أن يتغيَّر».

يبدو أن جولياني كان ثملًا عندما صعد على متن الطائرة التي تتجه إلى مناظرة سانت لويس. واتخذ مقعدًا بجانب ترامب الذي كان يجلس إلى الطاولة. ويضع نظارته الطبية المخصصة للقراءة. حدَّق إلى العمدة السابق.

«رودي، أنت طفل رضيع!» قال ترامب بصوت مرتفع. لم أر في حياتي دفاعًا أسوأ من دفاعك عني. لقد نزعوا حفاضك هناك. كنتَ مثل طفل رضيع يحتاج إلى من يبدّلُ حفاضه. متى ستصبح رجلا؟».

التفت ترامب نحو الآخرين، وبخاصة نحو بانون، قائلاً:

«لماذا كلفته ذلك؟ إنه عاجز عن الدفاع عني. أحتاج إلى من يدافع عني. أين هم ناسي؟».

«عمَّ تتحدث؟» سأله بانون. «هذا الرجل هو الوحيد الذي لم يرفض الذهاب».

«لا أريد سماع ذلك»، أجاب ترامب. «كان ذلك خطأً. لم يكن عليه أن يذهب. إنه ضعيف. أنت ضعيف رودي، لقد هُزمت». رفع جولياني عينيه ونظر، كان شاحبًا.

مضى وقت قليل على الإقلاع المتوقّع، ولم يحضر كريس كريستي: «بئس الرجل»، قال بانون، ثم أقلعت الطائرة.

---

(١) *State of the Union* transcript, CNN, October 9, 2016

(٢) This Week transcript, ABC, October 9, 2016

الفصل الخامس[1]

قال جولياني مرتين، على السي. إن. إن والإن. بي. سي، إنه لم يتوقع أن يتطرق ترامب إلى حياة بيل وهيلاري كلينتون الشخصية في مناظرة ذلك المساء[2]. لكن بانون دبّر ما ظنّ أنه طلقة الرحمة في التوقيت المناسب.

شرح بانون لترامب أن أربعاً من النساء اللواتي ادَّعين أن كلينتون اعتدى عليهن. أو حاولت هيلاري تقويض سمعتهنّ، سيحضرن المناظرة. كُنّ باولا جونس، التي قالت إن كلينتون عرض أمامها أعضاءه التناسلية، وإنه دفع لها مبلغ ٨٥٠ ألف دولار مقابل عدم ملاحقتها له بتهمة المضايقة الجنسية؛ وخوانيتا برودريك، التي ادَّعت أن كلينتون اغتصبَها؛ وكاثلين ويلي، التي زعمت أن كلينتون اعتدى عليها جنسيًّا في البيت الأبيض؛ وكاتي شلتون، التي زعمَت أنها عندما كانت في الثانية عشرة من العمر، لطخَت هيلاري كلينتون سمعتها في إطار دفاعها عن موكلها المتَّهم باغتصابها.

كان ذلك أشبه بقائمة أوسكار من ماضي كلينتون. فقد أثارت ذكريات أعوامها الساخنة في أركنساس والبيت الأبيض.

وقد شرح بانون خطته. وقال إنهم سيُجلسون النساء الأربع مع ترامب إلى طاولة واحدة، ثم يدعون الصحافيين إليها قبل المناظرة.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم. شكّل مشروع التاريخ الشفهي الواسع النطاق لموقع ياهو نيوز/هافنغتون بوست «٦٤ ساعة من تشرين الأول/أكتوبر: كيف فجّرت عطلة نهاية الأسبوع قواعد السياسة الأميركية» مصدرًا مفيدًا على امتداد هذا الفصل. انظر الرابط:

https://www.huffingtonpost.com/entry/yahoo-64-hours-october-american-politics_us_59d7c567e4b072637c43dd1c

(٢) State of the Union transcript, CNN, October 9, 2016; *Meet the Press* transcript, NBC, October 9, 2016

«أولئك الصحافيون الأوغاد، يظنون أنهم سيأتون في نهاية إعداد المناظرة، وأننا سنتركهم في الغرفة مع النساء، ونذهب، هكذا بمنتهى البساطة، إلى البث الحي. طاخ!»

كانت الأرض المحروقة هي السياسة التي يعشقها بانون.

راح ترامب طوال اليوم يغرّد على تويتر روابط لقصص مستقاة من موقع برايبارت حول من كانوا يتهمون كلينتون.

«أحبُّ ذلك»، قال ترامب، وقد انتصب واقفًا مثل إمبراطور: «أحبُّ ذلك!».

قُبيل الساعة ٧:٣٠ مساءً، دخل الصحافيون إلى غرفة فندق فور سيزونز سانت لويس، حيث كان ترامب ينتظر برفقة النساء. كان بانون وكوشنر يجلسان في الجزء الخلفي من الغرفة، ويرسمان ابتسامتين عريضتين[١].

وفي الساعة ٧:٢٦ مساءً، غرّد ترامب على تويتر: «انضموا إليّ على Facebook Live# وأنا أختتم إعداد المناظرة (debate#) الأخيرة»[٢]. التقطت السي إن إن معلومته، ونقلت الحدث بالبثّ الحيّ.

كانت النسوة يبصقن النار في الميكروفونات.

«الأفعال أشدّ وقعًا من الكلمات»، قالت خوانيتا برودريك. «ربما قال السيد ترامب بعض الكلمات السيئة، لكنّ بيل كلينتون اغتصبني. وهيلاري كلينتون هدّدتني».

منع منظمو المناظرة متّهمات كلينتون من الجلوس في مقصورة الشخصيات العائلية على المسرح. كما خطّط بانون، فجلسن أخيرًا في الصف الأول من الصالة المخصّصة للجمهور قبالة المسرح.

لم يلبث أندرسون كوبر، أحد مديري المناظرة على محطة السي إن إن، أن أثار قصة شريط هوليوود آكسس قائلًا: «هذا اعتداء جنسي. لقد تفاخرت بأنك اعتديت جنسيًا على النساء. هل تفهم ما يعني ذلك[٣]؟».

تصدّى ترامب قائلاً: «عندما يكون في عالمنا داعش التي تقطع الرؤوس... وحيث الحروب والمشاهد الفظيعة والأهوال تحدث في كل مكان... نعم، أشعر بالحرج من ذلك، وأكرهه، لكنها كانت مجرد ثرثرة على انفراد بهدف التسلية. سوف أقضي على داعش».

---

(١) Yahoo News Staff, "64 Hours in October: How One Weekend Blew Up the Rules of American Politics," *Yahoo News/Huffington Post*, October 6, 2017.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) في أثناء المناظرة الرئاسية التي دارت في جامعة واشنطن بمدينة سانت لويس، ولاية ميسوري. لجنة المناظرات الرئاسية، ٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦.

بُعَيْد ذلك، قال ترامب: «إذا نظرتَ إلى بيل كلينتون، ستجده أسوأ كثيرًا. أنا تلفظت بكلمات وهو قام بأفعال... لم يعرف تاريخ أمتنا السياسي سفيهًا ومخلًا بالآداب مع النساء مثل بيل كلينتون».

ثم أعلن ترامب أن كاتي شلتون وباولا جونس كانتا بين الجمهور وقال: «عندما تتكلم هيلاري... عن الكلمات التي قلتُها قبل ١١ عامًا. أجد ذلك مشينًا. وأظنّ أن عليها أن تشعر بالخجل من نفسها».

اضطرَّت مارتا راداتز، المشرفة المشاركة على المناظرة من ملاك محطة ABC، إلى الصعود إلى المسرح، مطالبة الجمهور بالتوقف عن التصفيق، لكي تتمكن هيلاري كلينتون من الكلام.

كان بوسي نائب بانون في إدارة الحملة مكلّفًا الإدارة الفورية. وكان يتخذ مئات القرارات اليومية، لكنّه سرعان ما اكتشف من كان يملك السلطة الحقيقية. فعلى سبيل المثال، كان يحدث أن يشارك في اجتماع مع بانون وكونواي وكوشنر، حيث يُتّخذ قرار ما: لنفترض أنه يتعلق بالإعلانات التلفزيونية الثلاثة القادمة.

في إطار ذلك، كان بوسي يطلب إلى مدير الإعلانات الرقمية تنفيذ القرار، لكنه يكتشف بعد حين أن القرار لم ينفَّذ: «ما الأمر؟» كان يقول. «لقد جئت، وقلت لك أن تقوم بالعمل. لقد اجتمعنا وقرَّرنا».

والجواب الذي كان يحصل عليه: «لا. لا. لا. لقد مرَّ جاريد بعدك وقال: 'لا تفعلوا شيئًا'».

كان ذلك «اكتشافًا في غاية الأهمية». إذا لم يكن كوشنر موافقًا كليًّا، فلا شيء يُنجز. لذلك، كان بوسي يتقرَّب من كوشنر بعد اجتماعات اتخاذ القرارات، ليتأكّد من أنه فهمَ ما يريده جاريد. فمن دون أن يحمل اللقب، كان كوشنر يدير الحملة. وبخاصة تلك الأمور التي تتعلّق بالقضايا المالية. وكان يعرف أن والد زوجته يرى المال كله، ماله الخاص. وكان على جاريد أن يوقّع على كل شيء.

ضحك كوشنر ساخرًا من اقتراح بانون القاضي بأن يضخَّ ترامب مبلغ ٥٠ مليون دولار من ماله الخاص في حملته الرئاسية: «لن يوقّع أبداً شيكًا بمبلغ ٥٠ مليون دولار». قال كوشنر لبانون في شهر آب/أغسطس.

«يا رجل»، قال بانون. «إننا مقبلون على مرحلة تكافؤ في توقعات التصويت». كانوا قريبًا سيتقاسمون توقعات التصويت مع هيلاري مناصفة. «نحتاج إلى الظهور على التلفزيون وفي حوزتنا شيء ما». كانوا يحتاجون إلى الإسهام في المعركة على الأرض. «سوف نحتاج إلى ٥٠ مليون دولار على الأقل. يجب أن يوقّع الشيك».

وفق القوانين الانتخابية السائدة، يحق للمرشح أن يسهم في حملته الشخصية بمبالغ لا محدودة من ماله الخاص.

«لن يفعل ذلك قط»، أصرَّ كوشنر.

«نحن نتحدث عن رئاسة الولايات المتحدة!».

«ستيف، إلّا إذا بيَّنت له أنه في طريق مسدودة»، أي إنه فائز بالتأكيد، «أقصد بالطريق المسدودة فارقًا من ثلاث نقاط إلى خمس. لكنه، مع ذلك، لن يكتب أبداً شيكًا بهذا الحجم».

«حسنًا، أنت على حق»، قال بانون.

«قد نتمكن من أن ننتزع منه ٢٥ مليون دولار»، قال كوشنر، ثم أضاف محذّرًا: «في الواقع، هو لا يملك الكثير من السيولة النقدية».

بعد المناظرة الرئاسية الأخيرة في لاس فيغاس بتاريخ ١٩ تشرين الأول/أكتوبر، عاد ترامب إلى نيويورك. ولم يكن قد تبقى سوى ثلاثة أسابيع على الانتخابات.

قدَّم بانون وكوشنر ومونشن، رئيس غولدمان ساكس التنفيذي السابق، إلى ترامب مشروعًا يقضي بضخ ٢٥ مليون دولار من ماله الخاص في الحملة.

«مستحيل»، قال ترامب. «تبًا! لن أدفع». أين كان كبار المانحين الجمهوريين المعروفين؟ «أين هو المال اللعين؟ أين هو مال هؤلاء الرجال؟ جاريد، يفترض بك أن تجمع كل هذا المال. لن أدفع».

في اليوم التالي جاؤوا إلى ترامب الذي كان على متن الطائرة، وقدموا إليه اقتراحًا جديدًا بمبلغ عشرة ملايين دولار. لن يكون هذا قرضًا، بل سلفة على تبرعات المؤيدين النقدية، أي «الغراندون أو الهوبيت»[1] كما كان يحلو لبانون تسميتهم على نحو هزلي ساخر. كان الاقتراح مشروطًا بمهلة نهائية هي الحصول على العشرة ملايين دولار في اليوم نفسه.

«ستستمر تبرعات المؤيدين في الورود، إن فزتَ أو هُزمتَ أو انسحبت»، قال بانون. «لكنني أقول إنك ستفوز».

«لا يمكنك أن تجزم بذلك». قال ترامب بحدّة. «نحن خلف هيلاري بثلاث نقاط». وكان ذلك يظهر ثقة ترامب الضئيلة في إمكانية فوزه، رأى بانون.

بعد يومين من الضغط، بهدف الحصول على العشرة ملايين دولار، قال لهم ترامب أخيراً: «حسنًا، اعتقوني، سنجعلها عشرة ملايين دولار».

---

(١) Grundoon شخصية من شخصيات ديزني للرسوم المتحركة، تمثل كائنًا على هيئة طفل رضيع لا يرتدي سوى حفاض، ولا يعرف من اللغة البشرية سوى قول باي وباي باي. Hobbit شعب خرافي بهيئة بشرية: قامة قصيرة وأقدام كبيرة جدًا، ابتدعه الكاتب الإنكليزي جي آر تولكين في رواية سيد الخواتم.

سلَّم ستيف مونشن ترامب وثيقتين للتوقيع. كانت الأولى تضمُّ البنود التي تبيّن كيفية استرداد السلفة عندما ترد أموال التبرعات إلى الحملة.

«ما هذا؟» سأل ترامب عن الوثيقة الثانية.

«تعليمات خطّية». كان مونشن يعرف أن كل قرار يتخذه ترامب كان مؤقتًا ومفتوحًا على النقاش والتخاصم. ولم يكن أي شيء نهائيًا.

«تبًا! ما المشكلة؟» قال ترامب. كان أمر الدفع سيرسل برقيًا إلى شخص ما في مؤسسة ترامب.

قال مونشن: لا، يجب أن يُنفَّذ على الفور.

وقَّع ترامب الوثيقتين.

كانت مسائل النقود تلهبُ ترامب. وعندما علم أن كريستي، وهو رئيس فريقه الانتقالي، يجمع الأموال للعملية الانتقالية، استدعاه هو وبانون إلى برج ترامب.

«أين هذا المال اللعين؟» سأل ترامب كريستي. «أحتاج إلى المال من أجل حملتي. فأنا أضع المال من جيبي في الحملة، وأنت تسرقني». كان يرى كل المال كما لو كان ملكه له وحده.

دافع كريستي عن جهوده. كان ذلك من أجل تنظيم المرحلة الانتقالية المطلوبة في حال فوز ترامب.

قال ترامب إن المرشح ميت رومني، قد أنفق في العام ٢٠١٢ الكثير من الوقت على اجتماعات المرحلة الانتقالية، والقليل على أحداث الحملة. «لذلك أخفق. أنت تجلب عليّ النحس»، قال لكريستي. «لا أريد مرحلة انتقالية. أنا أغلق المرحلة الانتقالية. لقد قلت لك منذ اليوم الأول إنه كان لقبًا فخريًا فحسب. أنت تجلب عليّ النحس. لن أنفق من وقتي ثانية على ذلك».

«واه!» اعترض بانون. قد تكون المرحلة الانتقالية أمرًا منطقيًا.

«إنها تجلب عليّ النحس»، قال ترامب. «لا أريدها».

«حسناً، فلنفعل كما تريد»، قال بانون. «سألغي كل شيء. ولكن ماذا تظنّ أنهم سيقولون في برنامج مورننغ جو[1] غدًا؟ أنت واثق جدًا بأنك ستصبح الرئيس، أليس كذلك؟».

أخيراً، وافق ترامب مرغماً على نسخة مصغّرة ضعيفة من المرحلة الانتقالية. وكان على كريستي التوقف عن جمع المنح المالية.

---

(١) Morning Joe برنامج تلفزيوني إخباري مستمر تبثه محطة الإم إس إن بي سي من السادسة صباحًا حتى التاسعة صباحًا بتوقيت الساحل الشرقي، ويشارك في تقديمه عدة صحافيين.

«يمكنه الحصول على انتقاليته»، قالها ترامب. «ولكن لا دخل لي بذلك، ولست معنيًا بشيء على الإطلاق».

قبل الانتخابات بأسبوعين، أي في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦، كنتُ في فورت وورث، تكساس، ألقي خطابًا بحضور ٤٠٠ موظف في شركة تسمّى KEY2ACT تنتج برامج إلكترونية متخصصة في إدارة الشركات العاملة بمجال البناء. كان موضوع خطابي 'عصر الرئاسة الأميركية، وما ستجلبه انتخابات العام ٢٠١٦' وكانت أكثرية الحاضرين من البيض، ومن جميع أنحاء البلد.

طلبتُ إلى الحاضرين الكشف عن أوراقهم. كم كان عدد الأصوات المتوقعة لمصلحة هيلاري؟ لم تكن لتتعدى العشرة أصوات. وكم كان عدد الأصوات المتوقعة لمصلحة ترامب؟ نصف الذين كانوا في الغرفة رفعوا أيديهم، أي حوالى ٢٠٠. ياه! قلت في نفسي، بدا أن هنالك الكثير ممن سينتخبون ترامب.

بعد انتهاء الخطاب، اقترب رئيس الشركة التنفيذي. «يجب أن أجلس»، قال، ثم اتخذ مقعدًا محاذياً للمكان الذي أقف فيه. كان يتنفس بصعوبة. «أنا مذهول. كنت أعمل مع هؤلاء الناس كل يوم، ومنذ ما يزيد على السنة. أعرفهم، وأعرف أسرهم. لو قلتَ لي إن ٢٠٠ منهم ينوون التصويت لمصلحة ترامب، لقلتُ لك هذا مستحيل». قال إنه كان يتوقع نتيجة متكافئة تقريبًا. لكن الرقم ٢٠٠، صعقه. لم يقدّم أي تفسير. وبالتأكيد، لم يكن لدي أنا أي تفسير أيضًا.

قبل الانتخابات بعشرة أيام، طار ترامب إلى ولاية نورث كارولاينا، وهي ولاية لا بدَّ من الفوز فيها. كان يتخلّف بفارق عدة نقاط في معظم استطلاعات الرأي الوطنية. وقد وضعه استطلاع الإن بي سي والوول ستريت جورنال خلف هيلاري بفارق ست نقاط.

تحدَّث بانون مع عضو الكونغرس مارك ميدوز، الذي يمثل الدائرة الحادية عشرة. وكان ميدوز مناصرًا لحركة حزب الشاي، ورئيس مجموعة الحرية «فريدوم كوكوس» الذي يضم ٣٠ محافظًا وتحرريًا من الجمهوريين، وكان أحد كبار مؤيدي ترامب. وخلال الصيف، وقف على رأس المشاركين في أحد التجمعات، وراح الجميع يغنون نشيدهم المفضل والمعادي لهيلاري: «ارموها في السجن».

ومن بين جميع الولايات غير المحسومة. قال بانون لميدوز: «هذه الولاية تقلقني أكثر من الولايات الأخرى مجتمعةً». ولم يكن واضحاً أن الحملة قد تنطلق فعلاً.

لم يوافق ميدوز على مخاوف بانون. فقال: «لقد انبرى الإنجيليون للعمل. ها هم يطرقون الأبواب. أنا أؤكد لك، لستَ بحاجة إلى العودة إلى نورث كارولاينا. سنفوز بها». كانت زوجة ميدوز ونساء محافظات أُخَر قد استأجرن حافلةً بعد فضيحة تسجيل آكسس هوليوود، ثم رحن يتجوّلن

في كل أرجاء الولاية، يُحرّضن النساء على التصويت لمصلحة ترامب. «كل شيء صامد ويتحسن»، قال ميدوز.

كان ميدوز يملك خططًا كبيرة لإزاحة رئيس البرلمان بول رايان. وقد سلّم بانون ملفًا. «اقرأ هذا»، قال. «بعد ٢٤ ساعة من فوز ترامب، نقدّم اقتراح مشروع تصويت فوريّ ضد رايان ونُنهيه. ثم نستعيدُ مجلس النواب؛ وبذلك، تكون ثورة حقيقية». لكنّ القلق لم يفارق بانون. على الرغم من أنه وجد بعض الإيجابيات في استراتيجية ترامب-بنس. وكان يرى أنهم يستخدمون بنس بشكل فعّال[1]، عبر ترشيحه بشكل أساسي في مجموعة محددة من الولايات. إذ سجّل على الأقل ٢٣ ظهورًا في بنسلفانيا؛ و٢٥ في أوهايو؛ ٢٢ في نورث كارولاينا؛ و١٥ في آيووا؛ و١٣ في فلوريدا؛ و٨ في ميشيغان، و٧ في ويسكونسين. وكانت استراتيجية حملة بنس العمل كما لو كان مرشحًا لمنصب حاكم تلك الولايات. فيركّز في القضايا المحلية. وفي ما يمكن لرئيسٍ مثل ترامب أن يقدّم للولاية من موقعه في واشنطن. «ومن حين إلى آخر. كنا نسحبه [بنس] إلى جيسوس لاند[2]» قال بانون.

قال إن ترامب كان بشكل أساسي يخوض الانتخابات مشرفاً إقليمياً في أكثر من ٤١ مركزًا سكانيًا كبيرًا.

لقد تعجّب بانون من عدم استخدام حملة كلينتون للرئيس أوباما استراتيجيًا. كان أوباما قد فاز في العامين ٢٠٠٨ و٢٠١٢ بولاية آيووا بعشر نقاط مقابل ست. «هو لا يذهب أبداً». وكلينتون لم تذهب قط إلى ويسكونسين في الانتخابات النهائية العامة. ولم تتطرق إلى المواضيع الاقتصادية بما فيه الكفاية.

«عندما رأيتُها تذهب إلى أريزونا، قلتُ في نفسي: «لقد فقدوا عقولهم اللعينة»، قال بانون. «ماذا يفعلون؟»

سوف يؤلف المؤرخون الكثير من الكتب في السنوات القادمة للإجابة عن ذلك السؤال والقضايا المتعلقة بحملة العام ٢٠١٦. كنت أنوي تأليف كتاب عن السنة الأولى أو السنتين الأوليين من الرئاسة القادمة. وقد بدا مرجحًا أن كلينتون ستكون الرئيسة. لكن زيارتي إلى فورت وورث جعلتني أتريث.

قبل يومين من موعد الانتخابات، في السادس من تشرين الثاني/نوفمبر، ظهرتُ على محطة فوكس نيوز في برنامج كريس والاس، حيث تحوّل النقاش إلى إمكانية فوز ترامب[3].

---

(١) Pence's campaign appearances were recorded by the nonpartisan P2016: *Race for the White House*, http://www.p2016 .org/trump/pencecal1116.html

(٢) Jesus Land مجموعة الولايات التي تنتخب على أساس الأفكار الدينية.

(٣) *Fox News Sunday* transcript, Fox News, November 6, 2016

ووفقًا لنسخة بيان التوقعات، قلتُ في البرنامج: «إذا فاز ترامب، فكيف يمكن لذلك أن يحدث؟ أين النقص؟ وما هو الشيء المفقود؟ وأظنّ أنني وجدت من خلال جولاتي في أرجاء البلد، والحديث مع مجموعات من تكساس وفلوريدا ونيويورك، أن الناس لا يثقون باستطلاعات الرأي. وينظرون إلى الاقتراع على أنه مسألة شخصية حميمة. وهم لا يحبون الفكرة التي تقول: «بما أنني أنتمي إلى شريحة سكانية معينة، فإنني سأمضي في هذا الاتجاه. وهم يريدون أن يقرروا بأنفسهم».

سألني والاس إذا كنت أقصد أن الناس كانوا يكذبون على مستطلعي الرأي.

«أرى أن هذا ممكن جدًا»، قلتُ. لكنني لم أرَ أية إشارة أو دلالة أو معلومات داخلية. كنت بعيدًا كل البعد عن معرفة حقيقة ما كان يحدث فعلًا.

عشية الانتخابات، قام ترامب بزيارة خمس ولايات، بما فيها نورث كارولاينا. وكان منهكًا.

«إذا خسرنا»، قال في تجمع بمدينة رالي، «سوف يكون ذلك أكبر مضيعة... للوقت والطاقة والمال... إذا خسرنا، جميعنا، بصدق، فقد أضعنا وقتنا جميعًا»[١].

كان قول ذلك أمرًا غريبًا، مثبّطًا في الظاهر. ولكن، بدا أن الحشود أحبَّته ورأته أمراً مشجّعاً.

نُظّم أحد آخر تجمعات كلينتون في بهو الاستقلال بفيلادلفيا، حيث تجمَّع عشرات الآلاف في السابع من تشرين الثاني/نوفمبر، وكان أوباما حاضرًا. وبحسب كتاب كلينتون، فقد حضنها الرئيس وهمس لها: «سوف تفوزين، أنا فخور بك»[٢].

حوالى الخامسة مساءً من يوم الانتخابات، تلقّى ترامب آخر الاستطلاعات: كانت قاسية. مناصفة في أوهايو وآيووا، نقص تسع نقاط في بنسلفانيا، وسبع نقاط في نورث كارولاينا.

«لا شيء آخر كان يمكننا فعله»، قال ترامب لبانون. «لقد بذلنا كل شيء على أرض المعركة».

ليلة الانتخابات، بدا رائعًا مشهدُ إبرة التنبؤات على قرص موقع النيويورك تايمز، التي بدأت بتقدير حظوظ فوز كلينتون بنسبة ٨٥٪. ولكنْ، سرعان ما بدأ القرص يتأرجح باتجاه ترامب. إذ أتت أول إشارة إيجابية له من نورث كارولاينا، حيث كانت مشاركة الأميركيين المتحدّرين من أصول أفريقية ولاتينية ضعيفة. وفي الساعة ١١:١١مساءً، أعلنت الولاية لترامب[٣]. وكان قد أعلن في

---

(١) انظر: Donald J. Trump, "Remarks at J. S. Dorton Arena in Raleigh, North Carolina," November 7, 2016. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project.* http://www .presidency.ucsb.edu/ws/?pid=122536

(٢) انظر كتاب هيلاري كلينتون: «ما الذي حدث؟»، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان.

(٣) انظر رابط الأسوشيتد برس:
https://blog.ap.org/behind-the-news/calling-the-presidential-race-state-by-state

الساعة ١٠:٣٦ مساءً فوزه في أوهايو. وفي الساعة ١٠:٥٠ مساءً فوزه في فلوريدا. وفي الساعة ١٢:٠٢ صباحًا فاز في آيووا.

بعث الرئيس أوباما برسالة إلى هيلاري كلينتون يقول فيها إنه قلق بشأن نتائج انتخابات أخرى غير مؤكّدة، كما حدث في انتخابات العام ٢٠٠٠ الرئاسية. وإنَّ ذلك سيكون سيئًا للبلد. ثم طلب منها أن تتنازل بكياسة إذا خسرت.

أعلنت الأسوشيتد برس فوز ترامب بولاية ويسكونسين[١] في الساعة ٢:٢٩ صباحًا. وبذلك أُعلن ترامب الفائز في الانتخابات الرئاسية[٢].

«دونالد، أنا هيلاري» بذلك، بدأت مكالمتها الهاتفية بالتنازل بعد فترة قصيرة.

ذهب ترامب لمخاطبة الحشود من فندق هيلتون نيويورك، في ميدتاون مانهاتن، على مسافة قصيرة من برج ترامب.

«الآن حان الوقت لكي يضمّد الأميركيون جراح الانقسام»،[٣] قال في إشارة منه إلى سياسة الحكومة الجيدة. «أتعهد لكل مواطن أميركي على أرضنا بأن أكون رئيسًا لكل الأميركيين.

«كما قلت منذ البداية، لم نكن حملةً انتخابية، بل حركة رائعة عظيمة ... تضمُّ الأميركيين من كل الأعراق والأديان والخلفيات الاجتماعية والمعتقدات.

«يجب أن نستعيد مصير بلدنا وحلمه الكبير والجريء والشجاع.

«سوف نسعى للوئام، لا للعداوة؛ وللشراكة لا للنزاع».

شكر عائلته، وكونواي وبانون، ومن آلاباما، السيناتور الجمهوري جف سيشنز («رجل عظيم»)، الذي أيّد ترامب منذ البداية، والجنرال المتقاعد مايكل فلين، مستشار الحملة الأمني. كان فلين قد سبك علاقة استثنائية حميمة مع ترامب.

تحدث الرئيس المنتخب عن بريبوس: «إن رينس نجم كبير. لكنني قلت لا يستطيعون تسميتك نجمًا كبيرًا، رينس، إلاّ إذا فُزت، رينس اصعدْ إلى المنصة»[٤]. حدَّد مكان بريبوس بين الجمهور ودعاه إلى المنصة.

(١) انظر رابط الأسوشيتد برس:
https://blog.ap.org/behind-the-news/calling-the-presidential-race-state-by-state

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر مشروع الرئاسة الأميركي على الرابط: http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=119495

(٤) المصدر نفسه.

خرج بريبوس من الحشد متعثرًا.

«قلْ بعض الكلمات». قال ترامب. «لا. هيّا. قلْ شيئًا ما».

«سيداتي سادتي». قال بريبوس. «رئيس الولايات المتحدة المقبل. دونالد ترامب».

«رجلٌ رائع»، قال ترامب، وكما لو أنه أدرك فجأةً ما فعلته لجنة الحزب الجمهوري من أجله، إذ كرّست له كل المال والعاملين والمتطوعين وجمع الأصوات. أضاف: «إن شراكتنا مع لجنة الحزب الجمهوري كانت في غاية الأهمية لتحقيق النجاح وإنجاز ما بدأناه».

ثم اختتم بقوله: «كانت هاتان السنتان فترة رائعة. أحبُّ هذا البلد».

كان بانون مقتنعًا بأن ترامب نفسه كان مذهولًا. «لم تكن لديه أدنى فكرة أنه سيفوز»، قال بانون في وقت لاحق: «ولم يُعدَّ نفسه. لم يظنّ قط أنه قد يخسر، لكنه لم يعتقد قط أنه قد يفوز. ثمة فرق. وعليكم أن تتذكروا: لا استعداد. ولا فريق لفترة انتقالية».

اتصل بوتين من روسيا مهنئًا، وكذلك فعل الرئيس الصيني شي جينبينغ. اتصل كثيرون من زعماء العالم أيضًا. «لقد طلع الفجر عليه أخيرًا»، قال بانون في نفسه. «هذه هي الصفقة الحقيقية. هذا رجل غير مهيأ كليًا. لقد أنفقت هيلاري كلينتون حياتها الراشدة كلها وهي تستعدُّ لهذه اللحظة. ولم ينفق ترامب ثانية واحدة في إعداد نفسه لها».

بعد ساعات نوم قليلة، راح بانون يقلّب وثائق المرحلة الانتقالية. «قمة النفاية». قال في نفسه. ولمنصب وزير الدفاع، وضعوا قائمة بأسماء كبار المانحين من ولاية نيو هامبشاير. شيء لا يُصدَّق. كان يجب ملء ٤٠٠٠ وظيفة. وأدرك أن عليهم أن يتكئوا مؤقتًا على الطبقة الحاكمة. ربما كانت هناك كلمة أفضل صياغةً. وهي انتزاع بعض الأشخاص الذين يعلمون شيئًا.

«أعطني المدير التنفيذي لهذا الشيء». أمرَ بانون. ساعيًا لإيجاد صلة بأية آلة انتقالية موجودة. «أحضِره إلى مكتبي على الفور». لم يتذكر اسمه.

اتصل بانون بمكتب المدير. هل يمكنه المجيء؟ سأل.

«لن يكون ذلك سهلًا».

«لماذا؟».

«لأنه في الباهاماس».

«إنها جزيرة الألعاب المعطوبة[١]»، قال بانون. «كيف سنتمكن من تأليف هذه الحكومة اللعينة معًا؟ سوف نتسلّم زمام الأمور بعد عشرة أسابيع. يجب أن نكون جاهزين عملياتيًّا».

كان بانون وبريبوس مقبلَين على تقاسم أعلى السلطات. لذا، فقد عقدا تسوية استثنائية. يشغل بانون منصب «رئيس الاستراتيجية»، وهو لقب وفكرة جديدتان. ويشغل بريبوس منصب رئيس مكتب البيت الأبيض. وقد أصدرت الصحافة بيانها واضعةً بانون في رأس قائمة التسميات[٢]. وقبلَ بريبوس ذلك بغية منع بانون من شغل منصب رئيس المكتب، الذي يُعدُّ تقليديًا منصبًا أعلى في سلَّم السلطات.

---

(١) يقصد بانون بهذه العبارة أن المدير شخص لا ينفع لشيء. وجزيرة الألعاب المعطوبة هي جزيرة يلقي فيها بابا نويل الألعاب المعطوبة التي لا تجدي نفعاً.

(٢) انظر مشروع الرئاسة الأميركي على الرابط: http://www.presidency.uscb.edu/ws/?pid=119641

الفصل السادس[1]

بعد أسبوع من الانتخابات الرئاسية، دعا الرئيس المنتخب ترامب الجنرال المتقاعد برتبة أربع نجوم، جاك كين، إلى برج ترامب حيث أجرى معه مقابلة بهدف تعيينه وزيرًا للدفاع.

قال ترامب: «أنت خياري الأول».

رفض كين البالغ من العمر ٧٣ عامًا، والمعروف بظهوره الدائم على فوكس نيوز، والمستشار المقرب من نائب الرئيس السابق ديك تشيني، هذا المنصب. فما كابده من ديون مالية جرّاء الاعتناء بزوجته التي توفيت أخيرًا، جعل قبوله مستحيلًا.

وفي اجتماع طويل دام ساعة، عرض على ترامب جولة أفق عن الأوضاع العالمية وأسدى بعض المشورة.

«سيدي الرئيس المنتخب»، على ما قال، «سيكون الكونغرس والرأي العام وحكومتك معنيين بأجندتك المحلية». في الأمن القومي والسياسة الخارجية يكمن حيّزك الحقيقي. ولمشكلات العالم طريقٌ إلى شارع بنسلفانيا ١٦٠٠، شئت ذلك أم لم تشأ.

«للأخطاء المرتبكة في الجانب المحلّي آلية تصحيح. قد تتاح لك فرصة أو محاولة لتصويب الأمور. لكن لا مجال لذلك في الأمن القومي.

«عندما نرتكب أخطاء، تكون العواقب وخيمة».

ورأى أن الرئيس أوباما كان خجولًا جدًّا في عالم خطير.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

وحذّر كين من «أننا بسبب إقدامنا أو إحجامنا، يمكننا في الواقع زعزعة استقرار جزء من العالم، والتسبُّب في مشكلات هائلة».

سأله ترامب بمَنْ يوصي وزيراً للدفاع.

لأغراض عملية، قال كين إنه يختار جيم ماتيس. كان الجنرال المتقاعد من سلاح البحرية برتبة أربع نجوم الذي أقاله أوباما من القيادة المركزية في الشرق الأوسط. وقد أعفى أوباما ماتيس من مهماته عام ٢٠١٢ لأنه كان يراه متشددًا جدًّا ومتلهّفًا لمواجهة إيران عسكريًا.

«ماتيس رجل جيد. أليس كذلك؟». قالها ترامب. وكان قد سمع عن الجنرال الذي يحمل لقَبيْ «الكلب المسعور» و«الفوضى».

«نعم سيدي»، قالها كين. «إنه رجل جيد». «لماتيس مزايا»، على ما أضاف. هذا يعني أن أي مشكلة كبيرة تواجهنا، سوف يتصدّى لها رجل يشمّر عن ساعديه منذ اليوم الأول. هذا أولاً.

«ثانيًا، إنه متمرّس جدًّا، خصوصًا في أكثر «الأحياء» تقلُّبًا في العالم. في الشرق الأوسط. وهو من قدامى المحاربين ذوي الخبرة العالية في كل من أفغانستان والعراق. يحظى باحترام كبير داخل صفوف الجيش، ولكن خارجه أيضاً».

وأضاف كين: «ما لا يظهر جليًا، هو عمق تفكيره، وإلى أي حدّ هو موزون ومتأنّ».

«ماذا تقصد؟». سأله ترامب.

«إنه يدرس الأمور. يقضي وقتًا في التفكير بالمشكلة». ماتيس لم يتزوج، وهو يقرأ الكتب طوال الوقت. لديه ٧٠٠٠ كتاب في مكتبته. وهو يُعرف أيضًا باسم «المحارب الراهب»: فقد كرّس حياته كلّها للجيش. ذلك أنه خدم أربعة عقود. ينصبُّ تركيزه على هدف واحد: لكنه هادئ. «أكُن له الكثير من الاحترام»، قالها كين. «إنه رجل شجاع ونزيه».

في السيارة، طلب كين رقم ماتيس. أوضح أن ترامب عرض عليه أولاً المنصب، وأجاب بالرفض. بدا أن ماتيس يريد تأكيدًا.

«ألا يمكنك أن تقوم بذلك، جاك؟». سأله ماتيس.

«لا، لا أستطيع». أجاب كين. «جيم، ستفعل ذلك، أليس كذلك؟».

أجاب ماتيس: «نعم جاك».

«يبدو أن تركيزهم ينصبّ على شخصية عسكرية لتسلُّم المنصب، جرّاء التحدّيات التي يواجهونها».

في وقت لاحق من تشرين الثاني/نوفمبر، دعا ترامب ماتيس البالغ من العمر ٦٦ عامًا إلى بدمينستر. كان حضور ماتيس الهادئ مهيبًا.

شدّد ترامب على وجوب أن تُعالج قضية تنظيم الدولة الإسلامية (داعش). فقد نما تنظيم الدولة الإسلامية من بقايا تنظيم القاعدة في العراق وتوسَّع توسُّعاً عنيفاً في سورية طامحاً إلى إقامة خلافة، والحكم من خلالها. لقد وعد ترامب أن يُلحق الهزيمة بتنظيم داعش في الحملة، وكان التهديد يتنامى.

نظر ماتيس مباشرةً إلى ترامب، وقال: «إننا نحتاج إلى تغيير ما نقوم به. لا يمكن لحربنا أن تكون حرب استنزاف، يجب أن تكون حرب إبادة».

راقت الفكرة لترامب. إنها فكرة مثالية. عرض المنصب على ماتيس، واتفقا ألّا يعلنا الأمر فورًا.

اعتبر بانون أن ماتيس أكثر ليبرالية حيال السياسات الاجتماعية و«عولميٌّ» في الصميم، لكن العلاقة بين ترامب وماتيس كانت أساسية. كان ماتيس محاربًا ومرنًا على حد سواء. وسرعان ما أطلق عليه بانون لقب «وزير الثقة» و«مركز ثقل الإدارة الأخلاقي».

في بدمينستر، رتّب بانون الأمور لجعل لقطات تصوير المرشحين الذين تُجرى معهم المقابلات تبدو وكأنها في شارع ١٠ داوننغ ستريت لحظة عبور ترامب وزوّاره الباب الكبير.

قال لترامب: «سيكون الأمر مثاليًا. سنضع وسائل الإعلام في الشارع. ستلتقي الزوار وتلقي التحية، مثل رئيس الوزراء البريطاني».

كانت الصورة التي نُشرت في كثير من الصحف تُظهر ترامب وماتيس أمام الباب: يدا ترامب مضمومتان ومرفوعتان عاليًا، وماتيس يقف وقفة المارينز المثالي، منتصبًا، على أنه الجنرال الهادئ.

كان برتبة عقيد، حين قاد ماتيس جنود المارينز إلى أفغانستان بعد هجمات ١١ أيلول/سبتمبر الإرهابية. وكان بوب هاروارد النقيب في البحرية والضابط في «نافي سيلز» (قوة العمليات الخاصة الابتدائية للبحرية الأميركية)، هو مَن قاد النافي سيلز فيها.

«ماذا؟ أتريد أن نذهب معًا؟»، سأل ماتيس هاروارد عام ٢٠٠١.

وطوال الأعوام التي تلت، شغل هاروارد عدة مهمّات بقيادة ماتيس.

صيف العام ٢٠١٣، وكان هاروارد قد أصبح نائب أدميرال، أُرسِل إلى قاعدة ماكديل الجوية في فلوريدا ليصبح نائب القائد المركزي ماتيس. دخل إلى مباني الضباط المكلفين، عمِل يومًا، ثم عاد

إلى غرفته، ليجد أن كل أمتعته قد نُقلت منها. قيل له إن كل شيء نُقِل إلى منزل الجنرال ماتيس.

ذهب هاروارد إلى المنزل. دخل إلى المطبخ ووجد الجنرال ماتيس يطوي ملابس هاروارد الداخلية.

«سيدي»، سأل هاروارد، «ما الذي تفعله بحق الجحيم؟».

أجاب ماتيس: «غسلتُ ملابسي، وخطر لي أن أغسل ملابسك أيضًا».

وجد هاروارد ماتيس أنه من أنبل الضباط الذين خدم بإمرتهم وأكثرهم تواضعًا. بدلًا من التعريف عن هاروارد بأنه «نائبه»، كان يقول: «أود أن تلتقوا مساعدي في القيادة».

عندما تقاعد هاروارد وانتقل إلى الشرق الأوسط رئيسًا تنفيذيًا لشركة لوكهيد مارتن في الإمارات العربية المتحدة، ظل على اتصال بماتيس.

قَلِق ماتيس من آثار إخفاق إدارة أوباما في ردع إيران.

ولكنْ «لو تعرف جيم ماتيس»، قال هاروارد، «فهو ليس من محبّذي خوض الحروب».

وفق تقاليد المارينز، سبَّبت إيران جرحًا للفيلق لم يلتئم قط ولم يُردّ عليه. كانت إيران وراء التفجير الإرهابي، لثكن مشاة البحرية في بيروت عام ١٩٨٣. وقد أسفر الهجوم عن مقتل ٢٢٠ من مشاة البحرية، وهو أكبر عدد قتلى في يوم واحد بتاريخ الفيلق. قُتل ٢١ جنديًا أميركيًا آخرين، ليصل عدد القتلى إلى ٢٤١. وهو أكبر هجوم إرهابي يستهدف الولايات المتحدة قبل ١١ أيلول/سبتمبر. كان ماتيس طوال ١١ عاماً ضابطًا في سلاح مشاة البحرية، وكان برتبة رائد.

وباعتباره قائدًا مركزيًا بين العامين ٢٠١٠ و٢٠١٢، ووفق أحد مساعديه البارزين، رأى ماتيس أن إيران «لا تزال تشكّل أكبر تهديد لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط». وكان قلقًا من أن الإسرائيليين سيضربون المنشآت النووية الإيرانية ويجرُّون الولايات المتحدة إلى الصراع.

ورأى ماتيس كذلك أن الولايات المتحدة لا تملك قوة عسكرية كافية في المنطقة، ولا قواعد ارتباط قوية. فكتب مذكّرة إلى الرئيس أوباما، عبر وزير الدفاع ليون بانيتا، هدفها الحصول على مزيد من السلطة للرد على الاستفزازات الإيرانية. كان قلقًا من أن الإيرانيين قد يزرعون الألغام في المياه الدولية، ويفتعلون حادثة في البحر قد تتطور.

رد توم دونيلون، مستشار الأمن القومي، على ماتيس. وقد نصّت المذكّرة، التي سرعان ما أُشير إليها باسم «مذكرة دونيلون»، على أن ماتيس لن يتخذ في ظل أي ظرف من الظروف، أي إجراء ضد إيران، بسبب تفخيخ المياه الدولية، ما لم تُزرع الألغام فعليًا على مسار سفينة حربية أميركية،

وتشكّل خطرًا وشيكًا عليها. ستكون مذكّرة دونيلون أحد الأوامر الأولى التي ألغاها ماتيس، عندما تسلّم منصب وزير الدفاع.

تابع ماتيس احتجاجه الشديد على إيران. فوجد خطة الحرب عليها غير كافية. كان كل شيء يعتمد على الطيران؛ كل شيء يتعلق بالقوة الجوية. لم تتوافر خطة واسعة تشترك فيها أكثر من قوة. حدّدت الخطة خمسة خيارات للهجوم: أولها ضد القوارب الإيرانية الصغيرة، والثاني ضد الصواريخ الباليستية، والثالث ضد أنظمة الأسلحة الأخرى، أما الرابع، فعرض غزو إيران.

وتمثّل «خيار الهجوم الخامس» في خطة تدمير البرنامج النووي الإيراني.

وجّه ماتيس مذكرة لاذعة إلى رئيس العمليات البحرية قائلًا: إن سلاحك البحري غير مستعد تمامًا للصراع في الخليج.

وقال بانيتا لماتيس إن موقفه من إيران وضعه في مأزق حقيقي مع إدارة أوباما. وطلب إليه أن يعطيه شيئًا لمقاومة هذا التصوُّر.

أجاب ماتيس: «إنني أتقاضى أَجري لتقديم أفضل مشورة عسكرية. إنهم يتخذون القرارات السياسية. لن أغيّر ما أؤمن به لاسترضائهم. إذا كانوا لا يثقون بي، فسوف أرحل».

ورحل فعلًا. أُعفِي ماتيس من مهماته قبل خمسة أشهر. وعندما غادر في آذار/مارس من العام ٢٠١٣، مزّق ما سمّاه: «كتاب ذكريات كبير»، سَمْكه قدم تقريبًا. ويتضمّن كل مذكراته الرئيسة ووثائقه وتعليقاته وملخّصات القضايا، وملاحظاته السريعة على أوراق لاصقة. وبوصفه شخصاً مشغوفاً بالتاريخ، فقد اختار عدم الاحتفاظ بأي شيء منه للآخرين.

وأرفق ماتيس، كجزء من تقرير نهاية خدمته، استراتيجية من ١٥ صفحة لإيران. لأنه لا يظن أن إدارة أوباما لديها أي استراتيجية. وعلى الرغم من أنه أشار إلى أن أوباما قد أدلى بعدة تصريحات عن إيران، فقد قال ماتيس: «إن الخطابات الرئاسية لا تُعد سياسة».

ركّزت مسوّدة الاستراتيجية في المواجهة، وعدم التسامح مع إجراءات إيران المزعزعة للاستقرار من خلال حزب الله، وعمليات قوة القدس، وأعمالها في العراق لتقويض الولايات المتحدة. وقد صُمّمت لإعادة تأسيس الصدقية العسكرية الأميركية. أما الجزء الثاني فكان خطة مشاركة طويلة الأمد لتأليب الرأي العام الإيراني.

ومع خروج ماتيس، لم يهتم أحد بآرائه المتعلّقة بإيران. وعندما رُشح إلى الوزارة[1]، حدث

---

(١) أعلن ترامب خلال تجمع في سينسيناتي، بتاريخ ١ كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٦، أنه سيعيّن ماتيس وزيرًا للدفاع.

فجأةً تهافتَ على الخطة، ولم يعد ممكنًا طبع النسخ بسرعة كافية. وكان السؤال هو: هل يعني تعيين ماتيس وزيرًا للدفاع في رئاسة ترامب المتشددة صراعًا عسكريًّا محتملًا مع إيران؟

بناءً على اقتراح من وزير الخارجية السابق جيمس بيكر ووزير الدفاع السابق روبرت غيتس. التقى ترامب، ريكس تيلرسون، البالغ من العمر ٦٤ عامًا، وهو الرئيس التنفيذي لشركة إكسون خلال العقد الماضي.

أُعجب ترامب بثقة التكساسي الأصلي. كان حضوره طاغيًا. قضى تيلرسون ٤٠ سنة في شركة إكسون، ولم يكن ملوّثًا بتجربة الحكومة. إنه رجل رأى العالم من خلال عدسة صنع الصفقات: وجاب الأرض. وهو رجل أعمال تفاوض على عقود نفطية في مختلف أنحاء العالم، بما يشمل البلايين مع روسيا. كان بوتين قد منح تيلرسون وسام الصداقة الروسي عام ٢٠١٣.

في كانون الأول/ديسمبر. أظهر ترامب عدم احترامه لعالم واشنطن السياسي. لكنه احتضن المؤسسة التجارية، وعيّن تيلرسون وزيرًا للخارجية، أعلى منصب في الحكومة. أخبر ترامب المساعدين أن تيلرسون يجسّد الدور الذي سيؤديه على المسرح العالمي. وقالت كيليان كونواي على شاشة التلفزيون: «إنه اختيار ترامبي ملهم جدًّا»[1]. واعدةً بـ «تأثير كبير».

---

(١) Chris Cillizza, "Here's Why Donald Trump Picked Rex Tillerson as Secretary of State," *The Washington Post*, December 13, 2016.

وردت تعليقات كونواي في ١٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٦، في حلقة من تقارير أندريا ميتشل على قناة الإم إس إن بي سي.

الفصل السابع[1]

دعا جاريد كوشنر، غاري كوهن رئيس «غولدمان ساكس»، إلى التحدث مع والد زوجته في ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر عن الاقتصاد. وقد رُتّب اجتماع له في برج ترامب. وكان غاري كوهن من أبرز المخاطرين في المؤسسة المصرفية والاستثمارية المصنفة في المرتبة الأولى أميركيًا وعالميًا. وقد بلغت ثقته بنفسه حدّ الغرور بما يتطابق وترامب. وقد أبلِغ أن ترامب يعقد اجتماعات روتينية، لا تتعدى فترة الاجتماع الواحد عشر دقائق. حضر إلى مكتب ترامب بانون وبريبوس وكوشنر وستيف منوشين، وهو أيضًا مسؤول مصرفي سابق في غولدمان ومدير صندوق التحوط. وكان رئيسًا لحملات جمع الأموال لترامب خلال الأشهر الستة الأخيرة من الحملة، فكوفئ بتعيينه وزيراً للخزانة الأميركية. إلّا أن التعيين لم يُعلن.

قال كوهن لترامب إن الاقتصاد الأميركي عمومًا في وضع جيد، لكنه مهيأ لاختبار نمو كبير إذا اتُخذت بعض الإجراءات. ولتحقيق ذلك، يحتاج الاقتصاد إلى إصلاح ضريبي وإزالة قيود التنظيم المفرِط.

علم كوهن أن ذلك هو ما أراد ترامب سماعه. ثم أخبر ديمقراطي من مدينة نيويورك الرئيس المنتخبَ أمرًا لم يكن يريد سماعه: نحن اقتصاد قائم على التجارة. والتجارة الحرة والنزيهة والمفتوحة ضرورية. وكان ترامب قد خاض حملة ضد صفقات التجارة الدولية.

ثم إنّ الولايات المتحدة هي مركز هجرة للعالم، و«علينا مواصلة فتح الحدود»، قال كوهن. وكانت صورة التوظيف مؤاتية جدًا، إلى حدّ أن الولايات المتحدة ستنفد من العمال قريبًا. لذلك يجب أن تستمر الهجرة. «لدينا وظائف كثيرة في هذا البلد لن يقوم بها الأميركيون».

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

بعد ذلك، كرر كوهن ما كان يقوله الجميع: سترتفع نسب الفائدة في المستقبل المنظور.

أوافق، قال ترامب. «يجب علينا فقط أن نقترض الكثير من المال في الوقت الراهن، نحتفظ به، ثم نبيعه ونجني المال».

كان كوهن مدهوشًا من افتقار ترامب إلى المفاهيم الأساسية. وقد حاول أن يشرح له الأمر: فأكّد أن لجوء الحكومة الفيدرالية إلى الاقتراض، من خلال إصدار السندات، يؤدي إلى زيادة في عجز الولايات المتحدة.

ماذا تعني؟ سأل ترامب. أَدِرِ المطابع فحسب. اطبع النقود.

لا تستطيع أن تفعل ذلك بهذه الطريقة، قال كوهن. لدينا عجز ضخم، وذلك أمر خطير، إذ لا تستطيع الحكومة أن تحتفظ بموازنة مالية بهذه الطريقة. «إذا كنت تريد أن تفعل شيئًا ذكيًا، وأنت فعلًا تتحكّم بذلك، فسأصدر سندات لمدة ٥٠ عامًا و١٠٠ عام من وزارة الخزانة الأميركية».

ومع انخفاض نسب الفائدة في الأعوام الأخيرة، تمكنت وزارة الخزانة من خفض مدة السندات إلى ١٠ أعوام. هذا هو الأمر الصحيح الذي يجب القيام به، قال كوهن. ومع زيادة النسب، ستُقرض شركات التأمين وصناديق التقاعد المال الحكومي لمدة ٥٠ عامًا أو ١٠٠ عام. يمكنك فعل ذلك بنسبة ٣,٧٥٪. وستكون هذه فعلًا أموالًا رخيصة خلال السنوات الخمسين إلى المئة المقبلة.

«رائع!»، قال ترامب «هذه فكرة رائعة». التفت إلى منوشين يسأله: «هل يمكننا فعل ذلك؟».

قال وزير الخزانة المعيّن: «نعم، بالتأكيد. يمكننا القيام بذلك قطعًا».

سأل ترامب: «هل توافقه الرأي؟».

«نعم، أوافقه الرأي»، قال منوشين.

«كنت تعمل معي منذ ستة أشهر»، قال ترامب. «فلمَ، بحق الجحيم، لمْ تُخبرني بالأمر؟ لماذا يكون هو أول مَنْ يخبرني بذلك؟».

ما مِن شيء في العالم يُنتج مردودًا بنسبة ٣,٧٥٪ خالية من المخاطر، قال كوهن. ستُسحَب هذه السندات ويتهافت عليها الشّارون. وقد بيعت سندات الشركات لمدة ٥٠ عامًا في كل مكان. وقد أراد المستثمرون عوائد عالية وخالية من المخاطر.

في ما يتعلق بالاحتياطي الفيدرالي، أشار كوهن إلى أن نسبة الفائدة الفعلية للولايات المتحدة كانت صفرًا طوال أعوام. ولم يكن هناك إلا سبيل واحد للعمل: ستُرفع معدلات الفائدة لسببين. كان الاقتصاد يقوى، ومن شأن المعدلات الأعلى خفض التضخم.

«لو كنتُ أدير الاحتياطي الفيدرالي، لرفعتُ نسب الفائدة».

علم ترامب أن الرؤساء يفضلون المعدلات المتدنية لمساعدة الاقتصاد. فأجاب: «حسنًا، لن أختارك أبدًا لإدارة الاحتياطي الفيدرالي».

«هذا جيد»، قال كوهن، «إنها أسوأ وظيفة في أميركا».

وفي حديثه عن الضرائب، قال كوهن: «كان معدل الضريبة على الشركات، والبالغ ٣٥٪ عظيمًا لأعمالي في العقد الماضي. وكنا نحوّل الشركات إلى المناطق التي تحدد الضريبة بـ١٠٪. وقد درَّت علينا رسومًا باهظة». كان يتحدث بوصفه رئيسًا لمؤسسة غولدمان ساكس. يشير التحويل إلى نقل المركز الرئيس لشركة ما إلى بلد متدني الضرائب مثل أيرلندا أو برمودا في صورة شركة أمّ جديدة، مع الاحتفاظ بالعمليات والإدارة كونها شركة تابعة في البلد ذي الضرائب العليا.

سهّل بنك غولدمان انتقال عشرات الشركات إلى الخارج. على أن تقع على عاتق قيادات الشركة ومجالس إدارتها مسؤولية تجاه المساهمين لتحقيق أقصى قدر من الأرباح. وقد رفع الانتقال والتحويل العائدات كثيرًا. فكان أن انتقلت كل شركات الأدوية والتأمين تقريباً إلى الخارج. تفاخر كوهن قائلًا: «كيف لا أنقل شركة تحقق أرباحًا معينة اليوم، ويمكنها أن تحقق الربح نفسه في اليوم التالي مع ارتفاع بنسبة أكثر من ٢٠٪ بمجرد تغيير مقر الشركة الرئيس؟».

وفي معرض مناقشته لمصلحة غولدمان الذاتية، أضاف كوهن: «لا يمكننا السماح بحدوث ذلك. يجب أن تتماشى ضريبة شركتنا مع المعدل، وهو حوالى ٢١٪ أو ٢٢٪».

وعلى الرغم من بعض القيود التي فرضها الكونغرس، فقد توافرت طرائق للالتفاف على القوانين الجديدة. «لا يمكننا السماح للشركات بالاستمرار في الانتقال إلى خارج الولايات المتحدة الأميركية. الأمر سيئ، وينعكس سلبًا على الأعمال، والوظائف. أتحدث ضد مصلحة عملي. لقد كسبنا طنًا من المال».

عاد ترامب إلى الحديث عن طبع النقود. «سنقترض فحسب»، قال ذلك متسلحًا بفكرة ترؤس الحكومة الفيدرالية التي حصلت على أفضل تصنيف ائتماني في العالم، لذا يمكنهم الاقتراض بأقل معدل فائدة.

لم يأتِ كوهن على ذكر تقرير[1] صدر خلال الحملة الانتخابية. وأشار إلى أن درجة الائتمان التجاري لمؤسسة ترامب كانت ١٩ من أصل ١٠٠، أي أقل من المعدل الوطني بثلاثين نقطة، وأنه قد يجد صعوبة في اقتراض الأموال.

---

(١) Christine Giordano, "Trump's Business Credit Score Is 19 Out of a Possible 100," Fox Business, October 20, 2016.

«لا تستطيع طبع النقود»، قال كوهن.

«لِمَ لا؟ لِمَ لا؟».

كان الكونغرس قد وضع سقفًا للديون يحدد من خلاله الحد الأقصى لمقدار المال الذي تستطيع الحكومة الفيدرالية اقتراضه، وهو ملزِم قانونًا. وقد بدا واضحًا أن ترامب لا يفهم الطريقة التي تعمل بها الموازنة العمومية لدورة ديون حكومة الولايات المتحدة.

من المحتمل أن يكون التضخم ثابتًا. وقال كوهن إن الأتمتة مقبلة: الذكاء الاصطناعي، التعلم الآلي، علم الروبوتات. وستتولى إدارة تأمين العمالة بطريقة أكثر فاعلية من أي وقت مضى في تاريخ البشرية. لذا، فأنت في أسوأ الأوقات من حيث فقدان الوظائف. يمكننا الآن خلق العمالة مع الآلات».

«إذا بقيت هنا ثماني سنوات، فستتعامل مع أتمتة السيارات والشاحنات. ذلك أن ٢٥٪ من سكان الولايات المتحدة يكسبون لقمة العيش بقيادة مركبة ما. فكر في الأمر».

«عمَّ تتحدث؟»، سأل ترامب.

مع المركبات الذاتية القيادة، الذاتية التحكم، يجب على ملايين الأشخاص الدخول مجددًا إلى سوق العمل بوظائف مختلفة. سيُحدث ذلك تغييرًا كبيرًا واختلالًا محتملًا كبيرًا.

«أريدك أن تأتي للعمل معي»، قال ترامب.

«لأقوم بماذا؟».

ذكر ترامب منصب نائب وزير الدفاع.

«أوّلًا، لا أريد أن أكون نائب أي وزير»، قال كوهن.

«ما رأيك في منصب مدير الاستخبارات الوطنية»؟

أشار كوهن بالنفي. لم يكن متأكدًا من طبيعة العمل. وقد علِم لاحقًا أنه ينطوي على الإشراف على وكالة الاستخبارات المركزية وجميع وكالات الاستخبارات الأخرى.

«أنت تتاجر بالسلع»، قال ترامب. «لِمَ لا تفكر في تولّي منصب وزير الطاقة؟».

لم يبدِ كوهن اهتمامًا بالأمر.

حاول ترامب إقناع كوهن بأن يصبح مدير مكتب الإدارة والموازنة.

رفض كوهن. فقد رأى أنَّ المنصب كريه.

«هل تعلم أمرًا؟»، قال ترامب في نهاية اجتماع استمرّ ساعة. «عينت الرجل الخطأ وزيرًا للخزانة. يجب أن تكون وزير الخزانة. ستكون الأفضل».

لم يقل منوشين حتى تلك اللحظة أي شيء، ولم يُظهر أيَّ رد فعل.

«عُدْ وأخبرني بالمنصب الذي تريده». قال ترامب. «سيكون انضمامك إلى الفريق رائعًا. سيكون أمرًا عظيمًا».

شاهد كوهن بعد خمس دقائق[1] على التلفزيون، وكان لا يزال في المبنى، خبرًا عاجلًا مفاده أن الرئيس المُنتخب عيّن ستيف منوشين وزيرًا للخزانة.

«الأمر مخبل»، قال جاريد. «منوشين مرر الخبر. لقد أزعجته كثيرًا في الاجتماع».

وقد أجرى كوهن بعض الواجبات المنزلية، وتحدث مع مديرين سابقين آخرين في بنك غولدمان عملوا في الحكومة. قال روبرت روبن الذي كان رئيس المجلس الاقتصادي القومي في إدارة كلينتون ووزير الخزانة في وقت لاحق، إن كوهن يجب أن يتولى منصب مدير المجلس الاقتصادي الوطني إذا حصل على تعهد أنه سيكون القيصر الاقتصادي الرئيس. وكان وجوده في الجناح الغربي (للبيت الأبيض) ميزة كبيرة إذا عقد اتفاقًا مع الرئيس.

قالت ليزا، زوجة كوهن، إن عليه أن يفعل ذلك لأنه يدين بالكثير للبلاد. «أنت بطيء جدًا، وبدين جدًا، ومسنّ جدًا، ولن تستطيع أن تخدم بلدك بطريقة أخرى».

عاد كوهن لرؤية ترامب وأعرب عن رغبته في تولي منصب مدير المجلس الاقتصادي الوطني، لاسيّما وأن أي عمل اقتصادي سيمرّ عبره. وكان المحفظة التي تعادل في المسائل الاقتصادية منصب مستشار الأمن القومي في السياسة الخارجية.

«طبعًا»، قال ترامب. «ستديره كما تشاء. سنقوم بأمور عظيمة معًا».

كان بريبوس الذي حضر الاجتماع قلقًا من التعيينات الفورية. فقال لترامب: «أنوظّف الرجل، وهو ديمقراطي صوّت لهيلاري كلينتون، لإدارة مجلسنا الاقتصادي؟ لماذا؟ ألا يفترض بنا أن نتحدث عن هذا؟ أنا متأكد من أنه ذكي حقًا. ولكن، يجب أن نناقش الأمر قبل أن نقدم وظيفة من هذا النوع، أليس كذلك؟».

---

(١) Donald J. Trump, "Press release—President- Elect Donald J. Trump to Nominate Steven Mnuchin as Secretary of the Treasury, Wilbur Ross as Secretary of Commerce and Todd Ricketts as Deputy Secretary of Commerce," November 30, 2016. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www .presidency.ucsb.edu/ws/?pid=119711

«آه»، قال ترامب. «لا نحتاج إلى مناقشة الأمر». وفي النهاية، عُرضت الوظيفة وتمَّ قبولها. «سيكون رائعًا».

بعد يوم واحد من عيد الميلاد[1] عام ٢٠١٦، اتصلتُ بمايكل فلين، مستشار الأمن القومي الذي عيّنه ترامب حديثًا. كان في إجازة في فلوريدا يزور أحفاده. وكان، وهو جنرال مولع بالجدل، ومتقاعد برتبة ثلاث نجوم، ومتخصص في الاستخبارات، يعمل إلى جانب ترامب خلال الحملة مستشاراً في السياسة الخارجية. وفي المؤتمر القومي للحزب الجمهوري، قاد بحماسة هتافات الجماهير الداعية إلى «سجن» هيلاري كلينتون، لكنه اعتذر لاحقًا. وكان أوباما قد عزل فلين من رئاسة وكالة الاستخبارات العسكرية عام ٢٠١٤ بسبب إخفاقاته الإدارية. وبعد الحملة، تجاهل ترامب نصيحة أوباما بعدم تعيين فلين مستشارًا للأمن القومي.

اتصلت بفلين للوقوف على رأيه في مسألة روسيا. فقد كان كثيرون من مسؤولي الاستخبارات والبنتاغون قد أخبروني أن روسيا تحركت في السنوات الأخيرة لتحديث قدراتها النووية وتحسينها، بامتلاك غواصة تُطلق الصواريخ الباليستية وصاروخين باليستيين عابرين للقارات.

«نعم، بالضبط»، أجاب فلين في التسجيل. قال إن روسيا، وهي تحت إدارة بوتين في الأعوام السبعة أو الثمانية الأخيرة، «لم تتفوق على الولايات المتحدة فحسب، بل فاقتنا أيضاً دهاءً وحيلة».

وأوضح أنه بدأ بالحديث مع ترامب عن بناء الترسانة الروسية قبل ١٨ شهرًا، عام ٢٠١٥ عندما التقيا للمرة الأولى. وقال إنهما اتفقا على أن الولايات المتحدة قد تخلت عن الكثير من قدراتها وتدريباتها واستعدادها وتطوّرها.

قال إن بوتين، و«بطريقة منظمة»، لم يحسّن قوته النووية فحسب، بل طوّر قواته التكتيكية والتقليدية والقوات الخاصة أيضاً. «إذا أصبحت روسيا خصمًا، وذهبنا إلى مواجهة معها، فسوف يتكشف لنا أنَّ بوتين يستخدم الابتكار والتكنولوجيا والجهد المطلق».

ثم تحدث فلين صراحة عن قدرة الولايات المتحدة على اختبار الأسلحة النووية. وكان آخر اختبار للولايات المتحدة يعود إلى العام ١٩٩٢. وأضاف: «علينا أن نقرر ما إذا كنا نريد اختبار الأسلحة من جديد». ربَّما كانت اختبارات الكمبيوتر غير كافية. لكنَّ المهم أن نعرف أن هذه الأسلحة لا تزال تعمل.

«في نصيحتي إلى الرئيس، قلتُ إن علينا أن نكرس الوقت والطاقة والموارد لذلك». وكانت خطة ترامب أن نتحدث ونتصرف بحزم: أرسل «طلقة تحذيرية» إلى بوتين. وأضاف: «سنستند إلى

(١) مقابلة مع مايكل فلين، ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٦.

استراتيجية ريغان»: «كن عدوانيًا ثم تفاوض». «يجب أن نوضح في الوقت نفسه أننا سنتعامل مع روسيا. لا يمكنك أن تعتمد على رأي واحد في الشأن الروسي».

تعرّض فلين لحملة انتقادات واسعة[١] بسبب توجهه إلى روسيا للظهور في مقابلة على شبكة التلفزيون المملوكة للدولة عام ٢٠١٥ مقابل ٣٣ ٧٥٠ دولارًا أميركيًا. وقد برّر زيارته بأنها كانت فرصة لا ينبغي تفويتها، وعليه أن يلتقي بوتين. «أي شخص قد يذهب»، على ما قال.

وجّه فلين، في جلسة أسئلة وأجوبة في موسكو، نداءً قياسيًا لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة لقهر «داعش»، وأكد أهمية تحديد العدو، وعدم محاولة احتواء «داعش» كما فعل أوباما. وعن السياسة الخارجية عمومًا، أخبرني فلين «أن الرئيس المنتخب ورث هذا المأزق الحرج في كل أنحاء العالم. والعالم اليوم في حال فوضى عارمة. يجب تنظيف الكثير».

(١) Rosalind S. Helderman and Tom Hamburger, "Trump Adviser Flynn Paid by multiple Russia-Related Entities, New Records Show," *The Washington Post*, March 16, 2017.

الفصل الثامن[1]

أمر الرئيس أوباما بعد الانتخابات رؤساء أجهزة استخباراته بإعداد تقرير نهائي وسري جدًّا عن التدخل الروسي في الانتخابات، مع كل المصادر والتفاصيل.

وسيجري إطلاع الرئيس المنتخب ترامب وعصابة الثمانية في الكونغرس عليه.

وستُنشر نسخة عنه غير سرية ومحدودة الحجم[2] مع الاستنتاجات نفسها، ولكن من دون تحديد المصادر، وقبل أن يترك أوباما منصبه في ٢٠ كانون الثاني/يناير.

التقى مدير الاستخبارات الوطنية جيمس كلابر، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية جون برينان، ومدير مكتب التحقيقات الفيدرالي جيمس كومي، ومدير وكالة الأمن القومي مايك روجرز، للعمل على نقاط الحوار للإحاطة الإعلامية لترامب. وكانوا يعلمون أنه سيرى في التقرير تحدياً لفوزه، ما يلقي بالشك على شرعية انتخابه، واتفق الجميع على وجوب التحدث بصوت واحد.

«هذه هي قصتنا ونحن نلتزمها»، قال كلابر، مشجعًا التضامن. سيكون كلابر المتحدث الرئيس. كان من الضروري أن يتحدثوا بثقة. ومن الواضح أن الإحاطة كانت ستثير الوحش.

في وقت سابق، أي في كانون الأول/ديسمبر، اتصل برينان بكلابر، ليطلعه على نسخة من ملف من ٣٥ صفحة، وهو عبارة عن سلسلة تقارير من الضابط البريطاني السابق في جهاز الاستخبارات

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) اقرأ النسخة غير المصنفة لمجتمع الاستخبارات بتاريخ ٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧، تقرير على الموقع الإلكتروني لمدير الاستخبارات الوطنية، https://www.dni.gov/files/documents/ICA_2017_01.pdf.

البريطاني (الاستخبارات العسكرية، القسم ٦) تحدثت عن جهود مزعومة من جانب روسيا للتدخل في الانتخابات الرئاسية والتأثير فيها، لإحداث فوضى، وإلحاق ضرر بهيلاري كلينتون ومساعدة ترامب. ويحتوي الملف أيضًا على ادعاءات قوية عن ترامب، والبغايا الروسيات، و«الاستحمام الذهبي».

«يجب أن تقرأ ذلك». قال برينان لكلابر. كان مكتب التحقيقات الفيدرالي قد أجرى تحقيقًا استخباريًا مضادًا وسريًا جدًا، ليعرف مدى التواطؤ بين حملة ترامب وروسيا. «سيضيف ذلك دليلًا على ما نقوم به». لم يكن دليلًا، لكنه بدا على المسار نفسه.

تشاور كلابر مع مكتب التحقيقات الفيدرالي: «كيف يجب علينا التعامل مع ترامب؟»

كان مكتب التحقيقات الفيدرالي على علم بالوثيقة. وقد شارك ستيل في أجزاء من الملف[١]. وفي ٩ كانون الأول/ديسمبر، سلّم السيناتور جون ماكين نسخةً منه إلى مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي كومي.

شعر أندرو مكابي، نائب مكتب التحقيقات الفيدرالي، بالقلق. فقد رأى أن الإخفاق في إخبار الرئيس المنتخب ترامب عن الملف عند إطلاعه على تقرير الاستخبارات عن روسيا، سيجعل مكتب التحقيقات الفيدرالي يبدو وكأنه عاد إلى أيام جاي إدغار هوفر القديمة، ما يعني أن لدينا مأخذًا على الناس، لكننا نحتفظ بالمعلومات لأنفسنا. وقد وافق كومي على ذلك. إذ لا يزال إرث هوفر يرخي بظلاله على المكتب.

أراد كلابر التأكد من أنهم وضعوا نموذجًا محترفًا متّسقًا، وهم يدمجون معلوماتهم الاستخبارية في تقرير واحد. فقد كان لمكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية معايير مختلفة.

يُجري مكتب التحقيقات الفيدرالي تحقيقات جنائية، إضافة إلى جمع المعلومات الاستخباراتية. ويميل المكتب إلى أن يكون أكثر صرامة في تحديد مصادرها والتحقق منها. وما بدأ كتحقيق محض في مكافحة التجسس، يمكن أن يتحول تحقيقًا جنائيًا، حيث تصبح المعلومات الاستخباراتية دليلًا صالحًا للاستخدام في المحكمة.

وتتمثل مهمة وكالة الاستخبارات المركزية في جمع المعلومات الاستخبارية وتوزيعها على البيت الأبيض وبقية الحكومة الفيدرالية. وليس ضروريًا أن تكون متينة لأنها لن تُستخدم عادة في محاكمة جنائية.

---

(١) Max Greenwood, "McCain Gave Dossier Containing 'Sensitive Information' to FBI," *The Hill*, January 11, 2017.

وكما كان شبح هوفر يطارد مكتب التحقيقات الفيدرالي، كان لوكالة الاستخبارات المركزية شبحها الخاص. وفي الفترة التي سبقت غزو العراق عام ٢٠٠٣، ارتكبت وكالة الاستخبارات المركزية خطأً فادحًا. ونتيجة للأكاذيب التي رواها مصدر رئيس، أطلق عليه اسم «كورفبول» في شكل مثير للدهشة، زعم أنه عمل في مختبر متنقل للأسلحة الكيميائية في العراق، فخلصت وكالة الاستخبارات المركزية إلى أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل. وكانت القضية «ضربة قاضية»، بحسب العرض الذي قدمه جورج تينيت، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركة، أمام جورج دبليو بوش. وكان الوجود المزعوم لأسلحة الدمار الشامل هو المبرر الرئيس لغزو العراق. إلّا أنه لم يُعثر على أسلحة دمار شامل، ما أحرج كثيرًا الرئيس ووكالة الاستخبارات المركزية.

كان كلابر يعلم أن ذلك الخطأ يحوم حول الكثير مما تقوم به وكالة الاستخبارات المركزية وتحلله. وكان أحد إجراءات الوكالة إخضاع المصادر لمكشاف الكذب كلما كان ذلك ممكنًا. وعلى الرغم من أن اجتياز اختبار كشف الكذب لن يُعدَّ أبدًا إثباتًا كاملًا، إلا أنه كان مقياسًا جيدًا للصدق.

أمّا المصادر التي استخدمها ستيل في ملفه، فلم تخضع لمكشاف الكذب، الأمر الذي جعل معلوماتها غير مثبتة، وقد تكون موضع شك. لكن برينان قال إن المعلومات تتماشى مع مصادرهم الخاصة، والتي كانت لديه ثقة كبيرة بها.

عُمّم الملف على الصحافيين، وأجرى ستيل مقابلات سرية مع المراسلين، لكنها لم تنشر.

ذكر التقرير في الصفحة الثانية[١]: «وفق المصدر «د»، حيث كان/كانت حاضرًا/حاضرة، شمل سلوك ترامب (المنحرف) في موسكو استئجار الجناح الرئاسي في فندق ريتز كارلتون الذي أقام فيه الرئيس والسيدة أوباما (التي يكره) في إحدى رحلاتهما إلى روسيا على ما علم، ولوّث السرير حيث ناما باستخدام عدد من المومسات لأداء «الحمام الذهبي» (التبوُّل) أمامه. وكان معروفًا أن الفندق تحت سيطرة جهاز الأمن الفيدرالي الروسي مع ميكروفونات وكاميرات مخفية في كل الغرف الرئيسة لتسجيل ما يريدون الاطلاع عليه».

«صُمّم ذلك للحصول[٢] على «مواد فاضحة» عنه لابتزازه»، وفق الملف.

كان ادعاءً مذهلًا. لم يكن هناك أي مؤشر ينبيء بهوية المصدر «د».

---

(١) Ken Bensinger, Miriam Elder and Mark Schoofs, "These Reports Allege Trump Has Deep Ties to Russia," Buzz- Feed News, January 10, 2017.

(٢) المصدر نفسه.

ولأنَّ مكتب التحقيقات الفيدرالي يملك الملف، قال كومي، فإنَّ عليه أن يقدمه إلى ترامب بعد عرض أساسي لتقويم مجتمع الاستخبارات. سيكون ملحقًا، أو حاشية تقريبًا.

وقد جرى تقليص الصفحات الخمس والثلاثين إلى ملخص من صفحة واحدة وثلاثة أرباع، سلطت الضوء على الادعاء المتعلق بالتنسيق بين الروس والحملة.

كان رد ترامب على الكورس المتنامي للتقارير الإخبارية، التي تقول إن أجهزة الاستخبارات قد خلصت إلى أن روسيا تدخلت في الانتخابات، أن هذا تصرف عدواني.

في ٩ كانون الأول/ديسمبر[١]، قال ترامب إن تلك الإنذارات الرنانة في مجتمع الاستخبارات تعود إلى «الأشخاص أنفسهم الذين قالوا إن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل». وقال لاحقًا لفوكس نيوز[٢]: «ليس لديهم أدنى فكرة عمّا إذا كانت روسيا أو الصين أو شخص ما يجلس في السرير، في مكان ما». وأشار في تغريدة[٣]: «ما لم تصطد «الهاكرز» بالجرم المشهود، فإنَّ من الصعب جدًا تحديد من كان يقوم بالقرصنة. ولماذا لم يُطرح هذا الأمر قبل الانتخابات؟».

في ٥ كانون الثاني/يناير، عقدت لجنة الخدمات المسلحة في مجلس الشيوخ جلسة استماع عن القرصنة الروسية. وقد أدلى كلابر، الذي كان سيقدم إحاطة لترامب في اليوم التالي، بشهادته. كان غاضبًا من انتقادات[٤] ترامب التي تقوّض مجتمع الاستخبارات، وقال: «هناك فرق بين الشكوك والازدراء. الثقة العامة والثقة بمجتمع الاستخبارات أمر شديد الأهمية. لقد تلقيت الكثير من التعبيرات عن القلق من نظرائنا الأجانب تتعلق بإهانة مجتمع الاستخبارات الأميركية».

في اليوم التالي، قالت كيليان كونواي[٥] على شبكة السي بي إس في برنامج «هذا الصباح»: «لماذا تريد روسيا أن يفوز دونالد ترامب بالرئاسة هنا؟ لقد وعد دونالد ترامب بتحديث قدراتنا النووية».

---

(١) Nahal Toosi, "Trump Team Rejects Intel Agencies' Claims of Russian Meddling," *Politico*, December 9, 2016.

(٢) "Trump: Claims of Russian Interference in 2016 Race 'Ridiculous,' Dems Making Excuses," Fox News, December 11, 2016.

(٣) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter .com/realdonaldtrump/status/808300706914594816

(٤) Martin Matishak and Connor O'Brien, "Clapper: Trump Rhetoric on Intel Agencies Alarming U.S. Allies," Politico, January 5, 2017.

(٥) Louis Nelson, "Conway 'Disappointed' in Media Leaks Before Intel Briefing," *Politico*, January 6, 2017

وفي مقابلة هاتفية[1] مع صحيفة النيويورك تايمز، قال ترامب: «هذا الأمر هو مطاردة للساحرات السياسية».

كانت هوب هيكس، ذات الثمانية والعشرين ربيعاً، والمتخصّصة في العلاقات العامة، والتي كانت السكرتيرة الصحافية لترامب خلال الحملة، في قاعة المؤتمرات الصغيرة في الطبقة الرابعة عشرة من برج ترامب خلال المدة الانتقالية، مطلع كانون الثاني/يناير ٢٠١٧. وقد تحلّت بميزتين مهمتين لترامب: الولاء والمظهر الجميل. عملت عارضة أزياء في مراهقتها، وهي ذات عينين ساحرتين وشعر بني طويل تصفّفه على جانب واحد، وتتمتع بالمظهر الأنيق الذي يحبه ترامب. وهي تمتلك بالإضافة إلى ذلك مهارات حقيقية في العلاقات العامة.

سألها ترامب عن الوظيفة التي تريد في البيت الأبيض. ولأنها كانت حريصة على تجنب الصراع اليومي المباشر مع الصحافة، فقد اختارت منصب مديرة الاتصالات الاستراتيجية لتتمكن من إدارة فرص ترامب الإعلامية، والتي كانت، طبعًا، بلا نهاية. كانت «الحارس الأمامي» لمقابلاته. فالجميع يريدون مقابلته. لكنّها شعرت أنه فقد بعضًا من نفوذه مع وسائل الإعلام بسبب ظهوره المفرط خلال الحملة. على أن استغلال هذه الفرص يتطلب الآن معايرة دقيقة. وقد عرفت، أكثر من أي شخص، أن ذلك قد يكون مستحيلاً مع الرئيس المنتخب.

كانت هيكس مقتنعةً بأن وسائل الإعلام تعاني «متلازمة التحدي المعادي»، وهو مصطلح من علم النفس السريري، وكثيرًا ما يطبق على الأطفال المتمردين. وتتميز «متلازمة التحدي المعادي» بالغضب المفرط ضد السلطة، والنقد، ونوبات الغضب. وفي ما يعنيها، فإنّ هذا هو ما توصف به الصحافة.

كانت هيكس تعمل في الردّ على التقارير عن التدخل الروسي في الانتخابات. وكانت التقارير الإخبارية المفرطة عما سمّته «اختراق روسيا المزعوم» قد جعلت الولايات المتحدة تبدو ضعيفة وروسيا أكثر تأثيرًا مما ظنته ممكنًا.

في ٦ كانون الثاني/يناير، جاء قادة أجهزة الاستخبارات إلى برج ترامب، فالتقى كومي الرئيس ترامب للمرة الأولى. وفي كتابه، يقدم كومي وصفًا[2]، ربما لإظهار نظره الثاقب: «كانت سترة بزته

(١) Michael D. Shear and David E. Sanger, "Putin Led a Complex Cyberattack Scheme to Aid Trump, Report Finds," *The New York Times*, January 6, 2017.

(٢) James Comey, *A Higher Loyalty* (New York: Flatiron Books, 2018), p. 218

مفتوحة وربطة عنقه طويلة جدًا، كالعادة. بدا وجهه برتقالي اللون، مع نصف قمرين أبيضين مشرقين تحت عينيه، فافترضت أنه وضع مسحوقاً لتغطية السواد حولهما، وقد صفّف شعره الأشقر بدقة. وأتذكر أنني تساءلت عن الوقت الذي يستغرقه تصفيف شعره صباح كل يوم. وعندما مد يده، قمت بملاحظة ذهنية للتحقق من حجمها. كانت يداه أصغر من يديَّ، لكنهما لم تبدُوَا غير عاديتين أيضاً».

وفي النهاية، لخّص كلابر الأحكام الرئيسة، وهي جوهر أي تقويم استخباري:

- كانت لروسيا رغبة طويلة الأمد[1] في «تقويض النظام الديمقراطي الليبرالي الذي تقوده الولايات المتحدة». ولكنّ الانتخابات الرئاسية عام ٢٠١٦. شهدت «تصعيداً كبيراً في الاتجاه ومستوى النشاط ونطاق الجهد».
- أمر بوتين «بحملة تأثير، عام ٢٠١٦، تستهدف الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة... لتقويض الإيمان العام بالعملية الديمقراطية الأميركية وتشويه سمعة الوزيرة كلينتون وإلحاق الضرر بانتخابها ورئاستها المحتملة». نحن نقدر أيضاً أن بوتين والحكومة الروسية قد أظهرا تفضيلًا واضحًا للرئيس المنتخب ترامب».
- «عندما بدا لموسكو أن من المرجح أن تفوز الوزيرة كلينتون بالانتخابات، بدأت حملة التأثير الروسية لتقويض رئاستها المستقبلية».

كانت صيغة معتدلة. وكان ترامب «اختياراً واضحًا»[2]. وكان الجهد يهدف إلى «تشويه سمعة» كلينتون و «تقويضها». ولم يكن هناك أي تلميح إلى أن ترامب أو مساعديه قد تواطأوا أو نسّقوا مع الجهد الروسي.

قال كلابر إن كل المصادر تتوافق في ما بينها. وروى قصة متّسقة من مختلف الآراء في الكرملين. وقد سميت هذه المصادر البشرية بـ «المصادر الموروثة». فقد كانت صحيحة في استخباراتها وتقويماتها على مر السنين. وقدم مصدر واحد على الأقل معلومات دقيقة تعود إلى جيل بأكمله.

وما لم يُبلَّغ عنه سابقًا الخبر الآتي: كان أحد المصادر معرضًا للخطر. وأرادت وكالة الاستخبارات المركزية سحب ذلك الشخص من روسيا إلى الخارج أو إلى الولايات المتحدة. إلّا أن المصدر رفض المغادرة، بسبب الخوف من التداعيات على أسرته إذا غادر روسيا أو اختفى فجأة.

---

(١) اقرأ النسخة غير السرية لمجتمع الاستخبارات بتاريخ ٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧، تقرير على الموقع الإلكتروني لمدير الاستخبارات الوطنية، https://www.dni.gov/files/documents/ICA_2017_01.pdf

(٢) المصدر نفسه.

لم يُعطِ كلابر أسماء المصادر لترامب، على الرغم من أنه قادر أن يطلبها.

«أنا لا أؤمن بالمصادر البشرية»، أجاب ترامب. «هؤلاء أشخاص باعوا أرواحهم وباعوا بلادهم». «وأنا لا أثق بالذكاء البشري وهؤلاء الجواسيس».

دفعت هذه الملاحظة برينان، الذي اعتمد جهازه، أي وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، في شكل شبه كامل على المصادر البشرية، إلى التعليق في وقت لاحق: «أظن أنني لن أخبر الموظفين هذا الأمر».

وما لم يُبلغ عنه أيضًا من قبل هو الآتي: تعتقد وكالة الاستخبارات المركزية أنَّ لديها ستة مصادر بشرية على الأقل تدعم هذه النتيجة. وفي وقت لاحق، أخبرني شخص يتمتع بحق الوصول إلى التقرير السري الكامل أنه يظنُّ أن اثنين فقط كانا متينين.

سأل ترامب: «هل هناك المزيد؟»

«في الواقع، نعم، هناك بعض المواد الحساسة الإضافية»، قال كلابر.

«أتريدنا أن نبقى أو تفعل ذلك بمفردك؟» سأل بريبوس ترامب.

اقترح كومي قائلاً: «كنت أفكر في أن نبقى بمفردنا».

«فقط كلانا»، قال ترامب.

وعلى الرغم من أنه كان يستطيع أن يؤدي دور الرجل القوي، إلا أن كومي أوهن إلى حد ما من أمر الخلاصة التي كان يملكها. وقد أوضح أن هناك ملفًا مع ادعاءات، كان يطّلع عليها. كانت هناك: ولم يكن يريد أن يُباغَت الرئيس المنتخب، لأن الملف كان منتشرًا على نطاق واسع. ومن المؤكد أنه سيظهر، أو ستُعلن أجزاء منه، في وسائل الإعلام.

وزعم الملف أن ترامب كان مع عاهرات في فندق بموسكو عام ٢٠١٣، وكان الروس قد صوروه. ولم يأتِ كومي على ذكر الادعاء الوارد في الملف بأن ترامب طلب من المومسات التبول بعضهن على بعض في السرير الذي استخدمه مرةً الرئيس أوباما وميشيل أوباما.

وقد كتب كومي لاحقًا: «تصورت[1] أن هذا التفصيل لم يكن ضروريًا لوضعه في الإحاطة بالمادة. وكان ذلك الأمر كله غير واقعيّ بما يكفي. وعندما كنت أتحدث، شعرت بتجربة غريبة، وكأنني كنت خارج جسمي، وكأنني أراقب نفسي أتحدث إلى الرئيس الجديد عن المومسات في روسيا».

نفى ترامب الادعاءات. هل بدا أنه يحتاج إلى البغايا؟

---

(١) James Comey, *A Higher Loyalty* (New York: Flatiron Books, 2018), p. 224

وفي كتاب «ولاء أعلى»، كتب كومي[1]: «لم يكن مكتب التحقيقات الفيدرالي يحقق معه في الوقت الراهن. وكان هذا صحيحًا. ولم يكن لدينا ما نكشفه عنه في ملف قضية مكافحة التجسس. ولم يكن يهمنا حقًا إن كان قد أخرج مع مومسات في موسكو أم لم يخرج، لاسيّما وأن الروس لم يحاولوا إكراهه بطريقة ما».

وقد كتب كومي[2] عن الطريقة التي نقل بها هذه الرسالة إلى ترامب في نهاية اجتماعهما الخاص فقال: «عندما بدأ باتخاذ موقف دفاعي. واتجهت المحادثة نحو الكارثة. في شكل غريزي. سحبت الأداة من حقيبتي: «نحن لا نحقق معك، سيدي الرئيس» وقد بدا ذلك مطمئناً له».

دام الاجتماع الخاص خمس دقائق.

لاحقًا، أخبر ترامب محاميه أنه ارتعد خوفًا بسبب العرض الذي قدمه كومي عن العاهرات المزعومات في موسكو وقال: «لديَّ مشكلات كبيرة مع ميلانيا والصديقات وغيرهنّ. وأنا لا أحتاج إلى المزيد، ولا يمكنني أن أتحمل أن تسمع ميلانيا بالأمر».

بعد الإحاطة الإعلامية، أصدر ترامب[3] بيانًا وصفها فيه بـ «البناءة». وبدا واضحًا أنه لم يتأثر بوقعها. فمحاولات التدخل من روسيا والصين وبلدان أخرى «ليس لها أي تأثير في نتائج الانتخابات، بما في ذلك حقيقة غياب أي تلاعب من أي نوع مع ماكينات التصويت».

وبعد أربعة أيام، أي في ١٠ كانون الثاني/يناير[4]، نشر موقع «باز فيد» الملف المكوّن من ٣٥ صفحة على الإنترنت.

قرأت آنذاك الوثيقة. وقد ذُكر في الصفحة ٢٧ من الملف ما يأتي: «يدعي مصدران في سانت بطرسبرغ أن المرشح الجمهوري ترامب قد دفع رشاوى ودخل في نشاطات جنسية هناك، لكن الشهود الأساسيين صمتوا، والأدلة يصعب الحصول عليها».

وأضاف: «جميع الشهود المباشرين لهذه المسألة «أُسكِتوا» أخيرًا، أي تلقوا رشوة أو أُكرهوا على الاختفاء».

---

(١) James Comey, *A Higher Loyalty* (New York: Flatiron Books, 2018), p. 216

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

(٣) Louis Nelson, "Trump Says Hacking Had 'No Effect on the Outcome of the Election,'" *Politico*, January 6, 2017.

(٤) Ken Bensinger, Miriam Elder and Mark Schoofs, "These Reports Allege Trump Has Deep Ties to Russia," Buzz- Feed News, January 10, 2017.

وقد أوضح أن لا طريق، على ما يبدو، للوصول إلى الحقيقة.

لقد فوجئت، ليس بالادعاءات التي قد تكون صحيحة، ولكن بأن يقدم رؤساء الاستخبارات، وبخاصة مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي، أيًا من هذا إلى ترامب.

كان جوهر العرض الذي قدموه في ٦ كانون الثاني/يناير هو تقويم مجتمع الاستخبارات للتدخل في الانتخابات الروسية. لقد كان ذلك تقريرًا يرون فيه أحد أهم التقويمات المقنعة، والتي وثقها مجتمع الاستخبارات أخيرًا. وفي كتابه «حقائق ومخاوف»، وصف كلابر[١] التقرير بأنه «منتوج بارز من بين أهم المواد التي أنتجتها الاستخبارات الأميركية على الإطلاق». وقد استثمرت وكالة الاستخبارات المركزية ووكالة الأمن القومي، ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالات الاستخبارات الأخرى بكثافة في جمع المعلومات الاستخبارية. ثم إنها تعرّضت لمخاطر من خلال وضع الكثير من المعلومات الحساسة في أحد التقارير التي يمكن أن تتسرب أو يتم وصفها.

من ثمّ، وكفكرة ثانوية تقريبًا، قدّم كومي الملف كما لو كان يقول، في المناسبة: هذه هي الحاشية الهائلة غير المحقق فيها، وغير المدعومة، مع بعض أقبح الادعاءات ضدك.

كانوا يريدون أن يصدق الرئيس المنتخب التقويم الرسمي. فلماذا يلوّث بملخص الملف؟ كانوا يعرفون ما يكفي عن ترامب ليدركوا أنه سيثير غضبه. وكان من المحتمل أن يغضب أي شخص. فلماذا يرفقون بعض أكثر أعمالهم جدية بهذا الملف الذي لم يتم التحقق منه؟

المواد المدرجة في الملف هي نوع من الأمور التي قد يتابعها مراسل أو مكتب التحقيقات الفيدرالي في شكل معقول. محاولًا تعقب أصولها، وتحديد موقع بعض المصادر، ومعرفة ما يؤكدها. وكان على مكتب التحقيقات الفيدرالي بذل هذا الجهد كما فعل لاحقًا.

لكن تضمينه، حتى في شكل متدرج، في إحدى أهم الإحاطات الإعلامية التي قد يقدمها رؤساء الاستخبارات إلى الرئيس المنتخب، يبقى بلا معنى في نظري. وسيكون الأمر كما لو كنت حررت، وكتبت إحدى أخطر القصص المعقدة لواشنطن بوست، ثم قدمت تذييلًا لمزاعم لم يجرِ التحقق منها. أوه، في المناسبة، إليك قائمة المهام التي يجب القيام بها لإعداد تقارير إضافية سننشرها.

في «ولاء أعلى»، الذي نُشر بعد عام[٢]، يكتب كومي مطولًا عن شكوكه في طريقة تعامله مع الملف قبل أن يقابل ترامب.

---

(١) James R. Clapper, *Facts and Fears* (New York: Penguin, 2018), p. 4

(٢) James Comey, *A Higher Loyalty* (New York: Flatiron Books, 2018), p. 216

«كنت ما زلت أتولى منصب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي»، كما كتب. «كنا نعرف هذه المعلومات، وكان علينا إخبار الرجل. وقد بدا لي منطقيًا أن أقوم بذلك. كانت الخطة معقولة، فقط إذا كانت الكلمة تنطبق في سياق الحديث مع رئيس جديد عن البغايا في موسكو».

قد يتكشف الأمر بأنه الحقيقة، ولكنْ، تخيل أن يقول لك ذلك مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي.

يتابع كومي: «ومع ذلك، كنت أشعر بعدم ارتياح عميق حيال الخطة... كانت هناك فرصة حقيقية لأن يفترض دونالد ترامب السياسي وصانع الصفقات الذي لا يتورع عن القيام بأي عمل لتحقيق مراده، أنني أقحم قصة المومسات للضغط عليه، وكسب النفوذ. وقد يفترض أيضاً أنني أتصرف مثل جاي إدغار هوفر، لأن ذلك ما كان سيفعله هوفر لو كان مكاني. ذلك أن التعجب أو عدم الموافقة لن يحلّا هذه القضية في شكل عادل: وسيكون الأمر مزعجًا جدًّا».

في ١٥ كانون الثاني/يناير، وقبل خمسة أيام[١] من احتفال التنصيب، ظهرت في البرنامج السياسي يوم الأحد على قناة فوكس نيوز، فقلت: «أحيا في هذا العالم منذ ٤٥ عامًا حيث تحدث أمور ويدعي الناس أشياء. هذا المستند تافه. لم يكن ينبغي قط تقديمه على أنه جزء من إحاطة استخبارية. من حق ترامب أن ينزعج من ذلك». ارتكب مسؤولو الاستخبارات «الرائعون. والذين قاموا بعمل عظيم، خطأ هنا: وعندما يخطئ الناس، يجب أن يعتذروا»... إن المسار الطبيعي لمثل هذه المعلومات، كما في الإدارات الماضية، أن تُمرر إلى مستشار البيت الأبيض المقبل. دع محامي الرئيس الجديد يتعامل مع «الأطباق الساخنة».

بعد ظهر ذلك اليوم، غرَّد ترامب[٢]: «شكرًا لبوب وودرد الذي قال: «هذه وثيقة تافهة...لم يكن ينبغي قط تقديمها... من حق ترامب أن يستاء...»».

لم يكن من دواعي سروري أن أبدو منحازًا إلى أحد الأطراف. لكنني شعرت بقوة أن مثل هذه الوثيقة، حتى في صيغة مختصرة، كانت فعلًا «تافهة» وكان يجب معالجتها في شكل مختلف.

لقد أدَّت الحادثة دورًا كبيرًا في إطلاق حرب ترامب على عالم الاستخبارات، وبخاصة مكتب التحقيقات الفيدرالي وكومي.

---

(١) *Fox News Sunday* transcript, Fox News, January 15, 2017

(٢) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter .com/realdonaldtrump/status/808300706914594816

الفصل التاسع[1]

بعد خمسة أيام على أداء القسم، في ٢٥ كانون الثاني/يناير، دعا الرئيس ترامب كبار مستشاريه وفريق الأمن القومي إلى البيت الأبيض لتناول العشاء. تقدَّم ماتيس، وزير الدفاع الجديد، من ترامب بخطط عن عملية وضعتها «مجموعة القوات الخاصة في البحرية الأميركية» ضد أحد كبار معاوني تنظيم القاعدة في اليمن.

وصف كيف سيشن عشرات رجال الكومندوس هجومًا، آملين في الاستيلاء على المعلومات الاستخبارية والهواتف والحواسيب المحمولة وقتل المتعاون، وهو أحد قادة تنظيم القاعدة القلائل الذين لا يزالون على قيد الحياة.

ستكون العملية الأولى في اليمن بعد مرور عامين. وقد نُظِرَ فيها سابقًا، لكنَّ الرئيس أوباما أجَّلها. يريد العسكريون ليلةً غير مقمرة لشن الهجمات، وإحداها قريبة.

كان لدى بانون أسئلة عن المعضلات الكبرى في اليمن. تساءل القائد الملازم السابق في سلاح البحرية لماذا لا يمكن قطع إمداد الأسلحة عن المتمردين الحوثيين ومنعها من طريق البحر.

«أنت تسيطر على الجو»، قال بانون. «لديك البحرية الأميركية، وتتحكّم في البحر. ما حجم صعوبة ذلك؟».

«إنه خط ساحلي كبير»، أجاب ماتيس.

«ستيف»، قال ترامب بصبر نافد: «هذا ما يفعله هؤلاء الرجال. دعهم يقوموا بذلك». أي، بعبارة أخرى، اصمت.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

وقّع ترامب الأمر. وشُنّت الغارة قبل فجر الأحد ٢٩ كانون الثاني/يناير. وقعت أخطاء كثيرة[١]. خلال قتال استمر ٥٠ دقيقة. قُتل أحد أفراد القوات الخاصة، وأصيب ثلاثة، وقُتل مدنيون، بمن فيهم أطفال.لم تتمكّن مروحية تابعة لسلاح البحرية من طراز أوسبراي MV-22 تكلفتها ٧٥ مليون دولار أميركي، من الإقلاع مجددًا بعد هبوطها. كان يجب تدميرها عمدًا لئلّا تقع في يد العدو.

كان الجندي في القوات الخاصة وليام «راين» أوينز، ٣٦ عامًا، من بيوريا، إلينوي، الضحية الأميركية الأولى التي تسقط في قتال بعد تولّي الرئيس ترامب الحكم. قرّر ترامب الذهاب إلى دوفر في ولاية ديلاوير للإشراف على مراسم وصول جثته. وقد رافقته إيفانكا.

عندما وصلا إلى دوفر، تنحّى القائد بالرئيس جانبًا. وفق ما أخبر ترامب كبار موظفيه لاحقًا. قال القائد: أريد إعدادك لهذا، سيدي الرئيس. عندما تدخل، ستأتي العائلة إليك. ستكون تجربة لا مثيل لها. أنت القائد العام. الاحترام الذي يكنونه لك، وحزنهم، سيكونان أمرًا لا يصدق. ستكون هناك لمواساتهم. عندما تحطّ الطائرة، وينزل النعش المغطّى بالعلم، سيفقد بعض أفراد العائلة أعصابهم، وسيفقدونها كثيرًا. من ناحية أخرى، كن مستعدًا لسماع بعض الأشخاص يتفوّهون بكلام غير لائق، بل حتى قاس.

لم يقل أحد شيئًا قاسيًا. ولكن سادت برودة قاطعة تذكّرها الرئيس.

«هذا صعب»، قال بعد ذلك. كان من الواضح أنه انزعج. سمح بأن يُعرف أنه لن يقوم بمزيد من الرحلات إلى دوفر.

كان والد أوينز، بيل أوينز[٢]، في دوفر، لكنه وزوجته رفضا مقابلة ترامب.

«آسف»، قال أوينز للقسيس. لا أريد مقابلة الرئيس. لا أريد أن أُثير النفوس، لكن ضميري لن يسمح لي بالتحدث إليه.

وقال لاحقًا[٣]: «قبل سنتين، لم تطأ جزمة أرض اليمن. كان كل ما في الأمر صواريخ وطائرات

(١) للاطلاع على أفضل معلومات عامة عن هذا الحدث، Eric Schmitt and David E. Sanger, "Raid in Yemen: Risky from the Start and Costly in the End," *The New York Times*, February 1, 2017; and Thomas Gibbons-Neff and Missy Ryan, "In Deadly Yemen Raid, a Lesson for Trump's National Security Team," *The Washington Post*, January 31, 2017.

(٢) Julie K. Brown, "Slain SEAL's Dad Wants Answers: 'Don't Hide Behind My Son's Death,'" *Miami Herald*, February 26, 2017.

(٣) المصدر نفسه.

من دون طيار. لأن لا هدف هناك يساوي حياةً أميركية واحدة. اليوم، أصبح علينا فجأة أن نقوم بهذا العرض الكبير».

وبدلًا من توجيه الانتقادات إلى ما فعله ترامب مع آل خان، وهما الوالدن المنضويان في المنظمة الأميركية «النجمة الذهبية» واللذان ظهرا في المؤتمر الديمقراطي عام ٢٠١٦، أعرب ترامب عن تعاطفه مع والد أوينز.

قال ترامب في وقت لاحق «أتفهّم أن يقول الناس ذلك[١]. أشعر... هل تعرف أسوأ من هذا الموقف؟ لا شيء أسوأ منه».

وقال كثر من المسؤولين السابقين في إدارة أوباما إن العملية قد خُطط لها قبل أشهر عدة لكنّهم أبعدوا أوباما عنها، موضحين أنه ما كان ليوافق عليها مطلقًا.

في مقابلة[٢] مع فوكس صباح أول خطاب علني له في جلسة مشتركة للكونغرس، قال ترامب إن الغارة اليمنية كانت أمرًا «يتطلع إليه» جنرالاته «المحترمون جدًا منذ مدة طويلة».

وأضاف: «لقد خسروا راين».

دعا ترامب كارين أوينز، أرملة راين والأم لثلاثة أطفال، إلى الجلوس في الشرفة يوم الخطاب في الجلسة المشتركة للكونغرس في ٢٨ شباط/فبراير. جلست قرب إيفانكا.

قال ترامب أمام مجلسي الشيوخ والنواب[٣] و٤٧ مليون مشاهد، على شاشات التلفزة: «إننا محظوظون بانضمام كارين أوينز إلينا اليوم. استشهد راين كما عاش، محاربًا وبطلًا، يكافح الإرهاب ويحمي أمتنا».

ولأن العملية تعرضت للانتقاد، أضاف ترامب: «لقد تحدثت للتو مع الجنرال ماتيس، الذي أعاد التأكيد أن راين كان جزءًا من غارة ناجحة جدًا أثمرت كمية كبيرة من المعلومات الاستخبارية المهمة التي ستؤدي إلى مزيد من الانتصارات في المستقبل على أعدائنا. إرث راين مخلّد إلى الأبد».

التفت الرئيس إلى أرملة أوينز على الشرفة قائلًا: «شكرًا لك».

---

(١) Nolan D. McCaskill, "Trump Deflects Responsibility on Yemen Raid: 'They Lost Ryan,'" *Politico*, February 28, 2017.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) Donald J. Trump, "Address Before a Joint Session of the Congress," February 28, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project.* http://www.presidency. ucsb.edu/ws/?pid=123408

انفجر تصفيق مدوّ.

غالبت كارين أوينز بدايةً دموعها، فزفرت وتمتمت: «أُحبُّكَ عزيزي».

استمر التصفيق وبدأت دموعها تنهمر. وقفت، ضمت يديها كأنها تصلي، رفعت عينيها إلى أعلى وتمتمت: «أُحبُّكَ».

تابع ترامب: «على ما يعلمنا الكتاب المقدس، ما من حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه في سبيل أحبائه. بذل راين حياته في سبيل أصدقائه، وبلاده، وحريتنا. لن ننساه أبدًا».

دام التصفيق والحفاوة البالغة من الكونغرس والحضور دقيقتين تقريبًا.

«راين ينظر إلينا الآن من علٍ»، قال ترامب، «وتعلمون ذلك. إنه سعيد جدًّا لأنني أعتقد أنه قد حطم رقمًا قياسيًا».

ابتسمت كارين أوينز وصفّقت. حياها الرئيس وعانقها في الردهة بعد الخطاب.

حين أجرى ترامب لاحقًا اتصالات بأهالي العسكريين الذين قضوا، لاحظ موظفو البيت الأبيض كم كان الأمر صعبًا وشاقًا عليه.

«ليس الرجل المؤهل لهذه المهمة»، قال بانون. «لم يكن يومًا قريبًا من الجيش، ولا من عائلات العسكريين، ولا من الموت». فمقتل «آباء أطفال صغار» صدمه جدًّا. «كان وقع ذلك عليه شديدًا، ويظهر جليًا في كل تصرفاته».

وقال أحد الموظفين الحاضرين خلال غالبية المكالمات التي أجراها ترامب مع أفراد عائلات النجمة الذهبية إنه صُدِم من مقدار الوقت والعاطفة اللذين خصهما بهم ترامب. كان في حوزته نسخة عن الملف الشخصي لكل عنصر متوفٍ.

«أنظر إلى صورته الآن. يا للفتى الجميل»، قال ترامب في إحدى المكالمات لأفراد الأسرة. أين ترعرع؟ بأي مدرسة التحق؟ لماذا انضم إلى الجيش؟

«لدي السجل هنا»، أضاف ترامب. «تشير التقارير كم كان محبوبًا. لقد كان قائدًا عظيمًا».

كان في حوزة أحدهم في المكتب البيضاوي نسخة عن سجلات الخدمة. لا شيء مما قاله ترامب ذُكِر فيها. كان يختلقها. علِم ما تريد العائلات سماعه.

جرى اختبار للنظام الدولي: هل كان له موطىء قدم في إدارة ترامب الجديدة في الشهر الأول؟

خلال الحملة، انتقد ترامب منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، التحالف الذي يعود إلى ٦٨ عامًا مع أوروبا. اعتُبر الناتو غالبًا أنجح الجهود لمواجهة الاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة،

وأساسًا للوحدة الغربية. وتعهد الأعضاء الدفاع الجماعي، ما يعني أن الهجوم على أحدهم سيُعد هجومًا على الجميع.

جادل ترامب بأن حلف الناتو قد «عفّ عليه الزمن». كان معظم انتقاده يتعلق بالمال. وكان هدف الناتو أن تُنفق كل دولة عضو في النهاية ٢٪ من ناتجها المحلي الإجمالي على الدفاع. أنفقت الولايات المتحدة ٣,٥٪ من ناتجها المحلي الإجمالي، في حين أنفقت ألمانيا ١,٢٪ فقط.

كان على وزير الدفاع ماتيس أن يلقي خطابًا في ميونيخ، في ألمانيا، منتصف شباط/فبراير، وكان عليه تسوية سياسة الإدارة إزاء الناتو قبل ذلك الحين. هل كان ترامب مؤيدًا أم معارضًا؟

كمواطن عادي[1]، انتقد ماتيس أفكار ترامب المناهضة لحلف الناتو واصفًا إياها بأنها «غريبة». وشعر كثير من موظفي السلك الخارجي، فضلًا عن الحلفاء الغربيين، بالتوتر من انتقادات ترامب.

رتّب بريبوس عشاءً الساعة السادسة والنصف من مساء الأربعاء، ٨ شباط/فبراير، في الغرفة الحمراء في البيت الأبيض كي يسمع ترامب حجج ماتيس، ورئيس هيئة الأركان المشتركة جوزيف دانفورد ومن كثر آخرين. كذلك دعا أحد أعمدة مؤسسة الحزب الجمهوري في واشنطن، سي. بويدن غراي. كان غراي، البالغ من العمر ٧٣ عامًا، سفير الولايات المتحدة في الاتحاد الأوروبي طوال عامين خلال إدارة الرئيس جورج دبليو بوش. وكان مستشارًا قانونيًا لجورج بوش أثناء السنوات الثماني التي تولّى فيها منصب نائب الرئيس وأربع سنوات رئيسًا.

حين جلسوا لتناول العشاء، أراد ترامب الثرثرة عن أخبار اليوم. فالسيناتور جون ماكين، الذي عرض رأيًا مستقلًا عن مجموعته[2]، انتقد علنًا الغارة العسكرية الأميركية على اليمن.

اندفع ترامب مهاجمًا، مشيرًا إلى أن ماكين سلك طريقًا جبانًا للخروج من فييتنام كأسير حرب. وقال إن ماكين كطيار في البحرية أثناء حرب فييتنام. وكان والده الأدميرال جون ماكين، قائد منطقة المحيط الهادئ، تلقى عرضًا بالإفراج المبكر عنه وأطلق، تاركًا وراءه أسرى حرب آخرين.

«لا، سيدي الرئيس»، رد ماتيس سريعًا، «أعتقد أنك فهمت العكس». لقد رفض ماكين الإفراج المبكر عنه وتعرض لتعذيب وحشي واحتُجز خمسة أعوام في السجن الرئيس في هانوي، المعروف بـ «هانوي هيلتون».

«آه، حسنًا»، قال ترامب.

---

(١) Carla Marinucci, "Ex-Military Leaders at Hoover Institution Say Trump Statements Threaten America's Interests," *Politico*, July 15, 2016.

(٢) Emma Loop, "John McCain Says the Recent Yemen Raid Was a 'Failure,'" BuzzFeed News, February 7, 2017.

صُدِم غراي، الذي خدم خمسة أعوام في سلاح مشاة البحرية، لأن وزير الدفاع صحّح معلومات الرئيس مباشرة، وأن ترامب، المعروف باتخاذ موقف معاد عند تحديه، قَبِل الأمر بهذه البساطة. تحدث بريبوس أخيرًا أثناء تناول الحلوى: «علينا أن نُعالج فعلًا قضية الناتو».

كان الفريق المتقاعد، كيث كيلوغ، رئيس أركان مجلس الأمن القومي يمثل المجلس، وهو من قدامى المحاربين في فيتنام، حاز ميدالتي النجمة الفضية والبرونزية وشارك في حرب الخليج الأولى. بدأ كيلوغ بالانتقاد، مرددًا بعضًا من كلام ترامب السلبي. وقال إن حلف الناتو «عفّ عليه الزمن»؛ فقد أنشئ بعد الحرب العالمية الثانية عندما كانت الولايات المتحدة أكثر ثراء وتواجه الاتحاد السوفييتي العدواني. اليوم، تتكبد الولايات المتحدة تكلفة غير عادلة، وغير متناسبة مع الحلفاء الأوروبيين، وأنه يُستفاد من الولايات المتحدة.

«ليست تلك وجهة نظري، سيدي الرئيس»، قال الجنرال جوزيف دانفورد.

«آه، حقًّا؟»، قاطعه ترامب، «وما هي وجهة نظرك؟».

قدّم دانفورد، وهو أرفع العسكريين رتبة، دفاعًا حماسيًّا. قال إنه تحالف ينبغي ألّا يُحل، ومن الصعب إعادة عقده، مع شعور دول شرق أوروبا، مثل بولندا، بالتهديد من غزوات بوتين في شبه جزيرة القرم وشرق أوكرانيا، كان من المهم الحفاظ على التضامن والوحدة. «من المهم جدًّا أن تبقى أوروبا موحدة سياسيًّا واستراتيجيًّا واقتصاديًّا». وأيد الرأي القائل إن على الدول الأعضاء أن تلتزم بنسبة ٢٪ من ناتجها المحلي الإجمالي السنوي.

أعتقد أن الألمان سيفون بالتزامهم بدفع ٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وهم الأهم، أضاف ماتيس.

تدخل جاريد كوشنر: «كنسبة مئوية من موازنتنا الدفاعية، فإن العجز قليل جدًّا، بنسات على الدولار».

حذّر بريبوس من أن نسبة ٢٪ لم تكن فريضة، بل اتفاق حديث بأن تسعى جميع دول الناتو إلى تحقيقها بحلول العام ٢٠٢٤. ولم يكن ذلك بمثابة دفع لحلف الناتو، بل كان التزامًا حيال الإنفاق الدفاعي.

وقال ترامب: «إنها مشكلة سياسية عندما لا يدفع حلفاؤك نصيبهم العادل». سيركّز قضيته في الإنصاف، ويظل يعود إلى هذا الموضوع. لماذا ينبغي للولايات المتحدة دفع ثمن الدفاع الأوروبي؟

أدرك بريبوس أن الرئيس لم يكن يهتم بأن ذلك كان هدفًا وليس التزامًا. اهتم ترامب بأن يتمكن من تسويق فكرته ومحاولة كسب الرأي العام.

«لا يهمني إن كان ذلك هدفاً أم لا»، قال ترامب أخيرًا. «هذا ما يجب عليهم فعله».

أشار بويدن غراي إلى أن أوروبا تواجه كثيراً من المشكلات الاقتصادية. «لسنا نحن في منأى عن ذلك، لكنَّ وضعها أسوأ». تحتاج البلدان إلى تنمية اقتصاداتها أكثر. «يكمن جزء من السبب وراء عدم دفعها هو أنَّ اقتصادها لا ينمو بالسرعة الكافية».

سأل ترامب: «هل تقول إنها لا تستطيع الدفع؟».

«لا»، قال غراي. ولكن على الولايات المتحدة أن تساعد أوروبا على معدّل نموّها الاقتصادي الضعيف. إذ إن ثقافة الأعمال الأوروبية تتجنب إلى حد بعيد ركوب المخاطر.

سأل ترامب: «من الدولة التالية التي ستنسحب؟». بموجب استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي[1]، الذي وافق عليه الناخبون البريطانيون، اضطرت بريطانيا العظمى إلى مغادرة الاتحاد الأوروبي.

أجاب غراي: «لا أعتقد أنَّ بلدًا آخر سينسحب».

وقال ترامب إنه يوافق.

قال ماتيس: «لو لم يكن حلف شمال الأطلسي قائماً، لكان عليك اختراعه. لا يمكن أن تنتصر روسيا في حرب إذا ما واجهت الناتو».

ومع اقتراب العشاء من نهايته، بدا ترامب مقتنعًا. وقال لماتيس: «لك حلف شمال الأطلسي». ستدعم الإدارة التحالف. «لكنك ستصبح محصّل الإيجار».

ضحك ماتيس، ثم أومأ موافقاً.

في خطابه في ميونيخ[2] بتاريخ ١٥ شباط/فبراير، وجد السكرتير ماتيس تسوية. وقال: «ستفي أميركا بمسؤولياتها»، لكنها «ستعدّل» التزامها إذا لم تفِ بلدان حلف الناتو الأخرى بواجباتها. ومع ذلك، قال[3] إن التحالف كان «حجر أساس رئيس» لسياسة الولايات المتحدة.

في مؤتمر صحافي[4] مع الأمين العام لحلف شمال الأطلسي بعد شهرين، قال ترامب: «قلت عفّ عليه الزمن. ولم يعد كذلك».

---

(١) أجري الاستفتاء حول خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في ٢٣ حزيران/يونيو ٢٠١٦.

(٢) مداخلة وزير الدفاع ماتيس، الجلسة الأولى لمجلس شمال الأطلسي، وزراء دفاع حلف الناتو، ١٥ شباط/فبراير ٢٠١٧.

(٣) وزير الدفاع الأميركي يقول: «إن حلف الناتو حجر أساس رئيس»، رويترز، ١٥ شباط/فبراير ٢٠١٧.

(٤) Donald J. Trump, "The President's News Conference with Secretary General Jens Stoltenberg of the North Atlantic Treaty Organization," April 12, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb .edu/ws/?pid=123739

عندما التقى ترامب القادة الأوروبيين[1] في أيّار/مايو في بروكسل، انتقد دول حلف شمال الأطلسي لـ «سدادها المخفض المزمن». وقال إن «٢٣ دولة من أصل ٢٨ عضوًا لا تزال تتقاعس في دفع ما يتوجّب عليها. وما يُفترض بها أن تدفعه لسياستها الدفاعية».

أوضح أنه كان يخاطب جمهور الولايات المتحدة المحلي. «هذا ليس عادلًا للشعب ودافعي الضرائب في الولايات المتحدة».

(١) Donald J. Trump, "Remarks at the Dedication Ceremony for the Berlin Wall Memorial and the 9/11 and Article 5 Memorial in Brussels, Belgium," May 25, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www .presidency.ucsb.edu/ws/?pid=125840

الفصل العاشر[1]

بحق الجحيم! فكر بريبوس[2] وهو يقرأ قصة في صحيفة الواشنطن بوست الصادرة في ٩ شباط/ فبراير، تَذكر أن مستشار الأمن القومي مايكل فلين ناقش العقوبات المفروضة على روسيا مع السفير الروسي قبل تسلّم ترامب منصبه.

في أحد إجراءاته الأخيرة كرئيس، فرض أوباما عقوبات على روسيا في ٢٩ كانون الأول/ديسمبر ردًّا على تدخل روسيا في الانتخابات. فطرد ٣٥ جاسوسًا روسيًا مشتبهًا بهم وأمر بإغلاق مجمّعين روسيين في ماريلاند ونيويورك يعتقد أنهما متورطان في التجسس.

سأل بريبوس فلين عدة مرات عن محادثات تُجرى. ونفى فلين بشدة مناقشة العقوبات مع السفير سيرغي كيسلياك، الرجل المعروف بمرحه وحبه للعلاقات الاجتماعية في المدينة.

قبل ذلك بأسبوعين، أي في ٢٦ كانون الثاني/يناير، حضرت نائبة المدعي العام سالي ييتس إلى البيت الأبيض، وأبلغت المستشار القانوني في البيت الأبيض دونالد مكغان أن عمليات اعتراض المعلومات أظهرت أن فلين لم يكن صادقًا في شأن الاتصالات مع الروس، معربةً عن قلقها من أن يكون فلين هدفًا للابتزاز.

كان فلين قد نفى مناقشة العقوبات عشر مرات على الأقل، بحسب ما احتسب بريبوس.

ذكرت قصة الواشنطن بوست[3]، التي تحمل أسماء ثلاثة مراسلين متخصصين في مسائل

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Greg Miller, Adam Entous and Ellen Nakashima, "National Security Adviser Flynn Discussed Sanctions with Russian Ambassador, Despite Denials, Officials Say," *The Washington Post*, February 9, 2017

(٣) المصدر نفسه.

الاستخبارات عمومًا والاستخبارات الوطنية، أن «تسعة مسؤولين حاليين وسابقين» كانوا مصدرًا لتأكيدهم القاطع. وأجرى الصحافيون مقابلة مع فلين، فنفى هذه الادعاءات «بشكل قاطع» مرتين قبل أن يتراجع بردّ أكثر غموضًا. ونُقل عن المتحدث باسم فلين: «لم يكن متأكدًا من أن الموضوع لم يُذكر قط».

اتصل بريبوس بمستشار البيت الأبيض مكغان البالغ من العمر ٤٨ عامًا، وكان خبيرًا في قانون تمويل الحملات الانتخابية، وخدم خمس سنوات عضوًا جمهوريًا معيَّنًا في اللجنة الفيدرالية للانتخابات.

سأله بريبوس: هل يمكن الحصول على نصوص المحادثات التي أجراها فلين مع السفير الروسي؟ نعم، قال مكغان، بالطبع، وسرعان ما توافرت لديه سجلات سرية جدًا من ثلاثة اتصالات بين فلين وكيسلياك كان مكتب التحقيقات الفيدرالي قد اعترضها خلال المراقبة الروتينية للسفير الروسي.

انضمَّ إلى مكغان وبريبوس نائب الرئيس بنس في غرفة العمليات لمراجعة النصوص. دعم بنس إنكار فلين جهارًا. وفق مذكرة مكتب من مستشار داخلي في البيت الأبيض مؤلفة من ست صفحات[1]، قال فلين إنه إذا ناقش هو وكيسلياك العقوبات، «فذلك فقط لأن كيسلياك طرحها. يظهر في النسَخ أن فلين قد أثار القضية. اتفق مكغان وبريبوس على ضرورة إقالة فلين».

في النسخ الثلاث، ناقش فلين والسفير العقوبات. وفي المكالمة الأخيرة، التي بدأها كيسلياك، شكر السفير لفلين نصيحته في شأن العقوبات، قائلًا إن الروس سيعملون بها.

هذا ما أوضحته القصة، الأمر الذي يفسّر رد بوتين السلبي على العقوبات. كان من المتوقع بشكل طبيعي أن ينتقم الرئيس الروسي بطرد بعض الأميركيين من روسيا. ولكن في اليوم الذي أعقب إعلان أوباما العقوبات، ردَّ بوتين أنه لن يفعل ذلك.

أشاد الرئيس المُنتخب ببوتين[2]، مغردًا: «خطوة مهمة مُرجأة (قام بها ف. بوتين). لطالما عرفتُ أنه ذكي جدًا!».

يوحي التسلسل بأن ترامب ربما علم بدور فلين. ولكن لم يتضح ما الذي قاله فلين للرئيس عن محادثاته مع كيسلياك.

أخبر بريبوس الرئيس أنه يجب إقالة فلين من مهماته، وقد تُرفع عنه الحصانة. سيكون الإحراج كبيرًا.

---

(١) وثيقة حصل عليها مؤلف الكتاب.

(٢) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter .com/realdonaldtrump/status/814919370711461890

أُعلنت استقالة فلين[1] في ١٣ شباط/فبراير. كان السبب الرئيس الذي قُدّم علنًا هو أن فلين كذب على نائب الرئيس بنس. أخبر ترامب آخرين في إدارته أنه أقاله فلين من مهماته لأنه لم يكن على مستوى مسؤولية منصبه.

كانت الأشهر التسعة التالية صعبة على فلين. واعترف لاحقًا بالذنب في أمر واحد، وهو الكذب على مكتب التحقيق الفيدرالي.

أخبر فلين معاونيه أنه لا يظن أنه كذب قد على مكتب التحقيقات الفيدرالي عندما خضع للمقابلات. أربعة أيام في الإدارة. وقد جاء عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي للحديث معه عن أمور أخرى غير روسيا. ولم يصدق أنها كانت مقابلة رسمية.

لماذا اعترف فلين بالذنب؟ أُجري التحقيق في مجموعة من الجرائم المحتملة، بما في ذلك إخفاقه في الإبلاغ عن الدخل من تركيا، والإبلاغ عن جهات الاتصال في الخارج، والتسجيل كجهة ضغط قبل الانضمام إلى إدارة ترامب.

قال فلين لمساعديه إن فواتيره القانونية كانت هائلة، كما هي حال ابنه الذي كان يخضع للتحقيق أيضًا. ويبدو أن إقرارًا بالذنب من أجل الكذب هو السبيل الوحيد للخروج من المأزق. وذكر في بيان[2] قائلاً: «أتحمل المسؤولية الكاملة عن أفعالي»، مضيفًا أنه «تعهّد بالتعاون». ونفى أن يكون قد ارتكب «خيانة»، وهو إنكار واضح بأنه تواطأ مع الروس.

دعا ماتيس يوم السبت ٢٥ شباط/فبراير، أي بعد خمسة أسابيع على توليه منصبه، إلى اجتماع ظهرًا في مقر إقامة وزير الدفاع في المرصد البحري القديم بالقرب من وزارة الخارجية. وضم الحضور بعض كبار رجال السياسة الخارجية، الجنرال المتقاعد أنتوني زيني، وعددًا من السفراء السابقين وبعض موظفي ماتيس. كان مقر ماتيس شبه خالٍ من الأثاث، فجلسوا إلى طاولة غرفة طعام لمناقشة ما يبدو مسألة حكومية. قال ماتيس إنه أتى بأربع حقائب.

«يجب أن تروا مرفق المعلومات المجزّأة والحساسة المتوافر لي»، أضاف. كان المرفق الذي يُستخدم لمناقشة المعلومات الحساسة والسرية وبرامج الوصول إليها بشكل آمن في الطبقة العلوية. «لست مضطرًا أبدًا إلى مغادرة المقر. يمكنني القيام بكل العمل من هنا».

أشار ماتيس إلى أن الرئيس ترامب مستمع جيد، ما دمت لا تصطدم بإحدى سككه الثلاث

---

(١) Greg Miller and Philip Rucker, "Michael Flynn Resigns as National Security Adviser," *The Washington Post*, February 14, 2017.

(٢) Carol D. Leonnig, Adam Entous, Devlin Barrett and Matt Zapotosky, "Michael Flynn Pleads Guilty to Lying to FBI on Contacts with Russian Ambassador," *The Washington Post*, December 1, 2017.

وأهمّها الهجرة والصحافة. إن فعلت، فهو عرضة للخروج عن طوره وألّا يعود إلى مجرى الحديث لوقت طويل. «لا يمكن لوزراء الدفاع دومًا اختيار الرئيس الذي يعملون من أجله».

ضحك الجميع.

كان موضوع الاجتماع هو الخطة المضادة لتنظيم داعش التي يريدها الرئيس فورًا. قال ماتيس إننا في الأساس نقوم بالأمور بشكل عكسي. نحاول استنباط استراتيجية مضادة لداعش، من دون استراتيجية أوسع وأشمل للشرق الأوسط. سيكون لدينا بشكل مثالي، استراتيجية للشرق الأوسط، والجزء المخصص لداعش سيكملها ويدعمها. لكنّ المهمة التي كلفنا بها الرئيس تتطلب استراتيجية ضد داعش أوّلًا.

في النهاية، كانت استراتيجية محاربة داعش استمرارًا لاستراتيجية إدارة أوباما، ولكنْ مع منح صلاحية القصف وسواها من الصلاحيات للقادة المحليين. كان ماتيس قلقًا من التوسع الإيراني. وفي وقت ما، أشار في معرض حديثه لاحقًا إلى «هؤلاء الملالي، ذوي العمامات، المغفلين».

صباح أحد أيام شباط/فبراير، حضر فريق من كبار مسؤولي الاستخبارات إلى مكتب بريبوس في الجناح الغربي في البيت الأبيض لإحاطته بضرورة بقائه حذرًا من الذين يسعون للتأثير فيه بطريقة غير سليمة. إنه تحذير موحّد لحَمَلة أرفع التصاريح الأمنية.

«قبل أن نغادر»، قال نائب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي أندرو مكابي، رافعًا يده: «أحتاج إلى الاختلاء بك خمس دقائق في مكتبك».

ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ تساءل بريبوس. تذكّر فقط مكابي لأنه التقاه قبل أسابيع عدة في غرفة العمليات.

أقام ترامب الدنيا وأقعدها في شأن زوجة مكابي[1]، جيل، وهي ديمقراطية. أثناء حملته الرئاسية، كانت تلقت مبلغًا قيمته ٢٨٨ ٦٧٥ دولارًا أميركيًا[2] لحملة غير ناجحة عام ٢٠١٥ لمقعد سيناتور في فيرجينيا من لجنة العمل السياسية للحاكم تيري ماكوليف وحزب فرجينيا الديمقراطي. كان ماكوليف أحد أقرب الأصدقاء الشخصيين والسياسيين لبيل وهيلاري كلينتون، وكذلك أكبر جامع تبرعات لإعادة انتخاب بيل كلينتون عام ١٩٩٦.

(١) D'Angelo Gore, "Clinton's Connection to FBI Official," FactCheck.org, October 25, 2016

(٢) المصدر نفسه. كذلك: "Trump Wrong About Campaign Donations," FactCheck.org, July 26, 2017

وصف ترامب هذه الأموال بأنها تبرعات من هيلاري. لم يتنازل عن القضية[١]، متحدثًا ومفردًا عنها لاحقًا. بعد الإحاطة الأمنية وخروج الجميع، أغلق مكابي باب مكتب بريبوس. والأمر غريب، أنه رأى بريبوس، الذي وقف قرب مكتبه.

«هل قرأت تلك القصة في النيويورك تايمز؟»[٢]. قرأها بريبوس بحذافيرها. كان مكابي يشير إلى قصة صدرت أخيرًا في صحيفة التايمز في ١٤ شباط/فبراير أفادت أن «التسجيلات الهاتفية والمكالمات التي جرى اعتراضها تُظهر أن أعضاء في فريق حملة دونالد ج. ترامب الرئاسية وغيرهم من مساعديه قد أجروا اتصالات متكررة مع مسؤولين كبار في الاستخبارات الروسية في العام الذي سبق الانتخابات، وفق أربعة مسؤولين أميركيين حاليين وسابقين».

كانت القصة إحدى أولى القنابل التي انفجرت في مسألة العلاقات المزعومة بين ترامب والروس بعد استقالة فلين.

«إنها تفاهة بالكامل»، قال مكابي. «الأمر غير صحيح، ونريدك أن تعلم ذلك. القصة مبالغٌ فيها كثيرًا».

يا إلهي، فكّر بريبوس.

«أندرو»، قال لنائب مكتب التحقيق الفيدرالي، «أنا أتعرَّض للقتل».

يبدو أن القصة المتعلقة بروسيا والتدخل في الانتخابات يجري تناقلها على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع عبر أخبار الكوابل، مثيرة جنون ترامب، وبالتالي جنون بريبوس.

«هذا جنون»، قال ترامب لبريبوس. «علينا إيقاف ذلك. نحتاج إلى وضع حد للقصة».

لقد دخل مكابي للتو مع هدية كبيرة، يوم عيد الحب. سأكون بطل هذا الجناح الغربي كاملًا. فكّر بريبوس.

«هل يمكنك مساعدتي؟»، سأل بريبوس. «هل يمكن الكشف عن هذه الضربة القاضية للقصة؟».

«اتصل بي بعد ساعتين»، قال مكابي، «سأسأل وأعلمك بالأمر. وأرى ما يمكنني فعله».

---

(١) راجع تغريدات ترامب على تويتر، https://twitter .com/realdonaldtrump/status/889792764363276288; https://twitter.com /realdonaldtrump/status/890207082926022656; https://twitter.com/real donaldtrump/status/890208319566229504

(٢) Michael S. Schmidt, Mark Mazzetti and Matt Apuzzo, "Trump Campaign Aides Had Repeated Contacts with Russian Intelligence," *The New York Times*, February 14, 2017.

ركض بريبوس فعلًا لإبلاغ ترامب الخبر السار ومفاده أن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيقضي قريبًا على قصة التايمز.

مضت ساعتان ولم يتلقّ مكالمة من مكابي. اتصل به بريبوس.

«آسف. لا أستطيع». قال مكابي. «لا يمكنني القيام بشيء حيال ذلك. لقد حاولت. ولكن إذا بدأنا بإصدار تعليقات على قصص فردية، فعلينا أن ندلي بالتصريحات كل ثلاثة أيام».لم يكن في وسع مكتب التحقيقات الفيدرالي أن يصبح غرفة مقاصّة لدقة القصص الإخبارية. إذا حاول مكتب التحقيقات الفيدرالي فضح بعض القصص، فيمكن عدُّ الإخفاق في التعليق تأكيدًا.

«أندرو، أنتَ من أتى إلى مكتبي لإخباري أن تلك القصة «مجرد هراء». وها أنت تقول لي الآن إنك لا تستطيع القيام بشيء؟».

أجاب مكابي أن ذلك هو موقفه.

«هذا جنون». قال بريبوس. «ماذا يُفترض بي أن أفعل؟ أعاني فقط. أنزف؟».

«امنحني ساعتين إضافيتين».

لم يحدث شيء، ولا جاء اتصال من مكتب التحقيقات الفيدرالي. حاول بريبوس أن يشرح لترامب الذي كان ينتظر إنكارًا للقصة. كان ذلك سببًا آخر لترامب لعدم الثقة بمكتب التحقيقات الفيدرالي وكرهه. كانت القشة التي قصمت ظهر البعير.

بثّت شبكة السي إن إن حصريًا بعد أسبوع تقريبًا، أي في ٢٤ شباط/فبراير(١) الخبر الآتي: «مكتب التحقيقات الفيدرالي يرفض طلب البيت الأبيض إسقاط قصة ترامب وروسيا الأخيرة». اتُّهم بريبوس بأنه يحاول التلاعب بمكتب التحقيقات الفيدرالي لأغراض سياسية.

حاول البيت الأبيض وأخفق في تصحيح القصة وإظهار أن مكابي قد بدأ الأمر.

بعد أربعة أشهر، أي في ٨ حزيران/يونيو(٢)، أدلى كومي بشهادته تحت القسم علنًا. فقال إن قصة النيويورك تايمز الأصلية عن اتصالات مساعدي حملة ترامب مع كبار مسؤولي الاستخبارات الروسية «في الأساس لم تكن صحيحة».

---

(١) Jim Sciutto, Evan Perez, Shimon Prokupecz, Manu Raju and Pamela Brown, "FBI Refused White House Request to Knock Down Recent Trump-Russia Stories," CNN, February 24, 2017.

(٢) Michael S. Schmidt, Mark Mazzetti and Matt Apuzzo, "Comey Disputes New York Times Article About Russia Investigation," *The New York Times*, June 8, 2017.

الفصل الحادي عشر[1]

احتاج ترامب إلى مستشار جديد للأمن القومي. وأراد التصرف سريعًا. قال إنه يتعرض للتصفية في وسائل الإعلام. وكان مقتنعًا بأن شخصًا جديدًا سيمحو كارثة فلين. جنرال آخر ربما؟ رأى بانون أن الإعلام هو المصدر الرئيسي لقلق ترامب. كل شيء يمر بمعادلة: «هل يبدو ملائمًا للدور؟». كل شيء كان استعراضيًا. صدمه دانفورد وماتيس كقائدين في مشاة البحرية، لأن كلاهما كان مقتضبًا. فهما يدخلان في صلب الموضوع مباشرةً.

تصدَّر القائمة الفريق هـ. ر. ماكماستر. كان بطول ١٧٥ سم تقريباً، أصلع، أخضر العينين، عريض المنكبين، مستقيم القامة، وهو مزيج من بطل حرب وباحث. كتب مؤلف «التقصير في الواجب: ليندون جونسون، روبرت ماكنمارا، هيئة الأركان المشتركة، والأكاذيب التي أدت إلى حرب فييتنام». كان كتابه عملًا رائدًا دان فيه القادة العسكريين لإخفاقهم في مواجهة قادتهم المدنيين. فاعتبر ماكماستر مرتدًا ودخيلًا على السلك العسكري، ولكن لم يشك أحد في نياته الصادقة.

حُدِّد لماكماستر موعد لساعتين مع ترامب. التقاه بانون في «مار لاغو» وقدم نصائحه المعتادة: لا تحاضر في حضرة ترامب. فهو لا يحب الأساتذة. ولا يحب المثقفين. كان ترامب رجلًا «لم يحضر إلى صفوفه قط. لم يلتزم منهجاً دراسيًا. لم يدوّن ملاحظة. لم يذهب إلى محاضرة. في الليلة التي تسبق الامتحانات النهائية، يعود، منتصف الليل، من منزل الإخوة، يصنع قدرًا من القهوة، يأخذ ملاحظاتك، يحفظ قدر ما يستطيع، يدخل قاعة الامتحان الثامنة صباحًا، ويحصل على درجة «ج». وهذا أمر جيد بما يكفي. فهو سيصبح ملياردير ًا».

النصيحة الأخيرة: «تعالَ مرتديًا بزتك العسكرية».

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

لبس ماكماستر بزة.

«قلت لك أن تأتي ببزتك العسكرية»، عاجله بانون.

«أجريت بعض الاتصالات»، أجاب ماكماستر، «قالوا إن ذلك لن يكون مناسبًا لأنني حصلت على أوراق تقاعدي». إذا اختير، فإنه سيتقاعد ويعمل مستشارًا للأمن القومي كرجل مدني.

«أوصلتك إلى هنا لأنك جنرال في الخدمة العسكرية». ذكّره بانون.

لم ينقضِ اللقاء مع ترامب على ما يرام. تحدّث ماكماستر كثيرًا. وكانت المقابلة قصيرة.

بانون، الذي تكتم على الأمر بدايةً، قال لاحقًا: «لم يقفل ماكماستر فمه اللعين طوال عشرين دقيقة، مقدّمًا نظرياته عن العالم. إنه رجل بتريوس السخيف المولع بالكتب». فقد كان ماكماستر عام ٢٠٠٧، واحداً من «مجموعة مستشاري بغداد» التي تسدي النصح إلى الجنرال ديفيد بتريوس في حرب العراق.

بعد مغادرة ماكماستر، سأل ترامب: «من كان هذا الرجل؟ لقد وضع كتابًا أليس كذلك؟ وردت فيه أمور سيئة عن الناس. ظننت أنك أخبرتني أنه كان في الجيش».

«إنَّه في الجيش».

قال الرئيس: «إنه يرتدي زي بائع بيرة».

وافق بانون، المشهور بأناقته. ورأى أن ثمن بزة ماكماستر لا تتعدى المئتي دولار أميركي، أو ربما حتى مئة دولار.

أُجريت المقابلة الثانية مع جون بولتون، وهو سفير سابق للولايات المتحدة من اليمين المتطرف. تخرَّج بامتياز بمرتبة الشرف في جامعة ييل. دعم حرب العراق، وشجّع على تغيير النظام في إيران وكوريا الشمالية. كان معلّقًا منتظمًا على قناة فوكس نيوز، حصَّل دخلًا بلغ ٥٦٧ ألف دولار أميركي، من فوكس فقط. كانت إجاباته جيدة، لكنَّ ترامب لم يعجبه شارباه الكثّان. ولم يجد فيه الرجل الملائم للمهمة.

كان التالي الفريق روبرت كاسلين، المشرف على ويست بوينت.

قبل دخوله، التفت ترامب إلى الجنرال كيلوغ، رئيس أركان مجلس الأمن القومي، الذي كان حاضرًا في المقابلات.

«أيها الجنرال، ما رأيك في هذا الرجل؟».

قال كيلوغ: «بوبي كاسلين هو أفضل مقاتل في الجيش».

كاسلين، الذي كانت أذناه كبيرتين ويضع ميداليات على بزته العسكرية حتى أعلى كتفه، أعطى أجوبة مقتضبة، معظمها «نعم، سيدي» و«لا، سيدي». كان مثل كلينت إيستوود. بدأ ترامب يحدثه ويخبره قصصًا عن الحملة.

اعتقد بانون أنَّ ترامب اختار الرجل. ظنَّ أن كاسلين سيتولى المنصب.

تلك الليلة، قال كوشنر إن جميع وسائل الإعلام أحبّت ماكماستر، فهو محارب قديم، مفكر، مؤلّف.

«لكنَّ الكيمياء لم تسرِ بين ترامب والرجل»، ذكَّره بانون. كان التفاعل أفضل مع كاسلين. لكنّه كان جنرالًا ميدانيًّا، ليس لديه خبرة في واشنطن، باستثناء دورة قصيرة في هيئة الأركان المشتركة في منصب مبتدئ. «سنسرّع الأمور»، على ما لاحظ بانون.

اتفقا على أن ماكماستر وبولتون يجب أن يحظيا بجولة أخرى في اليوم التالي، وأن يدعُوَا كاسلين إلى البيت الأبيض في وقت لاحق لتناول وجبة غداء فردية.

في اليوم التالي جاء بولتون. كان حسنًا، هو نفسه، ولكنه أبقى شاربيه.

وصل ماكماستر بزيه الرسمي العسكري المهيب. سرت الكيمياء على نحو أفضل، وإن في شكل محدود.

قال بانون وكوشنر لبولتون وماكماستر إن عليهما الانتظار. سيُتخذ قرار في اليومين المقبلين. حام طيف ماكماستر حول مار لاغو.

قال ترامب: «تعلمون أننا نتعرّض للقتل بالقصص السيئة عن فضيحة فلين. دعونا نتخذ قرارًا».

«لا أعتقد أننا قادرون على اتخاذ قرار»، أجاب بانون. «كاسلين وماكماستر ضابطان في الخدمة. لا أظن أنهما يستطيعان قبول المنصب سريعًا». كان عليهما إبلاغ رؤسائهما في الجيش. قال رئيس أركان الجيش الجنرال مارك ميلي إن كاسلين سيكون أفضل اختيار ممكن. «لكنهما يشغلان وظائف، لذلك هناك آلية يجب اتباعها».

«لا، لا، لا»، ردَّ ترامب. «نحن نُقتل. قصص رديئة».

قال جاريد: «إن وسائل الإعلام تحب ماكماستر».

«لأنه ليبرالي سخيف»، رد بانون. «من دون إساءة، لكنه لم يكن مؤثرًا في المقابلة. ولا كيمياء تجمعكما».

«نعم، ولكن تعلم مسار الأمور»، قال الرئيس. «أدعه».

اتصل بانون بماكماستر. «يريد الرئيس التحدث إليك. تعال».

ما الذي سيحدث في رأيك؟ سأل ماكماستر.

«أظن أن الرئيس سيعرض عليك المنصب».

«عليَّ إخطار البعض. لا يمكنني القول للرئيس إنني لا أستطيع قبول الوظيفة. عليَّ إبلاغ الجيش».

«أدع القرار للظروف». قال بانون. «سنكتشف ما سيحدث». كانت تلك طريقة ترامب. ترك القرار للظروف، التصرف غرائزيًا. هذا هو ترامب.

«هل تريد هذه الوظيفة؟». سأل الرئيس ماكماستر.

«نعم، سيدي».

«حصلت عليها»، قال ترامب مصافحًا ماكماستر. «أحضروا وسائل الإعلام. أدخلوا الكاميرات إلى هنا». أراد صورة مع جنراله الأخير الذي بدا خارجًا من «سنترال كاستينغ».

جلس ماكماستر محرجًا على أريكة موشاة ذهبية إلى جانب الرئيس. حيث وُضعت زهرية كبيرة تحمل الورود على الطاولة خلفهما.

قال ترامب للصحفيين: «أردت فقط أن أعلن[١]. بعدما عملنا طوال عطلة نهاية الأسبوع جديًا، أن الجنرال هـ. ر. ماكماستر سيصبح مستشار الأمن القومي. إنه رجل يتمتع بموهبة هائلة وخبرة هائلة».

«أنا شاكر لك هذه الفرصة»، قال ماكماستر. «أتطلع إلى الانضمام إلى فريق الأمن القومي والقيام بكل ما يمكنني فعله من أجل تعزيز مصالح الشعب الأميركي وحمايتها».

كانت صدمة ماكماستر واضحة أمام الكاميرا عندما صافح ترامب.

قال ماكماستر لبانون: «يجب أن أتصل برئيس أركان الجيش».

قال بانون: «افعل ذلك. لكنك تسلّمت المنصب».

كان لخيار ترامب وقع جيد. رأى الإعلام أن ماكماستر كان راشدًا. لن يكون هناك المزيد من المجانين. وها هو الرئيس يتنعم بالقصص الإيجابية.

---

(١) Donald J. Trump, "Remarks on the Appointment of Lieutenant General H. R. McMaster (USA) as National Security Adviser in Palm Beach, Florida, and an Exchange with Reporters," February 20, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb.edu/ ws/?pid=123396

الفصل الثاني عشر[1]

عَلِم ماكماستر أن أكبر تحدّ للأمن القومي سيتمثل في كوريا الشمالية. وقد كانت الأصعب في القائمة منذ أعوام.

قبل ستة أشهر، أي في ٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١٦، تلقى الرئيس أوباما أخبارًا غير مريحة، وكان قد دخل في الأشهر الأخيرة من حكمه الذي دام ثمانية أعوام. فقد أجرت كوريا الشمالية اختبارًا لسلاح نووي جديد بتفجير تحت الأرض، وهو الخامس والأكبر خلال عقد من الزمن.

كشفت أجهزة رصد الزلازل فورًا أن الذبذبات المسجلة ليست ناجمة عن زلزال. وكانت الهزة التي بلغت قوتها ٥,٣ درجات على مقياس ريختر لحظية، وتولّدت على عمق أقل من ميل في باطن الأرض، وجرى قياسها بدقة في موقع اختبار بانجي ري للتفجيرات النووية الأربعة السابقة. وكانت قوة الانفجار المقدّرة تعادل ١٠ كيلوطن من مادة تي إن تي، وهي قريبة من قوّة انفجار قنبلة هيروشيما عام ١٩٤٥، البالغة ١٥ كيلو طن.

وتبديدًا لأي شك[2]، فقد ظهرت ري تشان هي، النسخة الكورية الشمالية النسائية لوالتر كرونكايت البالغة من العمر ٧٣ عامًا، على شاشة التلفزيون الرسمي للدولة كي تعلن عن الاختبار. وكانت تظهر دائمًا في اللحظات المهمة. فقالت للمشاهدين، وهي ترتدي ثيابًا وردية اللون وتتحدّث بصوت مبتهج وعالٍ، إن النظام صنع أفضل القنابل المتطوّرة وأكبرها.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Christine Kim, "Voice of Triumph or Doom: North Korean Presenter Back in Limelight for Nuclear Test," Reuters, September 4, 2017.

وأفاد مركز الأسلحة النووية لكوريا الشمالية[1] أن القنبلة مصمَّمة لحملها على صاروخ باليستي، وهو ادعاء مزعج، على الرغم من تشكيك الاستخبارات الأميركية الشديد في ذلك.

ولمضاعفة التهديد الكوري الشمالي المحتمل[2]، أطلقت كوريا الشمالية قبل أربعة أيام ثلاثة صواريخ متوسطة المدى، طارت على بعد ١٠٠٠ كيلومتر قبل أن تسقط في بحر اليابان، ما جعل كوريا الجنوبية واليابان هدفين يمكن الوصول إليهما. وتقترن هذه الاختبارات بإطلاق صاروخ بعيد المدى لمسافة ١٠٠٠ كيلومتر في الشهر السابق. ولم يكن الرقم «ثلاثة» رقم الحظ.

وعلى الرغم من رغبته الشديدة في تفادي حرب، قرر أوباما أن الوقت قد حان للنظر في إمكان القضاء على التهديد النووي بضربة عسكرية جراحية. وبينما كان يستعد لتسليم الرئاسة، علم أنه بحاجة إلى معالجة فوضى كوريا الشمالية قبل ذلك التاريخ.

ستكون هيلاري كلينتون خليفته، لا محالة، وقد أكَّد لمساعديه بعبارات كثيرة أنَّ الشعب الأميركي سيقوم بالاختيار السليم وينتخبها.

ومنذ البداية، سمح الرئيس أوباما للكثير من برامج «ساب»، وهي العمليات الأكثر سريةً وتقسيماً، والتي يجريها الجيش والاستخبارات، بردع صواريخ كوريا الشمالية. وقد حدد أحد البرامج الهجمات السيبرانية على أجهزة القيادة والتحكم والقياس عن بعد والتوجيه، قبل اختبار إطلاق صاروخ كوري شمالي أو في أثناء إطلاقه. وقد بدأت تلك الهجمات السيبرانية العالية المخاطر في السنة الأولى من رئاسته. كان معدّل نجاحها مشوّشاً.

ركزّت عملية أُخرى في الحصول على صواريخ كوريا الشمالية. وسمحت ثالثة للولايات المتحدة بالكشف عن إطلاق صاروخ كوري شمالي بسبع ثوانٍ. وقد طَلَبَ مني المسؤولون ألَّا أصف التفاصيل من أجل حماية عمليات الأمن القومي التي تُعدّ حيوية لمصالح الولايات المتحدة.

لم يتضاءل التهديد الكوري الشمالي. وفي أيلول/سبتمبر، طرح أوباما سؤالًا حساسًا على مجلس الأمن القومي: هل يمكن إجراء ضربة عسكرية وقائية تدعمها الهجمات السيبرانية على كوريا الشمالية للقضاء على برامجها النووية والصاروخية؟

ضايق هذا العمل غير المكتمل أوباما جدًّا. لقد عالج سلفاه، بيل كلينتون وجورج دبليو بوش، تلك الأزمات التي تراكمت منذ عقود، لكنهما لم يجدا لها حلولاً. واليوم، سُد السبيل في وجه الولايات

---

(١) Matt Clinch, "Here's the Full Statement from North Korea on Nuclear Test," CNBC, September 9, 2016

(٢) مراجعة قاعدة بيانات مركز دراسات عدم انتشار الأسلحة النووية حيال اختبار كوريا الشمالية للصواريخ، متاحة للتحميل على الرابط الآتي: http://www.nti.org/analysis/articles/cns -north-korea-missile-test-database/

المتحدة. وهكذا، فإن «مملكة الراهب» المنعزلة تبني قوةً قادرةً على توسيع مدار القوس النووي المدمر المحتمل لتطاول الوطن.

كان جيمس كلابر، مدير الاستخبارات الوطنية في عهد أوباما، قد بدأ مسيرته المهنية بالإشراف على مركز استخبارات الإشارات في تايلاند خلال حرب فييتنام. ومع بلوغه الخامسة والسبعين، وبصلعته ولحيته ووجهه العريض المعبّر، يُعدُّ الجَدَّ الأكبر والأبرز للاستخبارات الأميركية. كان مخضرماً فظّاً، وصريحًا مباشرًا.

رفع كلابر الصوت عاليًا وبوضوح في وجه أوباما: أظهرت التقارير أن أنظمة الأسلحة الكورية الشمالية الجديدة ستفعل شيئاً بطريقة ما. لكن ما هو التهديد الذي تشكّله على كوريا الجنوبية واليابان والولايات المتحدة؟ وإلى أي حدّ يكون هذا التهديد عاجلاً ومباشرًا؟ هل تبحث كوريا الشمالية عن ورقة للمساومة؟

أظهر تقويم الاستخبارات مستوًى متصاعدًا من الجهد، ما يوحي بقوة أن كيم جونغ أون يبني قوة قتالية من الأسلحة النووية، أو أنه، على الأقل، يريد أن يبدو الأمر على هذا النحو.

وعلى الرغم من الرسوم الكاريكاتورية العامة التي تصوره رجلاً مجنوناً غير مستقر، فقد أظهرت تقارير استخبارية حساسة أن كيم، البالغ من العمر الآن ٣٤ عامًا، كان زعيمًا أكثر فاعلية في برامج الأسلحة النووية والصواريخ الكورية الشمالية من والده، كيم جونغ إيل، الذي حكم ١٧ سنة من العام ١٩٩٤ إلى العام ٢٠١١.

وكان كيم الأب بقيادة تعامل مع إخفاقات تجارب الأسلحة بإصدار الأوامر بقتل العلماء والمسؤولين الرسميين، فأعدموا بإطلاق النار عليهم. وقد تقبّل كيم الابن إخفاقات في الاختبارات، بعد أن استوعب، على ما يبدو، الدرس العملي: الإخفاق أمر لا مفر منه في الطريق إلى النجاح. وهكذا، ظل العلماء بقيادة كيم جونغ أون على قيد الحياة، ليتعلموا من أخطائهم، وتحسّنت برامج الأسلحة.

كلف أوباما البنتاغون ووكالات الاستخبارات أن تدرس إمكانات القضاء على كل الأسلحة النووية لكوريا الشمالية والمرافق ذات الصلة. هل يمكنها استهداف كل ذلك بفاعلية؟ ستحتاج إلى تحديث القمر الصناعي والإشارات والذكاء البشري. فالكثير لم يكن معلومًا أو مؤكدًا.

وقد كانت باكستان تمتلك أسلحة نووية منذ العام ١٩٩٨، فعمدت إلى تصغير أسلحتها النووية ووضعها في مناجم وقذائف مدفعية. فهل امتلكت كوريا الشمالية هذه القدرة؟ لا يمكن للتقويمات الحالية للاستخبارات الإجابة في شكل نهائي عن هذا السؤال.

وقد أظهر تقويم الاستخبارات أن هجومًا أميركيًا لا يمكن أن يدمّر كل ما تملكه كوريا الشمالية. وستفوت الأميركيين أهداف. لأنهم لا يعرفون عنها شيئًا، وسوف تُدمر جزئيًا أهداف أخرى.

كانت سيؤول العظمى، أكبر المدن، موطنًا لحوالى ١٠ ملايين شخص. وقد امتدت مباشرة إلى المنطقة المنزوعة السلاح التي يبلغ عرضها ٢,٥ ميل وتفصل بين كوريا الشمالية والجنوبية. تملك كوريا الشمالية الآلاف من قطع المدفعية قرب المنطقة المجرَّدة من السلاح في الكهوف. وفي التدريبات، جرَّ الكوريون الشماليون المدفعية على عجلات، ومارسوا الرماية، وعادوا إلى الكهوف. وكان شعارهم: «أطلق النار وانطلق بسرعة الريح». هل يمكن أن يتعامل هجوم أميركي مع هذا الكم من الأسلحة؟

بعد شهر من الدراسة، أبلغت الاستخبارات الأميركية والبنتاغون أوباما رسميًا أن ٨٥٪ من كل الأسلحة والمرافق النووية المعروفة يمكن مهاجمتها وتدميرها، وهذا ما حُدِّد فقط. ويرى كلابر أن معدل النجاح المتوقع يجب أن يكون مثاليًا. وقد يؤدي تفجير نووي وحيد، ردًا على ذلك، إلى سقوط عشرات آلاف الضحايا في كوريا الجنوبية.

ويمكن أن يؤدي أي هجوم أميركي إلى إطلاق المدفعية الشمالية المدمّرة. وإلى استخدام أسلحة تقليدية أخرى، وجيش بري، عديده مئتا ألف جندي على الأقل. بالإضافة إلى كثير من المتطوعين.

وقد أفاد البنتاغون أن الطريقة الوحيدة «لتحديد جميع مكونات البرنامج النووي لكوريا الشمالية وتدميرها، بيقين تام» هي من خلال غزو برّي. إلّا أن أي غزو برّي قد يثير رد كوريا الشمالية. وقد يكون ذلك باستخدام سلاح نووي.

إلّا أن ذلك لم يكن واردًا لدى أوباما. وفي خطاب ألقاه بمناسبة تسلّمه جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٩، قال: «تَعِدُ الحرب بمأساة إنسانية»، و«الحرب على مستوى ما، هي تعبير عن الحماقة البشرية».

وقد شعر بالإحباط والسخط. ورفض ضربة استباقية. كان يرى في ذلك حماقة كبيرة.

استمرت العلاقات الدبلوماسية غير الرسمية والثانوية، لتبادل المعلومات، بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية. وقد اجتمع مسؤولون حكوميون سابقون في الولايات المتحدة مع مسؤولين كوريين شماليين حاليين لإبقاء الحوار مفتوحًا. وقد أُطلق غالبًا على هذه الاجتماعات اسم «المسار الرقم ١,٥». وسميت الاجتماعات بين الحكومتين «المسار ١». وإذا كان كلا الطرفين يتألف من مسؤولين غير حكوميين أو سابقين، فإنّ هذه الاجتماعات كانت تُسمى «المسار الرقم ٢».

«لم يعد لنا دور سياسي مهم، هم ليسوا كذلك»، هذا ما أكّده مسؤول أميركي سابق، انخرط بعمق في اجتماعات «المسار الرقم ١,٥». وكان قد عُقِد اجتماع أخيرًا في كوالالمبور بماليزيا، مع

نائب وزير خارجية كوريا الشمالية. وقال المفاوض الأميركي السابق روبرت غالوتشي[1] إن الكوريين الشماليين حذروه في هذا الاجتماع من أنهم «سيكونون دائمًا دولة أسلحة نووية».

عقد اجتماع «المسار ١,٥ الثاني» مع رئيس قسم الشؤون الأميركية في كوريا الشمالية بعد انتخابات العام ٢٠١٦ في جنيف. وذكر مسؤول أميركي سابق: «أنَّ الكوريين الشماليين لا يأخذون الأمر على محمل الجدّ»، لأنهم يعرفون أنَّ ممثلي الولايات المتحدة لا يمكنهم اقتراح أي شيء جديد. «لكنهم يفضلون على الأرجح عقد هذه الاجتماعات على عدم حدوثها».

وكان لترامب تاريخ حافل من التصريحات العامة[2] عن كوريا الشمالية. يعود إلى فترة ظهوره في برنامج «لقاء مع الصحافة» في تشرين الأول/أكتوبر في العام ١٩٩٩. «سأتفاوض بحماسة». ذكر ترامب. وفي خطاب خلال الحملة الرئاسية عام ٢٠١٦ [3]. قال: «يراقب الرئيس أوباما بعجز كوريا الشمالية وهي تزيد من عدوانها، وتوسّع أكثر من انتشارها النووي». وقال لرويترز في أيار/مايو من العام ٢٠١٦ [4]: «لا مشكلة لدي في التحدث إلى كيم جونغ أون». وحين أصبح رئيسًا. في العام ٢٠١٧ [5]. وصف كيم بأنه «رجل ذكي جدًا».

رأى مدير الاستخبارات الوطنية كلابر أنَّ على الولايات المتحدة أن تكون أكثر واقعية إن لم يكن لديها خيار عسكري مقبول. وقد ذهب في تشرين الثاني/نوفمبر إلى كوريا الشمالية لاسترداد مواطنَين أميركيين أسرا. وقد اقتنع في مناقشاته مع المسؤولين الكوريين الشماليين أن كوريا الشمالية لن تتخلى عن أسلحتها النووية. ولمَ عليها أن تَفعل؟ وما المقابل؟ لقد اشترت كوريا الشمالية فعلًا رادعًا نوويًا. وكان حقيقيًا وقويًا في غموضه. ولم تكن الاستخبارات الأميركية متأكدة من قدرته. وقد رأى أوباما ومجلس الأمن القومي أن ادّعاء الولايات المتحدة بأن نزع الأسلحة النووية كان شرطًا للمفاوضات، لا يجدي نفعًا. ولن يُقبل.

---

(١) حلقة نقاش عن السياسة الأميركية في كوريا الشمالية في جامعة جورج واشنطن، ٢٨ آب/أغسطس ٢٠١٧، واشنطن، فيديو متاح على الرابط الآتي:

https://www.c-span.org/video/?433122-1/ us-policy-north-korea

(٢) Rebecca Shabad, "Timeline: What Has Trump Said About North Korea over the Years?" CBS News, August 10, 2017.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

وقال كلابر أيضًا إنه فهم رغبة كوريا الشمالية في معاهدة سلام لإنهاء الحرب الكورية التي أوقفت رسميًا بهدنة في العام ١٩٥٣. وهي هدنة بين قادة الجيشين المتورطين، وليست بين الدولتين اللتين لا تزالان في حالة حرب.

وكان على الولايات المتحدة أن تفهم كيف تنظر كوريا الشمالية إلى الوضع: بدا أن الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية تستعدان دائمًا، وفي شكل دراماتيكي أحيانًا، للهجوم والتخلص من نظام كيم.

وقال كلابر إن هناك حجة واحدة قدمها، لم يصدها الكوريون الشماليون خلال زيارته في العام ٢٠١٤. وأعلن أن الولايات المتحدة ليس لديها أعداء دائمون. انظروا، لقد خضنا حربًا مع اليابان وألمانيا، لكننا الآن أصدقاء. أقمنا حربًا مع فييتنام واليوم نحن صديقان. وزار كلابر أخيرًا فييتنام. حتى بعد حرب شاملة، كان التعايش السلمي ممكنًا.

وقد أراد كلابر أن تنشئ الولايات المتحدة مكتبًا لرعاية المصالح في بيونغ يانغ. سيكون بمثابة قناة غير رسمية تعمل فيه وسيطاً لحكومة أخرى لديها سفارة في العاصمة الكورية الشمالية. وسيكون أقل من العلاقات الدبلوماسية الكاملة، لكنه سيعطي الولايات المتحدة قاعدة، ومكانًا في العاصمة، حيث يمكنها الحصول على المعلومات وإيصال المعلومات إلى كوريا الشمالية.

كان كلابر صوتًا صارخًا في البرية، فلم يوافقه أحد الرأي. كان أوباما متشددًا: يجب على كوريا الشمالية الموافقة على التخلي عن أسلحتها النووية. ولعلّه أراد بذلك، وهو المدافع عن خفض الأسلحة النووية في مختلف أنحاء العالم، إعادة عقارب الساعة إلى الوراء. فقد دان التجربة النووية التي أجرتها كوريا الشمالية[1] بتاريخ ٩ أيلول/سبتمبر في بيان علني طويل، مكررًا فيه سياسة الولايات المتحدة: «لنكن واضحين. إن الولايات المتحدة لا تقبل كوريا الشمالية دولة نووية، ولن تقبل ذلك أبدًا». وكانت الحقيقة الجوهرية، على ما رأى كلابر، أن أحدًا لم يفهم حقًا ما الذي شجّع كيم جونغ أون. «لا أحد يعرف الدافع الأساسي الذي يحرّكه»، على ما قال. ذلك هو التقويم الذي يحتاجون إليه ولم يملكوه. وقد حاول المحللون أن يجيبوا عن السؤال الآتي: «هل يكون كيم جونغ أون عبقرياً استراتيجياً بارعاً يتلاعب ببلدان أخرى، بما يشمل الولايات المتحدة، أم أنه أحمق متهور بلا خبرة؟».

ومع تزايد اهتمام إدارة أوباما بالخيارات المكنة، تحوّل النقاش إلى إمكان زيادة الهجمات

(١) Barack Obama, "Statement on North Korea's Nuclear Test," September 9, 2016. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb .edu/ws/?pid=118931

السيبرانية على كوريا الشمالية. وعدَّ بعضهم السيبرانية العصا السحرية التي يمكن أن تخفف من تهديد كوريا الشمالية.

ولإطلاق هجمات سيبرانية أوسع نطاقًا على نحو فاعل. يجب على وكالة الأمن القومي المرور عبر خوادم لكوريا الشمالية موجودة في الصين. وسيكتشف الصينيون مثل هذا الهجوم. ويمكنهم أن يستنتجوا أنه يستهدفهم، ما قد يؤدي إلى نشوب حرب سيبرانية.

وقد قال أحد كبار أعضاء مجلس الوزراء لأوباما: «لا أستطيع أن أعدكم بأننا نستطيع استيعاب هجوم سيبراني مضاد». سينشىء ذلك مشكلة كبيرة. فاستخدام السيبرانية قد يؤدي إلى التصعيد ويطلق جولة من الهجمات والهجمات المضادة، قد تشل الإنترنت والأنظمة المالية مثل البنوك وبطاقات الائتمان وشبكات الكهرباء والأخبار وأنظمة الاتصالات الأخرى. ما قد يجعل الاقتصاد الأميركي، والعالمي على حدّ سواء، يجثو على ركبتيه.

وقد اعترض. بشدّة. محامو الإدارة الذين كانوا يحملون أعلى التصاريح الأمنية، وشاركوا في المناقشة. إنها مخاطرة كبيرة. لم يطرأ أي جديد.

ثُبِّتت القدرة السيبرانية لكوريا الشمالية بقوة في هجوم العام ٢٠١٤ على شركة «سوني بيكتشرز إنترتينمنت» لصناعة الأفلام، والتي صُمّمت لمنع إطلاق فِلم ساخر عن كيم جون أونغ. وقد صوَّر الفِلم الكوميدي، وعنوانه «المقابلة»، صحافيَّين سافرا إلى كوريا الشمالية لاغتيال الديكتاتور الشاب.

وقد اكتشف المحققون لاحقًا أنَّ القراصنة الكوريين الشماليين كانوا يتربصون بالأمر داخل شبكات سوني. طوال ثلاثة أشهر في انتظار الهجوم. وفي ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر. استولت كوريا الشمالية على شاشات كمبيوترات شركة سوني. ولتعظيم وقع الصدمة وقيمتها[١]. عرضت الشاشات هيكلًا عظميًا أحمر مهدِّدًا يتجه نحو المشاهد والنَّص. وقد «نفَذ القرصنة حراس السلام»، فقيل: «لقد حذّرناكم بالفعل، وهذه مجرد بداية». دمّر القراصنة الكوريون الشماليون ٧٠٪ أو أكثر من أجهزة كمبيوتر سوني، بما في ذلك أجهزة الكمبيوتر المحمولة.

كانت كوريا الشمالية، التي وظّفت آلاف القراصنة، تستخدم الآن، بانتظام، البرامج السيبرانية لسرقة مئات الملايين من الدولارات من البنوك وسواها على نطاق عالمي.

بعد يومين من الانتخابات، التقى أوباما وترامب في البيت الأبيض. كان مقررًا أن يدوم الاجتماع ٢٠ دقيقة. لكنه استمر أكثر من ساعة. وقال أوباما للرئيس المنتخب إن كوريا ستكون أكبر الأزمات التي

(١) Elizabeth Weise, "Sony Pictures Entertainment Hacked," *USA Today*, November 24, 2014

تواجهها وأهمها. إنها أكبر صداع عانيته. وقد أخبر ترامب الموظفين لاحقًا أن أوباما حذره من أن كوريا الشمالية ستكون أكبر كوابيسه.

وقال أحد محلّلي الاستخبارات الذي يتمتع بخبرة واسعة، خدم في كوريا الجنوبية أيضًا: «لقد صدمني أن يكون طاقم إدارة أوباما قد أغمض عينيه. وتصرّف مثل القرد الأصم والأبكم والأعمى في هذه القضية. وأفهم اليوم السبب الذي دعا فريق أوباما ليقول لترامب إن المشكلة الرئيسة التي تواجهه هي أسلحة كوريا الشمالية النووية. لقد كانوا يخفون المشكلة».

الفصل الثالث عشر[1]

عرّج الجنرال دانفورد في شهر شباط/فبراير على مكتب السيناتور ليندسي غراهام، وهو عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كارولاينا الجنوبية، وذلك للتحدّث معه على انفراد.

يُحتمل أن عدداً قليلاً من أعضاء مجلس الشيوخ يعملون على المسائل العسكرية بجهد أكبر من ذلك الذي يبذله غراهام، وهو الذي يبدو وكأنه لا يغادر مكتبه أبداً مع أنه عازب. ومن أفراد الاحتياط في سلاح الجو برتبة عقيد. وهكذا تمكّن دانفورد من إنشاء شبكة كبيرة في واشنطن تضم كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي. وقال جو بايدن، نائب الرئيس السابق[2]، والذي قضى ٣٦ سنة في مجلس الشيوخ، إن غراهام يمتلك «أفضل قدر من الحدس» بين أعضاء المجلس. يُضاف إلى ذلك أن غراهام الذي يبلغ الحادية والستين من عمره، والعضو الأكبر سناً في لجنة مجلس الشيوخ للقوات المسلحة، كان الصديق الأقرب والمساعد الدائم الفعّال لرئيس اللجنة، أي السيناتور جون ماكين، وهو عضو ذائع الصيت في مجلس الشيوخ.

لاحظ غراهام، عند وصول دانفورد إلى مكتبه، أن الجنرال كان متوتراً جداً. أسرّ دانفورد إلى صديقه بأن ترامب يطلب الحصول على خطة حربية جديدة لتسديد ضربة استباقية على كوريا الشمالية. أضاف دانفورد أن المعلومات الاستخبارية بشأن كوريا الشمالية ليست على المستوى المطلوب. وأوضح قائلاً: «إننا بحاجة إلى معلومات استخبارية أفضل، قبل تقديم تلك الخطة إلى الرئيس».

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Bob Woodward, Obama's Wars (New York: Simon & Schuster, 2010), p. 62

كان دانفورد مقاتلاً مخضرماً في سلاح البحرية، وقائداً سابقاً لمشاة البحرية، وقائداً لفوج البحرية الخامس خلال اجتياح العراق عام ٢٠٠٣. واشتُهر بلقب «جو المحارب». عمل أيضاً بإمرة اللواء جيمس ماتيس، وكان من الواضح أنه منزعج من الطريقة المتسرعة التي يعتمدها ترامب في اتخاذ القرارات. وهكذا أحسّ غراهام أن دانفورد كان يتعمّد تأخير تلبية ترامب، مع ما يحمل ذلك من مخاطرة.

كان من الصعب وصف علاقة غراهام بترامب خلال الحملات الرئاسية التمهيدية بالعلاقة الهادئة. وكان غراهام واحداً من المرشحين الرئاسيين الجمهوريين الستة عشر إلى جانب ترامب، لكنه لم يتمكّن من اجتياز المرحلة الثانية. أقدم غراهام ذات يوم على وصف ترامب بأنه «مغفّل»[١]، فما كان من ترامب إلا أن ردّ بنشر رقم هاتف غراهام الخليوي، الذي سرعان ما أغرق بمكالمات كثيرة، إلى أن قام غراهام بتحطيمه في عرض كوميدي. عمد بعد ذلك إلى تأييد جب بوش[٢]، مفضّلاً إياه على ترامب. وقال إن «بوش لم يحاول شق طريقه أثناء التنافس في الانتخابات التمهيدية، عن طريق إلقاء خطب خطيرة هنا وهناك».

لكن بريبوس حثّ غراهام على إقامة علاقة حسنة مع ترامب. وكان من ضمن نقاط الإقناع التي استخدمها مع غراهام: «أنت رجلٌ مرِحٌ جداً، وهو يحتاج إلى أشخاص مرحين حوله».

هاجم غراهام ترامب بعد ذلك مهاجمة شديدة، وعلى الأخص بشأن أول أمر رئاسي أصدره، وكان حول حظر دخول المسلمين إلى البلاد. وقال: «لا شك في أن تلميذاً من تلاميذ الصف الثالث، هو الذي كتب ذلك الأمر على ظهر مغلّف».

أصدر[٣] غراهام وماكين بياناً مشتركاً في ذلك الوقت، أكّدا فيه، «أننا نخشى أن يتحوّل هذا المرسوم الرئاسي إلى جرح نكون قد تسبّبنا به ذاتياً في الحرب ضد الإرهاب. إن هذا المرسوم الرئاسي يرسل إشارةً، متعمدةً أو غير متعمّدة، مفادها أن أميركا لا ترغب في استقبال مسلمين في بلادنا. وهذا هو السبب الذي يدفعنا إلى الخشية من أن يُسهم هذا المرسوم الرئاسي في تجنيد الإرهابيين، بدلاً من تحسين أمننا القومي».

لكن غراهام بات الآن مستعداً لنسيان الماضي.

---

(١) Nicholas Fandos, "Lindsey Graham Destroys Cellphone After Donald Trump Discloses His Number," The New York Times, July 22, 2015.

(٢) Cheri Cheng, "Lindsey Graham Endorses Presidential Candidate Jeb Bush," News EveryDay, January 15, 2016.

(٣) "Statement by Senators McCain and Graham on Executive Order on Immigration," January 29, 2017

بعد مرور أسابيع عدة، أي في السابع من شهر آذار/مارس، دعا ترامب غراهام لتناول طعام الغداء معه في البيت الأبيض. وهكذا حضّر غراهام خطاباً قصيراً للمناسبة.

لدى دخول غراهام المكتب البيضاوي، كان ترامب جالساً خلف الطاولة الرئاسية. وما لبث أن نهض واقفاً وتقدّم بسرعة نحوه ثمّ عانقه بحرارة. قال ترامب: «يتعيّن علينا أن نكون أصدقاء. أريدك أن تكون صديقي».

ردّ غراهام: «أجل، سيّدي. أريد أن أكون صديقك».

قال ترامب إنه ما كان يجدر به نشر رقم الهاتف الخليوي الخاص بغراهام.

ردّ غراهام ممازحاً: «كان ذلك محور حملتي الانتخابية».

سأله الرئيس: «ما رقمكَ الجديد؟». دوّن الرقم، ثم تساءل ضاحكاً عن كيفية تطوُّر الشقاق بينهما.

قال غراهام: «كان ذلك سباقاً، وأنت تعلم أنني لا أملك حظّاً بذلك، لأنني لا أستطيع مواجهة جمهورٍ كبير. والآن بعد أن كسبتَ المعركة، فإنني أشعر بنوعٍ من الخذلان جرّاء هزيمتي، وأعترف بالنصر الذي أحرزتَه». كان غراهام يعرف أن ترامب يحبّ سماع هذا النوع من الكلام. وهكذا أكمل قائلاً: «أتريدني أن أساعدكَ؟».

ردّ ترامب موافقاً.

قال غراهام: «قبل التوجّه إلى مائدة الغداء، أودّ أن أعتذر منك، وآسف بشأن هذه الأغلبية الجمهورية المخفقة. وأعتقد أن الكونغرس سوف يتسبّب في إخفاق رئاستك، وليس لدينا أية فكرة بشأن ما نفعله حالياً. ولا نمتلك أية خطة بشأن مسائل العناية الصحية. ناهيك بأننا نقف على مسافاتٍ بعيدة عندما يتعلق الأمر بتخفيض الضرائب، أي إنك أنت الخاسر الأكبر على هذا الصعيد». فقد كان يتوجب تخفيض الضرائب، وإيجاد بديل من نظام أوباما كاير قبل سنواتٍ من الزمن. «والآن أنت هو الشخص القادر على فعل ذلك. أنت صانع الصفقات. أما أولئك الزعماء في الكونغرس فلا يعرفون كيفية القيام بشيء بمثل بساطة شراء منزل. وإذا كانت هناك فرصة لحضور صانع الصفقات في مركز الرئاسة، فهي هنا الآن. إنني أعلم بوجود عدد كبير من الرجال الطيّبين، لكن معظمهم لم يسبق له أن عقدَ صفقة في القطاع الخاص. وليس هناك، على ما أعتقد، خمسة أشخاص في كابيتول هيل، يُمكن أن أسمح لهم بشراء سيارةٍ لي. لكنني أستطيع أن أكلّفك بشراء سيارة لي. هذا ما أريد إقناعك به الآن: أن تسمح لي بشراء سيارةٍ لك».

توجّه الرجلان بعد ذلك إلى غرفة طعام مجاورة. كانت شاشة التلفزيون الكبيرة تعرض قناة فوكس نيوز السلكية، لكن من دون صوت. انضمّ إلى الرجلين بعد ذلك ماكماستر وبريبوس.

سألَ ترامب: «ماذا يجول في ذهنك؟».

ردّ غراهام: «كوريا الشمالية على المدى القصير. سيأتي يومٌ ويدخل أحدهم إلى هذه الغرفة ليقول: «سيّدي الرئيس، إنهم على وشك الحصول على صاروخ موجّه. تمكنوا كذلك من تصغير حجم سلاحٍ نووي لوضعه داخل الصاروخ. يعني ذلك أن بإمكانهم إصابة بلدنا. ماذا تريدنا أن نفعل؟».

فجأة انجذب انتباه الجميع إلى أربعة صواريخ كورية شمالية موجَّهة. ظهرت منطلقةً في الشاشة التلفزيونية العملاقة. سبق أن أطلقت كوريا الشمالية قبل أيامٍ قليلة، أي في الخامس من شهر آذار/مارس[1] أربعة صواريخ موجَّهة نحو بحر اليابان.

اتسعت عينا ترامب حتى وصلتا إلى حجم عملة الدولار الفضي.

قال غراهام محاولاً تهدئة الجميع، وكان قد شاهد الشريط من قبل: «إنه شريطٌ قديم».

قال ترامب مشيراً بيده نحو الشاشة: يتعيّن عليّ القيام بشيءٍ بهذا الشأن».

ردّ غراهام: «سيأتي ذلك اليوم. لكن ماذا ستفعل؟».

سألَ ترامب: «ما رأيك في ما يجب عليّ فعله بهذا الشأن؟».

قال غراهام: «يمكنك أن تتقبّل حقيقة امتلاكهم للصاروخ الموجّه، ثم تبلغهم مع الصينيين بأنهم، إذا استخدموه، فسوف يعني ذلك نهاية كوريا الشمالية. ثم تقوم بإنشاء نظام دفاعي صاروخي يتمتع بأكبر احتمالات إسقاطه: هذا هو السيناريو الأول. أما السيناريو الثاني فهو أن تُبلغ الصينيين بأننا لن نسمح أبداً بامتلاك كوريا الشمالية لصاروخٍ موجّهٍ كهذا يكون بإمكانه إصابة بلدنا. لكن إذا لم تكترث للأمر فإنني سوف أتولاه بنفسي».

سألَ الرئيس: «وماذا ستفعل؟».

ردّ غراهام قائلاً إنه سيأخذ الخيار الثاني، وإن من غير الممكن أن نسمح لهم بامتلاك تلك القدرات. أما الخيار الأول، فهو بمثابة مخاطرةٍ كبرى.

مال الرئيس قليلاً نحو ماكماستر وسأله: «ما رأيك؟»:

---

(١) انظر: the CNS North Korea Missile Test Database، يمكن تحميلها من:
http://www.nti.org/analysis/articles /cns-north-korea-missile-test-database/

أجاب مستشار الأمن القومي: «أعتقد بأنه على حق».

قال غراهام: «إذا تبيّن لنا أن هذا التهديد جدّي، فإننا [أي الكونغرس] لن نقف موقف المتفرّج ونكتفي بالشكوى والأنين. وإذا امتلكتَ الدليل، فبإمكانك، في اليوم الذي يأتون فيه ليخبروك عن الأمر، أن تستدعي زعماء الكونغرس لتقول لهم إنك مضطرٌ إلى استخدام القوة في هذا الشأن. دعني أقل لك السبب الذي يدفعني إلى طلب دعمك من أجل التصديق على استخدام القوة ضد كوريا الشمالية. أريد القول إنك، إذا حصلتَ على التصويت بنسبةٍ حاسمة، وامتلكتَ التفويض في جيبك، لن تضطر إلى استخدام القوة».

قال بريبوس: «لكن ذلك سوف يكون استفزازياً جداً».

ردّ غراهام: «ونحن نريده استفزازاً مقصوداً. إننا لا نقوم بذلك إلا إذا كان الخيار الأخير المتبقّي لدينا».

قال بريبوس: «لكن ذلك سوف يثير القلق والانزعاج الشديد لدى الجميع».

ردّ ترامب: «لا يهمني من سوف يصاب بالتوتر».

قال غراهام: «لكنك بالتأكيد لا تريد أن ينزل في سجّلك أن كوريا الشمالية، تلك القوة النووية، حصلت على صاروخٍ موجّه بإمكانه الوصول إلى الولايات المتحدة، بينما تكتفي أنت بالمراقبة».

قال ترامب إنه كان يفكّر في ذلك الأمر.

ردّ غراهام قائلاً: «إذا حصلوا على تلك الفرصة، وامتلكوا صاروخاً موجّهاً يصل إلى الولايات المتحدة، فسوف يتوجب عليك أن تردّ عليهم بشدة. وإذا حصلت على تفويضٍ من الكونغرس، فينبغي أن تمتلك شيئاً جاهزاً بحوزتك.

هم يعتقدون أن حصولهم على صاروخ موجّه، ومزود بسلاح نووي، سيجعل بلادهم في مأمن. يتعيّن عليك أن تقنعهم أن محاولتهم امتلاك صاروخٍ موجّهٍ مع رأسٍ نووي سوف ترسم نهايتهم».

قال ماكماستر إن المعلومات الاستخبارية عن كوريا الشمالية ناقصة.

أما غراهام فأبلغ الحاضرين: قائلاً: «اتصلوا بي قبل إطلاق أي شيء».

حرص غراهام على توحيد جهود الحزبين قدر الإمكان، ودعا إلى إشراك الديمقراطيين. وهكذا أراد تزويد ترامب بخارطة طريق حول كيفية التعامل مع الكونغرس. قال غراهام: «سيّدي الرئيس، يتعيّن عليك إقناع بعضِ الديمقراطيين بالانضمام إلينا. أما الأخبار الحسنة هنا، فهي أن إقناع الديمقراطيين ليس صعباً». وقال إن على ترامب التعرّف إلى بعض زعماء الكونغرس البارزين من

الديمقراطيين والجمهوريين. وأضاف قائلاً: «يمكنك الاستفادة من مهاراتك وخبراتك السابقة في عقد الصفقات. لكن يتعيّن عليك أن تقدّم شيئاً إلى هؤلاء الأشخاص. إنني أقوم بهذا مع الجمهوريين والديمقراطيين منذ عشر سنوات».

تساءل ترامب بعد ذلك عن إمكانية نشوء خلافات. ردّ غراهام موافقاً، وأضاف أن الأصدقاء يختلفون على الدوام. «تريد واشنطن، وعلى الدوام، معرفة الخطوة التالية. فإذا أخفق أمرٌ ما يتعيّن المضي قدُماً».

كان يتعيّن على ترامب التوقف عن كتابة التغريدات. لأنه في الأسبوع السابق، أي في الرابع من شهر آذار/مارس[1]، قام بتدوين أربع تغريدات يتّهم فيها أوباما بالتنصت على برج ترامب.

قال غراهام معلّقاً على ردود الفعل السلبية على تغريدات الرئيس، والتي انتشرت على نطاق واسع في وسائل الاتصال الاجتماعي: «لقد تلقيتَ ضربةً قوية، وأنتَ الذي تسببتَ بها لنفسك. لا تعزّز مسعاهم للانقضاض عليك».

قال الرئيس: «لكن التغريدات هي طريقة عملي».

أجاب: «لا ضير إذا كانت التغريدات تصب في مصلحتك سيّدي الرئيس. لكن لا تغرّد ضد مصلحتك. إنّهم يحاولون دائماً جرّكَ إلى مستنقعهم، ويتعيّن عليك أن تعوّد نفسك عدم الوقوع في الفخّ الذي ينصبونه لك».

أجرى ترامب اتصالاً هاتفياً في اليوم التالي مع غراهام ليشكره على النقاش الذي جرى بينهما.

قال غراهام: «أريدك أن تدعو جون ماكين وزوجته سيندي إلى تناول طعام الغداء. جون رجلٌ طيّب. لذلك يجب أن تكون علاقتكما جيّدة. كما أن بإمكانه مساعدتك في أمورٍ كثيرة».

أدلى ترامب عام ٢٠١٥ [2] بأحد أقسى تعليقاته المتهورة عن ماكين. وقال: «إنه ليس بطل حرب، بل كان بطلَ حرب بسبب وقوعه في الأسر. أنا لا أحب الرجال الذين يقعون في الأسر».

كان غراهام يعلم بأن ماكين يكره ترامب. وكان يعلم بأن المرء مضطرٌ إلى التعامل مع أشخاص يكرهونه. لكن غراهام امتنع عن إيصال هذه النصيحة بالذات إلى الرئيس.

---

(١) انظر تغريدات ترامب على: https://twitter.com /realdonaldtrump/status/837989835818287106; https://twitter.com/real donaldtrump/status/837993273679560704; https://twitter.com/realdonald trump/status/837994257566863360; https://twitter.com/realdonaldtrump /status/837996746236182529

(٢) Jonathan Martin and Alan Rappeport, "Donald Trump Says John McCain Is No War Hero, Setting Off Another Storm," The New York Times, July 18, 2015.

قال غراهام: «إن مهمتي الرئيسية إبقاء جون ماكين هادئاً». أما زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل فقد كان. «خائفاً حتى الموت من جون ماكين. وذلك لأن جون لا يعرف حدوداً. إنه يهاجم قيادتنا كما يهاجم قياداتهم. إنني أفعل ذلك في بعض الأحيان. لكنني أفعل ذلك بحذرٍ أكبر. إنه جون فحسب، وهو أطيبُ رجلٍ في العالم. ومتعلقٌ كبير بوسائل الإعلام مثلي أنا. لكنه في أي حال رجلٌ أكثر طيبةً مني».

كان موعد العشاء مع ماكين وسيندي في شهر نيسان/إبريل. وكان غراهام حاضراً كذلك. كرّستْ سيندي حياتها لمكافحة الاتجار بالبشر. وهكذا اقترح غراهام تعيينها سفيرة فوق العادة مكلّفة بهذه القضية بالذات.

أسرع ترامب أثناء تناول طعام الغداء في الغرفة الزرقاء إلى قراءة رسالةٍ موجّهةٍ إلى سيندي ماكين. وقرأها سطراً سطراً.

أورد ترامب في رسالته هذه أنه يرغب بشدة أن تكون سفيرته فوق العادة لقضايا مكافحة الإتجار بالبشر. وقد لاحظ أيضاً أنها كرّست حياتها لقضايا حقوق الإنسان.

ردّت سيندي بعد أن دمعت عيناها: «هذا شرفٌ لي».

كان تأثّر ماكين واضحاً بشدة. وقد شكر الرئيس على وعده بشأن إعادة تأهيل الجيش.

سألَ ماكين: «ماذا بإمكاننا أن نفعل لمساعدتك؟».

ردّ ترامب بتركيزٍ شديد: «لا أريد سوى التعرُّف إليك. إنني معجبٌ بك وأنت رجلٌ صارم. كما أنك رجلٌ طيّب».

بدا الأمر مع الرئيس، وكأنه أقرب ما يكون إلى تقديم اعتذار.

بدا ماكين متأثراً جداً بكلام الرئيس. وقال: «إنه عالمٌ معقّدٌ وصعب. إننا نريد مساعدتك».

سأله ترامب: «ماذا بشأن كوريا الشمالية؟».

ردّ ماكين: «قام الجميع بإفساد هذه المسألة. الديمقراطيون. والجمهوريون. أي آخر ثلاثة رؤساء على مدى السنوات الأربع والعشرين الماضية. أقصد جورج دبليو بوش، وباراك أوباما، وبيل كلينتون.

علّق غراهام مكرّراً ما سبق له أن أبلغ به ترامب: «إليك القرار سيّدي الرئيس. يتعيّن علينا اتّباع استراتيجية احتواء، أي أن ندع كوريا الشمالية تحصل على صاروخ موجّه متقدم ومزود بسلاح نووي. مع التأكّد من قدرتنا على إسقاطه، أو نردعها ونمنعها من إطلاق الصاروخ نهائيّاً، أو نبلغ الصين أن الولايات المتحدة سوف تقوم بمنع كوريا الشمالية من الحصول على تلك القدرة».

سأل ترامب ماكين: «ما رأيك؟».

ردّ ماكين: «الأمر معقّدٌ جداً. يمكنهم قتل مليون شخص في سيؤول بالمدفعية التقليدية، وهذا ما يجعل الأمر صعباً للغاية».

تدخّل غراهام هنا لعرض رؤية متشددة: «إذا مات مليون شخص، فإنهم سوف يموتون هناك، وليس هنا».

وتدخّل ترامب عند هذه النقطة، وقال: «هذه نظرةٌ في غاية القسوة». لكنه أضاف أنه يعتقد بأن الصين تحبّه. بدا الرئيس وكأنه يردّد هذه العبارة عشر مرات تقريباً، وأن هذا يعزّز موقفه كثيراً.

تحوّل النقاش خلال أحد اجتماعات الربيع[1] في المكتب البيضاوي إلى الجدل القائم في كوريا الجنوبية بشأن نشر نظام الدفاع الصاروخي (ثاد THAAD) والمخصّص للدفاع في الارتفاعات العالية في الأجواء العليا، الأمر الذي أصبح قضيةً جدليةً مهمة في السباق نحو الرئاسة في كوريا الجنوبية. يساعد ذلك النظام على حماية كوريا الجنوبية من هجوم صاروخي قد تشّنه ضدّها كوريا الشمالية. لكن الأمر الأكثر أهمية من ذلك هو أن النظام يمكنهُ الإسهام في حماية الولايات المتحدة.

سألَ ترامب: «هل سبق لهم أن دفعوا ثمنه؟».

قال ماكماستر: «لم يدفعوا ثمنه، بل نحن مَن دفع الثمن».

«هذا ليس من الإنصاف في شيء». أراد ترامب الحصول على تفسير. وهكذا انطلق ماكماستر للحصول على بعض الأجوبة من البنتاغون.

قال ماكماستر لدى عودته في المساء: «إنها فعلاً صفقة جيدة لنا. لقد أعطونا الأرض لفترة تسع وتسعين سنة من دون مقابل إيجار. لكننا سوف ندفع ثمن النظام، ونقوم بتركيبه وتشغيله».

ثارت ثائرة ترامب عند هذه النقطة، وقال: «أريد أن أعرف إلى أين يوصلنا هذا». وصلتْ أخيراً بعض الخرائط التي تُظهر موقع النظام الدفاعي. تبيّن أن الموقع يشتمل على قطعة أرض كانت ملعب غولف في السابق.

قال الرئيس، الذي كان لاعب غولف في السابق، ومطوراً ناجحاً في القطاع العقاري: «إنها قطعة أرض بائسة. مَن تفاوض على هذه الاتفاقية؟ مَن هو ذلك العبقري؟ أبعِدوا هذه عني. لا أريد تلك الأرض».

---

(١) "U.S. THAAD Missile System a Factor in South Korea's Presidential Election," CBS News, May 8, 2017.

قال ترامب إن من المقدّر أن يكلّف هذا النظام الدفاعي الضخم ما يزيد على عشرة مليارات دولار على مدى عشر سنوات. لكنه لا يقع على أراضي الولايات المتحدة. «أريد إلغاء الاتفاق وإعادة النظام إلى بورتلاند!».

كان ترامب حانقاً جدًّا بسبب العجز التجاري الذي بلغ ١٨ مليار دولار مع كوريا الجنوبية. لذلك أراد الانسحاب ممّا أسماه الاتفاق التجاري الأميركي- الكوري الجنوبي «المريع».

كانت التوترات المتصاعدة حول (منظومة دفاع جوي صاروخي) سيئة بما يكفي. لكن كوريا الجنوبية كانت حليفاً مهمّاً وشريكاً تجارياً لا غنى عنه للولايات المتحدة. اجتمع ترامب بعد ذلك بماكماستر وماتيس. قال الرجلان: إن الوقت ليس ملائماً لإثارة موضوع الاتفاقات التجارية، بالنظر إلى الأزمة مع كوريا الشمالية.

قال ترامب: «هذا هو أنسب وقت لإثارة الموضوع. وإذا أرادوا الحماية فإن هذا هو الوقت الأنسب لنا لإعادة التفاوض حول الاتفاق. إننا نمتلك الورقة الرابحة».

أبلغ ترامب وكالة رويتر[١] فيما بعد بأن التكلفة الأساسية لنظام ثاد تقدّر بنحو مليار دولار. قال الرئيس: «أبلغتُ كوريا الجنوبية أن من الأنسب لهم أن يدفعوا. إنه نظام بقيمة مليار دولار، وقدرته أسطورية وبإمكانه إسقاط الصواريخ الموجّهة وإزاحتها من السماء».

اتصل ماكماستر في ٣٠ نيسان/إبريل برئيس جهاز الأمن القومي في كوريا الجنوبية، وأبلغ كريس والاس على شاشة فوكس نيوز[٢]، قائلاً: «إن ما أبلغتُه لنظيري الكوري الجنوبي هو أن الاتفاقيات سوف تبقى سارية المفعول إلى أن تجري إعادة التفاوض بشأنها».

وافقت وزارة التجارة الكورية الجنوبية، وكخطوة أولى[٣]، على البدء بإعادة التفاوض بشأن الاتفاقيات التجارية الأميركية- الكورية الجنوبية.

---

(١) Stephen J. Adler, Jeff Mason and Steve Holland, "Exclusive: Trump Vows to Fix or Scrap South Korean Trade Deal, Wants Missile System Payment," Reuters, April 27, 2017.

(٢) "McMaster Says U.S. Will Pay for THAAD Antimissile System in South Korea," Fox News, April 30, 2017.

(٣) "South Korea Trade Ministry Says Ready to Begin Renegotiating U.S. Trade Pact," Reuters, December 17, 2017.

الفصل الرابع عشر[1]

عُيّن الكولونيل ديريك هاريـ، وهو كولونيل سابقٌ في الجيش، وأحد أبرز محلّلي الاستخبارات الذين تستند تحليلاتهم إلى الحقائق في حكومة الولايات المتحدة. عُيّن في شهر شباط/فبراير مديراً لقسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي. كان ذلك مركزاً في غاية الأهمية، ويُعنى بشؤون منطقة مشتعلةٍ بالنزاعات.

يتصف هاري بأنه شخص لطيف الكلام، مندفع، وقد انخرط في مجال الاستخبارات كواحد من رجال التحري في مجال الجريمة. تعوّد هاري التفتيش في آلاف صفحات تقارير التحقيقات، وصفحات التنصّت على وسائل الاتصالات، وتقارير المعارك، والوثائق التي تتناول أعداء الولايات المتحدة، ومعطيات الاستخبارات المباشرة، والمصادر غير التقليدية من مثل زعماء القبائل.

كانت النتيجة ظهور نوعٍ من أنواع التفكير غير التقليدي في بعض الأحيان. وكانت تشير إليه بعض الأوساط على أنه «القنبلة»، بالنظر إلى قدرته واستعداده لتفتيت المفاهيم التقليدية الشائعة.

كتب هاري قبل وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر دراسةً استنتج منها أن أسامة بن لادن وشبكة القاعدة يمثّلان تهديداً للولايات المتحدة. كان هاري شبه وحيد في توقّعه مدى مقدرة قوى المتمردين التي ظهرت في العراق وأفغانستان بعد الاجتياحات الأميركية، وإصرارها. كانت حججه هي أن بعض الأفكار العدائية والطموحة كانت «طموحة لكن غير مقنعة»، أي إن النظام السياسي القائم لن يسمح بها أو باستمرارها، من مثل الإبقاء على عشرات آلاف الجنود الأميركيين في أفغانستان لسنواتٍ عديدة.

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

توجّه هاريـ في لمقابلة جاريد كوشنر، الذي كان يداوم في مكتبٍ صغير مجاورٍ للمكتب البيضاوي.

استرخى كوشنر في جلسته، ووضع رِجلاً فوق رجل، ثمّ بدأ بالاستماع إلى ما يعرضه هاريـ في من قضايا.

كان حزب الله، المنظمة المصنّفة إرهابية(*) والمدعومة من إيران، هو نقطة القلق الأبرز عند هاريـ في منطقة الشرق الأوسط. وأشارت المعلومات الاستخبارية الحسّاسة في ذلك الوقت إلى أن حزب الله يمتلك ٤٨٠٠٠ عنصر عسكري متفرّغين في لبنان. وهو الأمر الذي يمثّل تهديداً وجودياً للدولة اليهودية. يمتلك الحزب كذلك ٨٠٠٠ من قوّاته المرابطة في سورية، واليمن. بالإضافة إلى وحدات فدائية منتشرة في أنحاء المنطقة. يُضاف إلى كل ذلك مجموعات، تضم من ثلاثين عنصراً، إلى خمسين، منتشرة في العالم مثل كولومبيا، وفنزويلا، وإفريقيا الجنوبية، وموزمبيق، وكينيا.

يمتلك حزب الله عدداً مذهلاً من الصواريخ، يصل إلى ١٥٠ ألف صاروخ. علماً بأنه كان يمتلك ٤٥٠٠ صاروخ فقط أثناء حربه مع إسرائيل سنة ٢٠٠٦.

وينتشر عناصر من الحرس الثوري الإيراني في هيكلية حزب الله. وتقوم إيران بتأدية الفواتير المترتبة على الحزب، والتي تصل قيمتها إلى مليار دولار سنوياً.

هيمن حزب الله على لبنان، وأصبح دولةً ضمن دولة، وعلى أتم الاستعداد لاستخدام العنف. ولا يحدث شيء هام في لبنان إلا بموافقة حزب الله. يُضاف إلى ذلك كلّه التزام الحزب القضاء على إسرائيل.

كان حزب الله وكيلاً مثالياً لإيران، التي تستخدمه للضغط على إسرائيل ومهاجمتها، وهي التي أصبحت قواعدها الجوية في مرمى صواريخ الحزب، التي تعجز وسائل الدفاع الإسرائيلية، مثل القبة الحديدية ومقلاع داوود وصواريخ آرو الموجّهة، عن مواجهتها.

جادل هاريـ في حول إمكانية نشوب حربٍ كارثية تترافق مع عواقب بشرية، واقتصادية، واستراتيجية. إن من شأن نشوب حربٍ إيرانية- إسرائيلية جرّ الولايات المتحدة إلى النزاعات، وإفشال الجهود الرامية إلى جلب الاستقرار إلى المنطقة.

تسلّم ترامب نسخة عن الملخّص الذي أعدّته مجلة ريدرز دايجست عن حزب الله. أما دان كوتس المنتمي إلى الاستخبارات المعلوماتية، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية، مايك بومبيو، فقد دعما القضية خلال الاجتماعات الصباحية التي يعقدها الرئيس في المكتب البيضاوي. أما ماتيس وماكماستر، ووزير الخارجية ريكس تيلرسون فقد دعما تلك المسألة بطريقةٍ واقعية.

(*) من قِبَل الولايات المتحدة.

شعر هاري في بأن الآخرين لا يتقبّلون درجة التغيّر التي حدثت في ميزان القوى. فقد رأى هؤلاء أن أي حرب عربية- إسرائيلية أخرى سوف تفاجىء إسرائيل بطريقة تختلف عن أي هجوم حدث من قبل. يعني ذلك أن أي هجوم على نطاقٍ واسع من شأنه التأثير في قدرتها على القتال الفعلي.

شدّد هاري في على هذه النقطة أمام كوشنر، وقال إن إدارة ترامب الجديدة ليست مهيّأة لما قد يحدث. شدّد أيضاً على متابعة مقررات ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لدى اجتماعهما في شهر شباط/فبراير وهي إدراك أهمية الحوار الاستراتيجي، وأهمية اتّباع رؤية جديدة، ومواجهة الوقائع الجديدة على الأرض. أراد هاري في كذلك تعزيز العلاقات بين البلدين التي كان يرى أنها قد تدهورت على مدى السنوات الثماني التي قضاها أوباما في الحكم.

في ذلك الصيف. قام السفير الإسرائيلي في واشنطن، ومستشار إسرائيل للأمن القومي، بدعوة هاري في إلى زيارة إسرائيل.

قال ماكماستر إن هاري في لا يستطيع تلبية الدعوى. لكنه لم يعطِ سبباً لذلك. لكن في أوائل شهر تموز/يوليو رتّب هاري في اجتماعاً مع كبار مسؤلي جهاز الموساد. والاستخبارات العسكرية. وممثّلي سلاح الجو الإسرائيلي والجيش. لكن ماكماستر الغاضب من هاري في[1] منعه من المضي قُدُماً في عقد ذلك الاجتماع.

كان السؤال الكبير على الشكل الآتي: هل كشف هاري في عن القنبلة الموقوتة التالية، أي حزب الله، وسط تلك المجموعة الكبيرة من مشكلات السياسة الخارجية التي تواجه الولايات المتحدة وترامب؟

لم يتأخّر هاري في عن العودة إلى لقاء كوشنر.

سأل كوشنر: «ما رأيك في ذهاب الرئيس إلى الرياض لتكون تلك أول زيارةٍ رئاسيةٍ لنا؟».

قال هاري في: «يتناسب هذا تماماً مع ما نحاول أن نفعله. أي تأكيد دعمنا للسعوديين. وتأكيد أهدافنا الاستراتيجية في المنطقة. لقد تدهور مركزنا كثيراً خلال سنوات حكم أوباما».

اعتقدَ هاري في بأن أوباما قد قضى وقتاً مبالغاً فيه في استرضاء إيران بشأن الاتفاق النووي، مُهملاً في ذلك الوقت العلاقات مع السعوديين والإسرائيليين. إن القيام بالجولة الرئاسية الأولى إلى المملكة العربية السعودية من شأنه المساعدة على التدليل بأن إدارة ترامب تضع أولويات جديدة. وكان من دواعي ارتياح هاري في أن تستهدف الجولة الرئاسية المنطقة التي هو مسؤول عنها. لأن كبار أعضاء مجلس الأمن القومي الآخرين كانوا سيطالبون بأن تكون الزيارة الرئاسية الأولى إلى مناطق مسؤولياتهم.

---

(١) ماكماستر طرد هاري في ٢٧ تموز/يوليو ٢٠١٧.

كان من شأن عقد قمّة في المملكة العربية السعودية أن يفيد إسرائيل كذلك. فقد سبق أن أنشأ السعوديون والإسرائيليون، عدوّا إيران منذ سنوات طويلة، علاقات سرّية بينهما.

عرف هاري في كيفية التركيز بشدة في اقتراح كوشنر، الذي لم يكن مجرد مستشار رئاسي آخر: فقد كان صهر الرئيس يتحدث بمعرفة الرئيس على الأقل، إذا لم يكن بتشجيع منه.

كان هاري في على اتصال وثيق بالاستخبارات الإسرائيلية، شأنه شأن بقية كبار موظفي الاستخبارات الأميركية. وكان يعرف أن كوشنر قد أقام اتصالاته الخاصة مع إسرائيل. وكان نتنياهو صديق أسرة كوشنر منذ وقت طويل.

أبلغ كوشنر هاري في أنه يمتلك معلومات استخبارية موثوقة ومهمة، تفيد أن الباب الذي يوصل إلى المملكة العربية السعودية هو ولي ولي العهد، محمد بن سلمان ذو الشخصية المؤثرة، والبالغ الحادي والثلاثين عاماً من العمر، والذي يُطلق عليه اختصاراً لقب إم. بي. إس. كان محمد بن سلمان، وهو ابن الملك السعودي، يشغل منصب وزير الدفاع، وهو أهم منصب، ونقطة انطلاق للنفوذ في المملكة. وقد امتلك الرؤية الثاقبة، والطاقة اللازمة للتحرّك. كان الرجل متحدثاً لبقاً، وقد تحدث عن إصلاحات تحديث جريئة في المملكة.

عندما علمَ ماكماستر بفكرة كوشنر عقدَ القمة في السعودية سارع إلى طرح السؤال على هاري في بطريقة متوترة: «مَن طرح هذه الفكرة؟ ومَن يحثّ عليها؟».

لم يكن هاري في متأكداً بشأن أي دور يمكن للرئيس أن يؤدّيه، أو لا يؤدّيه، خلال هذه الجولة.

كان ماكماستر معروفاً بكراهيته للنهج الذي يبتعد عن الأعراف المتّبعة. لكن لم يكن لديه أي حيلة بهذا الشأن.

عقد هاري في هذا الوقت سلسلةً من الاجتماعات مع الوكالات الاستخبارية، بما فيها وكالة الاستخبارات المركزية، وهي التي نصحت بأن من الأفضل لكوشنر أن يكون حذراً بهذا الخصوص. أضاف مسؤولو الوكالة أن الرجل القوي الحقيقي هو ولي العهد الحالي محمد بن نايف البالغ السابعة والخمسين من العمر، وهو الذي يُطلق عليه اختصاراً لقب إم. بي. إن. كان الرجل ابن شقيق الملك، وإليه يعود الفضل في تفكيك شبكة القاعدة داخل المملكة، وذلك من خلال منصبه كوزير للداخلية. يعني ذلك أن إظهار تفضيل محمد بن سلمان الأصغر سنّاً من شأنه إحداث شقاق بين صفوف العائلة الحاكمة.

استنتج هاري في، بعد عقود من العلاقات الاستخبارية في الشرق الأوسط، أن كوشنر كان على حق، لأن محمد بن سلمان هو رجل المستقبل، وهو الذي كان يرى أن إحداث التغيير الجذري في المملكة العربية السعودية كان السبيل الوحيد لبقاء المملكة. امتلك هاري في، وبإشراف كوشنر،

السلطة الاستثنائية للبدء بعملية التخطيط. توجّه هاريـ إلى وزارة الدفاع أولاً، ووزارة الخزانة، ثم إلى المجلس الاقتصاد القومي في البيت الأبيض. واعتقد هاريـ بأن المخاطر كانت كبيرة، لكنه رأى معها جوانب إيجابية كثيرة.

ترأس ماكماستر في شهر آذار/مارس اجتماعاً لبحث إمكانية عقد قمة مع المسؤولين السعوديين.

قال وزير الخارجية تيلرسون ملوّحاً بيده للتعبير عن رفضه الفكرة: «إن السعوديين قد تعوّدوا تضخيم الأمور». وأضاف قائلاً: إن من الممكن للمرء أن يشعر بسرورٍ بالغ خلال المفاوضات معهم. لكن عندما يحين الوقت للتوقيع على ورقة فعندها يتراجعون». إن التفاوض مع محمد بن سلمان يجب ألّا يؤخذ بجدية، لأن بإمكان الولايات المتحدة بذل جهودٍ كبيرة في القمة، من دون أن تكسب شيئاً في نهاية الأمر.

قال ماتيس: «إنه جسرٌ بعيدٌ جداً». ورأى أن ترتيب عقود مبيعات أسلحة، ومشروعات أخرى مفيدة لاقتصاد الولايات المتحدة، والتسليمات الضرورية لإنجاح هذه القمة، سوف تستغرق وقتاً طويلاً. «من الأفضل لنا أن ننتظر حتى السنة القادمة لأن الإدارة الجديدة يجب أن تكون أكثر حذراً وتعقّلاً».

أما وزير الطاقة، فقال إن ما هو مطلوبٌ عمله في هذه الفترة القصيرة كثيرٌ جدًّا.

لم يدعم أحدٌ من الحاضرين فكرة عقد القمة بعد شهرين من الزمن، كما اقترح كوشنر في هذا الاجتماع.

كان كوشنر يجلس في الجهة المقابلة من الطاولة، أي قبالة ماكماستر.

قال صهر الرئيس: «أدركُ تماماً أن ما أقترحه هو في غاية الطموح». وقف بعد ذلك وأضاف: «أدركُ تماماً كل النقاط التي تقلقنا، لكنني أعتقد بأننا نمتلك هنا فرصةً حقيقية، وعلينا اغتنامها. وأفهم تماماً أن علينا أن نكون حريصين. لكن يجب أن نعمل من أجل تحقيق هذه القمة بجدية وكأنها سوف تحدث فعلاً. لكن إذا بدا لنا أن من غير الممكن تحقيقها، فسوف نجد أمامنا الكثير من الوقت لتغيير وجهتنا. هذه فرصة حقيقية، ليتم اغتنامها».

لم يجاهر أحدٌ بمعارضته، وكان هاريـ يعرف أنهم لا يستطيعون المعارضة بالفعل. لذلك استمر في التخطيط، وكأن القمة سوف تُعقد فعلاً. بدأ بعد ذلك بتحديد السقوف، وقرّر وجوب تحضير عقود عسكرية بقيمة ١٠٠ مليار دولار، شرط أن يجري الاتفاق عليها مسبقاً.

وقع قرار التخطيط للقمة على هاريـ. وهكذا أرسل فريقاً مكوّناً من ٣٠ شخصاً إلى واشنطن. لذلك جهّز عدة غرف اجتماعات في مبنى آيزنهاور، وشُكّلت مجموعات عمل مؤلفة من أميركيين وسعوديين

مهمتها مناقشة أمور الإرهاب، وتمويله، والحركات المتطرفة التي تستخدم العنف، وكذلك الحملات المعلوماتية. يُضاف إلى ذلك أن البنتاغون عقدَ عدة اجتماعات حول العقود والشراكات الأمنية.

لم يرغب هاريـ في أن يطلب الكثير من السعوديين، وهو الذي كان يعرف أنهم لا يمتلكون أرصدة ضخمة كما يظن كثيرون، ذلك أن أسعار النفط قد هبطت كثيراً، وهو الأمر الذي أحدث انخفاضاً كبيراً في مداخيل المملكة السعودية.

حافظ ماكماستر على عدم حماسته للفكرة. لكن، بالنظر إلى أن كوشنر تبنّى الفكرة، فقد أبلغ هاريـ بوجوب الاستمرار في التخطيط، بالرغم من عدم وجود قدرٍ كبيرٍ من دعمهم للقمة. وقال إنهم سوف يستمرون في هذا الاتجاه، وقد يقومون بإلغائها في وقتٍ ما.

قال كوشنر: إذا كانت الولايات المتحدة ترغب في استمرار تدخّلها في المنطقة، فسوف يتعيّن عليها المساعدة على إنجاح السعوديين والإسرائيليين. لكن الرئيس لن يستمر في دفع فواتير تكلفة الحماية في الشرق الأوسط إذا كانت الجهة المستفيدة هي بلدانٌ في تلك المنطقة، والكلام لا يزال لكوشنر.

اعتبر كوشنر أن المصدر الرئيس للقلق ازدياد النفوذ الإيراني، والعمليات الهدّامة الجارية في المنطقة، ولاسيّما التي يقوم بها حزب الله الذي يشكّل تهديداً لإسرائيل.

قال كوشنر بوجوب حثّ السعوديين على شراء المزيد، وإذا اشتروا أنظمةَ أسلحة، فإن ذلك سوف يساعد الاقتصاد الأميركي، ويولّد فرص عمل كثيرة. ويُحتمل أن يشتري السعوديون مخزونات كبيرة من الأعتدة الحربية، بالإضافة إلى توقيعهم عقود صيانة المعدات الحربية لفترة عشر سنوات.

عاد الفريق السعودي إلى واشنطن في زيارة ثانية، وعقد الوفد على مدى أربعة أيامٍ متواصلةٍ على الأقل اجتماعاتٍ كانت تستمر حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

عقد كوشنر بدوره اجتماعات يومية في مكتبه مع موظفين بارزين في وكالاتٍ أخرى، وكانت تضم عشرات الأشخاص.

لكن السعوديين لم يكونوا في بعض الأحيان يقدّمون ما يكفي بخصوص العقود أو مشتريات الأسلحة.

أبلغ كوشنر هاريـ قائلاً: «سوف أجري مكالمةً هاتفية». جرى الاتصال مع محمد بن سلمان مباشرة، وهكذا زاد السعوديون من مشتريات الأسلحة.

عندما اعتبر كوشنر أن الوقت قد أصبح مناسباً[1]، سارع إلى دعوة محمد بن سلمان لزيارة الولايات المتحدة؛ حيث اصطحبه إلى البيت الأبيض، ليتناول طعام الغداء مع ترامب يوم ١٤ آذار/مارس في غرفة الطعام الرسمية. وكان بين الحضور بينس، وبريبوس، وبانون، وماكماستر، وكوشنر. كان ذلك خرقاً للبروتوكول، وهو الأمر الذي أثار استياء المسؤولين في وزارة الخارجية، وفي وكالة الاستخبارات المركزية. شكّل قيام أمير من الدرجة الوسطى، أي ولي ولي العهد بتناول الطعام في البيت الأبيض، أمراً كان من المفترض ألّا يحدث.

استمر تيلرسون وماتيس في التعبير عن شكوكهما، واعتبرا أن الأعمال كثيرة وصعبة جداً. وكان موقفهما يشتمل على أسئلة عديدة بشأن العقود.

أعطى ترامب أخيراً إشارة البدء[2] لزيارة كل من المملكة العربية السعودية وإسرائيل، وهي الزيارة التي أعلن عن موعدها يوم الخميس، الموافق الرابع من شهر أيار/مايو.

توجّه ترامب إلى المملكة العربية السعودية في زيارة بدأت يوم ٢٠ أيار/مايو وانتهت في ٢١ منه، ولقي ترحيباً حارّاً فيها. أعلن ترامب حينها عن توقيع عقود بقيمة ١١٠ مليارات دولار[3] على شكل مشتريات دفاعية بتمويل سعودي. بالإضافة إلى سلة مشتريات ضخمة تضم عقوداً قيمتها مليارات عدة أخرى من الدولارات. وبالطبع كان الرقم مبالغاً فيه.

اعتبر هارفي أن هذه القمة قد أعادت ترتيب العلاقات بطريقة مثيرة، وأسفرت عن إرسال رسالة استراتيجية إلى إيران، الخصم الرئيسي في المنطقة. كانت القمة بنتائجها تعني توحيد جهود السعوديين، ودول مجلس التعاون الخليجي (البحرين، والكويت، وعُمان، وقطر، والإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية) وإسرائيل. وكانت القمة تعني أن نهج التردُّد الذي اتّبعه أوباما قد انتهى.

أقدم الملك سلمان[4]، الذي كان في الحادية والثمانين من عمره، في الشهر التالي على تعيين محمد بن سلمان الذي كان في الحادية والثلاثين، ليكون ولي العهد الجديد، أي إنه أصبح الرجل التالي الذي يُحتمل أن يقود المملكة لعقود عديدة من الزمن.

---

(١) Julie Hirschfeld Davis, "Trump Meets Saudi Prince as U.S. and Kingdom Seek Warmer Relations," The New York Times, March 14, 2017.

(٢) Mark Landler and Peter Baker, "Saudi Arabia and Israel Will Be on Itinerary of Trump's First Foreign Trip," The New York Times, May 4, 2017.

(٣) Aaron Mehta, "Revealed: Trump's $110 Billion Weapons List for the Saudis," DefenseNews, June 8, 2017.

(٤) Sudarsan Raghavan and Kareem Fahaim, "Saudi King Names Son as New Crown Prince, Upending the Royal Succession," The Washington Post, June 21, 2017.

الفصل الخامس عشر[1]

كان ترامب أحد أبرز المعادين للحرب الدائرة في أفغانستان منذ ستة عشر عاماً، وهي التي أصبحت الآن الحرب الأطول في التاريخ الأميركي. اعتمد ترامب مبدأ صلباً كالصخر يقضي بمعاداة الحرب، بل السخرية منها. وبدءاً من العام ٢٠١١ [2]. أي قبل أربع سنوات من دخوله المعترك الرئاسي رسمياً، شنّ سلسلة مدوية من التغريدات على موقع تويتر.

كتب ترامب في شهر آذار/مارس من العام ٢٠١٢ التغريدة التالية[3]: «أفغانستان كارثة كبرى. إننا لا نعرف ماذا نفعل هناك، وهم لا يفعلون سوى نهبنا ونحن غافلون».

انطلق سيل التغريدات من جديد عام ٢٠١٣. وظهرت التغريدة الآتية في شهر كانون الثاني/ يناير، «دعونا نخرج[4] من أفغانستان. جنودنا يُقتلون على أيدي الأفغان الذين ندرّبهم ونُهرق المليارات من أجلهم. هذا هراء! أعيدوا بناء الولايات المتحدة الأميركية». وكتب في شهر آذار/مارس. «يجب علينا مغادرة[5] أفغانستان على الفور. لا نريد إزهاق المزيد من الأرواح هناك. لكن إذا اضطررنا إلى العودة، فيجب أن ندخل إليها بقوة وبسرعة. أعيدوا بناء الولايات المتحدة أولاً». وكتب في شهر نيسان/ إبريل هذه التغريدة: «تبدو حكومتنا مشفقة جداً[6] على الآخرين إلى حد أن بعض المليارات التي تُهرق

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) انظر تغريدة ترامب على: https://twitter.com /realdonaldtrump/status/122396588336349184

(٣) انظر تغريدة ترامب على: https://twitter.com /realdonaldtrump/status/179270017064513536

(٤) انظر تغريدة ترامب على: https://twitter .com/realdonaldtrump/status/289807790178959360

(٥) انظر تغريدة ترامب على: https://twitter.com /realdonaldtrump/status/307568422789709824

(٦) انظر تغريدة ترامب على: https://twitter .com/realdonaldtrump/status/324590961827143681

في أفغانستان تنتهي بين أيدي الإرهابيين». وظهرت في شهر تشرين الثاني/نوفمبر التغريدة الآتية: «لا تسمحوا[1] لقادتنا الأغبياء جداً بتوقيع اتفاق يُبقينا في أفغانستان حتى العام ٢٠٢٤، وينص على تحميل كل التكاليف للولايات المتحدة الأميركية. اجعلوا أميركا عظيمة مجدَّداً!»

وكتب ترامب في شهر كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥ هذه التغريدة[2]: «قتل مهاجمٌ انتحاري لتوه جنوداً أميركيين في أفغانستان. متى يتحرك قادتنا بقوة وذكاء؟ إنهم يذبحوننا هناك!».

كان ترامب، مثله مثل كل الرؤساء، يتعايش مع أوضاع غير منتهية خلّفها الرؤساء الذين سبقوه. وتُعدّ أفغانستان أوضح مثالٍ على أوضاع الرئاسة الأميركية في القرن الحادي والعشرين. بدأت الحرب في ذلك البلد بعد الهجمات الإرهابية التي حدثت في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، أي عندما تحوّلت أفغانستان إلى الملاذ الذي لجأ إليه أسامة بن لادن وأتباعه في شبكة القاعدة، ثم أصبحت البلاد بعد ذلك مسرحاً هائلاً للتوقعات الطموحة، والنكسات، وسوء الفهم، والالتزامات الضخمة بالأموال، والجنود، والأرواح.

انشغلت وكالة الأمن القومي والرأي العام، في فترة حكم الرئيسين بوش وأوباما، بالجدالات والنقاشات حول عدد الجنود الأميركيين في أفغانستان. وكانت النتيجة ظهور توقعات حول زيادة حدّة الحرب، أو إيجاد حل لها. وركّزت التغطية الإعلامية ذلك الحين في عدد الجنود، والجداول الزمنية لنشرهم أو لسحبهم من أفغانستان. وهكذا تحوّل النقاش حول عدد الجنود المشاركين في الحرب إلى ذريعة للاستمرار في الحرب.

كانت أعداد الجنود خلال فترة رئاسة أوباما تُراوح بين الارتفاع الشديد والتراجع، وهي التي وصلت في ذروتها إلى ١٠٠ ألف جندي، لتعود إلى الانخفاض إلى ٨٤٠٠ جندي فقط. ترافق ذلك مع توقعات طموحة، عادت لتلقى الإهمال إلى حد القول إن المهمة العسكرية ضد تمرد حركة طالبان قد تنتهي. لكن الخبراء داخل البلاد كانوا يعرفون أن ذلك غير مجدٍ على الإطلاق.

صنّف منسّق البيت الأبيض[3] الفريق دوغلاس لوت الحرب على أنها «لعبةُ ورق» وذلك خلال اجتماعٍ عُقد عام ٢٠١٠، بُعَيْد إضافة أوباما ٣٠ ألف جندي آخر إلى عدد الجنود في أفغانستان.

أما الدكتور بيتر لافوي، نائب وزير الدفاع لشؤون المنطقة الآسيوية والمحيط الهادئ الدفاعية، والذي أصبح مسؤولاً في وقت لاحق عن جنوب آسيا في مجلس الأمن القومي، فقد كان مرجعاً معتدلاً في شؤون جنوب آسيا، أي باكستان وأفغانستان. لم يكن لافوي معروفاً كثيراً، لكنه انتقد طريقة

---

(١) انظر تغريدة ترامب على: https://twitter .com/realdonaldtrump/status/403511109942247424

(٢) انظر تغريدة ترامب على: https:// twitter.com/realdonaldtrump/status/679000573241393154

(٣) Bob Woodward, Obama's Wars (New York: Simon & Schuster, 2010), p. 361

عمل المسؤولين عن شؤون الدفاع والاستخبارات. كان الرجل أكاديمياً وفاعلاً على الأرض في الوقت نفسه. اعتبر لافوي أن الهوس بشأن عدد الجنود الأميركيين كان بمثابة كعب أخيل في سياسة إدارة أوباما المتعلّقة بأفغانستان.

قال لافوي: «هناك بالفعل آلاف القبائل المتفرعة في أفغانستان، وكل قبيلة منها تمتلك مآسيها الخاصة بها. لكن إذا زالت طالبان من الوجود. فإن الصراعات سوف تستمر في أفغانستان إلى ما لا نهاية». كان النصر حلماً بعيد المنال. لأن معايير الفوز لم تحدّد مسبقاً.

اعتبر هـ. ر. ماكماستر أنه سوف يعاني من مواجهة كبيرة مع الرئيس ترامب في موضوع حرب أفغانستان. كان ماكماستر على معرفة بأفغانستان. لأنه خدم من العام ٢٠١٠ وحتى العام ٢٠١٢ بوصفه نائب قائد التخطيط J5 في مقرّ قائد حرب أفغانستان في كابول.

قاد ماكماستر خلال حرب الخليج سنة ١٩٩١، والتي أُطلق عليها اسم عملية عاصفة الصحراء، تسع دبابات في معركة تمكّن فيها من تدمير ٢٨ دبابة تابعة للحرس الجمهوري العراقي. وكان ماكماستر قد تخرّج في وست بوينت قبل سبع سنوات فقط بصفة كابتن في الجيش. لم يتكبّد الكابتن ماكماستر أية خسارة. ولم تستغرق المعركة سوى ٢٣ دقيقة فقط. وهكذا تلقّى وسام النجمة الفضية للشجاعة.

يُضاف إلى ذلك أنه قاد، عندما كان برتبة كولونيل خلال الحرب العراقية، الفوج المدرّع الثالث، والمؤلّف من ٥٣٠٠ جندي. ونجح في استخدام تكتيكات حماية السكان أثناء مكافحة التمرد، وذلك خلال الحملة المجرّدة لاستعادة مدينة تلعفر سنة ٢٠٠٥. تحدّث الرئيس بوش[1] علناً عن هذه الواقعة بوصفها نموذجاً للعمليات الحربية، بهدف تقديم، «سبب للتمسك بالأمل في عراقٍ حر».

دعا ماكماستر، في كتابه الذي صدر سنة ١٩٩٧ بعنوان «إهمال الواجب» (Dereliction of Duty)، رؤساء الأركان الذين أشرفوا على حرب فيتنام، وكانوا «الرجال الخمسة الصامتين» الذين أخفقوا في إقامة العلاقات الشخصية الضرورية مع زعماء مدنيين، دعاهم ليعبّروا عن آرائهم. كان كتاب «إهمال الواجب» دليلاً ميدانيّاً لتجنّب فيتنام أخرى.

أما المفارقة هنا فهي أن ترامب كان يقول إن أفغانستان هي فيتنام، أي المستنقع الذي يفتقر إلى هدفٍ أمني واضح. وكان ذلك آخر مثالٍ على عدم التناسق في السياسة الأميركية. كانت مهمة ماكماستر تنسيق التوصيات التي يعتمدها الجيش بخصوص أفغانستان والمترافقة مع أهداف الرئيس. لكن هدف الرئيس الوحيد كان الخروج من تلك الحرب.

---

(١) Transcript, "President Bush Discusses the War in Iraq," CQ Transcripts Wire, March 20, 2006

يعمل المحلّلون في مجلس الأمن القومي بصورة مباشرة. وهكذا ترأّس الكولونيل في الجيش فرناندو لوجان، وهو المسؤول عن الأمن القومي في أفغانستان في ١ آذار/مارس و١٠ منه ٢٠١٧، أول اجتماع مشترك تعقده إدارة ترامب للوكالات الحكومية على مستوى القيادات الوسطى. شارك في ذلك الاجتماع ممثلون عن وزارة الخارجية، والبنتاغون، ووكالات الاستخبارات.

سبق أن عمل لوجان في إدارة أوباما. وكان على معرفة أن السياسة التي اتبعتها إدارة أوباما في أفغانستان كانت بسيطة عملياً، أي تجنُّب وقوع كارثة. لكن تنامى في ذلك الوقت قدرٌ كبير من الشكوك. كما أن احتمالات وقوع كوارث كانت كبيرةً جداً. فعلى سبيل المثال، وضع الشرطة الأفغانية، من حيث الاستقرار الطويل الأمد، في مرتبة سيئة إن لم تكن الأسوأ.

أثار ممثّل وزارة الخارجية في الاجتماع الأول سلسلة من المسائل الأساسية: لماذا نعتقد بأننا نحتاج إلى قاعدة لمكافحة الإرهاب في أفغانستان لتجنُّب وقوع هجوم جديد؟ ما هو مبرّر إنشاء قاعدة أخرى؟ وما الطبيعة الحقيقية للتهديدات الإرهابية الصادرة من أفغانستان؟ ولماذا نعتبر أننا نحتاج إلى آلاف الجنود الأميركيين، وإلى مختصين في الاستخبارات، من أجل مكافحة الإرهاب، في الوقت الذي نمتلك فيه المركبات غير المأهولة وكل الوسائل الأخرى؟ لاحظ كذلك أن استمرارنا في الوجود داخل تلك البلاد، من شأنه التسبّب في المزيد من عدم الاستقرار، ليس بسبب التمرد والعصيان فحسب، بل بسبب اللاعبين الإقليميين كذلك، مثل باكستان.

قال ممثّل وزارة الخارجية إن الولايات المتحدة أكّدت على الدوم أنها لا ترغب في استمرار وجودها، وذلك عندما اجتاحت أفغانستان سنة ٢٠٠١. إذن، كيف نقوم بترديد هذه المقولة الآن، أي بعد مرور ستة عشر عاماً؟

وأكّد ممثّل الجيش أن الوجود العسكري ليس دائماً.

أدى كل ذلك إلى طرح السؤال عن موعد انتهاء الوجود العسكري؛ فضلاً عن الأسئلة الآتية: هل التوصّل إلى حلٍ سياسي هو الهدف، أم أنه الوسيلة؟ وكيف يُمكن للتسوية السياسية أن تكون ممكنة إذا كان المتمردون من طالبان لا يريدون أن تحافظ الولايات المتحدة على أي نوعٍ من أنواع الوجود في أفغانستان؟ وهل يمكن للتسوية السياسية المحتملة أن تكون طريقاً لإقناع الآخرين بضرورة الوجود الدائم في ذلك البلد؟

وإذا تحوّلت التسوية السياسية إلى أولوية قصوى، فإن ذلك سوف يتطلب تقديم بعض التنازلات. لكن هل الرئيس ترامب مستعدٌ لتقديم تلك التنازلات؟

هل كان كل ذلك مجرد ورقة تين تؤدي إلى تمكين الولايات المتحدة من الاستمرار في فعل ما

تريد فعله؟ وهل يحتاج الوضع إلى حكومة ديموقراطية، أم مستقرة، في أفغانستان؟ وكم استثمرت الولايات المتحدة في تسوية سياسية حقيقية؟

لاحظ ممثلٌ آخر عن وزارة الخارجية أن الحكومة المركزية تفتقر إلى الشرعية في عيون الشعب الأفغاني، وأن نسبة تأييدها كانت الأدنى في فترة عشر سنوات، بحسب استطلاع أجري في البلاد. ولاحظ المسؤول أن الاقتصاد غير الشرعي، والأفيون، والتعدين غير الشرعي، كانت كلّها تساوي في حجمها الاقتصاد العادي. كما أن قسماً مهمًّا منه كان تحت سيطرة المتمردين الطالبان.

عمدت وكالة الاستخبارات المركزية والجيش، بعد هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، إلى دفع الأموال إلى أمراء الحرب الأفغان، وطلبت إليهم مطاردة متمردي طالبان. واستُخدمت بعض تلك الأموال من أجل استهداف قوى المعارضة السياسية. وكانت الولايات المتحدة تُنفق في هذا الوقت نحو ٥٠ مليار دولار سنوياً في أفغانستان. لكن هل كانت الحكومة الأفغانية الغارقة في الفساد تكتفي بأخذ المال من الولايات المتحدة وحلفائها لتمويل أعضائها؟ أم هل أدّى ذلك المستوى الضخم من المساعدات إلى إبعاد الحكومة عن إرادة تطوير إصلاحات حقيقية، وابعادها عن العزيمة السياسية لمكافحة الأفيون والأرباح من التعدين؟ كانت الأموال الأميركية سمّاً من السموم المنتشرة في النظام الأفغاني.

لكن في هذه الأثناء برز سؤالٌ أكبر: هل يتعيّن أن يكون دور الولايات المتحدة في أفغانستان من أجل الربح أم على الأقلّ من أجل عدم الخسارة؟

قسّم المشاركون أنفسهم ثلاث مجموعات خلال أحد الاجتماعات، بحيث أخذت كل مجموعة منها لوحاً واحداً، في محاولة لتحديد المشكلة، وأهداف الدولة الاستراتيجية الحيوية. حدّدت المجموعات الثلاث هدفاً كان مشتركاً لديها كلها، وهو منع وقوع هجمات جديدة داخل البلاد.

لكن المشاركين أثاروا سؤالين إضافيين: «ما نوع الحكم الذي تحتاج إليه أفغانستان؟ وما نوع الاستقرار الذي تحتاج إليه الولايات المتحدة هناك لتحقيق هدفها في تجنّب وقوع هجمات إرهابية جديدة؟

في بداية الاجتماعات قدّم ماكماستر مع ممثلين عن البنتاغون، ووزارة الخارجية، ووكالات الاستخبارات، طروحاته أو أهدافه الأربعة، وكانت: ١- التوصّل إلى استقرار سياسي، من شأنه أن يشمل تسوية سياسية مع متمرّدي حركة طالبان. ٢- تشجيع الحكومة الأفغانية على تحقيق خطوات دستورية بهدف مواجهة طالبان. ٣- زيادة الضغط على دولة باكستان المجاورة، وهي الدولة التي كانت تؤدّي دوراً مزدوجاً، أي التحالف في الظاهر مع الولايات المتحدة، ودعم الإرهابيين وطالبان في الوقت ذاته. ٤- الحفاظ على دعمٍ دولي مكوّنٍ من تسعة وثلاثين بلداً متحالفاً مع الولايات المتحدة.

أراد ماكماستر التوصّل إلى حل وسط بخصوص زيادة عدد الجنود الأميركيين في أفغانستان. لذلك قدّم اقتراحاً يقضي بإضافة عدة آلاف من الجنود تراوح ما بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠، لتجنُّب وقوع هجمات إرهابية جديدة. لكن دعا أحد الاقتراحات إلى التفكير في زيادة عدد الجنود بنحو عشرات الآلاف.

خلال أحد اجتماعات لجنة المديرين التي سميّت هكذا لأن المديرين يجتمعون من دون الرئيس، بخلاف اجتماعات مجلس الأمن القومي، ثار المدعي العام سيشنز بوجه الجميع، بمن فيهم ماكماستر، جرّاء فكرة إرسال المزيد من الجنود.

كان الموضوع الأساسي الذي طرحه سيشنز هو أن المجتمعين يدفعون الرئيس إلى عكس ما يؤمن به بالضبط، أي إنهم يوجّهونه إلى المكان الذي لا يريد الذهاب إليه. وقال إننا نخسر أرواحاً كثيرةً في أفغانستان، وهو لا يفهم ما لا يفهمه الحاضرون، لأن هذا ليس هو ما يريده الرئيس.

قال بريبوس إن المشاركين لم يقضوا أوقاتاً في العمل مع الرئيس حول ماهية فلسفته الأساسية ومواقفه بشأن السياسة الخارجية، وأسباب مواقفه هذه. وأضاف أن الرئيس يعتبر «التعليل» أكثر الأجزاء أهمية: لمَ نحن هنا؟ ولمَ نفعل هذا؟ ماذا تريدون أن يحدث؟ ماذا نحاول تحقيقه بالضبط؟

كان هذا هو السؤال بالتحديد الذي حاول بيتر لافوي طرحه في فترة حكم إدارة أوباما. لكن لا بريبوس ولا لافوي حصلا على إجابة مرضية.

استقر اجتماع المديرين أخيراً على إضافة ٤٠٠٠ جندي.

سأل بريبوس: «هل أبلغَ أحدكم الرئيس بأن الخيار الذي وقَعتم عليه يورد أساساً أننا باقون في أفغانستان عقوداً قادمة من السنين؟ سوف يُجنّ إذا ما شرحتم له الأمر. مَن منكم سوف يتحدث معه حول هذه التفاصيل؟».

ساد المكان صمتٌ مطبق.

دعا بريبوس بعد ذلك إلى عقد اجتماع يحضره اللاعبون الأساسيون.

وقال: «اسمعوا، لدينا مشكلةٌ هنا. إننا لا نتواصل مع الرئيس حول القضايا الأكثر أهمية. لمَ تريدون البقاء هناك؟ ما الهدف؟ وما القيمة الأساسية للولايات المتحدة التي تجنيها من وراء وضع أرواح الأميركيين في دائرة الخطر؟ يتعيّن عليكم التوصل إلى فهم أساسي. وإلى اتفاقٍ بشأن تلك القضايا الأساسية، قبل أن تبدأوا بالبحث عن عدد الجنود الذين يتوجّب علينا إرسالهم إلى أفغانستان. يبدو لي أيها السادة أنكم استبقتم الأمور كثيراً».

لكن لم يكن كافياً لماكماستر الإعلان أن الهدف كان تجنُّب وقوع هجوم إرهابي جديد. كانت

المسألة في غاية البساطة: كيف يُمكن لعدة آلافٍ إضافيين من الجنود المساعدة على تحقيق ذلك الهدف؟

تقيم في أفغانستان أربع بعثات: التدريب وتقديم المشورة للجيش والشرطة الأفغانيَين: والدعم اللوجستي: ومكافحة الإرهاب: والاستخبارات. وقد تعيَّن على ماكماستر استنباط استراتيجية تتفادى حدوث تصعيد، أو ما يقرب من التصعيد. ولا يتعيّن على هذه الاستراتيجية أن تتحدى بصفاقة رغبته المعلنة في الخروج من أفغانستان. لكن ينبغي لها التسويق بلطفٍ لنهجٍ جديد، سرعان ما سيُطلق عليه اسم «المحافظة على المسار».

في ٢٨ آذار/مارس، اقترح ماكماستر ما أطلق عليه مسؤولو مجلس الأمن القومي اسم الراءات(*) الأربعة في إشارةٍ إلى الحرف الأول بالإنكليزية من أربع مفرداتٍ هي: التعزيز، وإعادة الترتيب، والمصالحة، والمناطقية. كانت تلك هي مكوّنات الاستراتيجية الأفغانية التي كان يقترحها. وهي تتناسق بدقة داخل مفهومه للإطارات الأربعة. يعني التعزيز إرسال المزيد من الأعتدة الحربية والمزيد من التدريب؛ وتعني إعادة الترتيب استهداف التمويل للمناطق التي تقع تحت سلطة الحكومة الأفغانية، وذلك بدلاً من الأراضي المتنازع عليها والتي تسيطر عليها طالبان؛ وتعني المصالحة محاولة حثّ الحكومة الأفغانية على إشراك الأطراف الأخرى في الحكم، وإجراء انتخابات، والعمل مع المتنفذين؛ أما المناطقية، فتعني أن تعمل الولايات المتحدة مع اللاعبين الإقليميين مثل الهند.

رست الخطة المقترحة بحلول شهر أيار/مايو على حلٍ وسط يقضي بإضافة ما بين ٣٠٠٠ جندي و٥٠٠٠. وكان من المقرّر أن يكون بعضهم «خارج السجلات»، أي لن يجري تعدادهم ضمن الأعداد الرسمية المعلنة للجنود.

تستهدف الخطة مكافحة الإرهاب، كما تلحظ أن تقوم كتيبة الملاحة الجوية بمساعدة الجيش الأفغاني عند اشتداد المعارك مع طالبان. لقد تغيّرت قواعد الاشتباك في ذلك الوقت. إذ لم يكن باستطاعة القوات الأميركية في السابق استخدام القوة إذا ما شعرت بالتهديد. لكنّها الآن أصبحت قادرة على استخدام القوة عندما يتعرّض الجيش الأفغاني للتهديد.

كان السيناتور ليندسي غراهام يحث ترامب في هذا الوقت على إرسال مزيدٍ من الجنود. كذلك عقد غراهام وترامب ثلاث محادثات حول أفغانستان في شهر أيار/مايو.

سألَ غراهام: «هل ترغب أن يُظهر سجّل رئاستك أنك سمحتَ لأفغانستان بالعودة إلى الظلمات، حيث يأتي هجوم الحادي عشر من أيلول/سبتمبر الجديد من المكان ذاته الذي أتى منه

(*) The R4s: Reconcile, Regionalize, Reinforce, Realign. (المترجم)

هجوم الحادي عشر من أيلول/سبتمبر الأول؟». كانت وجهة نظره هذه مماثلة لتلك التي عبّر عنها حول كوريا الشمالية.

سألَ ترامب: «حسناً. وكيف سينتهي هذا؟».

قال غراهام: «لن ينتهي أبداً. إنها مسألة الخير مقابل الشر، وصراع الخير مع الشر لا ينتهي أبداً. يشبه هذا الوضع ما حدث مع النازيين، لكن صراعنا الآن مع الإسلام المتطرف. وهو سوف يتحوّل إلى أمرٍ آخر في يوم من الأيام. يعني ذلك أن هدفنا هو التأكد من عدم تعرّض بلدنا لهجوم ينطلق من أفغانستان. انظُر إلى آلاف الجنود الإضافيين الذين أردناهم أن يكونوا بمثابة «بوليصة» تأمين لضمان عدم وقوع هجوم حادي عشر من أيلول/سبتمبر آخر. يتعيّن عليك الإصغاء إلى جنرالاتك». لجأ غراهام هنا إلى استعارة كان يعلم أنها سوف تُعجب ترامب وقال: «كان الجنرال أوباما مريعاً، والجنرال بايدن مريعاً. والجنرال سوزان رايس بغيضة. والجنرال فاليري جاريت... لكن الجنرال ترامب لن يكون أفضل منهم. والجنرال غراهام ليس أفضل كذلك. يتعيّن عليك الإصغاء إلى جنرالاتك، أو يُمكنك طردهم من الجيش».

أجرى بِنس، نائب الرئيس، اتصالاً ذات مرة مع غراهام ليقول له: «يتعيّن عليك إبلاغه [أي إبلاغ الرئيس] بكيفية انتهاء هذا الأمر». كرّر غراهام القول إن هذا الأمر لن ينتهي أبداً.

كان غراهام على علم بالصراع الداخلي الدائر في البيت الأبيض. وكان الجنرال كيلوغ، كبير موظفي مجلس الأمن القومي، يقف إلى جانب بانون الذي كان يدعو إلى وجوب الانسحاب من الحرب. كان ذلك يعني بأن كيلوغ في حالة نزاعٍ مع ماكماستر، أي رئيسه.

لاحظ غراهام المعلومات التي كان يقوم بانون، أو شخص آخر، بتسريبها: ووصفها بأنها، «حرب ماكماستر». فاتصل غراهام بترامب على الفور.

أبلغ غراهام الرئيس: «إنها حرب ترامب يا صديقي، لأن أحداً لن يتذكر ماكماستر أو بانون في التاريخ، بل سوف يتذكرونك أنت».

كان بانون يرى أن النظام القديم سوف يستمر في ما كان يفعله على الدوام، أي الاستمرار في المسار نفسه أو الانسحاب المذل. أراد بانون إيجاد طريقة للتخفيف من مخاطر الانزلاق، وتوفير غطاء للرئيس ترامب.

كتب إيريك. د. برنس، مؤسّس شركة بلاك ووتر للتعاقدات الدفاعية المثيرة للجدل، مقالة

افتتاحية في عدد ٣١ أيار/مايو[١] من صحيفة وول ستريت جورنال أعلن فيها، أن «أفغانستان كارثة مكلفة لأميركا». واقترح في تلك المقالة إقامة منصب ما يسمى نائب الملك ليقود كل الجهود العسكرية في أفغانستان. واقترح أن يستغنى عن الوجود العسكري الأميركي، وأن تستبدل به «حلول خاصة أقل تكلفة» يتكفّل بها متعهدون يقومون بالتزامات، وعلى مدى سنوات عديدة، لتدريب القوى الأمنية الأفغانية، والإبقاء فقط على عمليات صغيرة خاصة بقيادة الجيش الأميركي. «يجب على الولايات المتحدة أن تُعدّل مسارها الذي اتّبعته على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية من بناء الدولة [أفغانستان]، وأن تركّز بدلاً من ذلك في ضرب طالبان، والإرهابيين الآخرين، بشدة، حيث يدفعهم ذلك إلى التوسّل لطلب التفاوض. لكنهم سوف ينتصرون إلى أن يشعروا بالضغط الحقيقي، ويعرفوا أن الولايات المتحدة تمتلك القوة الثابتة».

لا يُعد هذا الطرح مبالغاً فيه، لأنه كان يعني أن متعهدي القطاع الخاص مثل برنس، وهو شقيق وزيرة التربية بيتسي دافيس، سوف يجنون منه أموالاً طائلة.

سأل بانون مدير وكالة الاستخبارات المركزية مايك بومبيو إن كان بإمكانه إيجاد حل وسط لهذه المسألة. وافق بومبيو على الذهاب إلى أفغانستان في الأسبوع الأول من شهر آب/أغسطس.

دأبت وكالة الاستخبارات المركزية، خلال سنوات، على تشغيل[٢] جيش شديد السرية مؤلف من ٣٠٠٠ رجل في أفغانستان. كان الأفغان هم الذين يدفعون تكلفة هذا الجيش السري الذي أطلق تسمية «فرق مطاردة الإرهابيين» CTPT. في حين كانت وكالة الاستخبارات المركزية هي التي تتولى تدريبه وإدارته. كان الجيش يضم خيرة المقاتلين الأفغان ونخبة العسكريين. تمكّن هذا الجيش من قتل متمردي طالبان أو أسرهم: وتعوّد المقاتلون التوجّه إلى المناطق القَبَلية للقضاء عليهم. ونفّذ الجيش عمليات خطيرة ومثيرة للجدل داخل باكستان المجاورة. هل يمكن توسيع هذه القوة شبه العسكرية المثيرة للجدل، وهو الأمر الذي يجعل من زيادة عدد الجنود الأميركيين في أفغانستان أمراً غير ضروري؟ وهل يمكن لهذه القوة شبه العسكرية التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية، والتي تضم عدة آلاف من القوات الخاصة، أن تقوم بالمهمة، بحيث تتمكّن القوات البرية الأميركية النظامية من مغادرة البلاد؟

اتصل ماتيس بالسيناتور غراهام، وشرح له أن اقتراحاً جديداً هو قيد الإعداد، يقضي بأن ينسّق الجيش مع وكالة الاستخبارات المركزية. «تمتلك وكالة الاستخبارات المركزية أهدافاً في غاية

---

(١) The Wall Street Journal: Erik D. Prince, "The MacArthur Model for Afghanistan," The Wall Street Journal, May 31, 2017.

(٢) Bob Woodward, Obama's Wars (New York: Simon & Schuster, 2010), p. 8

الأهمية». كانت الوكالة تريد القيام بأربع عمليات: «حيث تُجرى عمليتان في كل جانبٍ من جانبَي الحدود الأفغانية - الباكستانية».

عندما حاول ماكماستر إقناع الرئيس بنسختين مختصرتين من المفاهيم، مثل «الإطارات» أو الراءات الأربعة، استبعدها ترامب باستبعادها. طرح الرئيس سؤالاً واحداً: «ماذا نفعل هناك بحق السماء؟». لكن الرئيس عرض على الوزير ماتيس وبانون الفكرة الآتية: «أريد إحضار بعض الجنود النظاميين، وأريدهم من المحاربين الحقيقيين. أريد هؤلاء وليس الضباط». أراد الرئيس الاطّلاع على آرائهم العملية المباشرة عن أفغانستان.

تذكّر بانون، الذي تعوّد التنقيب في التاريخ من أجل استخلاص حقائق تخدم أهدافه، شغفَ الرئيس لينكولن الشديد بالاستماع إلى الجنود، وكأنهم رؤساء أركان في الجيش.

تناول ترامب في ١٨ تموز/يوليو طعام الغداء[1] في البيت الأبيض مع ثلاثة جنود وأحد الملّاحين الجويين الذين خدموا في أفغانستان. جلس ترامب وبنس وماكماستر إلى أحد جانبَي طاولة الطعام العريضة واللامعة في غرفة روزفلت، وجلس إلى الجانب الآخر الشبان الأربعة بالزي العسكري. بدا الشبان مرتاحين في جلستهم، بينما كانت الكاميرات توثّق زيارتهم للبيت الأبيض.

قال الرئيس ترامب: «أريد معرفة سبب وجودنا هناك على مدى سبعة عشر عاماً، وكيف تجري الأمور هناك، وما الذي يجب علينا فعله بخصوص الأفكار الإضافية. إننا نمتلك هنا عدداً وفيراً من الأفكار التي قدّمها عددٌ كبير من الناس، لكنني أريد سماع تلك الأفكار من أشخاصٍ عمِلوا على أرض الواقع».

قدّم ترامب في وقتٍ لاحق ملخّصاً لآراء الجنود إلى بانون: «ينبغي التوصّل، وبشكلٍ جماعي، إلى تصوُّرٍ يسمح لنا بالخروج من هناك بأي ثمن. الناس هناك فاسدون كليًّا. لذلك لا يستأهلون أن نقاتل لأجلهم... لا يفعل حلف الناتو أي شيء. إنهم عقبة في وجهنا. لا تدع أي شخص يقنعك بأنهم عظماء، ذلك أن أي كلام من هذا النوع هو سخافة بالكامل».

في العاشرة من صباح اليوم التالي، أي في ١٩ تموز/يوليو، عُقد مجلس الأمن القومي[2] في غرفة الاجتماعات التابعة له، بغية عرض الاستراتيجية.

قضى ماكماستر القسم الأول من الاجتماع في تحديد الأهداف وترتيب الموضوعات التي

---

(١) "In Town Pool Report #3," 1:12 p.m., July 18, 2017, http://www.presidency.ucsb.edu/report.php?pid=2365

(٢) مراجعة الكاتب للمذكرات التي كتبها أحد المشاركين في الاجتماع.

سيجري النقاش بشأنها. أظهر ترامب ضجره، وبدا أنه قد توقّف عن الإصغاء. سارع ترامب إلى مقاطعة ماكماستر بعد مضي نحو خمس دقائق. قال ترامب قبل أن ينهي ماكماستر عرضه: «لطالما سمعت هذه التفاهات عن أفغانستان على مدى سبع عشرة سنة، وكل هذا من دون نتيجة». أضاف الرئيس أننا نمتلك مجموعة من الاستراتيجيات القصيرة المدى وغير المترابطة، ولا يمكننا الاستمرار في تلك الاستراتيجية القديمة.

أثار الرئيس موضوع اجتماعه مع الجنود الذي عُقد في اليوم السابق. وقال إن أفضل المعلومات التي حصل عليها جاءت من أولئك الجنود الميدانيين وليس من الجنرالات. ثم توجّه إلى ماتيس ودانفورد وماكماستر بالقول: «إنني لا أكترث لكم. إننا نخسر كثيراً في أفغانستان التي تحوّلت إلى كارثة. حلفاؤنا لا يساعدوننا، كما أن أولئك الجنود الأشباح الذين يقبضون مرتباتهم من دون أن يقدموا أي خدمة، إنما يقضون علينا».

وأضاف ترامب أن الناتو كارثة، ومجرّد هدر. وقد أبلغه الجنود أيضاً أن جنود الناتو لا يفعلون شيئاً على الإطلاق. قال الرئيس: «باكستان لا تساعدنا، والباكستانيون ليسوا بأصدقاء فعليين لنا بالرغم من أن الولايات المتحدة تعطيهم مساعدات بقيمة ١,٣ مليار دولار سنوياً». أضاف الرئيس أنه رفض إرسال أي مساعدة إضافية إليهم.

أصرّ الرئيس على القول إن الزعماء الأفغان غارقون في الفساد، ويكسبون المال من الولايات المتحدة. لكن حقول الحشيشة كانت بمعظمها في المناطق التي تسيطر عليها طالبان، ولم تكن من ضمن مناطق نفوذهم.

أبلغ الرئيس جنرالاته ومستشاريه قائلاً: «بإمكان الجنود الذين يقاتلون على الأرض إدارة الأمور أفضل منكم بكثير... وهم يقومون بمهمات أفضل من تلك التي تقومون بها. لا أعرف ماذا نفعل هناك بحق السماء».

كان ذلك اللقاء بمثابة جلسة توبيخ للجنرالات، وكبار المسؤولين. استمرت خمساً وعشرين دقيقة.

قال تيلرسون: «لا يمكنك التفكير في أفغانستان بشكلٍ منعزل... ويتعيّن عليك التفكير فيها في سياقٍ إقليمي. لم يسبق لنا أن اتّبعنا مثل هذا النهج المتعدّد الأوجه تجاه أفغانستان والمنطقة».

سأل ترامب: «لكن هل ننتظر سقوط أعدادٍ إضافية من القتلى؟ وكم من الناس سوف يخسرون أطرافهم؟ وكم من الوقت الإضافي الذي يجب علينا قضاءه هناك؟» كانت حجة الرئيس المعادية للحرب تعكس رغبات قاعدته السياسية، وهي الممثلة بأعدادٍ كبيرة في القوات المسلحة.

قال ماتيس: «إن أسرع طريقةٍ للخروج من هناك هي أن ننهزم».

تحوّل هنا موقف ترامب وقال: «إن مودي، رئيس وزراء الهند، صديق لي، وأنا أحبّه كثيراً. قال لي مودي إن الولايات المتحدة لم تكسب شيئاً من أفغانستان. لم تكسب شيئاً. علماً أن أفغانستان تمتلك ثرواتٍ معدنية هائلة. إننا لا نأخذ كما يفعل الآخرون. أي مثل ما تفعل الصين، والولايات المتحدة بحاجة إلى بعض من مصادر أفغانستان الثمينة مقابل تقديم أي دعم إليها. إنني لن أُجري أي اتفاق على أي شيء إلى أن نحصل على المعادن... كما يتعيّن على الولايات المتحدة أن توقف الدفع إلى باكستان حتى تتعاون معنا».

تحدّث ماتيس عن الهيكلية الاستراتيجية التي قدّمها، وأهداف منع انتشار الأسلحة النووية. وقال إننا نحتاج إلى استراتيجية وسطية كي نتمكّن من تقوية الأفغان.

سألَ ترامب: «لمَ لا ندفع إلى مرتزقة للقيام بالعمل نيابةً عنا؟».

قال ماتيس: «يتعيّن علينا أن نعرف إن كان القائد الأعلى إلى جانبنا كلّيّاً في هذا الطرح... لا يمكننا خوض حربٍ غبيةٍ بعد الآن». أضاف ماتيس أن نجاح الجيش يتطلب أن يكون ترامب مع هذه الاستراتيجية كلّياً.

ردّ ترامب: «سئمتُ من سماع عبارة أن علينا أن نفعل هذا أو ذاك من أجل حماية بلادنا، أو من أجل ضمان أمننا القومي».

اكتفى سجلّ مجلس الأمن القومي الرسمي والكامل عن ذلك الاجتماع بذكر أن ترامب «صادَقَ» على استخدام «خليط من الأدوات» للضغط على باكستان كي تتخلى عن دعمها السرّي لطالبان. لكن الوثيقة، وعلى عكس كلام ترامب، أوردت أن الولايات المتحدة سوف تستمر في التعاون مع باكستان عندما تتقاطع المصالح. وأن تقديم المساعدات المدنية لباكستان سوف يستمر، بينما يتوقف تقديم المساعدات العسكرية على السلوك الأحسن لها. بدت هذه الاستراتيجية جديدة وصارمة من الناحية البلاغية والعملياتية.

في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم[1] تجمّع في مكتب بريبوس أولئك الذين شاركوا في الاجتماع، وذلك بهدفِ مناقشة مسألة الاستراتيجية المتبعة تجاه أفغانستان وجنوب آسيا. جهد ماكماستر لعرض الأمور بطريقة تُظهر أنه سمع آراء الرئيس، كما حاول قدر الإمكان التشديد على الاتجاه العام لهذه الاستراتيجية بطريقةٍ مسؤولة. وحاول أن يكون متفائلاً، لكن كان من الواضح أنه، هو وماتيس، وتيلرسون، قد بذلوا أقصى جهودهم.

---

(١) مراجعة الكاتب للمذكرات التي كتبها أحد المشاركين في الاجتماع.

استضاف بريبوس في ذلك المساء[1] اجتماعاً لمناقشة الاستراتيجية على مائدة الغداء. بدا بانون في ذلك الاجتماع وكأنه يروّج للخطة المرسومة. في حين أن بريبوس وستيفن ميلر، وهو مستشار سياسات، وشاب يتبع خطّاً متصلباً، وكاتب خطابات كان مدير الاتصالات لدى جيف سيشنز، قد اشتكيا من طريقة عمل مجلس الأمن القومي. أما ماكماستر فلم يظهر وكأنه يرغب في تطبيق آراء الرئيس. لكنه كان يحاول إقناع ترامب بآرائه. أراد بانون استبعاد ماكماستر ليحلّ كيلوغ محلّه، وهو كبير موظفي مجلس الأمن القومي، وله رؤية للعالم تتطابق مع رؤية الرئيس.

أبلغ غراهام ترامب أن أشرف غاني، رئيس أفغانستان، سوف يسمح له بتشغيل العدد الذي يريده من جنود مكافحة الإرهاب، وبإقامة العدد الذي يريده من قواعد وكالة الاستخبارات المركزية. كان ذلك سيشكّل أفضل موقع تنصُّت وأفضل منصة لمكافحة الإرهاب الدولي في العالم. قال غراهام: «سوف يسمحون بوجود ١٠٠٠٠٠ جندي. يمكنك أن تقفز فرحاً لأنك تمتلك شريكاً في مكافحة الإرهاب في أفغانستان، الأمر الذي من شأنه تفادي وقوع هجوم آخر مثل هجوم الحادي عشر من أيلول/سبتمبر».

قال ترامب: «لكن ذلك لن يسهم في بناء الدولة».

ردّ جيفرسون موافقاً: «إننا لن نذهب إلى هناك من أجل نشر الديمقراطية الجيفرسونية». كانت النقطة التي تثير قلقه هي ازدياد التوتر الذي لا نهاية له بين باكستان والهند، وأضاف: «تقوم باكستان بإنفاق مبالغ كبيرة من أجل صنع المزيد من الأسلحة النووية، وهكذا بدأ الأمر يفلت من عقاله بالفعل».

سبق لغراهام أن قام منذ وقت قريب بزيارة أفغانستان. لكنه غادرها متشائماً. قال بعد ذلك: «لا نمتلك خطة لأداء دورٍ في الجانبِ الدبلوماسي». لم يكن هناك ممثّل خاص ليؤدّي الدور الذي كان يؤدّيه ريتشارد هولبروك في القسم الأول من رئاسة أوباما. وأضاف: «حتى أننا لا نمتلك سفيراً». لكن على حد علمه كان هناك شخصٌ واحدٌ فقط يعمل في مكتب شؤون جنوب آسيا في وزارة الخارجية.

قال غراهام: «سوف نُخفق في الجانب السياسي». ورأى أن التسوية السلمية مع طالبان هي المخرج الوحيد من المأزق. «سوف يستمر الباكستانيون في أداء دورٍ مزدوج، إلى أن يروا أن طالبان قد بدأت تخسر».

امتلك ترامب حلاً: هل يريد غراهام أن يصبح سفيراً لدى باكستان؟

قال غراهام: «كلا. لا أريد أن أكون سفيراً لدى باكستان».

---

(١) مراجعة الكاتب للمذكرات التي كتبها أحد المشاركين في الاجتماع.

تُركت المسألة عند هذا الحد.

بدأ ترامب في البيت الأبيض بترديد الموقف الذي سمعه في الاجتماع: «الطريقة الوحيدة لنفوز بها هي إقامة تمردٍ ضد تمرد طالبان».

أُعجب ترامب بفكرة التمرد، أي تجريد حملة تكون الدولة متأكدة من أن أحداً لن يربحها. قال الرئيس: «هؤلاء هم الرجال الذين حاربوا الروس في الثمانينات على ظهور الخيل». هذا هو الحل الصائب.

صبّ بانون الزيت على نار فكرة الحملة ضد طالبان، وذلك عندما انتقد الجيش الأفغاني الضعيف. قال بانون: «أنفقنا تريليون دولار من أجل انتقاء المحاربين الأفضل في العالم، لكي نحوّلهم إلى أسوأ جيش في العالم».

أُعجب ترامب بهذا الرأي كذلك. وهكذا عبّر بانون عن أجرأ موقفٍ يعتقد بأنه يستطيع أن يصل إليه. كان الرجلان يحاولان تكوين سياسة عن طريق سلسلة من الكليشيهات المؤلفة من جملةٍ واحدة.

أما غراهام، فقد قدّم تحذيراً آخر إلى ترامب.

أبلغ غراهام ترامب محذّراً: «اسحبهم جميعاً من هناك. لأن ٨٦٠٠ [من الجنود] لن يفعلوا شيئاً، وتقبّل العواقب». وكان يشير إلى عدد الجنود الموجودين في أفغانستان حالياً. «والعواقب المرتقبة هي: سوف تتحول [أفغانستان] إلى عراق أكثر غلياناً. ينتشر في أفغانستان إرهابيون دوليون أكثر كثيراً من العدد الذي انتشر في العراق في أي وقتٍ من الأوقات. وسوف يكون التدهور سريعاً، كما أن احتمالات الأعمال الإرهابية الآتية من أفغانستانَ سوف تزداد بطريقةٍ مضاعفة. وسوف يأتي هجوم الحادي عشر من أيلول/سبتمبر التالي من حيث أتى الأول. هذا هو اختيارك. أما السؤال المطروح فهو: هل سوف تمضي في سلوك الطريق التي اتّبعها أوباما إلى النهاية وتضع حداً للحرب، الأمر الذي يضعنا جميعاً في دائرة الخطر، أم سوف تسلك طريق ضمان استقرار أفغانستان؟».

الفصل السادس عشر[1]

«لا شكّ في أنك تمزح معي». هذا ما قاله بريبوس لوزير الخارجية تيلرسون خلال مكالمة هاتفية جرت بينهما في أوائل شهر آذار/مارس. كان من المقرر مراجعة الاتفاق النووي مع إيران، بعد كل ٩٠ يوماً. قال تيلرسون إنه لم يتبقَ سوى يومين لتجديد الاتفاق أو رفضه. وسبق أن وصف ترامب ذلك الاتفاق[2] بأنه «أحد أسوأ الاتفاقات التي رأيتها في حياتي». أما في العام ٢٠١٦، أي عندما كان مرشّحاً للرئاسة[3] فقد قال: «إن أهمّ أولويةٍ عندي هي إلغاء ذلك الاتفاق الكارثي مع إيران».

لكن تيلرسون أراد تجديد الاتفاق لأسباب عملية. وبوصفه مسألة مبدأ. أما الواقع الأهم فهو أن إيران التزمت بما اتفقت عليه مع إدارة أوباما. وهكذا صاغ تيلرسون نصاً محدداً تمهيداً لتجديده.

قال بريبوس: «لن يوافق الرئيس على هذا. وعليك أن تأتي بصياغة أفضل. لأن اللهجة الليّنة والواقعية لن تغيّر شيئاً فيه. إننا بحاجة إلى صيغة تستطيع الإقناع الفعلي بوجهة نظر ترامب. وهذا النص لن يعجبه. وسينفجر غضباً عندما يقرأه».

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Donald J. Trump, "The President's News Conference with Prime Minister Benjamin Netanyahu of Israel," February 15, 2017.

متاحة على الإنترنت لجيرهارد بيترز وجون ت. وولي، المشروع الرئاسي الأميركي

Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=123361

(٣) Donald J. Trump, "Remarks at the AIPAC Policy Conference in Washington, DC," March 21, 2016

متاحة على الإنترنت لجيرهارد بيترز وجون ت. وولي، المشروع الرئاسي الأميركي

Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=116597

وعندما لخّص بريبوس الاقتراح الذي قدّمه تيلرسون، ردّ الرئيس بحسم: «لن تفلحوا في إقناعي بهذا غصباً عني!»

قام بريبوس بعد ذلك بجولات مكوكية بين الرئيس وتيلرسون.

قال تيلرسون: «إنهم لا يخرقون الاتفاق. وتؤكّد وكالات الاستخبارات، وحلفاؤنا الذين وقّعوا الاتفاق معنا، أن إيران لا تخرقه».

قال بريبوس: «إن هذه الحجة لن تقنعه». لكن تيلرسون تمسّك بموقفه، ثم ردّ بريبوس: «لدينا مشكلة إذاً». ثم رأى أن عليه تذكير تيلرسون بأن «الرئيس هو مَن يتخذ القرارات هنا». ثم حاول رفع المسؤولية عنه قائلاً: «أنا لا أحاول تصعيب الأمر عليك».

وفي اجتماع آخر بينهما قال ترامب لتيلرسون: «هذا أحد أهم المبادئ التي التزمتها. أنا لا أحبّذ هذا الاتفاق الذي كان أسوأ اتفاق توصلنا إليه على الإطلاق، وها نحن الآن نقوم بتجديده». لكنْ، ولأنه لم يتبقَ من المهلة سوى تسعين يوماً، فإني سأوافق هذه المرة. «لكن هذه هي المرة الأخيرة. لا تعد إليّ مجدداً لمحاولة تجديد هذا الشيء، ولن تكون هناك تجديدات أخرى لهذا الاتفاق المخزي».

توصّل ماتيس إلى طريقة دبلوماسية وأكثر هدوءاً للتوافق مع تيلرسون، فقال لترامب: «حسناً، سيدي الرئيس. أظنُّ أنهم يطبّقون الاتفاق من الناحية التقنية».

راقب بريبوس ما يجري بإعجاب. ذلك أن ماتيس لم يكن ذلك الرجل المتواضع، لكنه بالتأكيد يعرف كيفية التعامل مع ترامب.

كان على تيلرسون في ١٨ نيسان/إبريل إرسال رسالة إلى رئيس مجلس النواب بول رايان. لكن ترامب لم يرضَ بما ورد في المسودة الأولى، واقترح أن تتضمن الرسالة القصيرة[1] ما يؤكّد أن إيران كانت «أبرز دولة راعية للإرهاب»، وأن مجلس الأمن القومي سوف يقوم بمراجعة الموقف بشأن الاستمرار في رفع العقوبات الاقتصادية، والذي كان جزءاً من الاتفاق.

بدأ المعلقون في المحطات التلفزيونية بمهاجمة ترامب فور نشر الرسالة، ما أدى إلى انزعاجه الشديد، فأمر تيلرسون بعقد مؤتمر صحفي للتنديد بالاتفاق الذي جرى تجديده للتو، والتنديد بإيران أيضاً. وكان من المستغرب جداً إطلاق هذا الهجوم في غضون ساعات قليلة من تجديد هذا الاتفاق الدبلوماسي المهم.

قرأ تيلرسون خلال عرضه الذي استمر خمس دقائق[2] رسالة محضّرة سلفاً تتضمن كل

---

(١) "Tillerson: Iran Remains a Leading State Sponsor of Terror," Breitbart News, April 20, 2017

(٢) The Lead with Jake Tapper, CNN, April 19, 2017. انظر تعليقات تيلرسون بوصفها جزءاً من نص:
http://transcripts.cnn.com/TRANSCRIPTS/1704/19/cg.01.html

الشكاوى ضد إيران: «اختبارات الصواريخ البالستية، وتهديدات «أكبر دولة راعية للإرهاب في العالم» ضد إسرائيل، وخروقات حقوق الإنسان، والتوقيفات العشوائية للأجانب، بمن فيهم مواطنو الولايات المتحدة، ومضايقة سفن البحرية الأميركية، وسجن المعارضين السياسيين أو إعدامهم، «الوصول إلى رقم قياسي في إعدام الأحداث»، ودعم «نظام الأسد الوحشي في سورية».

ثم علّق تيلرسون بعد ذلك بالقول: «إنَّ الاتفاق أخفق في تحقيق هدف التوصّل إلى إيران غير نووية. ولن يؤدي ذلك الاتفاق إلا إلى تأخير هدفهم في تحوّلهم إلى دولة نووية».

وكان أوباما قد عرّف الاتفاق بأنه «اتفاق غير ملزم»، وليس معاهدة تتطلب مصادقة مجلس الشيوخ. وقد أبلغ بريبوس ترامب: «قد نستطيع أن نعلن أن الاتفاق هو وثيقةٌ يتعيّن إرسالها إلى مجلس الشيوخ للمصادقة. لكنني أرى أن تسحبها من بين أيدينا. وتقدّمها إلى مجلس الشيوخ وتطلب إقرارها، بأغلبية الثلثين وإعلانها معاهدة».

دُهش ترامب لهذا الطلب، لكنه سرعان ما أدرك أن إرساله الوثيقة إلى مجلس الشيوخ يعني تنازله عن صلاحياته. وهكذا أقرّ الرئيس أن الأمر لا يزال عالقاً بين أيديهم في هذا الوقت، لكن ذلك لم يستمر إلّا لبرهة قصيرة.

جَهد بريبوس وتيلرسون وماكماستر إلى «جدولة الأمور زمنياً»، على حد التعبير الشائع في البيت الأبيض، عندما يحين موعد التجديد التالي بعد تسعين يوماً.

قال ترامب خلال اجتماعٍ عُقد قبل الموعد النهائي للتجديد في ١٧ تموز/يوليو: «إنهم يخرقون الاتفاق، وعليكم التفكير في ترتيب الحجة اللازمة لإعلان هذا الموقف».

دخل تيلرسون ذات يومٍ إلى غرفة الطعام المجاورة للمكتب البيضاوي، لمقابلة ترامب وبريبوس، ولكي يشرح للرئيس مجدداً عدم وجود خرقٍ للاتفاق.

إلّا أن ترامب أصرَّ على موقفه، وقال: «إنهم يخرقون الاتفاق، وعليك إعداد نص يؤكّد أن هذه الاتفاقية قد ماتت وانتهت». ثم اقترح إمكانية إعادة النظر في بنود الاتفاق، والاستعداد للتفاوض من جديد.

ردّ تيلرسون ساخطاً: «سيّدي الرئيس، السلطة في يدك. أنت الرئيس. قل لي ماذا تريدني أن أفعل، وبإمكانك أن ترسم لي الطريقة، وأنا سوف أفعل كل ما تقوله». وقد اقترب تيلرسون بهذه اللهجة، وإلى درجةٍ خطيرة، من خرق بروتوكول التعامل مع الرئيس.

لم يختلف مدير وكالة الاستخبارات المركزية بومبيو كثيراً مع طروحات تيلرسون بشأن إيران، وواقع حال الاتفاق معها، لكنه تعامل مع الرئيس في هذه المسألة بليونة أكبر، أي كما يفعل ماتيس،

فقال مخاطباً ترامب: «حسناً، سأقول لك سيّدي الرئيس كيف أفهم أن الاتفاق ناجحٌ من الناحية التقنية».

تمسَّك ماتيس برأيه في أن إيران هي أبرز عنصر مؤثر في عدم الاستقرار الذي يسود المنطقة، وكان ماتيس متصلّباً جداً في محافله الخاصة، لكنه أصبح أكثر اعتدالاً. فقد كان يرى ضرورة دفع الإيرانيين إلى التراجع، وإلحاق الهزيمة بهم، ومحاولة دق إسفين بين الروس والإيرانيين، لكن من دون التسبب في نشوب حرب.

إلّا أن روسيا حذّرت ماتيس سراً بأنّ اندلاع حرب في منطقة البلطيق، سيؤدي حتماً إلى استخدامها الأسلحة النووية التكتيكية ضد قوات الناتو. فقال ماتيس، وبتأييد من دانفورد، إن روسيا كانت تهديداً وجودياً للولايات المتحدة.

وكان ماتيس قد أسس لصداقة وثيقة مع تيلرسون، وحاول الرجلان الالتقاء على مائدة الغداء في الأسابيع التالية. وكان منزل ماتيس بالقرب من وزارة الخارجية، فأبلغ موظفيه غير مرة: «سأخرج لكي ألقي عليه السلام».

رأى ماكماستر أن ماتيس وتيلرسون هما «الفريق الثنائي»، ووجد نفسه خارج دائرتهما، وهو الأمر الذي كانا يريدانه بالضبط.

كان تيلرسون على خلاف مع البيت الأبيض بشأن موظفي وزارة الخارجية، وهو الأمر الذي زاد الأمور تعقيداً. وقد دعا بريبوس بعد ذلك إلى عقد اجتماع مع تيلرسون وستة من موظفي البيت الأبيض. وعُقد الاجتماع فوق شرفة خارج زاوية مكتب رئيس الموظفين. وقد عارض تيلرسون بإصرار، في إحدى المراحل، الشخص الذي رشّحه البيت الأبيض لمنصب رفيع. نجح في توظيف الشخص الذي اقترحه هو.

أما جوني دي ستيفانو، مدير موظفي البيت الأبيض، فقد عارض هذا التعيين، فردّ تيلرسون ساخطاً: «لا أسمح لأحد بأن يقول لي من أوظّف، ومن لا أوظّف. وقد سُمح لي عندما حصلتُ على هذه الوظيفة بأن أوظّف الأشخاص الذين أريدهم».

قال بريبوس: «تستطيع أن توظّف الأشخاص الذين تريدهم، لكن مشكلتنا هنا أن الأمور تجري ببطء شديد. فأعمالنا عالقة بسبب عدم وجود ما يكفي من الموظفين حيث يجب أن يكونوا، ما يجعلنا نبدو مثل المغفلين. وعلى هذا، فإنّ عليك أن تبدأ بتوظيف هؤلاء الأشخاص قبل أواخر شهر تموز/يوليو، أو سوف أبدأ أنا بانتقاء موظفين بنفسي».

لم يتأخر الأمر قبل دخول تيلرسون في صراع آخر، لكن المكان كان المكتب البيضاوي هذه المرة،

وأمام الرئيس. وقد بدأ الخلاف عندما وجّه تيلرسون إساءةً لمستشار السياسات ستيفن ميلر، وهو من الأشخاص المقربين من ترامب، متهماً إياه بالجهل، فردّ عليه ميلر، بأن سأله بلهجةٍ متعالية: «وما هو العمل الذي قمتَ بإدارته بالفعل؟»

وقد حاول السكرتير الصحفي للبيت الأبيض سين سبايسر، والذي كان برتبة قائد في احتياط البحرية، إقناع ماتيس بالاشتراك في برنامجٍ حواري بالنيابة عن الإدارة الحكومية. لكن الجواب كان سلبياً على الدوام.

قال ماتيس في النهاية: «سبق لي يا سين أن قتلتُ أشخاصاً لكسب معيشتي. وإذا تماديت في إهانتي، فسوف أرسلك إلى أفغانستان. هل هذا واضح؟».

قال ترامب: «لا أعتزم توقيع أي تجديدٍ للمصادقات في المستقبل. لا أصدّق أنني أوقّع على هذه. لن أسمح لك بإقناعي توقيع واحدة أخرى مثل هذه».

وقّع ماكماستر في وقتٍ لاحق على استراتيجية منهجية تجاه إيران، مؤلفة من فرعين، ثم نشرها بعد ذلك. كانت قواعد الاشتباك هي الفرع الأول، والذي كان بالفعل حملة هدّامة من أجل التأثير في الشعب الإيراني. أما الفرع الثاني، فقد حدّد طرق المواجهة خلال التحركات التي تعتمد العنف.

الفصل السابع عشر[1]

هاجم ترامب خلال حملته الرئاسية الاتفاقات التجارية الأميركية بمثل القوة التي هاجم بها هيلاري كلينتون. ورأى أن الاتفاقات التجارية الأميركية المعمول بها حالياً أتاحت للسلع الأجنبية الأرخص إغراقَ الولايات المتحدة، الأمر الذي جرّد العمال الأميركيين من وظائفهم.

قال ترامب في شهر حزيران/يونيو من العام ٢٠١٦ [٢]، وخلال مهرجانٍ انتخابي عقده في أحد معامل الخردة المعدنية في بنسلفانيا، إن خسارة الوظائف في القطاع الصناعي ما هي إلا «كارثة سببها السياسيون». و«من نتائج سياسة طبقة القياديين الذين يفضّلون العولمة على الأميركانية». كانت نتيجة هذه السياسة هي أن «قادتنا السياسيين حرموا الناس من وسائل كسب رزقهم ومعيشة عائلاتهم... كما نقلوا وظائفنا، وثرواتنا ومصانعنا إلى المكسيك وإلى ما وراء البحار». وهاجم ترامب كذلك كلينتون «وأصدقاءها في اقتصاد العولمة الذين أرادوا دفع أميركا لكي تفكر بطريقة محدودة».

اختلف كل علماء الاقتصاد تقريباً مع ترامب، لكنه عثر على اقتصادي أكاديمي كان يكره التجارة الحرة بالقدر ذاته. وظّف ترامب ذلك الأكاديمي في البيت الأبيض، وعهد إليه بمنصبين: مدير التجارة والسياسات الصناعية، وكذلك مدير مجلس التجارة الوطني. كان بيتر نافارو في السادسة والسبعين من العمر، وكان يحمل شهادة دكتوراه في الاقتصاد من جامعة هارفرد. قال نافارو في تصريح علني له: «هذه هي إرادة الرئيس[٣]. إن مهمتي الفعلية كاقتصادي هي محاولة

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) النص الكامل للخطاب يمكن الإطلاع عليه في: "Donald Trump's Jobs Plan Speech," Politico, June 28, 2016.

(٣) Peter Coy, "After Defeating Cohn, Trump's Trade Warrior Is on the Rise Again," Bloomberg, March 8, 2018.

تقديم التحليلات اللازمة والتي تتوافق مع حدسه. وأنا أعلم أن حدسه صائبٌ دائماً في هذه المسائل».

كان غاري كوهن مقتنعاً بأن العجز التجاري مع الدول الأخرى ليس بذي أهمية، بل يمكن أن يكون أمراً مفيداً ويسمح للأميركيين بشراء السلع بأسعارٍ أرخص. كانت السلع الآتية من المكسيك، وكندا، والصين، تُغرق أسواق الولايات المتحدة لأن أسعارها كانت تنافسية. وكان ذلك يعني أن الأميركيين الذين ينفقون مبالغ أقل على هذه السلع المستوردة امتلكوا أموالاً أكثر لإنفاقها على منتجاتٍ، وخدماتٍ، ومدخراتٍ أخرى. كان كل ذلك هو فاعلية الأسواق المعولمة.

حدث هنا صدامٌ بين كوهن ونافارو. قال كوهن خلال أحد الاجتماعات التي جرت في المكتب البيضاوي مع ترامب ونافارو بأن ٩٩,٩٩٩٩٪ من اقتصاديي العالم يوافقون معه. كان كوهن على حق من الناحية المبدئية، وهكذا وقف نافارو وحيداً من الناحية العملية.

لكن نافارو هاجمَ كوهن، ووصفه بأنه مجرد مغفّل من مؤسسة وول ستريت.

كان جوهر حجة نافارو هو أن العجز التجاري الأميركي يزداد مع الرسوم الجمركية العالية التي تفرضها البلدان الأجنبية مثل الصين، والتلاعب بأسعار العملات، والسرقات في الملكية الفكرية، والعمالة الخاضعة للاستغلال، والتساهل في فرض الضوابط البيئية.

وقال نافارو إن اتفاقية التجارة الحرة لدول شمال أميركا (نافتا) تمكّنت من استنزاف الشرايين الإنتاجية من الولايات المتحدة، وسحبِها إلى خارج البلاد، أي كما توقع ترامب تماماً، وهو الأمر الذي حوّل المكسيك إلى قوةٍ إنتاجية، بينما تحوّل العمال الأميركيون إلى عاطلين عن العمل وفقراء. فقدَ عمال مصانع الفولاذ في الولايات المتحدة أعمالهم في هذه الأثناء بينما هبطت أسعار الفولاذ، وهو الأمر الذي أوجبَ على ترامب فرض رسومٍ جمركية على الفولاذ المستورد.

وافق ترامب على هذا الإجراء.

أبلغ كوهن ترامب ونافارو، وبعد أن دفع بموجبات الاحترام جانباً إزاء هذا الوضع: «يُحتمل أن تتعلّما شيئاً لو لزمتما الصمت».

اعتبر كوهن أن غولدمان ساكس هي المؤسسة والمصدر الأهم والدائم للأبحاث، والمعطيات، والحقائق. يعني ذلك أنه في أي وقت يشارك فيه المرء في اجتماعٍ ما فيجب عليه امتلاك معلوماتٍ موثقة وصلبة أكثر من أي شخصٍ آخر في غرفة الاجتماعات.

قال كوهن: «إن المشكلة هي أن بيتر يأتي إلى هنا ويقول كل هذا الكلام، لكن من دون أن يمتلك أية حقائق لدعمها»، وهو الذي أرسل إلى ترامب دراسة بحثية حول اقتصاد الخدمات. كان يعرف أن ترامب لم يقرأها قط، ولعله لن يفعل ذلك في المستقبل. كان ترامب يكره قراءة الدراسات الطويلة.

توجّه كوهن إلى الرئيس محاولاً تلخيص الوضع: «أنت تمتلك رؤية نورمان روكويل لأميركا». الاقتصاد الأميركي في هذه الأيام ليس كما كان في تلك الأيام. أما اليوم فإن، «ما يزيد على ٨٠٪ من ناتجنا المحلي الإجمالي يأتي من قطاع الخدمات». كان كوهن يعرف أن النسبة هي ٨٤٪ تقريباً، لكنه لم يرغب أن يتوجه إليه أحد لينصحه بتدوير الأرقام. أما طريقة غولدمان فكانت في تدوير الأرقام نزولاً، لكن بحذر.

«فكّر في هذا يا سيّدي عندما تسير في أحد شوارع مانهاتن في هذا اليوم كيف هي حاله اليوم بالمقارنة مع ما كان عليه الشارع في مانهاتن قبل عشرين أو ثلاثين سنة». اختار كوهن تقاطعاً مألوفاً لديه في الشارع ويتذكره جيداً، لأنه قبل عشرين عاماً قامت في الزوايا الأربع مؤسسات: غاب، وجمهورية الموز، وجاي. بي. مورغان، وأحد متاجر التجزئة.

«اختفت من تلك الزوايا جمهورية الموز وغاب، أو أنهما أصبحتا بعيداً عن الأنظار. أما متجر التجزئة المحلي فلم يعد له وجود، في حين أن جاي. بي. مورغان لا تزال قائمة.

«سوف تجد الآن ستاربكس، وصالوناً لتجميل الأظفار، وجاي. بي. مورغان، وكلها أعمال خدماتية.

«وهكذا عندما تسير في جادة ماديسون اليوم، أو عندما تسير في الجادة الثالثة، أو في الجادة الثانية، فسوف ترى محالّ التنظيف الجاف، والمأكولات، والمطاعم، وسوف ترى مقهى ستاربكس، وصالونات تجميل الأظفار. لم يعد لدينا متاجر ما آند با لبيع الأدوات المنزلية. ولم يعد لدينا ما آند با لبيع الثياب. فكّر كذلك في المستأجرين الذين يشغلون برج ترامب».

«إن أكبر مصرفٍ صيني هو أحد أبرز المستأجرين عندي».

«وما هو أكبر مؤسسة تجزئة في برج ترامب؟».

ردّ ترامب: «إنه ستاربكس، وكذلك أحد المطاعم في الطابق الأرضي. أوه تذكرت، وهناك مطعمان آخران في الطابق الأرضي».

«بالضبط. فالمساحة المخصصة للتجزئة هذه الأيام إذن هي كلها للخدمات، وليست للناس الذين يبيعون الأحذية، أو الأجهزة، أو الأقمشة والأدوات المنزلية. هذه أميركا في هذه الأيام. فإذا كان اقتصادنا يتألف ممّا يزيد على ٨٠٪ من الخدمات، وأنفقنا أموالاً أقلّ على السلع، فسوف يكون بتصرُّفنا مدخولٌ أكبر يمكننا إنفاقه على الخدمات، أو أن نمتلك شيئاً يشبه المعجزة يُسمّى مدخرات».

اكتشف كوهن أن عليه أن يصرخ عالياً إذا أراد أن تُسمع آراؤه. فقال: «اسمعوني جيداً. إن

الوقت الوحيد الذي ينخفض فيه عجزنا التجاري» هو وقت أزمة مثل الأزمة الاقتصادية التي حدثت في العام ٢٠٠٨. «ينخفض عجزنا التجاري لأن اقتصادنا في حالة انكماش. وإذا أردنا خفض عجزنا التجاري فإن باستطاعتنا فعل ذلك. دعونا ندمّر الاقتصاد!».

لكن من الجهة الأخرى قال كوهن إنهم إذا اتّبعوا طريقته، أي عدم فرض رسوم جمركية، ولا حصص محددة، ولا حمائية، ولا حروب تجارية، و«إذا فعلنا ما هو صواب، فإن العجز التجاري سوف ترتفع».

عندما كان العجز التجاري ترتفع شهراً بعد شهر توجّه كوهن إلى ترامب الذي ازداد سخطاً.

قال كوهن: «سيدي، أخبرتك بأن هذا سوف يحدث. هذه علامة جيدة لنا، وليست علامة سيئة».

قال الرئيس: «قصدتُ بعض أنحاء بنسلفانيا، التي كانت مدناً كبيرة لصناعة الفولاذ، لكنها الآن مدنٌ مهجورة، ولا أحد يشغل وظيفة فيها، ولا عمل لأحدٍ هناك».

قال كوهن: «قد يكون هذا صحيحاً يا سيدي، لكن تذكّر أن ثمة مدناً قامت منذ ١٠٠ سنة درجت على صنع عربات الخيل، وسياط العربات. لم يكن لأي من الناس وظيفة في ذلك الوقت. اضطر السكان إلى التفكير في التجديد. يمكنك أن تذهب إلى ولاياتٍ مثل كولورادو وسوف تجد نسبة بطالة لا تزيد على ٢,٦٪. لأن الناس هناك يبتكرون أفكاراً جديدة».

لم يحبّذ ترامب الفكرة أو يقتنع بها، أو بأية حجةٍ من الحجج. قال ترامب: «الأمر ليس هكذا أبداً».

استدعى كوهن لورنس ب. ليندسي، وهو أحد رجال الاقتصاد من هارفرد. كان ليندسي يشغل منصب كوهن في أيام الرئيس جورج دبليو. بوش. سأل ليندسي بصراحة: لماذا تضيّع وقتك بالتفكير بشأن عجزنا التجاري؟ يتعيّن عليك التفكير في الاقتصاد ككل. وإذا تمكّنا من شراء منتجاتٍ رخيصة من الخارج وتمكّنا من التفوّق في مجالاتٍ أخرى، مثل الخدمات ومنتجات التقنية العالية، فإن ذلك يجب أن يكون محور تركيزنا. وهكذا تقدّم الأسواق العالمية للأميركيين فوائد عظيمة.

سألَ ليندسي: «لماذا لا ننتج السلع داخل البلاد؟ إننا بلاد مصنّعة».

بطبيعة الحال فإن الولايات المتحدة تنتج سلعاً كثيرة، لكن الواقع لا يتوافق مع رؤية ترامب. ويتمسك الرئيس برؤية قديمة العهد عن أميركا: العربات، والمصانع التي تنفث دخاناً كثيفاً، وبحيث يكون العمال مشغولين جداً في خطوط الإنتاج.

جمع كوهن ما أمكنه من المعلومات الاقتصادية المتاحة ليبرهن أن العمال لا يطمحون إلى العمل في خطوط الإنتاج في المصانع.

درج كوهن في كل شهر على إحضار[1] أحدث نسخة من نشرة فرص العمل وأعداد العمال JOLTS. وهي النشرة التي يصدرها مكتب إحصاءات العمل. أدرك الرجل أن إحضار هذه النشرة في كل شهر كان نوعاً من الغباء. لأن كل عددٍ كان نسخة عن العدد السابق، لكنه لم يعبأ بذلك.

نشر كوهن صفحات النشرة أمام الرئيس، وقال له: «سيّدي الرئيس، أتسمح بأن أريَك هذه؟ انظر. إن أكبر عددٍ من الذين يتركون الوظائف. أي الذين يتركونها طوعاً، كانوا في قطاع الإنتاج».

قال ترامب: «لم أفهم».

حاول كوهن شرح الأمر: «يمكنني أن أجلس في مكتبٍ أنيق مزود بوسائل تكييف الهواء وراء طاولة، أو يمكنني أن أظل واقفاً طوال ثماني ساعاتٍ في كل يوم. أي وظيفة يمكنني اختيارها إذا كان المرتّب هو ذاته؟».

أضاف كوهن: «لا يريد الناس الوقوف أمام فرن صهر المعادن تبلغ حرارته ٢٠٠٠ درجة. ولا يريد الناس العمل في مناجم الفحم لتصطبغ رئاتهم باللون الأسود. يميل الناس إلى اختيار وظيفة أخرى بالمرتّب ذاته».

ولم يقتنع ترامب بهذا العرض.

ومراراً سأل كوهن الرئيس: «لماذا تتبنى هذه الآراء؟».

ردّ الرئيس: «هذه آرائي التي التزمتها على مدى ثلاثين عاماً».

قال كوهن: «لكن هذا لا يعني أنها آراء صائبة. كنت أرى على مدى ١٥ عاماً أن بإمكاني لعب كرة القدم بطريقة احترافية. لكن ذلك لا يعني أنني كنتُ مصيباً».

وظّف بريبوس روب بورتر ليكون سكرتير موظفي البيت الأبيض، وهو الذي كان مزوّداً بتوصيات عالية[2] من الأشخاص الذين شغلوا هذا المنصب في عهود الرؤساء الجمهوريين. طلب بريبوس من

---

(١) يُمكن الاطلاع على الأرقام الواردة في نشرة JOLTS المتاحة للجمهور على الموقع الآتي:

https://www.bls.gov/jlt/

(٢) كان من بين أبرز الذين أعطوه توصية بتوظيفه برت كافانو، وهو الذي شغل منصب سكرتير الرئيس جورج دبليو بوش. وعيّن بوش كافانو قاضياً في محكمة استئناف مقاطعة كولومبيا التي تتمتع بسلطاتٍ قوية. يُضاف إلى ذلك أن الرئيس ترامب رشّحه لعضوية المحكمة العليا في ٩ تموز/يوليو من العام ٢٠١٨.

بورتر توقيع ما يشبه قسم الولاء بالدم له. «من الجيّد أن تكون قد التحقتَ بهارفرد، وأكسفورد؛ وأنت ذكي، والجميع يشهدون لك بذلك. لكن ما يهمني أنا فعلاً هو أن تكون مخلصاً لي».

كان بورتر زميلاً لجاريد كوشنير في هارفرد. وكان معه في الصف الذي درّس فيه والد بورتر، روجر بورتر، الذي عمل في مركز سكرتير موظفي البيت الأبيض في عهود الرؤساء فورد، وبوش الأب، وريغان.

التقى جاريد وبورتر خلال الفترة الانتقالية لفترة ساعتين من الزمن تقريباً. بدت الساعة الأولى أشبه ما يكون بامتحان ولاء.

قال كوشنير إن ترامب يمتلك حدساً قوياً، وكان عبقرياً في السياسة، لكن الأمر يتطلب بعض الوقت لتعوُّده. «يتعيّن عليك أن تتعلّم كيفية التعامل معه، وكيفية التواصل معه».

لم يكن بورتر من مؤيدي ترامب خلال حملة العام ٢٠١٦ الرئاسية إلّا أنه قبِل الوظيفة. لم يكن بورتر قد قابل ترامب عند حلول يوم التنصيب، لكنه جلس خلف المنصة، وجفلَ عندما استذكر ترامب ما أسماه «المحرقة الأميركية». بدأ بورتر مهماته قبل أن يُكمل ترامب خطابه ويقابله شخصياً.

«أنا روب بورتر سيّدي الرئيس، وأنا أشغل منصب سكرتير موظفي البيت الأبيض». كان من الواضح أن ترامب لم تكن لديه أي فكرة مسبقة عن بورتر وعن منصبه. أبلغ جاريد ترامب بأن بورتر سوف يضع هيكلية لحياة ترامب وينظّمها.

تطلّع ترامب نحو الرجلين، وكأنه يريد أن يقول: ما الذي تتحدث عنه؟ وأنت لن تفعل شيئاً كهذا، ولن يجرؤ أحد على فعل هذا. ابتعد الرئيس من دون أن يقول أي شيء، ثم توجّه نحو إحدى شاشات التلفزيون.

كانت الورقة الرسمية الأولى التي تسلّمها ترامب لتوقيعها هي مرسوم يسمح لجنرال البحرية المتقاعد جايمس ماتيس بتولي منصب وزير الدفاع. وكان ماتيس قد تقاعد من الجيش منذ فترة تقلّ عن فترة السنوات السبع التي يفرضها القانون قبل أن يُسمح له بتولي منصب وزير الدفاع.

أما المسألة الأخرى التي قُدّمت إليه فكانت انسحاب الولايات المتحدة من شراكة منطقة المحيط الهادئ TTP، أو اتفاق منطقة التجارة الحرة الإقليمية، والذي جرى التفاوض بشأنه في عهد إدارة أوباما، وكان يسمح بتخفيض الرسوم الجمركية، كما يقدّم منصةً لحل خلافات الملكية الفكرية، والنزاعات المتعلقة بالعمل ما بين الولايات المتحدة و١١ دولة أخرى ومن ضمنها اليابان، وكندا، وعدد كبير من دول جنوب شرق آسيا.

أبلغ أشخاص عدة ترامب خلال الفترة الانتقالية بأنه لا يتعيّن إنجاز كل هذه الأمور في يوم واحد. وقالوا له إن الأمر معقّد قليلاً لأن كل شيء خاضع للمناقشة.

قال ترامب: «لا، أبداً. لن أناقش. كان ذلك من ضمن حملتي الرئاسية، ولن أتراجع عنه، وسوف أقوم بالتوقيع».

وقّع الرئيس الأوراق التي تنص على الانسحاب رسمياً في يوم ٢٣ كانون الثاني/يناير. وكان ذلك أول يوم عملٍ كاملٍ من رئاسته.

«إن برنامج ترامب المتعلق بالتجارة يبقى مرتبطاً بشدة بالقوى السياسية داخل الجناح الغربي». هذا ما كتبه بيتر نافارو مساعد البيت الأبيض الذي يترأس مجلس التجارة الوطني في سجل آيز أونلي، وجاء ذلك ضمن مذكرة من صفحتين قدّمها إلى الرئيس ومدير الموظفين بريبوس في يوم ٢٧ آذار/مارس ٢٠١٧.

شعر نافارو بالسخط الشديد، وهو الذي كان يتفق مع وجهة نظر ترامب القائلة بأن العجز التجاري أمرٌ بالغ الأهمية. كان سبب سخطه عجزه عن تثبيت قدميه في منصبه في الشهرين الأولين من رئاسة ترامب. وكتب نافارو: «يستحيل وضع دراسة تتعلق بإجراءاتٍ بخصوص التجارة على طاولتك في الوقت المحدد».

توجّه نافارو إلى مكتب روب بورتر الذي يشغل منصب سكرتير موظفي البيت الأبيض وقال له غاضباً: «إن أي إجراءٍ تنفيذي حول التجارة، والذي يمر عبر إجراءات سكرتير موظفي البيت الأبيض سوف يكون معرضاً للتعديل، والتأخير، أو التحريف».

أما كوهن فقد «تمكّن من تجميع قاعدة قوة ضخمة في الجناح الغربي، وكان أبرز مساعدين له في قضايا التجارة... ناشطين سياسيين ماهرين، ومعارضين تماماً لبرنامج ترامب في مجال التجارة.

«ولم تذكر الصحافة أن وزير الخزانة مينوشين هو جزء من «جناح وول ستريت التابع لكوهن»، وهو الذي تمكّن بفاعلية من تعطيل أو تأخير كل إجراء مقترح للتجارة».

حدّد نافارو أولئك الذين يحاربون ضد «تيار كوهن المعاكس» مثل بانون، وستيفن ميلر، ووزير التجارة ولبور روس، وذلك بالإضافة إلى شخصه.

«سيّدي الرئيس، هل تعلم أن رتبتي تحت الضغوط التي مارسها جناح كوهن، قد أُنزلت في اليوم الأول من مساعد إلى نائب، وحُرمتُ من موظفين مساعدين لي، وقضيت ثلاثة أسابيع تقريباً من دون مكتب، ولم أتمكّن من الوصول مباشرة إلى المكتب البيضاوي؟».

استخدم نافارو استعارة كان متأكداً أن ترامب يفهمها جيداً، «بحسب مصطلحات لعبة الغولف فقد سمحوا لي بالذهاب إلى ملعب مقفل، وأعطوني مضرباً، وأمروني بالتسديد على التجارة، وهو أمرٌ مستحيل». اقترح نافارو أن يحصل هو ومجلس التجارة الوطني على سلطة أكبر، وموظفين، وتوسيع دائرة الصلاحيات. وتحدث نافارو كذلك عن بعض مقالات الصحف التي تنتقد كوهن وتتحدث عن سلطته المتزايدة.

سلّم نافارو المذكرة إلى بورتر، وطلب منه إرسالها إلى ترامب وبريبوس. كان بورتر يحاول تقديم نفسه على أنه وسيطٌ نزيه، لكنه درّس الاقتصاد في أكسفورد وكان مقتنعاً بأن آراء نافارو كانت قديمة العهد ولا سند لها. لكن الأهم عند بورتر كان أن نافارو عضو في جماعة الأرض المسطّحة بخصوص مسألة العجز التجاري، أي مثل الرئيس نفسه.

شكّل بورتر وكوهن تحالفاً، وكان سكرتير موظفي الرئيس عضواً مخلصاً في «جناح وول ستريت».

اتضح لدى بورتر في هذا الوقت أن نافارو يمثّل وجهة نظر الرئيس حول مسائل التجارة، وارتأى أن إرساله للمذكرة إلى الرئيس قد يعزّز من الصراع حول السياسات المتّبعة إزاء التجارة، بل قد تتطور لتصبح صراعاً رئيسياً.

عرض بورتر المذكّرة على بريبوس.

قال بورتر: «إنها فكرةٌ مريعة، ولن أقوم بتوزيعها، بل سوف أضعها على طاولتي، وأُبقيها في ملفاتي، ولن تُرسل إلى أي مكان».

ولم يخالف بريبوس هذا الموقف.

تحدث بورتر مجدداً مع بريبوس بشأن التجارة، وقال له: «يتعيّن علينا أن نفعل شيئاً تجاه هذا الأمر الذي تحوّل إلى فوضى تامة». وكان يعني بذلك جناح كوهن- مينوشين في مواجهة جناح نافارو- روس. «تحوّل الأمر إلى ساحة شجارٍ مفتوح يشارك فيه الجميع، وكلّ على طبيعته».

قال بريبوس: «حسناً، ماذا علينا أن نفعل برأيك؟».

«يتعيّن على شخصٍ ما أن يتولى مهمة تنسيق قضايا التجارة».

سألَ بريبوس: «ومَن هو ذلك الشخص؟».

قال بورتر: «في ظل إدارة عادية كان سيتولى المهمة المجلس الاقتصادي الوطني وغاري كوهن». كانت الوظيفة على الشكل الآتي: تجميع كل الآراء، والمعلومات، ودمجها إن كان ذلك ممكناً، وتقديم بعض الخيارات إلى الرئيس، ثم الحصول على قرار وتكوين خطة للتطبيق.

كان بريبوس على علم بهذه النظرية.

قال بورتر: «لا يستطيع غاري كوهن القيام بهذه المهمة. وذلك لأنه يقدّم نفسه على أنه من أنصار العولمة. يُضاف إلى ذلك أن بيتر نافارو، وولبور روس، لن يسمحا له بأن يكون وسيطاً نزيهاً لتنسيق أي شيء، ولن يحترما أي شيء يقوم بعرضه... وفي أي حال فإنه لا يريد القيام بهذه المهمة».

قال بريبوس متّبعاً عادة ترامب في انتقاء الشخص الذي يكون أمامه في الغرفة. وحتى الأقرب إليه فيها: «لماذا لا تقوم أنت بهذه المهمة؟».

تسلّم بورتر بهذه الطريقة، وهو السكرتير البالغ من العمر ٣٩ سنة. والذي لا يمتلك أيّ خبرة سابقة في المهمات التنفيذية، وظيفة منسّق السياسات التجارية. وأصبح مسؤولاً عن واحدة من أهم دعامات رئاسة ترامب ووعودها.

بدأ بورتر عقد اجتماعات في قاعة روزفلت برئاسته عند الساعة التاسعة والنصف يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان يدعو إليها كل الأطراف المهتمة بهذا الشأن. كان بريبوس راضياً عن هذه الاجتماعات لكنه لم يعلن أي شيء بشأنها. بدا الأمر وكأنها تحدث هكذا ومن دون تحضير. كما لم يتأخر ستة من المساعدين الحكوميين وكبار الموظفين عن حضور تلك الاجتماعات.

عرف ترامب لاحقاً أمر اجتماعات الثلاثاء هذه لأنه كان يتحدث كثيراً مع بورتر حول مسائل التجارة. وتمكّن بورتر بهذه الطريقة من تطوير علاقة متينة مع الرئيس. وكان يقضي أوقاتاً كثيرة معه إلى درجة أن الآخرين ظنّوا بأن صلاحيات منصبه في إدارة تنسيق أمور التجارة إنما أتت من الرئيس.

أُعلنَ في هذا الوقت، أي في ١١ أيار/مايو، عن تثبيت روبرت لايتيزر. وهو محام في واشنطن. ونائب سابق لمكتب التجارة في عهد ريغان. في منصب الممثل التجاري الأميركي. كانَ هو الشخص الذي يُفترض فيه أن يكون مسؤولاً عن قضايا التجارة.

أحضر لايتيزر ونافارو في يوم ١٧ تموز/يوليو ملصقاً كبيراً لعرضه على ترامب في المكتب البيضاوي. كان الملصق مجموعة كبيرة من المربعات والأسهم بألوانٍ لامعة. وكان بعنوان «البرنامج الزمني للتجارة». كان ذلك الملصق بمثابة رؤية لبرنامج سياسة ترامب الحمائية للتجارة. كما اشتمل على ١٥ تاريخاً محدداً للبدء بإعادة التفاوض. أو اتخاذ إجراء بشأن الاتفاق التجاري الكوري الجنوبي - الأميركي. ونافتا NAFTA. وكذلك للبدء بالتحقيقات والإجراءات المتعلقة بالألومنيوم، والفولاذ، وقطع السيارات. اقترح الملصق كذلك فرض رسوم جمركية على الفولاذ في غضون أقل من شهرين من الزمن، أي بعد عيد العمال.

بدأ نافارو ولايتيزر شرح الملصق. وبدا ترامب مهتماً جداً.

وصل بورتر بعد البدء في شرح الملصق بدقائق قليلة، وسرعان ما بدأ بالاعتراض بقوة، إلى أن تحدى لايتيزر ونافارو وعملهما السيّىء. أما بريبوس فقد بدأ بالمطالبة منذ ٢٢ آذار/مارس، أي منذ أن حدّد القواعد المطلوبة في مذكرة من ثلاث صفحات. بوضع ورقة عمل رسميّة بشأن الاجتماعات والقرارات الرئاسية. أوردت المذكرة بالخط العريض، **«القرارات ليست نهائية، لذلك قد لا تجد طريقها إلى التنفيذ. وتبقى كذلك حتى يقوم سكرتير موظفي البيت الأبيض بتنقيح مذكرة القرارات الموقّعة من الرئيس وفحصها»**. لحظت المذكرة وبالخط العريض: **«أن القرارات العفوية تُعدّ مؤقتة بالكامل»**.

قال بورتر إن عدداً من الإجراءات الملحوظة في الملصق تتطلب مصادقة الكونغرس. وأبلغ الرئيس بقوله: «أنت لا تمتلك الصلاحية».

لم تجرِ في هذا الوقت أية محاولة لتنسيق كل هذه الحجج. قال بورتر بعد ذلك: «بيتر وبوب يمثّلان وجهة نظرٍ واحدة، وأنت بحاجة إلى رأي وزير التجارة [ولبور روس]، وبحاجة إلى رأي وزير الخزانة [مينوشين]، وكذلك إلى رأي المجلس الاقتصادي الوطني [كوهن]. ويتعيّن علينا أن نتفقّد كل شيء، وأن نتّبع إجراءاتٍ معيّنة».

لكن في ذلك الوقت بالذات، غابت قضايا التجارة لتفسح المجال أمام الإجراءات. وهكذا بقي كل شيء عالقاً من دون أي تقدّم.

الفصل الثامن عشر[1]

أيقن بانون بحلول الربيع أن الفوضى الدائمة والسائدة في البيت الأبيض لا تساعده، ولا تساعد أي شخص آخر غيره على الإطلاق. فأبلغ بريبوس قائلاً: «أنت المسؤول هنا، وأنا أعمل من خلالك. لكنني لم أعد أجد وقتاً لإنجاز ما أريده». بدا أن كبير موظفي البيت الأبيض، الذي لم يكن ممسكاً بزمام المسؤولية قد أصبح معرقلاً. حتى بالنسبة إلى معرقلٍ معروف يعمل على مزاجه، أي ستيف بانون.

كان ذلك تنازلاً رفض جاريد وإيفانكا تقديمه. وكان بريبوس يرى أنهما نسيج وحدهما، كما عجز عن حملهما على التزام برنامج منظم. وكان الترتيب السائد برمّته يؤذي الجميع. كان يؤذيه ويؤذيهما.

سأل ترامب مراتٍ عدة: «ألا تعتقد بأنهما يجب أن يكونا هنا؟».

كان بريبوس يجيب بالنفي في كل مرة، ويقول إنهما يجب ألّا يكونا هنا. لكن شيئاً لم يتغيّر، وكان متأكداً من أنه لا يستطيع أن يذهب بعيداً في محاولته إبعاد ابنة ترامب وصهره عن الجناح الغربي. وكان يعرف أن ليس باستطاعة أحد إقصاء أحد أفراد العائلة، وأن ذلك لن يحدث أبداً.

قال الرئيس مراتٍ عديدة: «إن جاريد وإيفانكا هما ديمقراطيان من نيويورك». كان ذلك وصفاً أكثر منه شكوى.

كان بانون مقتنعاً بأن جاريد[2] قد سرّب خبراً منذ وقتٍ قريب إلى صحيفة الدايلي مايل

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) انظر Emily Crane and Cheyenne Roundtree, "Donald's Eruption in the Oval Office: Video Emerges of Trump's 'Furious Argument' with Top Adviser Steven Bannon as Ivanka and Jared Look On, Hours Before President Made Phone Tapping Claims," Daily Mail, March 5, 2017.

البريطانية، يتعلق بصراخ ترامب في وجهه وفي وجه بريبوس، ومنعهما من السفر معه على متن الطائرة الرئاسية إلى فلوريدا. لم يكن صحيحاً القول إنهما مُنعا من السفر في تلك الرحلة، لأن الرجلين قد امتنعا عن السفر في ذلك اليوم. قال بريبوس لكوشنير: «لقد نصبتَ لي فخاً، كما أنك أسأت إلى رينيس بهذا الخبر. أنا أعرف أنك أنت الذي قمتَ بذلك».

نفى كوشنير هذا بشدة، كما شعر بالإهانة نتيجة لهذا الاتهام. ومن جهته كان جاريد مقتنعاً[1] بأن بانون قد سرّب خبراً إلى صحيفة النيويورك تايمز عن الاجتماع الذي عقده في شهر كانون الأول/ديسمبر من العام ٢٠١٦ مع السفير الروسي. وهو الأمر الذي صبّ الزيت على نار الاتهامات القائلة بأن حملة ترامب الرئاسية قد تلقت دعماً من روسيا.

تشاجر بانون وإيفانكا خلال اجتماع عُقد في مكتب بريبوس الذي يشغل زاوية في الجناح الغربي.

صرخ بانون أخيراً بوجه إيفانكا، وقال: «يا لكِ من موظفة سيّئة! أنت لا شيء غير موظفة فاشلة!» وأضاف أن عليها العمل من خلال كبير الموظفين مثل الآخرين، وأنه لا بد من وجود بعض النظام في العمل. «أنتِ تتجولين هنا وتتصرفين كأنك المسؤولة، في حين أنّك لستِ كذلك. أنتِ من ضمن الموظفين!».

صرخت إيفانكا وقالت: «لستُ موظفة. أنا ابنة الرئيس الأولى»، وهنا استخدمت بالفعل اللقب الرسمي، «وأنا لن أكون من ضمن الموظفين أبداً».

اتسعت فجوة الشقاق بينهما إلى هذا الحد.

حرص بوسي، وكان نائب مدير حملة ترامب الرئاسية، على استمرار اتصالاته مع بانون، بالرغم من عدم تلقّيه تعييناً رسمياً من البيت الأبيض. كان بانون يشن هجوماً مباشراً على كوشنير في البيت الأبيض. لكن بوسي قدّم إليه بعض النصائح.

قال بوسي: «ستيف. أحدكما هو والد أحفاد الرئيس. والآخر ليس كذلك. وإذا وضعتَ نفسك مكان الرئيس فمع مَن سوف يقف يا تُرى؟».

كان لبريبوس متاعب بدوره مع بانون. لكن بانون سار مع التيار، وأصبح داعياً إلى التوافق عشر مرات أكثر مما كان عليه جاريد وإيفانكا.

كان بريبوس يلقى على الدوام مشقة في إقناع ماكماستر بالانسجام مع ترامب. لكن عند توجّه مستشار الأمن القومي إلى المكتب البيضاوي لحضور الاجتماعات المقررة، يقول الرئيس كالعادة:

---

(١) انظر: Michael S. Schmidt, Matthew Rosenberg and Matt Apuzzo, "Kushner and Flynn Met with Russian Envoy in December, White House Says," The New York Times, March 2, 2017.

«أهذا أنتَ مجدداً؟ لقد قابلتكَ لتوّي». كان أسلوب ماكماستر في إعطاء تلخيصاته عن الأوضاع خاطئاً كله في نظر ترامب. وكان هذا الأسلوب معاكساً لأسلوب ترامب من كل الجوانب تقريباً. كان ماكماستر منظّماً ومنضبطاً وخطّياً، في طريقة تفكيره. أما ترامب فكان على استعداد للقفز من «أ» إلى «هـ»، وإلى «ي» ثم إلى «ن». أو أنه كان يعود إلى النقطة «د» أو «س». بينما كان ماكماستر يقول عاجزاً عن الانتقال من «أ» إلى «ج» من دون التعريج على «ب».

اكتشف بريبوس أن ماكماستر كان عنيداً بعض الشيء. وكان رئيس وزراء الهند ناريندرا مودي، الذي سبق أن رحّب به أوباما بحرارة، يعتزم زيارة الولايات المتحدة في شهر حزيران/يونيو لمقابلة ترامب. كانت الهند هي الثقل الموازي لباكستان. التي تسبّبت للإدارة الأميركية الحالية، وللإدارات السابقة من قبل بمتاعب جرّاء تقديمها الحماية الصلبة إلى الإرهاب. أراد مودي الذهاب إلى كامب دافيد لكي يتناول الغداء هناك مع ترامب والتقرّب منه أكثر.

أبلغ بريبوس ماكماستر: «هذا ليس في البرنامج المقرر. بل سوف نتناول الغداء هنا. هذا ما يريده الرئيس».

انفجر ماكماستر غاضباً وقال: «ولماذا؟ إنها الهند يا رجل. إنها الهند البائسة». كان يدرك تماماً الأهمية 'الاستراتيجية للهند، وهي العدوة اللدودة لباكستان. يعني ذلك أن العلاقات الواسعة والقوية مع باكستان ضرورية جداً.

أما المناسبة التالية للترحيب بالرئيس مودي[1] فقد كانت حفل كوكتيل من دون زخرفة زائدة. لكن غداء العمل جرى في البيت الأبيض.

أجرى دونالد ترامب، وهو منفعل جدًّا، اتصالاً هاتفياً مع وزير الدفاع جايمس ماتيس في البنتاغون صبيحة يوم الثلاثاء، الرابع من شهر نيسان/إبريل. وكان ذلك في الشهر الثالث من رئاسته. كانت الصور ومقاطع الفيديو عن هجوم بغاز السارين. تعرّض له المتمردون السوريون. تتوالى إلى البيت الأبيض.

كان ذلك هجوماً بشعاً ووحشياً أسفر عن مقتل عشرات الأشخاص. وكان هناك من بين القتلى أطفالٌ ونساء: أطفالٌ، أطفالٌ وسيمون. كانت الرغوة تتصاعد من الأفواه، وكان أهالي الأطفال مرتعبين وغارقين بالأسى واليأس. كان ذلك من عمل النظام الديكتاتوري السوري.

قال الرئيس: «دعونا نقتله! دعونا ندخل ونقتلهم جميعاً».

كان الجيش في ذلك الوقت يمتلك القدرة على شنّ هجوم جويّ عالي السرية في سورية.

---

(١) Max Bearak, "Modi's 'No Frills' Visit to Washington Masks a Potential Minefield," The Washington Post, June 26, 2017.

بدا ترامب وكأنه صُدم شخصياً بهذا الهجوم. سبق أن قدّمت سورية وعداً بعدم استخدام الأسلحة الكيميائية. وكان ذلك إشارةً ظاهرية إلى موافقة الرئيس السوري الأسد على تدمير جميع أسلحته الكيميائية.

أجل، قال ماتيس إشارة إلى موافقته على هذه الدعوة.

انتهت المكالمة عند هذا الحد.

وقال ترامب لأحد كبار مساعديه: «إننا لن نفعل شيئاً من هذا. سنكون أكثر حرصاً بكثير».

كان من المقرّر تطوير خيارات صغيرة، ومتوسطة، وكبيرة تمهيداً لشن غارة جوية تقليدية، وبحيث تكون على ثلاث مراحل.

رأى ماتيس أن الإدارة قد عثرت على فرصة ذهبية نادرة من دون أن تفعل الكثير لاستغلالها، والمؤكد بأنها فرصة أكبر كثيراً من تلك التي سنحت لأوباما.

أعلن أوباما في العام ٢٠١٢، أن استخدام الأسد للأسلحة الكيميائية خطّ أحمر. قتلَ النظام في السنة التالية ١٤٠٠ مدني بالأسلحة الكيميائية. وامتلك أوباما في ذلك الوقت الجهوزية العسكرية التي تمكّنه من وضع خطة لشن غارة جوية، لكنه تراجع عن هذه الخطوة لأنه أراد تجنّب نشوب نزاع مسلح آخر، والوقوع في مستنقع.

كان فلاديمير بوتين، من بين الجميع الذي هبّ لنجدة أوباما. رتّب الزعيم الروسي اتفاقية يوافق الأسد بموجبها على تدمير جميع أسلحته الكيميائية. وهكذا سُحب من سورية ١٣٠٠ طن من الأسلحة الكيميائية، وهي كمية مذهلة بما يكفي.

هلّل أوباما لهذا النجاح، وهو الذي قال في العام ٢٠١٤: «لقد نجحنا في تحقيق إنجاز مهم[1] في جهودنا المستمرة لمكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل، وذلك عندما قمنا بإزالة مخزونات سورية من الأسلحة الكيميائية». أما وزير الخارجية جون كيري فقد ذهب أبعد من ذلك عندما قال: «نجحنا بإخراج ١٠٠٪ من الأسلحة الكيميائية»[2].

لكن التقارير الاستخبارية المصنّفة سرية تناقضت مع تصريحه. قال كلابر، مدير الاستخبارات الوطنية[3]، في تصريح علني له: «لم تصرّح سورية عن كل عناصر برنامج أسلحتها القومية».

---

(١) Barack Obama, "Statement on the Elimination of Syria's Declared Chemical Weapons Stockpile," August 18, 2014. متوفر على الإنترنت لجيرهارد بيترز وجون ت. وولي، مشروع الرئاسة الأميركية
http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=106702

(٢) مقابلة جون كيري مع دايفد غريغوري David Gregory, Meet the Press, NBC، ٢٠ تموز/يوليو ٢٠١٤.

(٣) Peter Baker, "For Obama, Syria Chemical Attack Shows Risk of 'Deals with Dictators,'" The New York Times, April 9, 2017.

حمل أوباما مع استمرار الحرب الأهلية في سورية دمغة الإخفاق الاستراتيجي. وأسفرت تلك الحرب عن مقتل ما يزيد على ٤٠٠ ألف شخص، وعلى ملايين اللاجئين.

بدأ ماكماستر، والمسؤول عن منطقة الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي ديريك هاريف، بالتحرّك في البيت الأبيض بعد وقوع الهجوم الكيميائي، وذلك بهدف تحديد الخيارات المتاحة.

أراد ماتيس أن يلزم جانب الحذر، وذلك لأن اتخاذ أي تحرّك كان يترافق مع مخاطر مقتل الروس الذين يعملون في المطارات السورية. إن قتلَ الروس يفتح لهم المجال للعبةٍ جديدة بالكامل، فإما المواجهة وإما الكارثة.

كان من المقرر عقد اجتماع لمجلس الأمن القومي لمناقشة الخيارات المطروحة. استفاد بانون من امتيازاته الممنوحة له، وتوجّه لمقابلة ترامب وحده في المكتب البيضاوي. أبلغ بانون الرئيس إن عدم الرد بالصواريخ الموجهة، أي كما كان مستشاروه يقترحون، هو جزء من تجنّب حروبٍ والتزامات في ما وراء البحار، كانت غير ضرورية.

قال ترامب: إذاً تدخّل، وليكن صوتك مسموعاً.

هاجم ترامب في تصريح علني أدلى به في ٤ نيسان/إبريل[١]، كلًّا من الأسد وأوباما. «إن الأعمال الوحشية التي قام بها نظامُ بشار الأسد ما هي إلا نتيجة للضعف والتردد اللذين تميزت بهما الإدارة السابقة. قال الرئيس أوباما في العام ٢٠١٢ بأنه سوف يضع «خطاً أحمر» ضد استخدام الأسلحة الكيميائية، لكنه لم يفعل أي شيء بعد ذلك».

عُرضت، أثناء الاجتماع الذي عقده مجلس الأمن القومي، ثلاثة خيارات: الساخن، والمتوسط، والبارد. كان الخيار الأكبر هو هجوم بمئتي صاروخٍ صاروخ موجّه إلى جميع المطارات السورية الرئيسة؛ أما الخيار المتوسط فيقتصر على ٦٠ صاروخاً موجّهاً؛ في حين أن الخيار الأصغر قد كان عدم شن أي هجوم تقريباً، أو عدم القيام بأي هجوم على الإطلاق.

كانت قائمة الأهداف المحتملة كبيرة، لأنه، في العام ٢٠١٣، أي عندما هدّد أوباما بهجوم صاروخي، صادق على قائمة أهداف تتضمن مجمّعاً حكومياً يحتوي على معدات برنامج الأسلحةُ الكيميائية. لكن هذا المجمَع استُبعد من قائمة الأهداف الحالية، لأن ماتيس والبنتاغون أرادا إبقاء الهجوم في أضيق مجالٍ ممكن.

قلّص ماتيس القائمة لتشمل مطاراً واحداً فقط في الضربة التي تشتمل على ٦٠ صاروخاً

---

(١) Donald J. Trump, "Statement on the Chemical Weapons Attack in Khan Sheikhoun, Syria," April 4, 2017
متوفر على الإنترنت لجيرهارد بيترز وجون ت. وولي، مشروع الرئاسة الأميركية
http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=123681

موجهاً. وحُذِف من قائمة الأهداف مجمعٌ سكنيٌ في المطار، بسبب إمكانية وجود أفراد عائلات العسكريين فيه.

جادل بانون بالقول: «إذا كان ذلك هو النموذج المتّبع، فدعني أخرج واستحصل على بعض صور المناطق شبه الصحراوية من أفريقيا. هل توافق؟ دعني أعرف بعض ما يجري في غواتيمالا ونيكاراغوا. لكن إذا كان هذا هو النموذج لهذه الغارة الصاروخية اللعينة، فدعنا نتوجّه إلى كل المناطق، ودعنا نفعل كل شيء». ظن بانون أن الرئيس يدعمه في موقفه هذا.

تابع بانون القول: «لن تكون هذه الغارة إلا وخزة صغيرة». وأضاف ساخراً: إذا كان لا بد من توجيه ضربة، فلتكن شيئاً استثنائياً. أراد بانون استخدام أكبر سخرية ممكنة فقال: «هذا هو أسلوب كلينتون... سوف تقوم بإسقاط بعض صواريخ كروز الباليستية على أحد المدارج، الذي سوف يُعاد إصلاحه ليكون جاهزاً للاستخدام في غضون يوم أو يومين».

اقتنع الرئيس بعد ذلك بالخيار الوسطي. لكن بانون اعتبر هذا الخيار خبيثاً. كانت حجة الذين طرحوا هذا الخيار هي أن هذا الهجوم ليس مقصوداً منه شنّ حرب، بل إنه عبارة عن عملية لتوجيه رسالة في حقيقة الأمر، والهدف منه تجنّب وقوع الحرب.

سافر ترامب في يوم الجمعة إلى مارالاغو، وعقد في المساء اجتماعاً لمجلس الأمن القومي في منشأةِ معلوماتٍ سرية مغلقة. حضر ذلك الاجتماع أربعة عشر شخصاً: تيلرسون، وبريبوس، وماكماستر، وكوشنير، وبانون، وكوهن، ونائب مستشار الأمن القومي للشؤون الاستراتيجية دينا باول. أما ماتيس فقد شارك عبر شاشة فيديو. كان الخيار الوسطي مدار البحث يتضمن ٦٠ صاروخاً موجّهاً تُطلق من البحر. وكانت الأهداف هي الطائرات السورية الجاثمة على الأرض، والملاجئ المتينة للطائرات، ومنشآت تخزين النفط والمواد الأخرى، وملاجئ الذخيرة، وأنظمة الدفاع الجوي، وأجهزة الرادار.

تراجع ترامب عن رغبته الأولية في قتل الأسد، وبدا بأنه يركّز في التفاصيل على غير عادته. . وجّه الرئيس سلسلةً من الأسئلة حول المخاطر المترافقة مع الهجوم. وسأل: ماذا سوف يحدث إذا خرج صاروخٌ واحد، أو عدة صواريخ، عن المسار المقرر؟ وماذا سوف يحدث إذا ضربنا مدرسة؟ أو إذا أصبنا مستشفى؟ أو إذا ضربنا هدفاً لم نقصد إصابته؟ وما هي احتمالات قتل مدنيين؟

قدّم ماتيس الطمأنات اللازمة، وقال إنه يمتلك أفضل السفن والرجال.

طلب ترامب أن يتكلم عبر خطٍّ آمن مع قباطنة سفينتين حربيتين. يو إس إس بورتر، ويو إس إس روس، وكلّ منهما مدمرة صواريخ موجهة. أبلغ ترامب القبطانين: «سوف أمضي بتنفيذ الغارة في هذه الليلة. هل رجالكما هم الأفضل في برمجة الصواريخ الموجهة؟».

قدّم القبطانان الضمانات اللازمة إلى الرئيس ترامب الذي جال في الغرفة، وطلب إلى كل واحد من الحاضرين إبداء رأيه. وقال إن أي شخص يمتلك رأياً آخر فليُسمعه إياه هنا، وليس في وقت لاحق.

خيّم على الحاضرين الاتفاق في الرأي، وحتى أنهم قدّموا دعمهم القوي.

أظهرت تقارير الاستخبارات الموثوقة بأن الروس سوف يكونون في مجمّع واحد فقط في ذلك المطار. كان توقيت الغارة عند الساعة ٤:٤٠ صباحاً بتوقيت سورية. وهو أمرٌ يضمن بأن الروس لن يكونوا حول الطائرات لصيانتها. أُرسل تحذيرٌ إلى الروس العاملين في المطار قبل ١٥ دقيقة من وقت إطلاق صواريخ التوماهوك. وعند إجراء المكالمة بدا الروس الذين ردّوا على المكالمة وكأنهم مخدّرون.

أعطى ترامب إشارة الانطلاق لأول إجراء عسكري مهم يتخذه. وهكذا أصابت تسعة وخمسون صاروخاً من نوع توماهوك أهدافها، بينما سقط صاروخ آخر في البحر المتوسط بعد إطلاقه.

توجّه ترامب لتناول طعام الغداء مع الرئيس الصيني شي جين بينغ، الذي كان يقوم بزيارة مارالاغو خلال زيارة قمة تستغرق يومين لمناقشة مسائل التجارة بين البلدين، ومسألة كوريا الشمالية. أبلغ ترامب شي أثناء تقديم الحلوى قائلاً: «إننا بصدد قصف سورية جرّاء هجومها بالغازات السامة الذي قامت به».

قال شي من خلال المترجم: «قلها ثانية». كرّر ترامب ما قاله للتو.

سأل شي: «كم عدد الصواريخ التي سوف تطلقونها؟».

قال ترامب: تسعة وخمسون.

سأل شي: «تسعة وخمسون؟».

أكّد ترامب أن العدد تسعة وخمسون.

قال شي: «حسناً. فهمت الآن. إنه يستأهلها».

كان ذلك الحديث هو نهاية مأدبة الغداء.

أجرى بانون بعد ذلك اتصالاً هاتفياً مع هاريف، وقال له: «أيها المحرّض على الحرب. أنت ورفاقك تحاولون إشعال حرب».

أجرى ترامب عند حوالى منتصف الليل اتصالاً مع عضو مجلس الشيوخ ليندسي غراهام.

سألَ ترامب: «هل أيقظتك؟».

ردّ غراهام: «أجل».

«أنا آسف».

«لا، إنني سعيد لاتصالك سيدي الرئيس».

«أراهن بأنك أسعد رجلٍ في المدينة».

«ليست (سعيد) هي الكلمة المناسبة. إنني فخور برئيسي». سمع غراهام صوت سقوط شيء معدني. «فعلتَ شيئاً كان يجب أن يحدث منذ وقتٍ طويل».

قال ترامب: «تلقيت اتصالات من مئة بلد».

فكّر غراهام قليلاً. وقال إنه يُحتمل أن يكون العدد ١٠».

«إنهم يتصلون بي ويربّتون كتفي. أتدري ما قاله لي الرئيس الصيني؟ أعني عندما أبلغته ونحن نتناول الحلوى بأننا أطلقنا تسعة وخمسين صاروخاً فقط من نوع توماهوك على الأسد. قال لي. حسناً، إنه يستحق ذلك!».

فكّر غراهام بأن ذلك يشكّل ضربةً لنموذج بانون!

قال ترامب: «أوباما رجلٌ ضعيف. ما كان ليفعل هذا أبداً».

قال غراهام: «كانت تكلفة امتناعه عن توجيه هذه الضربة نحو ٤٠٠ ألف شخص من الذين فقدوا حياتهم». وكان بذلك يشير إلى عدد الذين ماتوا خلال الحرب السورية برمّتها.

تابع ترامب الحديث عن الأطفال بجلودهم المحترقة والمتقشرة، ومشاهد الموت المرعبة والجرحى.

قال غراهام: «سيّدي الرئيس. يمكنني أن أريَك صوراً كهذه من كل أنحاء منطقة الشرق الأوسط». لم يفطن غراهام إلى أنه بذلك إنما يردّد كلمات بانون حول انتهاكات حقوق الإنسان التي تسود العالم بأسره. «فعلتَ الشيء الصائب، ليس بسبب قتله هؤلاء الأطفال. بل لأنه كان مستفزّاً جداً. ويقول للجميع اذهبوا إلى الجحيم. لكنك وقفتَ بوجهه وقلت له. كلا. بل اذهب أنت إلى الجحيم!».

كان غراهام يعرف اللغة التي يحبّها ترامب[١]. ولذلك ردّ على «اذهب إلى الجحيم». بكلمة

(١) وصف بوتين في اليوم التالي الهجوم بأنه «عملٌ عدواني غير مشروع». وألغى اتفاقية تقضي بمنع الحوادث الجوية بين الطائرات الأميركية والروسية فوق سورية وهي التي تُسمى تحويل المسارات.

«اذهب إلى الجحيم» أقوى منها. «هذا هو ما تقوله له بالفعل: اذهب إلى الجحيم. لكن عليك أن تحترس قليلاً. ماذا ستفعل إذا أصلحوا الأعطال في تلك القاعدة بالذات، وبدأوا بنسج القصص حول الغارة. ثمّ أسقطوا برميلاً متفجراً على رؤوس الأطفال؟ يجب عليك أن تكون جاهزاً لهذا الاحتمال الذي يُمكن أن يكون مثلَ وخزٍ في الأعين».

قال غراهام إن المشكلة لا تقتصر على الأسلحة الكيميائية، بل على قصف المدنيين كذلك. لأن قصفهم يجب أن يكون ممنوعاً بأي سلاح كان.

استمر غراهام بالقول: «إذا لم تقل هذا فإنك سوف تخسر كل الأشياء التي كسبتَها. اذهب إلى الجحيم. حسناً. سوف أقتلهم بطريقة أخرى. هذا هو ما سيقوله لك الأسد. هذا هو الاختبار. إن غارة واحدة لا تكفي هنا. دع هذا المقيت يعرف أنه إذا أقلع بطائراته من تلك القاعدة ليقصف حفنةً من الأطفال بالبراميل المتفجرة، فإنك سوف تقصفه».

في كل مرة يبدأ فيها قائد أعلى للقوات المسلحة بالقصف، حتى ولو كان ذلك بتسعة وخمسين صاروخاً فقط من نوع توماهوك، فإن السياسيين والرأي العام يتحلقون من حوله بحماسة. وما قام به ترامب ليس استثناءً لهذه القاعدة، لأنه تلقى ثناءً يكاد يكون عالمياً على ذلك الرد الحاسم.

ظهر السيناتور جون ماكين في صباح اليوم التالي[1] في برنامج مورنينغ جو، ليقول: «إن الإشارة التي أرسلناها الليلة الماضية، وكما قلتَ، كانت مهمة جداً جداً».

وقال مقدّم البرنامج جو سكاربورو إن ما حدث ليس فقط لروسيا والأسد، بل للصين وكوريا الشمالية. أضاف ماكين: «وكذلك لأصدقائنا. هناك عددٌ كبير من الدول العربية الذين يرحبون بشراكتنا، ما داموا يعتقدون بأنهم يستطيعون الاعتماد علينا».

لاحظ سكاربورو أن العرب السنّة شعروا بأن الولايات المتحدة بإدارة أوباما قد «أدارت ظهرها لهم. لكن هل إن ما حدث الليلة الماضية غيّر الوضع؟».

كان دافيد أغناطيوس، وهو كاتب مقالات في صحيفة الواشنطن بوست من المشاركين في البرنامج الذين يناقشون الغارة. قال دافيد: «بدأ بالتغيير. لكن أصدقاءنا يريدون رؤية المزيد».

أثنى ماكين على فريق الأمن القومي للرئيس ترامب. وأثنى على الرئيس لأنه أصغى إليهم: «وما يفرحني أكثر من سواه هو أنه يحترم ماتيس. ويحترم ماكماستر».

لكن بعض أعلى درجات الثناء على الغارة أتت من إحدى خبيرات السياسة الخارجية. آن-

---

(١) "Sen. John McCain, R-Ariz, Is Interviewed on MSNBC's 'Morning Joe.'" Federal News Service, April 7, 2017.

ماري سلاوتر[1]، وهي التي كانت مديرة الفريق القوي لتخطيط السياسات في وزارة الخارجية خلال العامين الأولين عندما كانت هيلاري كلينتون وزيرة للخارجية في إدارة أوباما. كتبت سلاوتر التغريدة الآتية: «قام دونالد ترامب بالأمر الصائب في سورية. أخيراً!! وبعد سنوات من التعبير عن الضيق والأسى غير المجدي في وجه المجازر الفظيعة».

دأب ترامب في الأيام والأسابيع التالية على إبلاغ مساعديه في الجناح الغربي بأنه لا يعتقد أن الغارة على القاعدة الجوية كانت كافية. وتساءل، ألا يتعيّن على الولايات المتحدة أن تفعل ما هو أكثر من ذلك؟ طرح ترامب كذلك فكرة إعطاء الأمر بشن غارةٍ سرية تهدف إلى الإطاحة بقيادة الأسد.

تلقّى الرئيس تقارير ملخّصة، أو أنه قرأ بعض الصحف التي تتحدث عمّا يمكن أن يفعله غاز الأعصاب في جسم الإنسان. تساءل ذات يوم: «أتدركون ذلك التأثير؟» وتحدّث الرئيس عن صورةٍ قام بوصفها حين تمتلئ الرئتان، وتختنق الأنفاس، وتظهر الرغوة في الأفواه، ويسيل اللعاب، ويحدث العمى، والشلل، ويحدث القيء، والبول، وإخراج الفضلات بصورةٍ لاإرادية. تحدّث كذلك عن الآلام المبرحة التي تصيب كل أنحاء الجسم، وعلى الأخص النوبات في منطقة البطن، والتشنجات، وعن انقطاع اتصال أعضاء الجسم مع الدماغ. أما بعد مرور عشر دقائق من العذاب فيأتي دور موت الأولاد والأطفال الصغار.

أراد الرئيس الحصول على خيارات، وكان هناك كثير منها، لأن جيش الولايات المتحدة يمتلك كل القدرات المميتة التي يمكن أن يتخيّلها إنسان. ماذا يستطيع أن يفعل؟ هذا هو ما أراد أن يعرفه.

كان الوزير ماتيس قلقاً، لأن ترامب قد يأمر بشنّ غارةٍ ثانية، ولذلك عمِلَ على تهدئة الأمور وعدم التشجيع على القيام بعملٍ عسكريٍ آخر ضد سورية.

تراجعت حدة غضب ترامب بعد مرور أسابيع قليلة، وانصرف إلى مسائل أخرى، ولكنه لم يفعل ذلك بسرعة.

اشتكى ماكماستر أمام جاريد بشأن افتقاده لصلاحية تحريكه للقرارات قُدُماً. أما تيلرسون وماتيس فلم يرغبا في وجود مستشارٍ قوي للأمن القومي، وذلك مثلما كان يفعل معظم وزراء الخارجية والدفاع.

أراد الرئيس ذات مرة، وبعد الغارة على سورية، الحصول على بعض المعلومات حول الاستفزازات الروسية والإيرانية في سورية. وكانت الولايات المتحدة قد قتلت بعض جنود حزب الله الذي ترعاه إيران وذلك على الطريق إلى الشرق من تدمر، كما أسقطت مركبة إيرانية مسلحة وغير مأهولة.

---

(١) انظر تغريدة سلاوتر في https://twitter.com/slaughteram/status/850263058756673540

وامتلك ترامب عدة أسئلة أراد طرحها على ماكماستر. وكان من تلك الأسئلة: ماذا سيحدث لو قُتِلَ أميركيون؟ وماذا سوف نفعل في هذه الحالة؟ وما الخيارات المطروحة؟

اتصل ماكماستر هاتفياً بكل من تيلرسون وماتيس. لكنه لم يتلقَّ رداً منهما. استدعى هارفي بعد ذلك حيث تطايرت الكلمات البذيئة في الهواء. قال له إن هذه هي وظيفتك، ويمكنك استدعاء نظرائك بهذا الشأن.

مرّت تسع ساعات. ولم يأتِ الرد لا من تيلرسون ولا من ماتيس.

وصل رؤساء الأركان من البنتاغون إلى البيت الأبيض بعد ذلك لمساعدة هارفي. قالوا له إن وزارة الدفاع تمتلك بعض الخيارات لشن هجمات. لكنها لا تعرف شيئاً عمّا يمكن أن يحدث إذا قُتل أميركيون في بلدة التنف الواقعة على الحدود السورية. أي حيث تعمل قوات تابعة للولايات المتحدة. ولا تعرف الوزارة كذلك ماذا سيحدث إذا أصيبت إحدى السفن الأميركية بلغم بحري.

كان ذلك مريعاً على ماكماستر وهارفي. لعدم ظهور أي إجابة واضحة في الأفق. لكن ترامب سرعان ما نسي الأسئلة التي طرحها.

الفصل التاسع عشر(1)

أمر الرئيس ترامب بالآتي: «أريد أمراً رئاسياً يقضي بانسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية NAFTA، أي اتفاقية التجارة الحرة لشمال أميركا... وأريده أن يكون على طاولتي يوم الجمعة».

تحلّق حول الرئيس ترامب في المكتب البيضاوي يوم الثلاثاء، ٢٥ نيسان/إبريل، نائب الرئيس بنس، ووزير التجارة روس، وكوشنير، وبورتر، ونافارو. أراد الرئيس أن يكون قادراً على إعلان الأمر الرئاسي في اليوم المئة لتسلّمه منصب الرئاسة.

عندما لم يعارض أحد من الحاضرين تقدّم بورتر، الذي سبق له أن ترأس اجتماعات يوم الثلاثاء الأسبوعية المتعلقة بالتجارة، ولاحظ، أن من غير الممكن إصدار أمر رئاسي، لأن اتفاقية التجارة تقضي بوجوب إعطاء فترة إشعار لإنهاء العمل بالاتفاقية مدتها ١٨٠ يوماً.

أبلغ بورتر ترامب وآخرين قائلاً: «إن ثمة مشكلة توقيت كبيرة في هذه المسألة. فإذا أغفلنا مدى السرعة في إتمام إعادة التفاوض بشأن نافتا بحسب القواعد التي تفرضها مفوضية ترويج التجارة، يبقى أن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً». إن الاتفاقية التي أُعيد التفاوض بشأنها يجب أن تقدّم إلى الكونغرس، وهو الأمر الذي يستغرق أكثر من ١٨٠ يوماً.

كان بورتر هو الأصغر سناً من بين الحاضرين في الغرفة. تابع بورتر قائلاً: «لا نرغب في حدوث فترة انقطاع، لا نمتلك فيها أي اتفاق. يعني ذلك أن لدينا مشكلة توقيت. توقيت الأيام المئة والثمانين كيفما شئنا».

بقي الآخرون صامتين، وبدا أنهم يشجّعون ترامب. ولهذا ذُهل بورتر لأن الرئيس كان

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

يفكّر في الانسحاب من اتفاقية نافتا من دون إعطاء إنذار. كانت الاتفاقية الأساس الذي اعتمد عليه الاقتصاد والأمن القومي في أميركا الشمالية لفترة تزيد على عقدين من الزمن. ألغت تلك الاتفاقية الرسوم الجمركية بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، علماً أن قيمة التبادل التجاري بين الدول الثلاث تتجاوز التريليون دولار سنوياً. أما قيمة التبادل التجاري الأميركي مع كل من كندا والمكسيك، فهي تساوي على وجه التقريب قيمة التجارة الأميركية مع الصين، وهي الشريك التجاري الأكبر للبلاد.

قال بورتر: «يتعيّن علينا أن نمتلك إجراءات محدّدة تكفل أن نجري هذه العملية بالطريقة الصحيحة. والتأكّد من أننا فكّرنا بهذه الأمور». أشار بورتر إلى بنس وروس وكوشنير ونافارو. «يسرّني جداً أن يكون هؤلاء الناس معنا، لكن غاري كوهن ليس هنا، وكذلك ستيف مينوشين ليس هنا. أدرك جيداً أنك تريد التحرّك بسرعة... لكن علينا إبطاء حركتنا قليلاً».

ردّ ترامب: «لا أكترث لأي كلمة من هذا الكلام. أريد أن يكون الأمر منتهياً وفوق طاولتي يوم الجمعة».

توجّه بورتر لمقابلة ماكماستر بغية الحصول على دعمه. قال ماكماستر إنه لم يشارك من قبل في محادثات تتعلق بمسائل التجارة، لكنه قال إنه يوافق مع بورتر على أن الانسحاب من نافتا سوف يكون بمثابة كابوس أمني وطني، وكابوس لا لزوم له، ومن شأنه أن يُجفل الحلفاء. وعده ماكماستر بأن يكون إلى جانبه.

جرت الدعوة إلى اجتماع طارئ[1] مع الوزراء المعنيين وكبار المستشارين على أن يُعقد في اليوم التالي في قاعة روزفلت. بدأ العد العكسي لموعد التوقيع، وبدا أنه لم يبقَ سوى يوم واحد قبل أن يضع ترامب توقيعه.

ضغط نافارو للانسحاب من الاتفاقية. بينما قال وزير الأمن الداخلي جون كيلي وآخرون إن التهديد المقترح بانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية قد يشكّل قدراً كبيراً من الضغط المفيد، لكن الانسحاب الفعلي منها قد يكون كارثياً، لأن ذلك يعني أن الولايات المتحدة تطلق النار على قدراتها للسير قُدُماً. أما تردّدات الانسحاب فسوف تكون كبيرة، لأن من شأن هذا الانسحاب تعكير الأسواق المالية، وتنفيذ رد فوري على هذه الخطوة. يُضاف إلى ذلك أن الشركاء التجاريين للولايات المتحدة سوف يتساءلون إن كان دورهم هو التالي.

مضى بورتر، بعد أن انتهى الاجتماع، في طريقه إلى المكتب البيضاوي لتسليم الرئيس الأوراق

---

(١) مراجعة المؤلّف للملاحظات التي كتبها أحد المشاركين.

التي أراد تحضيرها. وصادف في طريقه وزير الزراعة سوني بيرديو الذي تسلّم منصبه حديثاً. كان بيرديو حاكماً جمهورياً سابقاً لولاية جورجيا، وهو أول وزير من حزبه يتولى المنصب بعد إعادة الإعمار.

قال بورتر: «لمَ لا تدخل معي إلى مكتب الرئيس يا سوني؟». وما لبث أن انضمّ ولبور روس إلى المجتمعين في المكتب البيضاوي.

أبلغ بيرديو ترامب: «كانت نافتا بمثابة نعمة كبيرة للمصالح الزراعية الأميركية. إننا نقوم بتصدير ما قيمته ٣٩ مليار دولار سنوياً إلى المكسيك وكندا. لن نجد أسواقاً بديلة لهذه المنتجات من دون الاتفاقية. لكن الناس الذين سوف يخسرون أكثر من غيرهم، إذا ما انسحبنا من نافتا، هم قاعدتك أنت، أي الذين يدعمون ترامب».

عرض بيرديو على ترامب خريطة الولايات المتحدة التي تشير إلى الولايات والمقاطعات حيث يُمكن أن تلقى الزراعة وقطاع الإنتاج القدر الأكبر من الخسارة. كانت مناطق كثيرة قد منحت أصواتها لترامب.

قال بيرديو: «لا يقتصر الأمر على قاعدتك فقط، بل إنها قاعدتك في الولايات المتذبذبة والمهمة في الانتخابات الرئاسية. لا يمكنك أن تفعل هذا».

ردّ ترامب: «أجل، لكنهم يؤذوننا، ويتعيّن علينا أن نفعل شيئاً ما».

قرّر الرئيس أخيراً أن يرفع من حدة خطاباته العلنية وتهديداته أمام الجمهور، لكن من دون إرسال إنذار بالانسحاب من الاتفاقية بعد ١٨٠ يوماً.

أبلغَ جاريد الخبر إلى بورتر، وقال: «وافق الرئيس على عدم الانسحاب في الوقت الحاضر».

كان بورتر يعرف أن كل شيء مؤقت مع ترامب، لكنه فوجئ كيف اقترب الأمر من حافة الإلغاء، وكيف أنه توقّف عندها.

دخل بيتر نافارو إلى المكتب البيضاوي، لعقد اجتماع طارئ مع الرئيس.

قال الرئيس: «الأمر الوحيد الذي فعلناه هو الانسحاب من اتفاقية التجارة لدول المحيط الهادئ TTP. لماذا لم نفعل أي شيء آخر بشأن مسائل الاتفاقات التجارية؟».

قال نافارو: «إن سكرتير موظفي البيت الأبيض هو الذي يؤخّر كل هذه الأمور».

اتصل ترامب بمساعدته مادلين ويسترهوت، وقال لها: «مادلين، استدعي روب إلى هنا في الحال».

أسرع بورتر بصعود الدرج المؤدي إلى المكتب البيضاوي.

وجّه ترامب كلامه إلى بورتر قائلاً: «ماذا تنتظر بحق السماء؟ لماذا لا ننتهي من هذا الأمر؟ قم بوظيفتك. لماذا تماطل في الأمر. وأنت تطلب مني التأجيل على الدوام. أريد أن أنتهي من هذا الأمر».

بدا الرئيس جدياً مرةً أخرى، وهكذا حضّر بورتر مذكرة إنذار لمدة ١٨٠ يوماً على أن يوقّع ترامب على أن الولايات المتحدة سوف تنسحب من نافتا.

زادت قناعة بورتر أكثر فأكثر بأن هذا الأمر سوف يؤدي إلى أزمة علاقات اقتصادية وأزمة علاقاتٍ مع كندا والمكسيك. توجّه بورتر بعد ذلك لمقابلة كوهن.

ردّ كوهن على بورتر بالقول: «إن بإمكاني إيقاف العملية. سأكتفي بأن أسحب الورقة من فوق طاولته قبل أن أغادر المكتب». سحب كوهن الورقة في وقتٍ لاحق. وقال: «إذا كان يريد توقيعها فسوف يتعيّن عليه تحضير ورقةٍ أخرى».

علّق بورتر واعداً: «سوف نبطئ حركة تلك الورقة كذلك».

كان كوهن يعرف بطبيعة الحال أن من السهل جداً على الرئيس أن يأمر بتحضير نسخةٍ أخرى. لكن إذا لم تكن الورقة أمامه مباشرة، فمن المرجّح أن ينساها. يعني ذلك أن الورقة إذا لم تكُن أمام ناظريه، فهي بعيدة عن ذهنه.

وافق بورتر على هذه الطريقة، لأنه يعرف أن ذاكرة ترامب تحتاج إلى محفّز، أي إلى شيء ما فوق طاولته، أو إلى شيء يقرأه في الصحيفة، أو يراه على شاشة التلفزيون، أو حتى أنه يحتاج إلى بيتر نافارو ليدخل فجأة المكتب البيضاوي مجدداً. لكن من دون وجود أي شيء، أو شخصٍ ما لينشط ذاكرته، فإن الأمر قد يستغرق ساعات، وربما أياماً أو حتى أسابيعَ قبل أن يتمكن من التفكير فيه. لكن إذا قال الرئيس إننا سوف ننسحب من ذلك الاتفاق، ولماذا لا نفعل ذلك؟ فإن ذلك قد يعني بأن الأمر لن يحدث أبداً.

قدّم سوني بيرديو عرضاً[1] في غرفة الاجتماعات المغلقة في اليوم الرابع من أيار/مايو. وكان موضوع العرض يدور حول دور الزراعة في التجارة. أظهرت المعلومات الاستخبارية الأمر الآتي: إذا فرضت الولايات المتحدة رسوماً جمركية جديدة على الصين، فإن الصينيين سوف يردّون بفرض رسوم جمركية مماثلة.

---

(١) مراجعة المؤلّف للملاحظات التي كتبها أحد المشاركين.

كان الصينيون يعرفون بالضبط كيفية إنزال الألم الاقتصادي والسياسي بالآخرين. وللمقارنة فإن الولايات المتحدة تشغل صف الحضانة في هذا المجال. بينما تحمل الصين درجة دكتوراه دولة فيه. كان الصينيون يعرفون المقاطعات الأميركية وولاءها في انتخابات الكونغرس. ويعرفون منتوجاتها الزراعية. مثل حبوب الصويا. وكانوا يعرفون أي مقاطعة متذبذبة سوف تكون مهمة للمحافظة على تأثيرها في مجلس النواب. وكانت تعرف أن بإمكانها توجيه الرسوم الجمركية على المنتجات الآتية من تلك المقاطعات، أو حتى على مستوى الولاية. ويستطيع الصينيون استهداف منتجات الخمرة [الويسكي] من ماكونيل كنتكي. ومنتجات الألبان من بول رايان وسكونسن.

حدّد ولبور روس بعد أيام قليلة الأسباب التي تجعل العجز التجاري مهماً. ردّد روس موقف الرئيس عندما قال إن العجز التجاري هو المعلم والإشارة اللذان يدلّان على عدم استقرارنا وضعفنا الاقتصادي. ركّز الرئيس في العجز التجاري، وذكّر الجميع بأن عليهم التركيز فيه.

نزع بورتر عنه قناع الوسيط النزيه. وقال: «إن العجز التجاري غير مهم، وعلى الأقل للبلد الواحد. إنها طريقة تفكير سخيفة». ربما كانت لهجته في ذلك الوقت قد أبرزت أكبر قدرٍ من عدم الاحترام. وهو ما أظهره بورتر أمام موظف حكومي. «إن سياسات التجارة، ولاسيما الاتفاقات التجارية التي نتفاوض بشأنها ليست السبب الرئيس للعجز التجاري في بلادنا». يعتمد ذلك العجز على الظروف الاقتصادية، وأي بلدٍ بإمكانه إنتاج سلع مختلفة بأكثر الطرق فاعلية وبأسعارٍ أرخص. وعلى نِسَب المدخرات، وقيمة العملات. أما السياسات الحمائية فليست من مصلحتنا الاقتصادية.

ردّ روس بحدّة: «حسناً، لقد كسبتُ مليارات الدولارات، وعملتُ في وول ستريت. إنني أعرف كيف تعمل هذه الأسواق. أنت لا تفهم مسائل العرض والطلب. وإذا فرضت الولايات المتحدة رسوماً جمركية على الصين وردّت الصين بالمثل. فسوف نكون قادرين على شراء منتجاتٍ من دولٍ أخرى».

تفاوض روس في ربيع العام ٢٠١٧. مع الصين نيابة عن الولايات المتحدة بشأن عقد لاستيراد الدجاج الصيني وتصدير اللحوم في المقابل. وصف روس الاتفاق بأنه «إنجازٌ عملاق». لكن الاتفاق لاقى بعض الانتقادات الجادة. وأوردت صحيفة النيويورك تايمز في عنوانها(١) على صفحتها الأولى: «الصين تتنازل قليلاً أمام الولايات المتحدة في أول جولة من محادثات التجارة».

شنّ الرئيس هجوماً على روس خلال اجتماع عُقد في البيت الأبيض. «لا أستطيع أن أصدّق أنك عقدتَ ذلك الاتفاق. لماذا لم تخبر أحداً به؟ لم تُخبرني عن كل هذا. سافرتَ هكذا وعقدت الاتفاق

---

(١) Gina Chon and Pete Sweeney, "China Surrenders Little to U.S. in First Round of Trade Talks," The New York Times, May 12, 2017.

من تلقاء نفسك. إنه اتفاقٌ مريع، ونحن خُدعنا به. يُحتمل يا ولبور أنك قد ألفت ذلك». لكن روس، بوصفه مصرفيًّ استثمارات، ويمثّل حاملي سندات الكازينو الذين كانوا غاضبين من ترامب في العام ١٩٩٠، تمكّن في ذلك الوقت من عقد اتفاقٍ مع ترامب يعترف بموجبه بقيمة اسمه الشهير، ويسمح له بتجنّب إعلان إفلاسه.

أبلغ ترامب روس البالغ من العمر ٧٩ سنة قائلاً: «ظننتُ أنك حاذقٌ وماهر. وعندما كنتَ في وول ستريت تمكنتَ من عقد اتفاقات كهذه. لكن ماضيك كان أزهى أيام حياتك. لم تعد ذلك المفاوض الماهر. لا أعرف ماذا أقول. لكنك خسرت. أنا لا أثق بك، ولا أريدك أن تقوم بإجراء أي مفاوضات بعد الآن... بوب لايتيزر سوف يتولى مسألة نافتا، والاتفاقات التجارية الأخرى.

حاول روس الدفاع عن الاتفاق، وقال إن الولايات المتحدة ستتمكن من تصدير مزيد من اللحوم، لكن ترامب رفض الإصغاء كلياً.

عقد الرئيس، بشأن الرسوم الجمركية على الفولاذ، الأكثر استحواذاً على اهتماماته، اجتماعاً[1] وذلك في المكتب البيضاوي يوم ٨ حزيران/يونيو. جلس في ذلك اليوم غاري كوهن، وولبور روس، وبورتر، ووزير الدفاع ماتيس حول الطاولة الرئاسية ريزوليوت.

قال روس: «نحن جاهزون للبدء. أريد أن أقدّم إليك هذا التقرير». كتب روس توصيات في هذا التقرير بشأن قِيَم الرسوم الجمركية الموضوعة خصيصاً على الواردات من الصين. كان من المقرّر فرض رسوم جمركية باهظة، إذا ما زادت الصين من كميات صادراتها من الفولاذ إلى الولايات المتحدة.

تدخّل بورتر ليتحدّث عن عدد من المشكلات القانونية. وكان من بينها أن وزارة التجارة لم تتشاور مع وزارة الدفاع كما ينص القانون، وذلك من أجل تحديد الواردات: هل تشكّل تهديداً للأمن القومي، أم لا؟

قال روس: «أجل، فعلنا ذلك، لقد قمنا بالتشاور».

قال ماتيس: «لم أُستشَر حول أي شيء يتعلق بكل هذه الأمور».

ردّ روس: «لا بأس». وذكر بأنه تحدّث مع مساعد وزير الدفاع، وهو الذي عالج هذه المسائل. وأضاف أنه يحتفظ ببعض الرسائل الإلكترونية لتوثيق كلامه هذا.

قال ماتيس: «حسناً، لكنك لم تتحدّث معي مطلقاً».

---

(١) مراجعة المؤلّف للملاحظات التي كتبها أحد المشاركين.

تدخل بورتر هنا ليشير إلى أن القانون يفرض استشارة وزير الدفاع ذاته، وليس أي شخصٍ آخر في الوزارة.

كانت تلك هي النقاشات البيروقراطية الدقيقة التي كادت تدفع ترامب إلى حافة الجنون. قال ترامب: «ولبور، تحدّث مع جيم! توصّل معه إلى حلٍ حول هذا الموضوع. لقد سئمت منه، وتعبت من التفكير فيه. افعل ذلك بسرعة. لأنني أريد الانتهاء منه».

رأى بورتر في كل ذلك طريقة رائعة لتأجيل الموضوع لأسابيع إضافية إن لم يكن أكثر من ذلك. أسهم ماتيس كذلك في إيجاد مخرج، وأبلغ روس بأنه يريد الحصول على تحليل قبل إعطاء رأيه.

أظهر التحقيق الذي أجرته وزارة الدفاع في وقتٍ لاحق بناءً على طلب ماتيس، أن «استخدام الجيش الأميركي للفولاذ يمثّل أقل من ٠,٥٪ من مجموع طلبات الولايات المتحدة عليه». يعني ذلك أن وزارة الدفاع سيكون بإمكانها «الحصول على ما يلزمها من الفولاذ لتلبية متطلبات الدفاع القومي».

الفصل العشرون[1]

قال ترامب إنه كان يتمنى في بداية توليه لمنصبه لو أنه طرد كومي. أما الآن فإنه يريد طرده من منصبه بالفعل.

عارض بانون موقف ترامب هذا، وقدّم إليه حجَجه في البيت الأبيض على انفراد، وقال: «٧٥٪ من العملاء يكرهون كومي. لا شك في ذلك، وسوف يتحوّل في اللحظة التي تطرده فيها إلى جاي. إدغار هوفر آخر. سيتحوّل في اليوم الذي تقوم بتنحيته فيه من منصبه إلى أعظم شهيد في التاريخ الأميركي. وسوف يسدّدون [مكتب التحقيقات الفيدرالي] سلاحاً نحوك لينالوا منك، وسوف يعيّنون محققاً خاصاً للتحقيق معك. يمكنك أن تطرد كومي، لكنك لا تستطيع طرد مكتب التحقيقات الفيدرالي. لأنه سيقرّر، كمؤسسة، وفي الدقيقة التي تطرده فيها، أن يدمّرك، وسوف يدمّرونك».

اعتقد بانون بأن ترامب يجهل قوة المؤسّسات الدائمة في البلاد، مثل مكتب التحقيقات الفيدرالي، ووكالة الاستخبارات المركزية، والبنتاغون، والمؤسسة العسكرية الأشمل. اعتقدَ كذلك بأن ترامب لم يدرك تماماً السلطة الكاسحة التي يمتلكها المستشار الخاص، والذي يمكن تعيينه من أجل التحقيق في كل ما يخص الرئيس.

أبلغ ترامب مكغان وبريبوس بقوله: «لا تحاولا إقناعي بالعدول عن هذا القرار، لأنني اتخذتُ قراري. أنصحكما ألّا تحاولا ذلك... كومي رجلٌ يبحث عن الشهرة، ولا يلتزم أية ضوابط».

شعر ترامب مع حلول أوائل شهر أيار/مايو، بأن كومي أصبح في موقف ضعيف، وذلك بسبب شهادته التي أدلى بها منذ وقت قريب في إطار التحقيقات الملتوية عن رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بهيلاري كلينتون. أملى الرئيس رسالةً يوضح فيها أسباب تنحية كومي من منصبه.

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

أبلغ مكغان الرئيس بأن نائب المدعي العام رود روزنشتاين سوف يحضر لعقد اجتماع. كان أحد الموضوعات التي أراد روزنشتاين مناقشتها هو موضوع كومي. وقد أضاف مكغان بقوله إن روزنشتاين يبدو أنه يريد التخلّص من كومي.

قال مكغان إن هناك إجراءً سيُتّخذ. وهو أن نائب المدعي العام هو الشخص الذي سوف يُشرف على مكتب التحقيقات الفيدرالي. دعا مكغان الرئيس إلى الاستماع إلى روزنشتاين. كان ذلك تكتيكاً لطالما دأب موظفو البيت الأبيض على استخدامه مرة بعد أخرى. ويقولون إذاً دعنا نقُم بتبريد المسألة قليلاً. ونتحدث إلى رود. ثم نعود بعد ذلك لنقدّم إليك خطة.

أبلغ روزنشتاين ترامب بأنه يعتقد بوجوب تنحية كومي، وأنه لا يمانع في كتابة مذكرة يلخص فيها أسبابه الموجبة. أحضر رود مذكرة من ثلاث صفحات[1] إلى البيت الأبيض. كان موضوع المذكرة: المرجع: استعادة ثقة الناس بمكتب التحقيقات الفيدرالي. وشرحت المذكرة أن كومي قد أقدم في يوم ٥ تموز/يوليو على: «إعلان استنتاجاته الخاصة حول أهم تحقيقات جرمية حسّاسة تخص البلاد». كانت الاستنتاجات تدور حول رسائل البريد الإلكتروني الخاص. واستبق بذلك قرار المحقق. ثم قدّم «معلومات انتقامية» عندما وصف سلوك كلينتون بأنه في «غاية الإهمال». وأقدم بعد ذلك، وقبل أحد عشر يوماً من الانتخابات، على الإعلان بأنه سوف يعيد فتح تحقيقات كلينتون، لأنه اعتقد بأن ذلك هو مسألة «تكلّم» أو «أحجب». قال روزنشتاين إن هذا هو سوء عرض للقضية. اقتبس رود بعد ذلك أقوال خمسة من المدعين العامين، أو نواب المدعين العامين، الذين وافقوا على القول إن كومي قد خرق القوانين.

قال الرئيس: «عظيم». لم يكن بإمكانه أن يأتي هو بأفضل من هذه المذكرة. أرسل بعد ذلك رسالةً مختصرة إلى كومي ليُعلمه فيها بأنه «مفصولٌ من العمل، ومن وظيفته، وعلى الفور».

أعطت خطة محاولة إيقاف عملية الصرف نتائج عكسية، لأنها أدّت إلى تسريع العملية. وكان بريبوس يعلم أن المذكّرة التي قدّمها روزنشتاين لم يكن لها أي علاقة بالقرار. لأن الرئيس صمّم على قراره.

اعتبر بانون «مئة بالمئة» أن السبب وراء تنحية كومي من منصبه هو أن مكتب التحقيقات الفيدرالي كان يسعى إلى الحصول على سجلات مالية من جاريد. كان ذلك توقعاً خالصاً. اشتكت إيفانكا لوالدها بشأن مكتب التحقيقات الفيدرالي بهذا الخصوص.

اعتبر بريبوس مع مرور الأشهر أن تخطيط ترامب لتنحية أحد الموظفين من منصبه. أو قوله

---

(١) ترد مذكرة روزنشتاين في موقع

https://assets.documentcloud.org/documents/3711188/Rosenstein-letter-on -Comey-firing.pdf

إنه سوف يفعل، لا يدلّان على أن ذلك سوف يحدث بالفعل. وهكذا اشتُهر عنه قوله المفضّل: «لا شيء يُعدّ ميتاً هنا إلى أن يُدفن».

بدا في الوقت الراهن أن كومي كان ميتاً على الأقل، لكن لم يُدفن بعد. ولا دُفنت قضيّته.

كان ترامب في التاسع من شهر أيار/مايو يشاهد الكثير من التغطية الإخبارية التي تبثّها القنوات السلكية عن تنحيته كومي، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي، من منصبه. لكن الأمور لم تكن تجري على ما يرام. عكّر ترامب الأجواء[1] عندما ناقض نفسه في يوم ١١ أيار/مايو، أي عندما أبلغ ترامب ليستر هولت من محطة الإن بي سي أنه سوف يقوم بتنحية كومي رغم التوصيات التي تلقّاها من نائب المدّعي العام روزنشتاين والمدعي العام سيشنز. وقال ترامب في رد مستفيض وطويل على هولت في محاولة منه، على ما يبدو، لتبيان بعض الأسباب التي دفعته إلى هذا الإجراء: «قلتُ لنفسي، أتعرف، إن مسألة تدخّل روسيا [في الحملة الرئاسية] مع ترامب هي كلها مسألة مختَلَقة».

تبدو هذه الإجابة على تناقض تام مع ما ورد في رسالته التي بعثها إلى كومي، والتي يقول فيها إن تنحيته سببها مذكرة روزنشتاين، التي انتقد فيها كومي بشدة، بسبب معالجته موضوع تحقيقات البريد الإلكتروني الخاص بهيلاري كلينتون.

نشر مايكل شميت مساء يوم الثلاثاء، الواقع فيه ١٦ أيار/مايو[2] مقالةً نارية في صحيفة النيويورك تايمز، أوردت أن كومي كتب مذكرات فورية عن محادثاته مع ترامب. فخلال أحد اجتماعاته مع ترامب في المكتب البيضاوي بتاريخ ١٤ شباط/فبراير، أي عندما كان لا يزال مديراً لمكتب التحقيقات الفيدرالي، كتب كومي أن الرئيس سأله عن التحقيقات بشأن فلين. وقال له: «أتمنى أن تقتنع بضرورة الانتهاء من الأمر، وتبرئة فلين. إنه رجلٌ طيّب. أتمنى أن تنتهي من هذه القضية».

جال ترامب حول شاشة التلفزيون مقترباً منها كثيراً، وعلى الأخص عندما دقّ دافيد جيرغين جرس إنذارٍ من خلال محطة السي إن. إن في ذلك المساء[3]. وكان هو الرجل الذي يتمتع بخبرةٍ

---

(١) "Partial Transcript: NBC News Interview with Donald Trump," CNN, May 11, 2017, https://www.cnn.com/2017/05/11 /politics/transcript-donald-trump-nbc-news/index.html

(٢) Michael S. Schmidt, "Comey Memo Says Trump Asked Him to End Flynn Investigation," The New York Times, May 16, 2017.

(٣) Derek Hawkins, "'I Think We're in Impeachment Territory,' Says David Gergen, Former Aide to Nixon and Clinton," The Washington Post, May 17, 2017.

واسعة. ورجلٌ منطقي سبق له أن عمل مستشاراً للبيت الأبيض في عهدَي الرئيسين ريتشارد نيكسون وبيل كلينتون خلال التحقيقات المتعلقة بتنحيتهما من منصبيهما.

قال جيرغين: «أعتقد بأننا دخلنا في مرحلة تنحية الرئيس. إن ما نراه هو رئاسة بدأت بالتفكّك».

لاحظ بورتر أن ترامب كان على وشك أن يفقد وعيه عند سماعه كلمة تنحية. عبّر الرئيس بعد ذلك عن غضبه الشديد، لأن كومي بدا وكأنه يقلب الطاولة على رأسه.

كان ترامب في اليوم التالي، أي يوم الأربعاء ١٧ أيار/مايو، في المكتب البيضاوي عندما علمَ بأن روزنشتاين قد عيّن من بين الجميع روبرت مولر، الشخص الذي أدار مكتب التحقيقات الفيدرالي لفترة ١٢ عاماً، في منصب مستشارٍ خاص، وذلك للنظر في مسألة التلاعب الروسي بالانتخابات. وما إذا كان للروس أي علاقة بحملة ترامب الرئاسية.

ساء مزاج ترامب كثيراً على الفور. لكن في اليوم التالي، أي في ١٨ أيار/مايو، كان مزاجه هو الأسوأ. انفجر الرئيس في نوبات غضب عجز عن السيطرة عليها، وكان هائجاً إلى درجةٍ لم يشهدها من قبل أي شخص من المقربين منه شخصياً. كانت تلك تجربة مريعة. قال بورتر لأحدٍ مساعديه: «بالكاد نجونا بأنفسنا».

درج ترامب على الجلوس وراء الطاولة الرئاسية ريزوليوت، أو في غرفة طعامه الخاصة به. لكنه في هذا اليوم قضى معظم أوقاته واقفاً ومتجولاً بين الغرفتين.

ركّز الرئيس في هوايته المفضلة، أي الاستماع إلى أخبار المحطات السلكية. شاهد ترامب برنامجاً يستمر لساعتين على محطة فوكس نيوز، وشاهد بعد ذلك فترتين إخباريتين على محطتَي الإم إس إن بي سي، والسي إن إن. استمرت كل فترة مدة ساعتين. وقام بتسجيل هاتين الفترتين على جهازٍ خاص.

استشاط الرئيس غضباً بسبب التغطيات الإخبارية. بينما كان مساعدوه يدخلون ويخرجون. وكان من بين هؤلاء بانون، وكوشنير، ومكغان، وهيكس، وبورتر. سأل الرئيس عن سبب اختيار مولر. ووسط موجة غضبٍ عارمة: «كان هنا، ولم أوظفه لإدارة مكتب التحقيقات الفيدرالي. وهو بالتأكيد يحمل فأساً ليهوي بها عليّ».

وتابع الرئيس قائلاً: «يحاوِل الجميع الانقضاض عليّ. لكن هذا ليس من الإنصاف في شيء. يقول الجميع الآن إنني سوف أنحّى من منصبي». سأل ترامب كذلك عن صلاحيات المستشار الخاص.

أجاب بورتر أن المستشار الخاص يمتلك عملياً صلاحيات غير محدودة تتيح له التحقيق في أي

جرم محتمل. وأضاف أن من بين تلك القضايا كانت ووترغيت، وإيران- كونترا، وفضيحة مونيكا لوينسكي مع كلينتون.

قال ترامب بمرارة: «جاءني الآن هذا الشخص غير المسؤول أمام أحد ليحاسبه. والذي يستطيع النظر في أي قضية، وإن كان لا علاقة بها برئاستي. إنهم سوف يقضون أعواماً في نبش كل ما جرى معي في حياتي، وفي التفتيش عن نشاطاتي المالية».

لم يتمكن ترامب من التركيز كثيراً في أي شيءٍ آخر. وهكذا أُلغيَت الاجتماعات، وأجزاء من الأنشطة الأخرى.

لم يسبق أن رأى بورتر الرئيس ترامب منزعجاً إلى هذه الدرجة. وكان يعرف أن ترامب نرجسي ينظر إلى كل شيء من خلال تأثيره فيه. لكن ساعات الغضب الشديد هذه ذكّرت بورتر بما كان يقرأه عن أيام نيكسون الأخيرة في منصبه، والتي قضاها في الصلاة، وفي الطَرق على السجادة بقدمه، والتحدّث إلى صور الرؤساء السابقين المعلّقة على الجدران. دخل سلوك ترامب في هذه الأثناء مرحلة الرهاب.

قال ترامب: «إنهم يطاردونني. هذا ظلم. هذا ليس من الإنصاف في شيء. كيف أمكن لهذا أن يحدث؟ كل هذا غلطة جيف سيشنز. هناك دوافع سياسية وراء كل هذا. لا يعرف رود روزنشتاين ماذا يفعل بحق الجحيم. إنه من الحزب الديمقراطي. ومن ميريلاند».

قال ترامب، وهو يجول في الغرفة: «كان روزنشتاين واحداً من الأشخاص الذين أشاروا إليّ بتنحية كومي. وهو الذي كتب لي هذه الرسالة. كيف يمكن له أن يشرف على هذه التحقيقات؟».

أضاف الرئيس أن بوب مولر يعاني من كل هذه النزاعات التي تمنعه من أن يكون مستشاراً خاصاً للتحقيق معه. وأضاف: «وكان واحداً من فريقي في لعبة الغولف». أي نادي غولف ترامب الوطني في ستيرلنغ، فرجينيا. وكان هناك نزاعٌ بشأن الأجور. ثم استقال مولر بعد ذلك. وسبق أن مثّل مكتب محاماة مولر صهرَ ترامب في قضايا قانونية.

قال ترامب: «لقد تعرضتُ لضربة. يتعيّن عليّ ردّ الضربة. ولكي تكون المواجهة عادلة يتوجب عليّ أن أواجه بدوري».

بقي الرئيس طوال النهار يجول جيئةً وذهاباً في الغرفة لكي يشاهد الأخبار على شاشة التلفزيون في غرفة الطعام. ثم كان يخرج إلى المكتب البيضاوي وسط نوبة غضب شديدة. كما طرح عدداً من الأسئلة للتعبير عن غضبه، وذلك إلى حد أنه فقدَ السيطرة على أعصابه بشأن التحقيق.

قال ترامب: «أنا الرئيس. ويمكنني تنحية أي شخص أريده. لا يمكنهم فتح تحقيق معي بشأن تنحية كومي. إنه يستحق التنحية! والجميع يكرهونه. إنه مريع».

الفصل الحادي والعشرون[1]

كان مارك كاسوفيتز، المحامي المخضرم، الأشيب، الذي وكّله ترامب على مدى عقود في دعاوى الطلاق والإفلاس، قد استدعى جون داود، وهو واحد من أكثر المحامين خبرة في الدفاع الجزائي عن الموظفين الإداريين، إلى مكتبه في نيويورك الساعة الرابعة من بعد ظهر الخامس والعشرين من أيار/مايو ٢٠١٧.

أبلغه كاسوفيتز: «نريدك في واشنطن لتكون وكيلاً عن الرئيس»، للدفاع عنه في التحقيق المتعلّق بروسيا الذي بدأه المحقق الخاص روبرت مولر. وكان قد سبق لعدّة محامين مشهورين أن رفضوا الوظيفة متعللين، إما بتضارب في المصالح، وإما بالصعوبة في التعامل مع ترامب. لكن داود، المدعي العام السابق، والذي يمتلك لائحة طويلة من الموكّلين، انتهز الفرصة لتتويج ٤٧ عاماً من مسيرته القانونية بالقضية الأبرز في البلاد.

«آه، يا إلهي، أمر لا يُصدَّق. إنه لمن دواعي سروري أن أكون موكّلاً عن الرئيس».

قال كاسوفيتز: «ليس الأمر نزهة سهلة».

أجاب داود: «أظنُّ أنني قد تصوّرت ذلك».

كان داود شخصية طيبة ومحقّقاً صعب المراس. وكان في الستينات محامياً لسلاح البحرية، ولاحق في السبعينات العصابات، بوصفه رئيساً لقوة مكافحة الجريمة المنظمة التابعة لوزارة العدل. وأصبح في الثمانينات المستشار القانوني الخاص لمفوّض كرة القاعدة (baseball). وقد قام بتحقيقات كبيرة أدى أبرزها إلى منع بيت روز، من فريق «سينسيناتي ريدز»، من المراهنة على

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

مباريات كرة القاعدة. وبعد ذلك، وُكّل داود، بوصفه محامياً للدفاع، عن شخصيات رسمية في وول ستريت، ومنها السيناتور جون ماكين في لجنة كيتينغ الخماسية للتحقيق في الفساد. وكان شريكاً في مكتب المحاماة البارز «أكين غامب»، وهو متقاعد الآن.

أجرى داود مكالمة جماعية مع ترامب وكاسوفيتز. أعقبها بحوارات متعددة مع الرئيس. وقد أبلغه ترامب أن تحقيق مولر يقضي عليه وعلى رئاسته. فهو لم يرتكب أي خطأ. قال له: «جون، هذا الأمر يشكّل عبئاً ضخماً، ويتداخل بخاصة مع السياسة الخارجية. وإنه لمن المربك أن تكون في خضمّ عقد صفقة ما، والشخص، في الطرف الآخر، رئيس الوزراء يقول: 'هاي، دونالد، هل ستكون موجوداً؟' الأمر أشبه بركلة على الخصيتين».

قال داود إنه لن يتقاضى أجراً على الساعة، بل سيحدد أجراً ثابتاً. واتفقا على مئة ألف دولار في الشهر، وهو مبلغ يشكّل نصف تعريفته العادية تقريباً. فطلب منه ترامب أن يُرسل الفاتورة إلى مكتبه في نيويورك، على أن يتلقّى المبلغ في اليوم التالي. (وقد التزم ذلك).

كان تحقيق مولر قد أثار سخط الرئيس الذي عدّد لداود شكاويه.

في البدء، صدمه قرار المدعي العام سيشنز في الثاني من آذار/مارس النأي بنفسه عن أي تحقيق في التدخل الروسي في الانتخابات[1]. فقد كان يتوقّع حماية سياسية من مدعيه العام، وها هو الآن قد تُرك بلا حماية.

أخبره ترامب، بعد ذلك، كيف عَلِمَ في ١٧ أيار/مايو أن نائب المدعي العام، رود روزنشتاين، قد عيّن مولر محققاً خاصاً. كان ذلك غاية في البشاعة. فقد كان مع سيشنز في المكتب البيضاوي، عندما جاء أحد محامي البيت الأبيض بالخبر. قال سيشنز: «لم أكن أعلم ذلك». فاستدار نحوه وقال: «لكن، ألا يعمل لديك؟». إن تنحّي سيشنز ترك روزنشتاين في موقع المسؤولية عن أي تحقيق في شأن روسيا.

والأسوأ من ذلك، بحسب قول ترامب، أنه كان في اليوم السابق تماماً قد أجرى مقابلة مع مولر بشأن عودته مديراً لمكتب التحقيقات الفيدرالي (الإف بي آي) لكنه رفض. وها إن مولر بات فجأة في موقع المسؤولية. «وهكذا تعرّضتُ مرتين لكمين لعين من وزارة العدل».

وقال ترامب إن الإف بي آي السابق قد بدأ، بعد أن طرد ترامب لكوني، بحملة من الشهادات والتسريبات، ليعلن أنني طلبت إليه التخلي عن التحقيق في قضية فلين. «لم أفعل شيئاً»، قال ترامب لداود. «ذلك كلّه هراء. فكومي كاذب لعين».

---

(١) "Attorney General Sessions Statement on Recusal," U.S. Department of Justice, March 2, 2017

وشاطره كاسوفيتز الرأي بقوله إنه وأحد شركائه قد تحرّيا لمعرفة ما يربط ترامب بالتدخل الروسي. وتمثّلت الخلاصة الأولى، بعد شهر كامل من ذلك، في عدم وجود أي شيء من ذلك.

الطريقة التي ردّد فيها ترامب النفي أوحت إلى داود أنه صادق في سخطه. لكن ذلك لم يعنِ، بالتأكيد، أنه كان بريئاً. فقد قال ترامب، بالإضافة إلى إلقائه اللوم على كومي، إنه سبّب ذلك لنفسه بعدم حصوله على أشخاص ومحامين أقوياء.

تفحّص داود القرار المؤلف من صفحة واحدة، والذي عيّن روزنشتاين بموجبه مولر في ١٧ أيار/مايو[1]. فهو لم يُجزِ التحقيق في شأن التدخّل الروسي فحسب، بل أعطى أيضاً التوجيهات لمولر بالتحقيق «في أية مسائل تنشأ، أو قد تنشأ، عن التحقيق [في التدخل الروسي]». ولم يسبق لداود أن شهد امتلاك أي شخص في جسم القضاء مثل هذه السلطة الواسعة.

عبّر الرئيس عن ارتيابه. فقد ضم فريق التحقيق التابع لمولر كثيراً من الديمقراطيين.

ووافق داود على إمكان وجود دافع سياسي، وقال لترامب: «إنها عملية مدبّرة من الطراز الأول تتولّاها مجموعة من الخاسرين».

تتمثّل نظرية داود في الدفاع عن أي موكل له، في أن يكون محاميه وصديقه أيضاً. فكان ترامب يتصل به على مدار الساعة، وكل يوم. وقد وجد داود، بالرغم من أسلوب ترامب غير المتحفّظ والاستفزازي، أن الرئيس كان متوحّداً جدّاً.

ناقش داود الوقائع المعروفة مع مستشاري ترامب القانونيين، وراجع المادة بحثاً عن مواطن ضعف ممكنة. ولم يجد، بالاستناد إلى المراجعة الأولية للأدلة المعروفة، شيئاً ما يدعم تهمة التواطؤ مع الروس أو عرقلة العدالة.

ولعلّ أجزاء الأدلة الأكثر إثارة للقلق، كانت مذكرة المدير السابق للإف بي آي جيمس كومي وشهادته أن ترامب قد ناشده التساهل مع الجنرال فلين بعد إقالة فلين[2]. وبحسب كومي، فإن ترامب كان قد قال: «آمل أن تتوضح لك الأمور وتدع المسألة تمر وتترك فلين وشأنه. إنه فتى طيّب. آمل أن تتمكن من ترك الأمر». وقال كومي إنه ظنّ أن ترامب كان يطلب منه وقف التحقيق.

---

(١) القرار متوفّر للعامة على: https://https://www.documentcloud.org/documents/3726408-Rosenstein-letter-appointing-Mueller-special.html.www.documentcloud.org/documents/3726408-Rosenstein-letter-appointing-Mueller-special.html

(٢) شهادة كومي في ٨ حزيران/يونيو ٢٠١٧ أمام اللجنة المعيّنة من مجلس الشيوخ واردة في: https://assets.documentcloud.org/documents/3860393/Comey-Opening-Statement-June-8.pdf
مذكرات كومي متاحة على: https://assets.documentcloud.org/documents/4442900/Ex-FBI-Director-James-Comey-s-memos.pdf

لكنّ ترامب نفى أنه قال ذلك، أو أي شيء يشبهه.

وماذا قلت؟ سأل داود الرئيس.

«أنا، في الحقيقة، لم أقل ذلك».

وقال الرئيس إن كومي أثار احتمال مجيئي إلى مقر الإف بي آي للتحدث إلى العملاء. «وكنت بالتالي أسأله عن الموعد الذي يريدني أن أقوم فيه بذلك. فكان يجيب بأنه سيعاود الاتصال بي. لكنني لم أدلِ بأي تعليق حول فلين. أعني أن فلين في ما خصّني، كان قد انتهى».

واصل داود تحرياته الخاصة، واطّلع على شهادات جميع الشهود المعروفين، وراجع الوثائق.

أراد إقامة علاقة مع مولر الذي كان يعرفه. وكان قد صادفه منذ سنوات في استعراض لسلاح البحرية عندما كان مولر مديراً للإف بي آي.

وسأله مولر: «ما أخبارك؟».

- «إنني موكّل عن عضو الكونغرس دون يونغ».

- «ذلك المحتال؟» أجاب مولر. «كيف أمكنك ذلك؟».

«ذلك هو نظامنا»، أجاب داود الذي شعر بالمهانة من طريقة كلام مدير الإف بي آي. لم تُوجّه أية تهمة إلى يونغ، مع أن اللجنة التأديبية في مجلس النواب وبّخته لاحقاً. وسرعان ما أمسى يونغ أطول الأعضاء مدّة في الكونغرس.

لم يكن مولر قد تقدّم بعد بأي طلب محدد للحصول على وثائق، ولكن كان من المرجح أن تظهر واحدة في وقت قريب. ولم يشأ محامي البيت الأبيض دون مكغان أن يسلّمه أي شيء له مغزى. بل أراد من الرئيس أن يؤكّد صلاحياته، ومنها صلاحياته التنفيذية.

اختلف داود مع مكغان، لأنه، إذا وُجد ما يجب إخفاؤه، فإن تعاون الرئيس ربّما ساعد المحقق على رؤية الأمور على طريقته. وأوصى ترامب «باستخدام 'العسل'، لأنه يُمكننا من الحصول على أكثر بكثير مما سنحصل عليه باستخدام 'الخل'».

وقال الرئيس في واحد من الاتصالات الهاتفية: «لديّ أصدقاء يطلبون مني أن أبلغهم أن يذهبوا إلى الجحيم. أنا لا أثق بهؤلاء الأشخاص». رأى داود أن التعاون يسرّع الحل، ووافق ترامب في النهاية على اعتماد مقاربة العسل بدلاً من الخل.

أوصى داود باستخدام تاي كوب، وهو محامٍ متمرّس في واشنطن يشتهر بشاربيه الشائبين

الشبيهين بمقود الدراجة (لقّبه داود بـ «الكولونيل ساندرز» تيمّناً بأيقونة «كنتاكي فرايد تشيكن»)، مستشاراً خاصاً في فريق البيت الأبيض. وسيتولى كوب مسؤولية تسليم الوثائق لمولر وفريقه. ولم يكن في وسع داود القيام بذلك، لأنه كان المحامي الخاص لترامب، والوثائق هي وثائق البيت الأبيض. والحقيقة هي أن استخدام كوب كان لتجاوز نصيحة مكغان بمقاومة طلب تسليم الوثائق.

شدّد داود للرئيس على «أنني أريد بناء علاقة نتحاور من خلالها [مع مولر]. وبعدها لن تكون هناك أسرار. ويمكن تحقيق ذلك».

مضى داود إلى اجتماعه الأول مع مولر ونائبه الأول جايمس «جيم» كوارلز، الذي كان قد تمرّس في مكتب المحقق الخاص بووترغيت منذ أربعين عاماً، في مكتب المحقق الخاص في ١٦ حزيران/ يونيو الساعة الواحدة بعد الظهر.

قال داود: «نحن لا نتخلّى عن الاعتراضات على تعيينك، وعلى الطريقة اللعينة التي أوصلتك إليه». فقد كان قرار روزنشتاين فضفاضاً للغاية، ولم يكن لأي شخص في وزارة العدل سلطة التحقيق في أية مسألة يصادفها. «ذلك القرار لن يصمد. لكننا لن نبدأ برمي الحجارة».

لم يجب مولر. فقد كان سيّد الصمت.

أضاف داود: «لقد أجاز لي الرئيس أن أبلغك بأنه سيتعاون، وقال لي بالحرف: أبلغ بوب أنني أحترمه. وسأتعاون».

بدا الارتياح على مولر.

سأله داود: «ما الذي تحتاج إليه؟ سنأتيك به. لكن دعنا ننه هذا التحقيق». وتمثّل موقف الرئيس بأنه ليس لديه ما يخفيه. ولعلّ أقل ما يُقال إنه ليس سعيداً بهذا التحقيق، لكنه يريد تفادي معركة طويلة الأمد. وأضاف داود: «لكننا نريد منك أن تبادلنا بالمثل. أي أن نتعاون».

قال مولر وهو يقف: «جون. إن أفضل القضايا هي تلك التي يمكننا التعاون فيها تعاوناً تاماً».

أجاب داود: «السبب في تعاوننا هو أننا نريد الانتهاء من هذا الأمر اللعين. لن نعمد إلى التمسك بأية صلاحيات، ونحن بذلك نتجاوز اعتراض دون مكغان، لكن الرئيس يريد القيام بذلك. ويريدك أن تطّلع على كل شيء. وتتحدث إلى الجميع».

كان تاي كوب قد خرج بطريقة للاحتفاظ. مداورة. بحقّ الامتياز التنفيذي في ما يتعلق بالشهادة أو الوثائق. وكان قد أبلغ مولر بقوله: «بوب. سنمنحك هذا الحقّ. لن نمنعه عنك. اطّلع على تفاصيله، وإن شعرت في نهاية الأمر أن عليك استخدام هذا الامتياز، فسنمنحك إياه. أما الرصيد الموجود في أرشيفك فإنّ عليك إعادته مع الامتياز».

بدا مولر مبتهجاً بتمكُّنه من رؤية كل الوثائق. وقال لكوارلز: «دعنا نقمْ بذلك شفوياً. فنحن لا نريد إنتاج الكثير من الورق».

أجاب داود: «لا بأس بذلك. إذ سينتفي وجود وثيقة مكتوبة».

قال مولر: جون. «أنت تعرفني. فأنا لا أسمح لأي عشب بأن ينمو تحت قدمي». وعرف داود، المتمرّس في التحقيقات الخاصة، أنها قد تستمر إلى ما لا نهاية. وغالباً ما يمسي طول هذه التحقيقات تعسّفاً. وقال مولر، «سيكون جيم الممثل الرئيس لي، سيكون نائبي. لكن سيكون في وسعكم، أيها السادة، أن تتصلوا بي في أي وقت. وسوف أقابلكم».

«عظيم»، قال داود: «الأمر نفسه ينطبق علينا. فإذا أردتم أيها السادة شيئاً، اتصلوا بي. وسنزودكم به، أو نجيب عن أي من أسئلتكم، أو نساعدكم في الحصول على الشهود».

خضعت القضية التي يجري بحثها للفحص الجدي، بحسب ما ذكرت النيويورك تايمز والواشنطن بوست. وتضمّنت الأسئلة المتعلقة بالتواطؤ المزعوم رحلة ترامب عام ٢٠١٣ إلى موسكو. وما أمكن أن يكون قد عرفه عن جهود مدير حملته السابق بول مانافورت ومحاميه القديم مايكل كوهن، للقيام بأعمال تجارية في روسيا إبان الحملة، وما قد يكون ترامب قد عرفه عن معاونين آخرين مثل دور ستون المزعوم في اختراق بريد هيلاري كلينتون الإلكتروني.

كان ترامب، في مؤتمره الصحافي الشهير بتاريخ ٢٧ تموز/يوليو إبان حملة العام ٢٠١٦ الانتخابية، قد دعا روسيا إلى نشر البريد الإلكتروني الذي كان محامي كلينتون قد حذفه، لأنه لا يتصل بالتحقيق الذي تجريه الإف بي آي[١].

«روسيا، إذا كنت تسمعين»، قال المرشح ترامب، «آمل أن تتمكني من العثور على الرسائل الإلكترونية الثلاثمئة ألف المفقودة. اعتقد أن صحافتنا ستكافئك مكافأة عظيمة».

وغرّد لاحقاً: «إذا كانت روسيا، أو أية دولة أخرى، تمتلك رسائل هيلاري كلينتون الثلاثمئة ألف التي حُذفت بشكل غير قانوني، فيجب أن تشارك الإف بي آي بها!»[٢] وقال في اليوم التالي: «من المؤكد أنني كنت ساخراً في قولي ذلك»[٣].

---

(١) Donald J. Trump, "News Conference in Doral, Florida," July 27, 2016 متوفر على الإنترنت لجيرهارد بيترز وجون ت. وولي، مشروع الرئاسة الأميركية http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=118047

(٢) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/758335147183788032

(٣) Nick Gass, "Trump on Russia Hacking Comments: 'Of Course I'm Being Sarcastic,'" Politico, July 27, 2016.

وفكّر داود أن التصريح والطلب من روسيا، ولو كانا من باب السخرية، قد يوحيان بحيلة خفية للعمل مع روسيا. والتي بدا أنها النقطة التي يركّز فيها تحقيق مولر.

وقد تتمثل المشكلة الكبرى بمزاعم عرقلة سير العدالة من خلال حثّ كومي على التخلي عن التحقيق في قضية فلين، ثم طرده. بيد أن داود اعتقد أن المادة الثانية من سلطة الرئيس الدستورية تتضمن بشكل واضح الحق في طرد مدير الإف بي آي.

وسترتد الطريقة، التي قد ينظر بها مولر إلى الأمر، على الدليل إلى سلوك ترامب. وسيتمثل الأساس في سبر أغوار نية ترامب. فهل كان هناك دافع «فاسد»، بحسب ما يقتضيه القانون، لتصرفاته في عرقلة سير العدالة؟

ويشكّل ذلك، في معظم القضايا، سقفاً مرتفعاً. ويحتاج المدّعون بشكل عام إلى دليل مثل حثّ الآخرين كي يكذبوا على المحققين، وإتلاف الوثائق أو إصدار الأمر بدفع الأموال، مقابل أعمال غير قانونية، مثل شراء صمت الشهود، كما كان نيكسون قد فعل في قضية ووترغيت.

وقد وفّرت آلاف الساعات، من أشرطة التسجيل السرية لنيكسون، وضوحاً غير معهود في ما يتعلّق بإعاقة سير العدالة أو حجب الحقائق في ووترغيت.

ولم يعثر داود على أي شريط تسجيل لترامب، أو على شهود غير ملائمين للرئيس، باستثناء كومي.

لكن سبق له، في الوقت نفسه، أن كان مدّعياً عاماً، وكان ملمّاً بالثقافة الخاصة بذلك. فالمدّعون العامون يحبون بناء القضايا، وبخاصة تلك البارزة جدّاً.

وكان من الواضح، في داخل البيت الأبيض، أن تحقيق مولر في شأن روسيا كان ينال من ترامب. وقد وجد أولئك الذي قضوا وقتاً طويلاً في الجناح الغربي والمكتب البيضاوي أن التحقيق قد استهلك كثيراً من طاقته العاطفية، وشكّل إلهاءً فعلياً. فقد وجد ترامب صعوبة كبيرة في فصل الأمور بعضها عن بعض، واستهلك إحباطه من مولر وجف سيشنز ورود روزنشتاين أياماً بأكملها.

وكان ترامب، حتى في سياق الاجتماعات المتعلقة بالقضايا السياسية التي شكّلت هاجساً له، مثل التعريفات الجمركية الصينية، يثير موضوع تحقيق مولر. وكان الأمر يتعلّق غالباً في ما سبق أن شاهده على شاشات التلفزة، وكان يسأل: «كيف تجري الأمور؟ وما الذي عليّ فعله لصدّه؟»

وفي هذه الاجتماعات، لم يشأ الموظفون الذين لم يكونوا ضمن الفريق القانوني، تقديم أية أفكار. ونادراً ما فوّت ترامب فرصة الإعلان عن أن ذلك مجحف وبمثابة «مطاردة الساحرات».

قال بورتر إن ذلك كان يثير جنون ترامب الذي كانت تتقاذفه الأمور مدًّا وجزراً، لكن هناك

أوقاتاً كان الأمر فيها يستنزفه ويلهيه عن وظيفته وعمله بوصفه رئيساً. وقد شعر بأن في ذلك إجحافاً، وبأنه لم يرتكب أي خطأ. فقد كان هناك أشخاص يحققون في القضية، وبدا أنهم يمتلكون سلطات لا حدود لها.

كان ترامب قلقاً من أجهزة تنصت يجيزها قانون مراقبة الاستخبارات الخارجية. وقال بورتر إن ترامب كان «منزعجاً جداً من إمكانية التنصت على الحملة بموجب قانون مراقبة الاستخبارات الخارجية ... إنه نوع من الشعور بالتعرّض للانتهاك بوجود من يمتلك سلطة عليه، حيث لم يكن هو المسيطر الأكبر».

وكان لدى ترامب اعتراض آخر على مولر عبّر عنه بالقول: «لا يمكنني أن أكون رئيساً. الأمر أشبه بكون يديّ موثوقتين خلف ظهري. لأنني لا أستطيع، بسبب مولر، القيام بأي شيء يبدو ملائماً لروسيا أو لبوتين».

لاحظ العاملون في الجناح الغربي، وأولئك الذين سافروا بانتظام مع ترامب، أن هناك، كما يبدو، نوعاً من المودّة الصادقة بينه وبين ميلانيا، بالرغم من تكهنات وسائل الإعلام، لكنها كانت تعمل بالاستقلال عنه. كانا أحياناً يتناولان العشاء معاً، ويقضيان بعض الوقت معاً، لكن كلًا منهما يعيش حياته بمعزل عن الآخر.

كان همّ ميلانيا الأول هو ابنهما، بارون. وقال أحد الأشخاص إنها «مهووسة ببارون. إنه محط اهتمامها مئة في المئة».

أعطى ترامب بعض النصائح لصديق أقرّ بأنه يسلك سلوكاً سيئاً مع النساء. تكمن القوة الحقيقية في الخوف: الأمر كله يتعلّق بالقوة. لا تظهر ضعفك مطلقاً. عليك دائماً أن تكون قوياً، ولا تسمح لأحد بأن يفرض عليك خياراً آخر.

وقال: «عليك أن تنكر وتنكر وتنكر، وتتصدى لهؤلاء النسوة. وإذا أقررت بأي شيء، أو بأي ذنب، فستكون نهايتك. وتلك غلطة كبيرة ترتكبها. أنت لم تأت وسلاحك ينفث ناراً ولم تتحدّه. بل أظهرت ضعفاً. عليك أن تكون قوياً. عليك أن تكون هجومياً، وأن تصدّ بقوّة. عليك أن تنكر أي شيء قيل عنك. لا تعترف بتاتاً».

ناقش ترامب التعريفات الجمركية على مدى أشهر، وأراد أن يفرض تعرفة بنسبة ٢٥٪ على استيراد السيارات. قال: «أريد أمراً تنفيذياً».

فأوضح بورتر أنه لا يمتلك السلطة القانونية لذلك.

«حسناً، سنطعن بذلك في المحكمة. لكنني لا أبالي. فلنقم بذلك وحسب!»

وفي مرّة أخرى، قال الرئيس لبورتر: «امضِ إلى مكتبك في الحال. ضع ذلك كله كتابة، وعد إليّ بتعريفاتي الجمركية!».

وفي أحد الأيام، وفي المكتب البيضاوي، جاء كوهن إلى ترامب وبنس بآخر أعداد الوظائف.

قال كوهن: «معي أفضل ما يمكنكما رؤيته من أعداد الوظائف».

«ذلك كلّه بفضل تعريفاتي الجمركية»، قال ترامب. «إنها تعمل».

كان على ترامب أن يفرض ما أمكن من تعريفات، لكنه كان مقتنعاً بأنها فكرة جيّدة، وعرف أن كوهن يخالفه الرأي.

«أنت أحمق لعين». قال كوهن ممازحاً، وهو يضرب ترامب برفق على ذراعه.

واستدار كوهن نحو أحد عملاء الاستخبارات: «لقد ضربت الرئيس للتو. يمكنك أن تطلق النار عليّ».

كتب كوهن نكتة لترامب ليلقيها في عشاء نادي «غريديرون»: «لقد أحرزنا تقدّماً هائلاً في ما يتعلّق بالجدار. فقد انتهينا من وضع كل الرسوم التخطيطية، وأنجزنا كل الحفريات، وأكملنا كل الأعمال الهندسية. الأمر الوحيد الذي لا يزال يشكّل حجر عثرة لنا، هو أننا لم نستطع أن نتصوَّر كيف يمكننا مدّ كلمة «ترامب» على طول ألف ومئتي ميل». لكن ترامب لم يأتِ على ذكرها.

في كل مرّة يعارض فيها أحد ترامب، في نقاش سياسي، أو في المحكمة، أو في اجتماع عام، كان بورتر يلاحظ أن ترامب غريزيًّا يشعر أنه إذا لم يمارس القوة فإنه يفشل.

وقد توقّف عن إحصاء المرات التي نفّس فيها ترامب عن مكنونات صدره في شأن سيشنز: «لم يزل غضبه يغلي داخل نفسه. فتنحّي سيشنز كان بمثابة جرح بقي مفتوحاً.

وقال ترامب، في واحدة من نسخ كثيرة، إن جف سيشنز كان يمثل إخفاقاً ذريعاً. لم يكن مخلصاً. ولو أنه امتلك الحد الأدنى من الشجاعة، أو كان فتى قويّاً، لقال: «لن أتنحى، أنا المدعي العام، وفي وسعي القيام بأي شيء أريد القيام به».

الفصل الثاني والعشرون[1]

ذات مرة قال لي الرئيس أوباما إن «أسرارنا الدفينة»[2] تحفظ في عالم الاستخبارات والجيش، ذلك أنها مسائل تشتمل على المصادر والأساليب، وتُعدّ حساسة للغاية. وهي أسرار لا يعرفها إلا قلّة من الأشخاص، بمن فيهم الرئيس والمسؤولون العسكريون والاستخباريون الرئيسيون.

بعد هجمات ٩/١١ الإرهابية تضخمت مؤسّسة التجسّس الأميركية جاعلة من المراقبة السرّية أسلوب حياة.

اطّلعتُ، قرابة نهاية أيار/مايو ٢٠١٧، على سرّ من مثل هذه «الأسرار الدفينة». كانت كوريا الشمالية تسرّع كلّاً من برنامجي الصواريخ والأسلحة النووية بوتيرة مذهلة. وكانت ستمتلك «في غضون أقل من سنة»، صاروخاً باليستياً مع رأس نووي قد يمكنه بلوغ البر الأميركي. وكانت الاستخبارات قد أظهرت في وقت سابق أن كوريا الشمالية لن تمتلك هذه القدرة قبل سنتين وإن لم يكن أكثر. وشكّلت المعلومة الاستخبارية الجديدة زلزالاً نادراً في عالم الاستخبارات، لكنها لم تنتشر كثيراً. إذ كان يتوجب حمايتها بأي ثمن.

وردّاً على ذلك، دعت خطة حرب أولية سرّية للغاية، وضعها البنتاغون، أن تبعث الولايات المتحدة إشارات تصعيد لوضع البلاد في حالة استعداد للحرب: تعزيز القوة في شبه الجزيرة الكورية بحاملتي طائرات أو ثلاث؛ الاحتفاظ بمزيد من الغواصات الهجومية الأميركية في المنطقة (قادرة على إطلاق وابل من صواريخ توماهوك)؛ إضافة سرب آخر من طائرات إف-٢٢ وقاذفات بي-٢ الخفية؛ واحتمال سحب الأشخاص الأميركيين المعالين، أي أفراد عائلات الجنود الثمانية

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Bob Woodward, Obama's Wars (New York: Simon & Schuster, 2010), p. 56

وعشرين ألفاً وخمسمئة في كوريا الجنوبية؛ وإضافة مزيد من القوات البرية؛ وتكثيف مسرح أنظمة الدفاع الصاروخية؛ وتوزيع الجنود ليكونوا أقل عرضة للإصابة؛ وتعزيز البنى التحتية للمساعدة في جعلها تتحمل الهجمات المدفعية.

شرعتُ في التحقق من ذلك السر: هل كانت كوريا «على مسافة أقل من سنة» من امتلاك صاروخ باليستي عابر للقارات ذي قدرة نووية. وقيل لي في أعلى مراتب البنتاغون: «لا وجود لأي شيء من هذا»، مطيحين كلياً بمعلوماتي.

وقيل لي في أعلى مراتب مجتمع الاستخبارات، «لا شيء جديد» و«لا تغيير له مغزى» في التقدير الذي تحدث عن سنتين وأكثر. فلا شيء يستدعي القلق.

وتحدثتُ مع شخص كنت أثق بقدرته على الوصول إلى مثل هذه الاستخبارات الراهنة. وجرى تكرار النفي المطلق بشكل قاطع وبات. ثم حدث شيء لم يسبق أن حدث أبداً خلال ٤٦ عاماً من عملي كمراسل. قال ذلك الشخص: «إذا كنتُ مخطئاً فسأعتذر منك».

كانت تلك سابقة بالتأكيد، لكن المغزى لم يكن واضحاً. فقد سبق أن التقيت مسؤولين كذبوا بشكل سافر في شأن أمر حساس جداً. وكانوا، بسؤالهم لاحقاً، يجيبون بالآتي: شعرنا آنذاك أن من الأفضل لنا أن نكذب. ولماذا الموافقة إذاً على الحديث أو اللقاء؟ وكانوا يجيبون في العادة أن بالإمكان تفسير الصمت بأنه تأكيد. ذلك هو العالم الحقيقي للتغطية الصحافية للمسائل الاستخبارية الحساسة. أما تقديم الاعتذار إليّ في حال الخطأ، فأمر لم يحدث معي من قبل.

قررت ألا أسعى وراء الشخص طلباً للاعتذار، لكنني سرعان ما صرت أستحق اعتذاراً.

بعد أكثر من شهر تماماً، أي في ٣ تموز/يوليو، أطلقت كوريا الشمالية بنجاح صاروخها الأول العابر للقارات، هواسونغ-١٤ [١]. حلّق الصاروخ مسافة ٩٣٠ كيلومتراً وبقي في الجو ٣٧ دقيقة فقط، لكن المعلومات الاستخبارية أظهرت أنه ربما أمكنه، بمسار أكثر استقامة، أن يبلغ البر الأميركي. وذلك ما كان مصدري قد حذّر منه قبل ذلك بحوالى شهرين.

أُحيط ترامب علماً بذلك تلك الليلة. واستضاف في اليوم التالي، أي في ٤ تموز/يوليو، احتفالاً في البيت الأبيض بيوم الاستقلال. وبعد ظهر ذلك اليوم، ترأس ماكماستر في المكتب البيضاوي اجتماعاً طارئاً لكبار المسؤولين، غاب عنه ترامب [٢].

(١) راجع قاعدة بيانات مجلس الأمن القومي حول الاختبارات الصاروخية الكورية الشمالية المتوفرة على:
http://www.nti.org/analysis/articles/cns-north-korea-missile-test-database/

(٢) مراجعة المؤلف للملاحظات المتزامنة لأحد المشاركين في الاجتماع.

قال مدير السي آي إي بامبيو أن هناك تأكيداً متعلّقاً بصاروخ عابر للقارات، كان قد أُطلق عن آلية متحركة ذات ثمانية محاور للعجلات مستوردة من الصين. ويحكي ذلك بكثير من الأمل في أن تمارس الصين نفوذاً كابحاً على كوريا الشمالية.

قال تيلرسون إنه لم يتمكن من الاتصال بالصينيين، لكنه دعا إلى اجتماع طارئ لمجلس الأمن الدولي. وقال: «نحتاج إلى العمل مع روسيا للحصول على دعمها والتركيز في البلدان التي لا تلتزم العقوبات الراهنة. وعلى ذلك أن يشكل موضوعاً للنقاش في مجموعة الدول العشرين. وبخاصة مع اليابان والجمهورية الكورية».

أثار تيلرسون المخاوف من أن الإدارة تستهدف الصين برسوم على الصلب، في وقت تدعو فيه الحاجة إلى مساعدتها في إعادة كوريا الشمالية إلى الحظيرة. وأعرب كذلك عن قلقه من رد فعل الدول الحليفة، مثل اليابان وكوريا الجنوبية والاتحاد الأوروبي، حيال الرسوم على الصلب التي هدّد بها ترامب.

قالت السفيرة في الأمم المتحدة نيكي هالي «إن الصين كانت تتفادانا. لكنها وافقت في النهاية على اجتماع مجلس الأمن الدولي في الغد». وكانت الولايات المتحدة بحاجة إلى تعرُّف مزيد من الشركات التي تعمل مع كوريا الشمالية لفرض عقوبات إضافية عليها.

قال ماتيس: «إننا نحتاج إلى بيان صحافي مقنع لكسب الحلفاء في هذا الشأن. ولا نريد أن نظهر أي تباعد بيننا وبين الجمهورية الكورية». واستعرض الخطط العسكرية الطارئة. بما في ذلك القصف الممكن لكوريا الشمالية: والمجموعة الكاملة التي تتراوح بين الهجمات الموضعية الدقيقة والهجوم الشامل، بل حتى الإغارة على زعامتها وضربها. لم تكن الولايات المتحدة تمتلك كل الأوراق وسواها من الموارد التي قد تحتاج إليها في المنطقة. ولم تكن على أهبة الاستعداد لكل طارئ، وستحتاج إلى الوقت لوضع كل الأمور في نصابها.

قال منوشين: «خيارنا الأول هو العقوبات التي تفرضها الأمم المتحدة، وإلا فيمكننا توفير دزينة أخرى من العقوبات الأساسية».

وأوجز مدير وكالة الأمن القومي، مايك روجرز، الموقف الأميركي الدفاعي في ما يتعلّق بالأمن السيبراني، ولم يتحدث عن القدرات السيبرانية الهجومية.

ونبّه دان كوتس، من وكالة الاستخبارات الوطنية، «للضرورة الفعلية لطرح السؤال عن مدى البيانات التقنية التي نتشاطرها مع الصين وروسيا، باعتبار ما قد التقطناه من الصاروخ العابر للقارات وسواه من الأمور». كانت الاستخبارات الأميركية تمتلك صورة شبه كاملة توجّبت حمايتها.

قال تيلرسون: «سنكتشف قريباً جدّاً إذا كانت الصين معنا، بحسب ما وعدت». وإذا كانت الولايات المتحدة على استعداد لفرض حظر على سفر الرعايا الأميركيين إلى كوريا الشمالية، فعلينا أن نحمل دولاً أخرى على القيام بالمثل.

وقال بومبيو: «سيتمثل التحدي الكبير في خسارة الاستخبارات البشرية»، ملمّحاً بذلك إلى تأثير محتمل على مصادر السي آي إي الحساسة.

«آمل أن نسير في ذلك بتؤدة»، قال ماتيس. كان يعرف تفاصيل برامج الوصول الخاص إلى المعلومات الفائقة السرية. «ستكون خسارة الاستخبارات البشرية تلك أمراً جسيماً».

قال تيلرسون: «يطرح استمرار السفر خطر أخذ رهائن»، لكنه لم يختلف مع بومبيو وماتيس حول أهمية المصادر البشرية.

وقضى الإجماع بالآتي: إذا لم تقم الولايات المتحدة بعمل جريء فستبدو فاترة وغائبة في المعيار الجديد المتمثل بكوريا الشمالية المجهّزة بصواريخ عابرة للقارات.

شكّل إطلاق الصاروخ الكوري أزمة شاملة: فها هو كيم جونغ أون يمتلك قدرة صاروخية عابرة للقارات وصواريخ يُحتمل أن تتمكن من بلوغ الوطن. وكانت الاستخبارات الأميركية تمتلك دليلاً لا يُدحض بأن الصين هي التي سلّمت الآلية ذات المحاور الثمانية للعجلات التي شكّلت مكوّناً أساسياً في تلك الأنظمة الصاروخية المعقّدة. وكانت السي آي إي تخاطر بخسارة مصادر حساسة لو أن الولايات المتحدة شدّدت القيود المفروضة على السفر. وإذا قرّر الرئيس إصدار الأمر بأي نوع من أنواع الرد العسكري، فلن تكون المصادر متوفّرة على الفور.

علمتُ لاحقاً أن الشخص، الذي كنتُ قد تحدّثت إليه في أيار/مايو، اعتقد أن المعلومة على درجة كبيرة من الحساسية، لذلك فالكذب أفضل.

بعد أقل من شهرين على ذلك، أي في ٣ أيلول/سبتمبر، أجرت كوريا الشمالية تجربة تحت الأرض لأكثر أسلحتها النووية قوة، وهي تجربتها السادسة[1]. وكانت أقوى بما لا يقل عن ١٧ مرّة من القنبلة التي دمّرت هيروشيما عام ١٩٤٥.

في ١٠ شباط/فبراير ٢٠١٦، وفي سياق الحملة الانتخابية، قال ترامب لبرنامج «هذا الصباح»

(١) Michelle Ye Hee Lee, "North Korea's Latest Nuclear Test Was So Powerful It Reshaped the Mountain Above It," The Washington Post, September 14, 2017.

على محطة السي بي إس إنه سيحمل الصين على جعل كيم «يختفي سريعاً جدّاً (This Morning) بشكل أو بآخر». ووصف كيم «بأنه فتى سيّىء، فلا تستخفوا به»[1].

وكان الرئيس ريغان قد وقّع عام ١٩٨١ أمراً تنفيذياً جاء فيه أنه «لا يحق لأي شخص موظّف، أو يعمل نيابة عن الحكومة الأميركية، أن يُقْدِم، أو يتآمر للإقدام على عملية اغتيال». لكن محامين حكوميين خلصوا إلى أن ضربة أميركية تستهدف مقر القيادة والسيطرة لزعيم ما في أثناء القتال لا تشكّل انتهاكاً لحظر الاغتيال.

وجرى أول تطبيق لاستهداف مقر القيادة والسيطرة لزعيم قُبَيل نهاية رئاسة كلينتون. ولم يؤتَ على ذكر الضربة العسكرية إلّا لماماً لأنها جاءت في عز النقاش في الكونغرس حول سحب الثقة من الرئيس. ففي كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٨، أمر كلينتون بضربة عسكرية للعراق.

ضمّت عملية «ثعلب الصحراء» ٦٥٠ طلعة للقاذفات أو الصواريخ استهدفت أقل من مئة هدف على مدى ثلاثة أيام. ووُصف ذلك بأنه غارة قصف واسعة لمعاقبة العراق على عدم السماح لمفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة بالبحث عن أسلحة الدمار الشامل.

لم تكن عملية «ثعلب الصحراء» مُصمّمة خصيصاً لقتل الزعيم العراقي صدام حسين. إلا أن نصف الأهداف تماماً كانت قصوره أو مواقع أخرى، قد يستخدمها، وهي في حماية وحدات خاصة من الاستخبارات والحرس الجمهوري. لم يُصب صدام، بالرغم من أن كثيرين في الإدارة، وبخاصة وزير الدفاع وليام كوهن، أملوا بأن تكون تلك نهايته.

في المرحلة التي سبقت غزو العراق سنة ٢٠٠٣، فكّر الرئيس جورج دبليو بوش ومسؤولو الأمن القومي من جديد إن كان قتل صدام ممكناً بعملية خفيّة.

كان ضباط السي آي إي الفاقدو المعنويات في مجموعة عمليات العراق، التي غالباً ما يُشار إليها داخل الوكالة، وفيما بينهم، على أنها «بيت الدمى المحطمة»، قد نطقوا بـ «لا» درامية. سيكون الأمر صعباً للغاية؛ فصدّام يحظى بحماية جيّدة جدّاً. وأجهزة الأمن والاستخبارات كانت مكرّسة لإبقائه حيّاً وفي السلطة. وطرحت مجموعة العمليات الاجتياح العسكري بوصفه الطريقة الوحيدة لإطاحة الديكتاتور.

عشية الغزو الأميركي للعراق، أفادت مصادر السي آي إي البشرية، واسمها الحركي «روكستارز»، بمزيد من التأكيد أن صدام ليس في مزرعة الدورة، وهي مجمّع يقع في جنوب شرق

---

(١) Matt Stevens, "Trump and Kim Jong Un, and the Names They've Called Each Other," The New York Times, March 9, 2018.

بغداد على ضفاف نهر دجلة. وقيل لبوش إن صدام متحصّن في أحد الملاجئ، فأمر بقصفه بقنابل خارقة للتحصينات. وبعد ساعات من ذلك اتصل مدير السي آي إي جورج تينيت بغرفة العمليات. «أبلغوا الرئيس أننا نلنا من ابن العاهرة». لكنهم لم يكونوا قد نالوا منه.

بعد أيام، زار رئيس قاعدة السي آي إي في شمال العراق مزرعة الدورة التي بدت أشبه بأنقاض سوق شعبية. لم يعثر على أي حصن، بل عُثر على حجرة مؤن تحت الأرض لتخزين الأطعمة. أمر واحد كان واضحاً: لقد نجا صدام، أو أنه لم يكن على الإطلاق في المكان. بيد أنه اعتُقل بعد تسعة أشهر، عندما عثرت عليه القوات الأميركية مختبئاً في حفرة ضيقة تحت كوخ صغير(١).

انخرطت السي آي إي، على مدى السنوات التالية، في نوع من التأمل الذاتي الرفيع المستوى. وطرح المسؤولون السؤال الصعب اللاحق: على افتراض أن صدام قُتل في عملية خفية أو في ضربة عسكرية، فهل كان ذلك سيجعل من الغزو والحرب الطويلة أمراً غير ضروري؟ فالتكلفة في الأرواح بلغت، بحسب الإحصاءات المحافظة، أكثر من مئة ألف عراقي، وأربعة آلاف وخمسمئة وثلاثين أميركياً. وتكلّفت الولايات المتحدة ما لا يقل عن ثمانمئة مليار دولار وربما تريليون دولار. وما هو مقدار عدم الاستقرار في الشرق الأوسط الذي تسبّبت به الحرب وما أدت إليه من تمكين إيران؟ بدا أن تاريخ الشرق الأوسط والعالم سيدور، لسنوات، حول حرب العراق.

بلغ التأمل الذاتي هذا أوجه بعد ذلك بسنوات، عندما تسلّم جون برينان إدارة السي آي إي من العام ٢٠١٣ إلى أوائل العام ٢٠١٧. فهو رجل الوكالة حتى العظم، ويتمتع بأسلوب لطيف، واثق وصارم، وكان يمتلك خبرة واسعة في السي آي إي، وسجلّه حافل بالأمور التي أصاب فيها. ونادراً ما كان يبتسم على شاشة التلفزة.

كان برينان هو الذي يطلع الرئيس كلينتون يومياً على المعلومات الاستخبارية: وسبق أن كان رئيس محطة السي آي إي في السعودية، والمساعد التنفيذي ورئيس أركان مدير السي آي إي تينيت. وكان، بوصفه رئيس مكافحة الإرهاب في البيت الأبيض خلال ولاية أوباما الأولى، قد طوّر علاقة قوية مع الرئيس الذي كافأه بمنحه منصب مدير السي آي إي في ولايته الثانية. ولُقّب بـ «رجل كل الأجوبة». فقد كان يتعمّق في قراءة التقارير الاستخبارية. وغالباً ما يطلب رؤية تقارير العميل والاتصالات الخام التي يعترضها سلاح الإشارة.

وخلص برينان في النهاية، إدراكاً منه «للخطأ» الذي ارتُكب في العراق، إلى أن السي آي إي لم تؤدّ وظيفتها. كان «بيت الدمى المحطمة» قد تملّص من مسؤولياته، مصرّاً على «أنكم

---

(١) حوكم صدام حسين على جرائم ضد الإنسانية، ووُجد مذنباً، وأُعدم شنقاً بعد ذلك بثلاث سنوات.

تحتاجون إلى مزيد من الجنود! تحتاجون إلى جنود!». لكن ذلك لم يكن وظيفة السي آي إي. فقد كان من الأفضل أن يركّزوا طاقتهم على ما يمكن للسي آي إي فعله لطرح الخيارات. وخلص برينان، بالنظر إلى جسامة الخطأ، إلى أن حل مشكلة صدام كان ممكناً عن طريق ما أسماه «الاغتيال غير المباشر».

وهكذا، ومع تصاعد المشكلة الكورية الشمالية في عهد رئاسة أوباما، طوّر برينان حجّة قوية، مفادها أن على السي آي إي أن تسعى إلى تغيير النظام، بل «تغيير الرجل»، والقضاء على الزعيم كيم جونغ أون. وخلص برينان إلى أن مجموعة العمليات في العراق، في حقبة ما قبل اجتياح ٢٠٠٢-٢٠٠٣، لم تمتلك كثيراً من الشجاعة والمهارة والمخيلة. وهكذا بدأت المجموعة المماثلة لكوريا الشمالية في مديرية العمليات في السي آي إي بالعمل. فهل كان «الاغتيال غير المباشر» أو «تغيير الرجل» ممكناً؟ كان ذلك خياراً تجدر دراسته.

ابتكرت مجموعة كوريا الشمالية في السي آي إي «تقدير الاستخبارات في شبه الجزيرة» الذي سيوفّر التحذير من أن كوريا الشمالية ستشرع في الهجوم. وقضت خطة الحرب الطارئة الفائقة السرية التي وضعها البنتاغون، بأن الرد على الهجوم سيكون في تغيير النظام في كوريا الشمالية، وأطلقت على الخطة تسمية «أوبلان ٥٠٢٧».

حدّد أمر المهمة أهداف القوات الجوية والبحرية والبرية ومهماتها. كانت خطّة ضخمة قد وُضعت لكسب الحرب، وكانت هذه واحدة من الخطط الأكثر سرّية للحكومة الأميركية.

أظهرت [بيانات] «نشر القوات على مراحل» أن إدخال القوات كلّها سيستغرق ثلاثين يوماً.

وتضمّن خيار أكثر بساطة، لكنه أكثر خطورة، غارات على أهداف الزعامة الكورية الشمالية، وبخاصة كيم جونغ أون، بموجب خطّة أكثر تنقيحاً، هي «أوبلان ٥٠١٥».

كان لدى سلاح الجو خيارات عدة لمهاجمة الزعامة، بما في ذلك هجوم بالقاذفات الخفية داخل كوريا وخارجها قبل أن تتمكّن كوريا الشمالية من القيام بأي شيء. وهو ما يتطلّب، بحسب قول أحد الجنرالات، معرفة ذات «وضوح كبير» لتنفيذ هجوم دقيق على الزعامة.

قام سلاح الجو الأميركي، من ١٧ إلى ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، بشن سلسلة كبيرة من الغارات الجوية، على سبيل المحاكاة، في جبال الأوزارك بميسوري[١]. فطوبوغرافية المنطقة شبيهة بطوبوغرافية كوريا الشمالية.

---

(١) David Cenciotti, "Here Are Some Interesting Details About the Way U.S. B-2 Bombers Trained Over the U.S. to Strike North Korea," The Aviationist, October 30, 2017.

لم يكن نظام الاتصالات المشفّرة يعمل بين القاذفات وطائرة الإنذار المبكر وطائرات التزويد بالوقود، فاستمع المدنيون الذين يتنصتون على الترددات العسكرية إلى اتصالات الطيارين.

أشار أحد الاتصالات إلى «موقع مُحتمَل انتقلت إليه الزعامة الكورية الشمالية». وأشار الطيار في اتصال آخر «إلى موقع قيادة مُحتمَل انتقلت إليه الزعامة الكورية الشمالية».

جرى أحد تمارين القصف الجوي عن علو ١٥٠ متراً فقط، وهذا انخفاض خطير لكنه مصمّم لإحداث أكبر قدر من التدمير تحت الأرض. وفي تمرين آخر متصل، نقلت القاذفة قنبلة ضخمة خارقة للتحصينات تزن ثلاثين ألف رطل، من النوع الذي استُخدم سابقاً في نيسان/إبريل ٢٠١٧ في أفغانستان. وكانت إحداثيات الخارطة، في تمارين المحاكاة، قد حدّدت بدقة موقع إحدى الحظائر في مطار جيفرسون سيتي. وقد ناقش الطيارون كذلك توقيت صواعق القنابل لإحداث الحد الأقصى من قوة الارتطام بالأهداف.

ومهما تكن الحيثيات، فإن المناورة كانت بمثابة تحضير جدّي، لكنها كانت، عند هذا الحد، واحدة من الخطط الطارئة الموضوعة على الرف.

بدا ماكماستر متشدّداً حيال كوريا الشمالية، وحاجج داخل البيت الأبيض بأنه إذا أراد ترامب الهجوم، فإن من الأفضل الشروع به باكراً قبل أن تحسّن كوريا الشمالية صواريخها وأسلحتها النووية، أو قبل أن تصنع مزيداً منها. فالتهديد سيزداد مع الوقت. وسأل ماكماستر من هم أقل ميلاً إلى الهجوم: «أتريدون المراهنة في ذلك على سحابة فطرية فوق لوس انجلس؟».

كان هذا السؤال ترديداً لصدى تعليق كوندوليزا رايس، مستشارة بوش للأمن القومي، قبل غزو العراق، بأن السرعة التي سيتمكن فيها صدام من الحصول على أسلحة نووية[1]، ليست مؤكّدة، وأضافت: «لكننا لا نريد أن يكون الدليل على ذلك سحابة فطرية».

كان الجنرال كيلي، وزير الأمن الداخلي، والجنرال ذو النجوم الأربع المتقاعد من سلاح البحرية، قد استشاط غضباً عندما عرف أن البيت الأبيض يعمل على تسوية أوضاع المهاجرين «الحالمين». وهي قضية مركزية في النقاش حول الهجرة. و«الحالمون» هم أطفال جاء بهم إلى الولايات المتحدة أهاليهم الذين كانوا قد دخلوا، كبالغين، بطريقة غير مشروعة.

وكان الرئيس أوباما، بموجب التشريع الصادر سنة ٢٠١٢ باسم «داكا»، القرار المؤجّل للواصلين أطفالاً، قد منح الحماية من الترحيل لثمانمئة ألف من «الحالمين»، ووفّر لهم إجازات عمل أملاً منه في إخراجهم من اقتصاد الظل ومنحهم الهوية الأميركية.

---

(١) Wolf Blitzer, "Search for the 'Smoking Gun,'" CNN, January 10, 2003

كان يُفترض بكيلي، المتشدد في قضايا الهجرة، أن يكون مسؤولاً عن هذه القضايا الآن. لكن جاريد كوشنر كان يعمل على تسوية من قناة خلفية. وكان يدعو السيناتور ديك دوربن، وهو ديمقراطي من إيلينوي والرقم الثاني في زعامة حزبه، وليندسي غراهام، إلى مكتبه لمناقشة التسوية. ولاحقاً سأل غراهام كيلي، «ألم يخبرك جاريد أننا كنا نعمل على هذا طوال أشهر، وأن لدينا حلاً لذلك؟».

اتصل كيلي ببانون وقال: «إذا كان الصهر سيتولى الأمر، فدعه يتولّه. لا أحتاج إلى تولّيه. أريد المجيء والاجتماع بالرئيس، فلن أواصل القيام بهذا. لن أكون موجوداً وأتعرّض للتغييب والإهانة على أمر يجب أن أكون مطّلعاً عليه».

اعتقد بانون أن الإدارة تمتلك الموقف المتشدد حيال الهجرة، باستثناء ترامب نفسه. «لطالما كان ليّناً في شأن «داكا». وهو في هذا من رأي الجناح اليساري. فجميعهم طلاب متفوقون. جميعهم طلاب دروس عليا حائزون منحة رودز، لأن إيفانكا كانت قد أخبرته ذلك على مدى سنوات».

عبّر كيلي عن ضيقه لبريبوس الذي خشي، ومعه بانون، من أن كيلي قد يستقيل.

واقترح بانون على بريبوس: «خصّص لكيلي بعضاً من الوقت على الروزنامة. دعه يأتِ ويقابل الرئيس ويشعل النار في جاريد، لأن هذه هي قذارة جاريد، أن يعمل من وراء ظهور الآخرين».

لكن بريبوس لم يقم بذلك.

وأصرّ بانون قائلاً: «ضع ذلك على الروزنامة اللعينة».

بقي بريبوس يماطل؛ فذلك سيفضح الفوضى التنظيمية في البيت الأبيض.

«ما الذي تتحدث عنه؟» سأل بانون. هذا مثير للضحك! من المؤكد أن بريبوس لا يملك سيطرة على جاريد. ولطالما عمل الناس من وراء الظهور.

وهكذا فإن بانون وبريبوس قد أبلغا كيلي، أنهما سيهتمان بالأمر، وأن المضي إلى الرئيس سيتسبب بجزع لا طائل منه. سنتأكد من عدم تكرار الأمر، وستكون في الصورة».

لم يدفع كيلي بالأمور إلى ما هو أبعد، لأنه بقي حتى اللحظة لاعباً في الفريق. وعندما أشار، لاحقاً، إلى الأمر بشكل مداور بحضور الرئيس، لم يجب ترامب.

دخل غراهام إلى مكتب بانون في الجناح الغربي. «مرحباً، إليكم الصفقة. أتريدون جداركم؟». سوف يحصل ترامب على تمويل الجدار في مقابل «الحالمين».

«توقف»، قال بانون. فالصفقة في شأن «الحالمين» تعني العفو. «ولن نمنح العفو لشخص واحد. لا أبالي إذا بنيتم عشرة جدران لعينة. فالجدار ليس جيّداً كفاية، إذ لا بد من حدوث هجرة تسلسلية».

تسمح الهجرة التسلسلية، التي تسمّى رسمياً سياسة لمّ شمل الأُسَر، لكل مهاجر قانوني بجلب أفراداً من أسرته إلى الولايات المتحدة: الأهل، الأولاد، الزوج أو الزوجة، وفي بعض الحالات الإخوة والأخوات[1]. وسيمتلك أفراد هذه الأسَر السبيل القانوني للحصول على الإقامة الدائمة أو الجنسية. وقد تتبعهم «سلسلة» من أزواجهم وأولادهم وأهاليهم أو إخوتهم.

في العام ٢٠١٦، دخل ثلثا ذوي الإقامات الدائمة القانونية (٦٨٪) بموجب قانون لمّ الشمل أو الهجرة التسلسلية[2]. كان هذا لبّ موقف ترامب وبانون المناهض للهجرة: أرادا وقف الهجرة غير الشرعية والحد من الهجرة الشرعية، وأراد بانون سياسة جديدة أكثر تشدداً. ولم يتمكن هو وغراهام من أن يصبحا قريبين من الاتفاق.

وكانت إيفانكا وجاريد قد دعيا ستيفن ميلر، المتشدد في شأن الهجرة، ومعه دوربن وغراهام، إلى العشاء في منزلهما.

أعطى بانون توجيهاته إلى ميلر: «كل ما عليك فعله هو الاستماع. امضِ فقط وتلقّ. لا تواجههما. أريد فقط الاستماع إلى شيء».

أفاد ميلر أن إيفانكا وجاريد اعتقدا أنهما أقنعا ترامب بصفقة تتضمن تمويل الجدار في مقابل العفو عن مليون وثمانمئة ألف «حالم». وتصوّر بانون أن الهجرة التسلسلية سترفع العدد الحقيقي إلى ضعفين أو ثلاثة أضعاف: ثلاثة إلى خمسة ملايين مهاجر جديد. «لا يسعهما الاعتقاد بأننا على هذا القدر من الحماقة».

بدا لبانون، في بعض الأيام، أن السيناتور غراهام قد انتقل إلى الجناح الغربي. واستمع إلى نغمته في شأن «الحالمين» ما لا يقل عن ثلاث مرات. اعتقد أن غراهام يريد أن يحل محل ماكونيل زعيماً للأغلبية.

كان بانون في عز حربه مع ماكونيل، ورأى في غراهام حليفه الأكبر. كان غراهام وبانون يتهاتفان بصورة شبه يومية. واعتقد بانون أن الجميع يكرهون ماكونيل، وأراد أن يضيّق عليه الخناق لأنه كان يدير الأمور بإحكام شديد.

---

(١) William A. Kandel, "U.S. Family-Based Immigration Policy," Congressional Research Service, February 9, 2018, https://fas.org/sgp/crs/homesec/R43145.pdf

(٢) المصدر نفسه.

تحدث غراهام عن إيجاد بديل لماكونيل: «علينا العثور على فتانا الذي سيحل محله»، قال غراهام. لكن غراهام نفى أنه يسعى وراء زعامة لماكونيل.

اعتقد بانون أن غراهام هو أفضل من يعقد الصفقات للجمهوريين. لكنه كان هو المؤسسة. فغراهام لم يُعجب بأجندة بانون القومية، قائلاً له: «بانون. تلك الأميركا أولاً هراء. ذلك كله هراء».

كان بانون، بأسلوب بيت ترامب الأبيض في الحقيقة والممارسة، على استعداد لامتطاء أي حصان لتحقيق غاياته. استدعى المدعي العام سيشنز إلى البيت الأبيض، وكانت مشكلتهما بخصوص الهجرة تتمثل الآن بترامب. «سيستمع إلى جاريد وإيفانكا. وغراهام هو أفضل بائع في الجوار. هو يحب غراهام، ويمكن أن يبيعه غراهام أي شيء. ودوربن في جيبه، وسيحبونه كثيراً. لدينا مشكلة لعينة».

تحدث بانون مع كريس كوباك، وزير خارجية كنساس، وهو أحد أكبر معارضي «الحالمين» وبطل اليمين. قضت فكرة كوباك بأن يرفع هو والمدعون العامون الآخرون في الولايات دعوى قضائية يدّعون فيها أن «داكا» غير دستورية. وطوّر بانون وسيشنز خطة تقضي بعدم الدفاع عن الدعوى. «انتهى الأمر»، قال بانون. «داكا انتهت. وكل ما كان على ترامب أن يقوله للكونغرس هو: مرحباً، أعمل في الرقم ١٦٠٠ بجادة بنسلفانيا. إذا كان لديكم أي فكرة، فهلمّوا وقابلوني». كان على ترامب أن يبقى محايداً فحسب.

الفصل الثالث والعشرون[1]

في الوقت الذي أخذ فيه ترامب يضع الخطط للانسحاب من اتفاق باريس حول التغير المناخي، كان قد طفح كيل بريبوس من إيفانكا. فقد كانت ابنة الرئيس، وهي في الخامسة والثلاثين والمستشارة الأولى للبيت الأبيض، تمتلك حرّية التصرّف فعلياً في الجناح الغربي. وكانت قد أطلقت ما رقي إلى عملية خفية دعماً لاتفاق باريس، وهو اتفاق دولي غير ملزم لمعالجة التغير المناخي من خلال الخفض الطوعي لانبعاثات الغازات الدفيئة كان قد جرى التوصل إليه في العام ٢٠١٥، وضم ١٩٥ دولة.

كان أوباما قد تعهّد بخفض هذه الانبعاثات بنسبة حوالى ٢٥٪ عن مستويات العام ٢٠١٥، على أن يُنجز ذلك بحلول العام ٢٠٢٥. والتزم دفع ثلاثة مليارات دولار للصندوق الأخضر للمناخ بغية مساعدة الدول النامية.

لم يُدفع إلا مليار واحد، وكان أوباما قد حوّل نصفه قبل ثلاثة أيام من انتهاء ولايته.

أرادت إيفانكا بحزم أن يلتزم والدها الاتفاق المناصر للبيئة. وعندما يكون بريبوس مجتمعاً في مكتبه مع عدد قليل من المساعدين في الفريق الاقتصادي وفي مجلس الاقتصاد القومي، لا تمضي ١٥ دقيقة حتى تدخل إيفانكا، وتجلس ولا تقول شيئاً في الغالب.

من هذا الشخص؟ تعجّب بريبوس. ما الذي تفعله؟

أصبح من المستحيل إدارة الجناح الغربي. وبدا أحياناً أن حضور إيفانكا، ساعات في اليوم، وأياماً على التوالي، لا يتوقف. وكانت لجاريد حقوق وضع اليد نفسها على الجناح الغربي. كانا أشبه بجماعة من المنتقدين: يحومان، يراقبان، يتفاعلان بوصفهما عائلة الرئيس وكبيري مستشاريه. وقد زرعت إيفانكا بذور الشك في السياسة، وكانت تمرّر لوالدها المقالات.

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

عندما كان بريبوس يعبّر عن استيائه، كان ترامب يمزح باستمرار: «إنهما ديمقراطيان». كانا نيويوركيين مصابين بعدوى الليبرالية من جذور مدينتهما. ولم يبذل الرئيس أي جهد للحد من عملهما لحسابهما. وقد اعتقد بريبوس أنه كان قد أدار لجنة وطنية جمهورية بطريقة متشددة جداً ومنظمة. بدا أن البيت الأبيض في عهد ترامب قد صُمّم للانقلاب على أي نظام أو روتين.

وضع بريبوس مذكرة قرار، ليراجعها الرئيس، ويوقع على الانسحاب الأميركي من اتفاق باريس.

أبلغت إيفانكا والدها: «أن مارك زوكربرغر يريد الحديث معك». وكانت قد جهزت لاتصال هاتفي بين والدها ومؤسس فيسبوك ورئيسه التنفيذي. كان زوكربرغر مناصراً صريحاً لاتفاق التغير المناخي. وقد فعلت الأمر نفسه مع الرئيس التنفيذي لشركة «أبل» تيم كوك، وغيره. كذلك دسّت رسالة شخصية من نائب الرئيس السابق آل غور، وهو أحد أهم المدافعين عن اتفاقية باريس، في كدسة من الأوراق على مكتب الرئيس.

تحادث ترامب مع غور الذي أخبر آخرين أنه اعتقد بالفعل أن الرئيس سيبقى ملتزماً الاتفاقية.

سلّمت إيفانكا وجاريد الرئيس موضوعاً نُشر في إحدى الصحف وقد جرى إبراز اقتباسات من مصدر في البيت الأبيض لم يذكر اسمه. قالا: «أتعرف من هذا؟ إنه ستيف بانون». وكانت هذه التكتيكات، قد زرعت ببطء في الجناح الغربي الممتلىء بالمسرّبين، ولكن بتأكيد الريبة ببانون لدى الرئيس.

في الخامس من نيسان/إبريل، لاحظ بورتر وجود سكوت برويت، مدير وكالة حماية البيئة، في ردهة الجناح الغربي. كان بورتر معاوناً لبرويت عندما وافق مجلس الشيوخ على تثبيته باثنين وخمسين صوتاً في مقابل ستة وأربعين. وكان برويت قد شنّ حرباً على نُظُم وكالة حماية البيئة عندما كان، على مدى ستة أعوام، المدعي العام لأوكلاهوما.

تجاذبا أطراف الحديث، وعندما توجّه برويت إلى المكتب البيضاوي، تبعه بورتر. لم يكن برويت على جدول المواعيد العادي، ومن الواضح أن ذلك كان اجتماعاً غير رسمي، وهو ما اتضح عندما حضر بانون إلى المكتب البيضاوي.

«علينا أن ننسحب من اتفاقية باريس»، قالها برويت، وهو يسلّم الرئيس صفحة عادية من الورق ليقرأها لدى انسحابه من اتفاقية باريس. قال: علينا أن ننسحب. «كان هذا التزامنا إبان الحملة».

«نعم، نعم، نعم»، قال بانون مرّات عدة. «علينا القيام بذلك الآن».

«أعلنْ ذلك»، قال برويت. يمكنه أن يكون بيانك الصحافي. قد تقرأه على الصحافيين في المكتب البيضاوي، وتجعل السكرتير الصحافي يضعه في بيان مكتوب.

فوجئ بورتر. عرف، بوصفه سكرتير شؤون الموظفين، أن أي إجراءات لم تُتَّخذ. ولم تجرِ استشارة أحد، ولم تحدث مراجعة قانونية. فقد تسلّل برويت وبانون إلى المكتب البيضاوي وأرادا قراراً فورياً حول قضية اليوم البيئية الدولية والوطنية.

عرف بورتر أن الورقة على مكتب الرئيس حارقة. ويمكن أن يلتقطها ترامب ويقرّر قراءتها بصوت مرتفع على الصحافة. أو يأخذها إلى السكرتير الصحافي ويطلب منه نشرها. وعندما سنحت الفرصة، أخذ بورتر مسوّدة التصريح عن مكتب ترامب.

ولاحقاً، أبلغ بانون وبرويت أنهما لا يستطيعان الدخول بهذه الطريقة إلى المكتب البيضاوي. كان ذلك مخالفة إجرائية ضخمة، وهي غير مقبولة.

في ٢٧ نيسان/إبريل، حشد غاري كوهن كبار الموظفين في غرفة العمليات في اجتماع حول اتفاقية باريس[1]. وكان المجلس الاقتصادي الوطني التابع لكوهن قد وزّع مذكّرة من ست صفحات، للاستخدام الرسمي فقط، تقترح خيارين. قضى الأول بالانسحاب من باريس. وكان الثاني: «البقاء في اتفاقية باريس، لكن مع تبنّي تعهدٍ لا يؤذي الاقتصاد، ويوقف المزيد من الالتزامات والمساهمات المالية».

قال كوهن، مفتتحاً الاجتماع: «أريد أن أتوجّه أولاً إلى محامي البيت الأبيض ليطلعنا على بعض المسائل القانونية».

لكن دون مكغان لم يكن قد وصل بعد. فناقش نائبه غريغ كاتساس المسائل التقنية إلى حين وصول مكغان.

«عظيم، مكغان هنا»، قال كوهن. «حدّثنا عن المسائل القانونية».

أيّد مكغان الانسحاب، حتى قبل أن يكشف عن أوراقه. «حسناً، سنواجه تلك الدعاوى القضائية، وإذا لم ننسحب من اتفاقية باريس، فسيهدد ذلك بالفعل العودة عن إجراءات تنظيمية يُرجّح أن نقوم بها في وكالة حماية البيئة.

أضاف: «كانت اتفاقية باريس أحد المسوّغات التي استخدمتها إدارة أوباما لتبرير تكلفة خطة الطاقة النظيفة ومنافعها». كان ذلك إجراء من ٤٦٠ صفحة من عهد أوباما لخفض ثاني أكسيد الكربون الذي ينبعث من معامل الطاقة. وقدّرت وكالة حماية البيئة أنه سينقذ أربعة آلاف وخمسمئة حياة إنسان في السنة. وكان برويت يتحرّك بالفعل لإنهاء هذه السياسة.

---

(١) مراجعة المؤلف للملاحظات المتزامنة لأحد المشاركين في الاجتماع.

«وهكذا، ما دمنا لم ننسحب من اتفاقية باريس، فإن هذا النوع من القضايا سيكون في خطر»، قال مكغان الذي كان مع الانسحاب من اتفاقية باريس فوراً.

«أنت لا تعرف عمّا تتحدث». قال تيلرسون، وأضاف: «يقول مستشاري القانوني في وزارة الخارجية، وهو المكتب الذي ناقش هذا الأمر في المقام الأول ويمتلك الخبرة اللازمة، أننا لا نستطيع الإعلان ببساطة أننا ننسحب».

قالت ورقة الخيارين بوضوح «إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تعلن رسمياً الانسحاب من اتفاقية باريس حتى تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٩»، أي بعد سنتين ونصف السنة.

وقال تيلرسون: إن الخيار الثاني، وهو البقاء في الاتفاقية لكن من دون القيام بما يؤذي الاقتصاد، ومع تعليق المزيد من الالتزامات والمساهمات المالية، سيضع الولايات المتحدة في موقع جيّد في ما يتعلّق بالدعاوى القضائية.

كان وزير الخارجية يقف وحيداً. فقد تحدث برويت بقوة لمصلحة الانسحاب. وكان بريبوس، الذي وجد في الأمر مكاسب سياسية، مع الانسحاب. ورأى بانون في باريس صفقة عولمة جديدة تعرّضت فيها الولايات المتحدة للخداع.

وفي النهاية، قال كوهن إن من الواضح أنهم يحتاجون إلى ترتيب المسائل القانونية. «لكنني أظن أننا شرعنا في الحصول على إجماع». وكان محقّاً. كانت اتفاقية باريس قد فارقت الحياة.

التقى ماكماستر وبورتر قبل اجتماع الساعة العاشرة من قبل ظهر الأول من حزيران/يونيو مع الرئيس في المكتب البيضاوي حول اتفاقية باريس، وكان من المقرر أن يدلي ترامب بإعلان في ذلك اليوم. واتفقا أن عليهما القيام بمحاولة أخيرة.

قال ماكماستر إن الانسحاب يضر بعلاقاتنا مع كثير من الدول الأخرى. وكانت قد انهالت عليه الاتصالات من نظرائه. «أنتم لا تفكّرون حقّاً في الأمر، أليس كذلك؟»، أو بشكل أكثر صراحة، «نرجوكم عدم القيام بذلك».

كان بورتر قد صاغ بعض الكلام ليستخدمه الرئيس. وقرأ بورتر اقتراحه: «ستنسحب الولايات المتحدة من بنود اتفاقية باريس في شأن المناخ، بدءاً من هذه اللحظة. واعتباراً من اليوم، لن تتقيد الولايات المتحدة بأي عبء مالي أو اقتصادي ترمي اتفاقية باريس إلى فرضه، بما في ذلك مساهمتها الوطنية المقررة».

وبالانسحاب من «البنود» ستبقى الولايات المتحدة تقنياً في الاتفاق. وقال بورتر لماكماستر

محاججاً إن «هذا سيُقرأ على أنه متشدد للغاية. وسيشعر أنه سيحصد المردود السياسي، وسيكون قد وفى بوعده الانتخابي. وسيؤدي إلى إرضاء القاعدة».

كان ذلك في الأساس هو الخيار الثاني الذي طُرح في اجتماع كبار الموظفين «البقاء في اتفاقية باريس». واعتقد بورتر أنه وجد طريقة للحد من الضرر.

طرح بورتر وماكماستر على الرئيس الصيغة المقترحة. وتحدثا إلى أن أعياهما الكلام، لكن كان من الواضح أنهما خسرا المعركة.

«لا، لا، لا»، قال ترامب. فهو سينسحب بشكل كامل. «إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنني فيها أن أكون صادقاً مع قاعدتي».

وعمد ترامب، وهو يعالج الخطاب، إلى جعل لغته أكثر تشدّداً.

ظهر الرئيس في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك النهار في حديقة الورود، ترافقه فرقة عزف على الآلات النحاسية، وأثنى على سوق البورصة وعلى جهود الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب[(١)].

«نحن في هذه المسائل، وفي كثير سواها، نفي بالتزاماتنا. ولا أريد لأي شيء أن يقف حجر عثرة في طريقنا». ثم قال، داخلاً في صلب الموضوع: «ولذا، وقياماً بواجبي المقدس في حماية أميركا ومواطنيها، ستنسحب الولايات المتحدة من اتفاقية باريس للمناخ.

«وبوصفي شخصاً يهتم للغاية بالبيئة، وهو ما أفعله، لا يمكنني وأنا مرتاح الضمير تأييد صفقة تُعاقب الولايات المتحدة، وهو ما تفعله، زعيمة العالم في حماية البيئة، فيما لا يجري فرض أيٍ التزامات ذات مغزى على كبار الملوثين في العالم.

«فأنا قد انتُخبت لتمثيل مواطني بيتسبرغ وليس باريس».

نشرت الواشنطن بوست في ١٥ حزيران/يونيو ٢٠١٧ موضوعاً كتبه ثلاثة من كبار مراسليها في وزارة العدل والإف بي آي بعنوان: «المحقّق الخاص يحقّق في صفقات جاريد كوشنر التجارية»[(٢)].

---

(١) Donald J. Trump, "Remarks Announcing United States Withdrawal from the United Nations Framework Convention on Climate Change Paris Agreement," June 1, 2017.

متوفر على الإنترنت لجيرهارد بيترز وجون ت. وولي. مشروع الرئاسة الأميركية

http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=125881

(٢) Sari Horwitz, Matt Zapotosky and Adam Entous, "Special Counsel Is Investigating Jared Kushner's Business Dealings," The Washington Post, June 15, 2017.

أراد مولر مزيداً ومزيداً من الملفات. وقام كوشنر بتوكيل أبي لويل. وهو من كبار المحامين الجزائيين في واشنطن. شاهد بريبوس النيران تشتعل حول سلسلة من الاستثمارات المتعثّرة التي كان كوشنر قد تورط فيها، فقرر تصعيد موقفه باتخاذ خطوة كبيرة. قال لترامب: يجب ألّا يكون لوجود جاريد في البيت الأبيض صفة رسمية. فالقوانين المتعلقة بمحاباة الأقارب وُجدت لسبب. وأخذ التحقيق الذي يجريه مولر يغوص عميقاً في موارد جاريد المالية. «سيقفز إلى مواردك المالية. هذا إذا لم يفعل بعد».

كان ترامب، في العادة، يتجاهل الأمر أو يرفضه. لكنه في هذه المرّة توقّف، وتمهّل، وتأمّل. نظر إلى كبير موظفيه. وجاء الجواب متنافراً، مختلفاً للغاية.

«أنت محق»، قال الرئيس.

استمر بريبوس في القول لترامب إن على جاريد. بوصفه صهره، ألّا يتولى أي منصب رسمي أو مكتب في البيت الأبيض[1]. لكن اقتراحه سيرتد عليه ويوقعه في مشكلات مع جاريد الذي قرّر البقاء. وبقي جاريد يمثّل مهمةً أخفق بريبوس في إنجازها.

أما وقد أخفق بريبوس في جهوده للسيطرة على تغريدات الرئيس أو الحد منها، فقد فتش عن طريقة يكون له فيها تأثير عملي. ولمّا كانت مشاهدة الرئيس الاستحواذية للتلفزيون هي الدافع غالباً للتغريدات، فقد فتّش عن طرق لإطفاء التلفاز. لكن مشاهدة التلفاز كانت نشاط ترامب الأساسي. وغالباً ما كانت ليالي الأحد هي الأسوأ. إذ كان ترامب يعود إلى البيت الأبيض، بعد عطلة نهاية الأسبوع في واحد من منتجعات الغولف التي يملكها، في الوقت المناسب تماماً لحضور الحوار السياسي على واحدة من الشبكتين المعاديتين: الإم إس إن بي سي. والسي إن إن.

كان للرئيس وللسيدة الأولى غرفتا نوم منفصلتان في مقر الإقامة. وامتلك ترامب تلفازاً عملاقاً يظل دائراً معظم الوقت. ويقبع وحيداً في غرفة نومه ومعه جهاز التحكم وجهاز التقاط وتسجيل القنوات التلفزيونية وحسابه في «تويتر». ووصف بريبوس غرفة النوم الرئاسية بأنها «مشغل الشيطان»، ووصف ساعات الصباح الباكر وليالي الأحد بأنها «ساعة الأعمال السحرية».

لم يكن بريبوس يستطيع عمل الكثير في شأن الصباحات. لكنه امتلك بعض التحكم في برنامج نهاية الأسبوع. وأخذ يحدّد موعد عودة ترامب إلى البيت الأبيض في وقت متأخر من بعد ظهر أيام الأحد، فيعود ترامب إلى البيت الأبيض قبل التاسعة مساء تماماً عندما تتحول الإم إس إن بي سي،

---

(١) في أوائل العام ٢٠١٨، سُحب من جاريد تصريحه الأمني المؤقت الذي يسمح له بالاطلاع على الوثائق الفائقة السرية. فيما واصلت الإف بي آي تحقيقاً متشدداً جدّاً في خلفيته. لكن الإف بي آي منحت جاريد، في أيار/مايو، ترخيصاً أمنياً دائماً يسمح له بالاطلاع على الوثائق السرية للغاية، بما يوحي أن مشكلاته مع المحقق الخاص قد انتهت، في تحول مذهل، لمصلحته.

والسي إن إن عموماً إلى بث برامج خفيفة لا تركّز في الخلافات السياسية الراهنة ودور ترامب المحتوم فيها.

أدرك بانون أن ترامب لم يكن يتواصل فعلاً مع عروض مجلس الأمن القومي المتعاقبة في شأن أفغانستان وإيران والصين وروسيا وكوريا الشمالية. كان الأمر، في غياب نوع من المبدأ التنظيمي، يفوق مدى اهتمامه.

اتصل بانون بسالي دونللي، وهي مستشارة رئيسة مقرّبة من الوزير ماتيس، وقال لها: «سالي، عليك التحدّث مع رئيسك. إليك المشكلة». يكون التركيز في يوم من الأيام في ليبيا، وقد يكون في اليوم التالي في سورية. «أعرف هذا الشخص. إنه مُحبَط. والأمر مفكك جدّاً. وعدا ما نفعله مع السعوديين، فإن كل شيء آخر نوع من الخليط.

«لديّ أمر أريد أن أحادث ماتيس في شأنه، وسآتي به وأرسمه له بيانياً». لقد خرج بانون بما أسماه «استراتيجية الولايات المتحدة».

وصل بانون إلى البنتاغون في الثامنة من صباح يوم سبت. تناول القهوة مع دونللي ورئيس أركان ماتيس، الأميرال المتقاعد كفين سويني. ثم التقوا ماتيس حول طاولة الاجتماعات الصغيرة في مكتب الوزير.

«هاكم مشكلتي»، قال بانون. «أنتم، أيها الفتية، لم تفكّروا في شأن المحيط الهادئ. لم تفكّروا في شأن الصين. لا يوجد تعمّق. أنتم مرتبطون جداً بالقيادة المركزية»، القيادة المركزية التي تغطي الشرق الأوسط وجنوب آسيا.

كان ماتيس قائداً للقيادة المركزية من العام ٢٠١٠ إلى العام ٢٠١٣، فاعتقد بانون أن ماتيس قد جاء بتلك العقلية إلى وظيفته كوزير للدفاع. وذكّر ماتيس بأن وجهات نظر الزعماء السياسيين الصينيين والمفكرين منقسمة حيال الولايات المتحدة. فقد رأت مجموعة منهم في الولايات المتحدة شريكاً مساوياً، شريكاً في الهيمنة. فيما نظرت المجموعة الأخرى، الممثلة بالصقور، إلى الولايات المتحدة بوصفها قوة أقل شأناً، وعاملتها على هذا الأساس.

تصدّى له ماتيس: فإبادة داعش كانت مهمة أوكلها إليه الرئيس بالتحديد.

واقترح بانون: «سأقوم في الأساس بعقد صفقة معك». لو أيّد ماتيس احتواء الصين، فسيتراجع بانون عن الضغط لسحب الولايات المتحدة من أفغانستان.

كانت أفغانستان حجر الرحى في الخطة الصينية التي تُسمّى «حزام واحد، طريق واحد» (أو طريق الحرير الجديد) لتوسيع شبكتها التجارية إلى أوروبا.

قال ماتيس: «ستيف، أنا، نوعاً ما، من أولئك التجار العالميين. وأفكّر جيّداً جدّاً بكل تلك الأمور التجارية».

ارتاع بانون؛ فترامب كان محقّاً. الجنرالات لا يفقهون شيئاً في الأعمال والاقتصاد. فلم يسبق لهم أن اكترثوا لتكلفة أي شيء.

الفصل الرابع والعشرون[1]

نشرت النيويورك تايمز، نهاية الأسبوع في ٨ و٩ تموز/يوليو، موضوعين عن اجتماع لم يُكشف عنه من قبل، في برج ترامب في منتصف الحملة الانتخابية[٢]. كان دون ترامب جونيور ومانافورت وكوشنر قد اجتمعوا بمحامية روسية، عرضت من بين أمور أخرى، كشف معلومات مربكة عن هيلاري كلينتون. وحدثت عمليات النفي المعتادة، وإعادة الصياغة، والارتباك في أوساط المشاركين. كانت قصة ضخمة توحي، ولكنها لا تُثبت، نوعاً من المكيدة والتعاون الخفي مع الروس.

كان الرئيس في حالة من الانفعال الشديد. فاتصل بداود ليشتكي من التسريبات والصحافة.

قال له داود: «سيدي الرئيس، هذا هراء». وماذا إذاً؟ فكشف الأمور السيئة عن الأشخاص كان أمراً مألوفاً في الحملات الانتخابية وفي عاصمة البلاد. ويحمل ذلك اسماً أيضاً، هو «أبحاث المعارضة» أو «التحقيقات الصحافية». وذلك ما يبدو أن نصف واشنطن تتقاضى أموالاً مقابله. فهل من خطب في ذلك؟ لا. عرف داود أن فرق الأبحاث في المعارضة وصحافيي التحقيقات سيأخذون أخبار الفضائح من أي يكن، حتى من الحكومات الأجنبية. فالوضع الإعلامي كله كان مثيراً للاشمئزاز. إذ كانوا يتعاملون مع الأمر وكأنه جريمة العصر. وقد اعتقدت النيويورك تايمز والواشنطن بوست أنهما المحقّق الخاص ومن يفرض قانون البلاد. وخلص داود إلى أن الموضوعات أشبه بساندويش كبير فارغ.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) المقال الأول كان من وضع جو بيكر ومات أبوزو وآدم غولدمان: Jo Becker, Matt Apuzzo and Adam Goldman, "Trump Team Met with Lawyer Linked to Kremlin During Campaign," The New York Times, July 8, 2017.
وكان المقال الثاني للمراسلين الثلاثة أنفسهم "Trump's Son Met with Russian Lawyer After Being Promised Damaging Information on Clinton," The New York Times, July 9, 2017.

أطلق ترامب في ١٧ تموز/يوليو التغريدة الآتية: «كان معظم السياسيين سيذهبون إلى اجتماع مثل ذلك الذي حضره «دون» من أجل الحصول على معلومات عن الخصم. تلك هي السياسة!»(١).

كان داود مصمماً ألا يتلهى بما يرشح كل يوم عن وسائل الإعلام: أراد دليلاً قاطعاً. وكان مكغان قد أملى بانتظام شديد كل الاجتماعات المهمة أو النقاشات مع الرئيس على مساعدته التنفيذية، آني دونالدسون. وكان في حوزتها ١٧ ساعة من الملاحظات المتعلّقة بمسائل هي موضع تحقيق مولر وفريقه.

سلّم داود هذه الملاحظات إلى مولر وكذلك ملاحظات سبعة محامين آخرين. لم يُحجب أي شيء. وقال لمولر، «بوب. إذا أردت أن تعرف ما في ذهن الرئيس. اقرأ ملاحظات آني دونالدسون».

حدث ذلك كلّه بمباركة من الرئيس. كان داود يتحدث إليه ويقول، انظر، هذه أصناف الوثائق. وسنسلمه هذا. وسنسلمه ذاك. «ولا يحق له من الناحية الدستورية» بالوثائق والشهادة، «لكن، من باب احترام تطبيق القانون، بما أنك الرئيس، فلندعه يقوم بذلك. ولا ندخل في معركة». واستنتج داود أن الرئيس بدا غير هيّاب. ولم يقل «لا» أبداً.

وقال داود لمولر: «هذا ما قلته للرئيس، فلا تجعلني أبدو كالأحمق. هل أنت موافق؟ وسنجعلك تبدو جيّداً. لكن عليك أن تنهي الأمر».

تلقّى مولر مليوناً وأربعمئة ألف صفحة من الوثائق من حملة ترامب، وعشرين ألف صفحة من البيت الأبيض. واعتقد داود بعدم إتلاف أي وثيقة. وفي المجمل، أدلى ٣٧ شاهداً بشهاداتهم طوعاً لفريق مولر.

كان مكغان وبريبوس وفريق نائب الرئيس قد استندوا إلى ذكريات معاصرة ليجمعوا في ست صفحات ملخّص البيت الأبيض لمجمل قضية فلين(٢). واعتبر داود ذلك بمثابة الكتاب المقدّس المتعلق بفلين وسلّمه إلى مولر. واعتقد أن لا أحد، باستثناء فلين، قد كذب على المحققين، وأن مولر لم يكن في حاجة إلى الضغط على أحد، أو التضييق عليه.

عندما كان داود يرسل سجلات الحملة الانتخابية إلى لجنة التحقيق التابعة للكونغرس، قال لنائب مولر، كوارلز: «إننا نقوم بإرسال نسخ إلى تلة الكابيتول. فما رأيك بأن أسلّمك نسخة عنها؟».

وافق كوارلز. واعتقد داود أنه وكوارلز يعملان بشكل جيّد معاً. فمولر كان جامداً جدّاً بحيث يبدو أحياناً كلوح الرخام.

---

(١) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/886950594220568576

(٢) وثيقة استحصل عليها المؤلف.

فجّرت «بلومبرغ» في ٢٠ تموز/يوليو قنبلة جليّة: كان مولر يحقق في ماليّة ترامب بما في ذلك «عمليات شراء روسية لشقق في مباني ترامب... وحفل انتخاب ملكة جمال الكون للعام ٢٠١٣ في موسكو. وبيع ترامب قصراً في فلوريدا لأوليغارشي روسي في العام ٢٠٠٨»[١].

اتصل داود بكوارلز لسؤاله عن الموضوع.

«حسناً»، قال كوارلز، «بوب لا يدلي بتعليق أبداً».

«مهلاً أيها الصديق»، أجاب داود بغضب. «أنا أرعاك. وعليك الآن أن ترعاني». وعرف كلاهما أن «نفياً من البيت الأبيض لا يوصل إلى أي مكان». وتابع داود: «كان الاتفاق معكم، أيها الإخوان، يقضي بأنكم إذا أضفتم شيئاً إلى التحقيق فيجب أن تقوموا بتنبيهنا أولاً».

«ذلك صحيح».

وقال داود: «لقد زوّدتمونا بما تشتمل عليه الموضوعات. وأنتم، بين الحين والآخر، تضيفون، أيها الإخوان، أموراً ونضعها على القائمة. وأنا لم أسمع عن شقق في فلوريدا، أو أنه يبيع عقاراته». وقال داود إنه محيط ببعض المسائل التي هي مدار تحقيق في نيويورك بشأن محامي ترامب مايكل كوهن وفيليكس ساتر الذي حاول بناء «برج ترامب» في موسكو. «تعرف، يا جيمي»، أضاف داود، «عندما تطرح عليّ سؤالاً فإنني أعطيك إجابة كاملة. ولذا أحتاج إلى تفسير أفضل».

أجاب كوارلز: «جون، دعني أضع الأمر على الشكل الآتي: أنا متأكد بنسبة ٩٩٪ أنه ليس نحن».

«فهمت»، قال داود. واتصل على الفور بالرئيس وهو مدرك أن ترامب بعد نشر الموضوع لن يتمكّن من التركيز في أي شيء آخر. كان ترامب يستشيط غضباً.

«إنهم لا يحققون في تلك الأمور»، قال داود محاولاً طمأنته. لكن ترامب لم يكن يثق بذلك على الإطلاق. وبدا أنه لم يكن يستطيع أن يبدو هادئاً.

بعد ذلك بأربعة أيام، اجتمع داود مع كوارلز على مقعد من باطون خارج «باتريوت بلازا» الذي يضم مكاتب مولر.

«ندين لك، أنا وبوب، بواحدة»، قال كوارلز، «يقول بوب: لا تصدّق ما تقرأه في الصحف».

«فهمت»، أجاب داود.

«نحن محرجان فعلاً»، قال كوارلز.

---

(١) Greg Farrell and Christian Berthelsen, "Mueller Expands Probe to Trump Business Transactions," Bloomberg, July 20, 2017.

«لمَ؟».

«لقد وفّيتَ بأكثر مما تعهدت به. ونحن مسروران للغاية. ونتقدّم. إننا ننجز الأمر. وثمة أمور كثيرة هُنا تحتاج إلى تنظيم. لكن ما أتيتَ به كان منظَماً جدّاً. لم نحتج إلى البحث والتنقيب. لم تغرقنا».

وكان داود قد علم بأمر شخص خضع للتحقيق الضريبي قال مرة للإف بي آي إن الجواب على طلبهم موجود في مكان ما في مستودعين اثنين. وقضى العملاء سنوات وهم يفتشون.

«لنتفق على المضي قدماً»، قال داود. «لا أريد أن ألعب لعبة القط والفأر. أنتم لستم عند الطرف الذي يخصني من العصا. ولديّ شخص يريد أن يعرف أخبار اليوم في الأمس»، وإن «غرائز» ترامب «هي هراؤه». وأضاف داود أنه تأكد من «مؤسسة ترامب»، وقد نفى أفرادها أنهم يخضعون لتحقيق منفصل. لم يحصلوا على أي طلب بتسليم الوثائق أو بإجراء مقابلات، وهي الخطوات الأولية النموذجية. «وقالوا، على حد علمنا، إن ذلك هراء». فكل مشروعات المؤسسة تعود إلى ثمانية أعوام أو تسعة أعوام مضت. ولا توجد مشكلات. وكل ما يريد مولر رؤيته موجود في مكان ما من السجلات العامة.

وكان داود قد أبلغ الرئيس بذلك. وقال ترامب: «أعرف ذلك، يا للعنة!».

تابع داود مع كوارلز: «أضطرُّ أحياناً إلى القيام بذلك هاتفياً. وعليك أن تمدني ببعض التوجيهات. أنا لا أطلب إليك أن تقدم الكثير من التنازلات أو تكشف ورقتك. فقط قل لي: هل سنتعرّض للضرب أم لا؟ فإما لديك طلب، وإما ليس لديك. وبالتالي ليس الأمر على شاشة رادارك».

«موافق»، قال كوارلز.

كان داود يحاذر أن يشرد، وأن يسأل عن تحقيقات محتملة في مالية جاريد. فترامب موكّله، وكان الأمر الأساسي هو التركيز في الموكّل.

في تموز/يوليو، هدّدت مجموعة الحرية، وهي كتلة مؤلفة من ثلاثين عضواً محافظاً في مجلس النواب، بعدم التصويت على الموازنة ما لم يضع الرئيس ترامب بعض الموانع على دفع الأموال، مقابل العمليات الجراحية والمعالجة بالهرمونات للمتحولين جنسياً، الذين يخدمون في الجيش.

وكان الحظر، في عهد أوباما، قد رُفع عن الخدمة الصريحة في الجيش للجنود المتحولين جنسياً، مع أنه لم يُسمح للمجندين الجدد بالالتحاق حتى الأول من تموز/يوليو ٢٠١٧. وفي الثلاثين من حزيران/يونيو، في اليوم السابق للأجل المحدد، وقّع ماتيس على مذكّرة تؤجّل التطبيق ستة أشهر لمراجعة «جهوزية القوة وقدرتها على الفتك».

كان ترامب قد أعلن نفسه، إبان الحملة، مؤيداً لحقوق المثليين ومزدوجي الميل والمتحولين جنسياً. وها هو يقول لبانون: «ماذا بحق الجحيم؟ يأتون إلى هنا، ويخضعون للقضب»، في إشارة فظّة إلى العملية الجراحية لتغيير الهوية الجنسية. وكان أحدهم قد قال له إن تكلفة كل عملية جراحية تبلغ ٢٥٠ ألف دولار. وهو رقم مضخّم. وقال: «ذلك لن يحدث».

قد تكون عملية التحويل الجنسي باهظة التكلفة لكنها نادرة أيضاً. ففي دراسة بتكليف من البنتاغون، كانت «مؤسسة راند» قد «وجدت أن بضع مئات فقط من الجنود المتحولين جنسياً الذين يقدّر عددهم بستة آلاف وستمئة سيطلبون العلاج الطبي في السنة. ووجدت «راند» أن إجمالي التكلفة لن يتجاوز الثمانية ملايين دولار في السنة»(١).

وقد جرى التنسيق بين الأجهزة العمل على المسألة. وأدلى المحامون العامون للوزارات والوكالات بدلوهم. وكانت لجنة نواب كبار المسؤولين قد اجتمعت. كما عُقدت عدّة اجتماعات للجنة كبار المسؤولين. لم يجرِ أي اتفاق. لكن وُضعت أربعة خيارات.

في صباح السادس والعشرين من تموز/يوليو، اتصل بريبوس وبانون وعدة محامين بالرئيس في محل إقامته عبر مسجّل الهاتف. إذ لم يكن من المتوقع وجوده في المكتب البيضاوي إلا بعد ساعة من ذلك على الأقل.

قال بريبوس: السيّد الرئيس، نعرف أنك ستأتي في وقت قريب لكننا أردنا أن نبلغك مسبقاً بمذكّرة قرار تتعلق بالمتحولين جنسياً في الجيش.

الخيارات أربعة: يتعلّق الأول بالإبقاء على سياسة أوباما التي تسمح للمتحولين جنسياً بالخدمة جهارة. والثاني بإصدار توجيه إلى الوزير ماتيس تمنحه فيه هامشاً. والثالث بإصدار أمر رئاسي ينهي البرنامج، لكنه يخرج بخطة للأشخاص المتحولين جنسياً الموجودين بالفعل في الجيش. والرابع بأن تحظر الخدمة العسكرية على جميع المتحولين جنسياً. وشرح بريبوس أن احتمال التعرّض للدعاوى القضائية يتضاعف لدى الوصول إلى الرقم أربعة. وقال: «نريد، عندما تأتي، أن نوضح لك الأمر على الورق».

«سآتي عند العاشرة»، قال الرئيس. «لماذا لا تأتون أيها الإخوان عندها وتقابلونني؟ سنجد حلاً».

اعتقد بريبوس أنهم قد وجدوا طريقة منتظمة لمسألة خلافية واحدة على الأقل.

---

(١) Tom Vanden Brook, "Military Tells Transgender Troops They Can Still Serve and Get Medical Treatment Until Further Notice," USA Today, July 27, 2017. اقرأ المزيد عن الدراسة على:

https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_briefs/RB9900/RB9909/RAND_RB9909.pdf

في الساعة ٨:٥٥ قبل الظهر، أعطاه هاتفه إشارة بأن تغريدة رئاسية قد أُرسلت. «بعد التشاور مع جنرالاتي والخبراء العسكريين، أرجو أن تكونوا على علم بأن حكومة الولايات المتحدة لن تقبل أو تسمح...»[١].

وفي تغريدتين إضافيتين أعقبتا ذلك عند الساعة ٩:٠٤ و٩:٠٨، أنهى ترامب إعلانه: «... للأفراد المتحولين جنسياً بالخدمة بأية صفة في الجيش الأميركي. على جيشنا أن يركّز على الانتصار الحاسم والساحق ولا يمكن أن يُثقل كاهله بالتكاليف الطبية وبالعرقلة التي سيتسبب في وجود المتحولين جنسياً في الجيش. شكراً لكم»[٢].

لاحقاً سأل الرئيس بريبوس: «ما رأيك بتغريدتي؟».

أجاب بريبوس: «كان من الأفضل باعتقادي لو أصدرنا مذكرة قرار، ووضعنا ماتيس في جوّها».

لم يكن ماتيس سعيداً بقرار ترامب نشر الخبر في تغريدة، وبالتأثير الذي سيحدثه في الجنود المتحولين جنسياً في الخدمة أو المنتشرين. وقد أخذ على غفلة وهو يقضي عطلته في شمال غرب المحيط الهادئ.

تجسّد هذا الالتباس في الصحافة، عندما وصف متحدث باسم البنتاغون تغريدة ترامب بأنها «توجيه جديد»[٣].

وقالت المتحدثة باسم ترامب، سارة هوكابي ساندرز[٤]، أن «فريق الأمن القومي التابع للرئيس» قد استُشير، وأن ترامب كان قد اتخذ القرار في اليوم السابق، وفور ذلك «أبلغ» به ماتيس. وأبلغ عدة مسؤولين في البيت الأبيض الصحافة بأن ماتيس قد استُشير قبل الإعلان وكان يعرف أن ترامب ينظر فيه[٥].

عرف بانون أن الجنرالات، ولو تشدّدوا في أمور الدفاع، كانوا قد أصبحوا تقدميين في المسائل الاجتماعية. وقال: «سلاح المارينز مؤسسة تقدمية. دانفورد وكيلي وماتيس هم التقدميون الأكبر. إنهم أكثر تقدّمية من غاري كوهن وكوشنر».

---

(١) انظر تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/890193981585444864

(٢) انظر تغريدتَي ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/890196164313833472; https://twitter-com/realdonaldtrump/status/890197095151546369

(٣) Leo Shane III and Tara Copp, "Trump Says Transgender Troops Can't Serve in the Military," Military-Times, July 26, 2017.

(٤) "Press Briefing by Press Secretary Sarah Sanders," The White House, July 26, 2017

(٥) Rachel Bade and Josh Dawsey, "Inside Trump's Snap Decision to Ban Transgender Troops," Politico, July 26, 2017.

قال قائد خفر السواحل على الملأ: «لن أقوم بكسر الثقة» مع الأفراد المتحولين جنسياً في جهازه[١].

وبعث دانفورد برسالة إلى رؤساء جهازه تقول: «لن تطرأ تعديلات على السياسة الراهنة إلى أن يتلقى وزير الدفاع توجيه الرئيس، ويُصدر الوزير إرشادات التطبيق»[٢]. وباختصار، فإن التغريدات ليست أوامر. «وفي غضون ذلك، سنستمر في معاملة جميع عناصرنا باحترام ... وسنبقي تركيزنا في إنجاز المهمات الموكلة إلينا».

اتصلت مساعدة ماتيس، سالي دونللي، ببانون، قائلة: «مرحبا، لدينا مشكلة مع الرئيس. لا يمكننا تأييد هذا القرار حول المتحولين جنسياً. هذا ليس صواباً، فهم مواطنون أميركيون».

وقال بانون: «هؤلاء الفتية يأتون للخضوع لعمليات جراحية كاملة. وهل يفترض بنا أن ندفع مقابل ذلك؟».

وقالت إن ماتيس سيحاول إبطال القرار.

وقال لها بانون: «عليكم أن تضحوا من أجل الفريق». وسيكون على ماتيس أن ينصاع.

وأصدر البيت الأبيض لاحقاً توجيهاً رسمياً للبنتاغون[٣]. وأعلن ماتيس أنه سيدرس المسألة. وفي غضون ذلك استمر الجنود المتحولون جنسياً في الخدمة. ورُفعت دعاوى قضائية، وأصدرت أربع محاكم اتحادية أوامر قضائية إعدادية ضد الحظر. وفي الأول من كانون الثاني/يناير ٢٠١٨، شرع البنتاغون في قبول المجندين المتحولين جنسياً بحسب ما قضت به المحاكم.

(١) Chris Kenning, "Retired Military Officers Slam Trump's Proposed Transgender Ban," Reuters, August 1, 2017.

(٢) "Joint Chiefs: No Change in Transgender Policy Until Trump Sends Pentagon Direction," The Hill, July 27, 2017.

(٣) Richard Sisk, "Pentagon Ready to Accept Transgender Recruits Starting Jan. 1," Military.com, December 30, 2017.

الفصل الخامس والعشرون[1]

في الثاني من حزيران/يونيو، دخل مارك كاسوفيتز، محامي ترامب القديم العهد، إلى المكتب البيضاوي، وكان ترامب يوقع أوراقاً جاءه بورتر بها، متأنياً في وضع كل توقيع وطارحاً بعض التعليقات.

عبّر كاسوفيتز عن إعجابه قائلاً: إن رجُلك بورتر هنا موظف من الطراز الأول. هارفرد، كلية الحقوق في هارفرد، منحة من «رودس».

كان ترامب يتعامل مع بورتر منذ أن تسلّم منصبه الرئاسي.

قال الرئيس: «لديك سيرة ذاتية أفضل من سيرة نيل غورسوتش!» وربما كان ترشيح غورسوتش وتثبيته في المحكمة العليا أبرز إنجاز لترامب كرئيس. وهو يلمح إلى غورسوتش كلّما حكى عن إنجازات إدارته. ولما غادر كاسوفيتز، طرح ترامب على بورتر السؤال الآتي: «لمصلحة من تعمل أنت؟».

وشرع بورتر بالقول، «أعتقد أنني أعمل لـ...».

«تجاه من أنت مسؤول؟».

«أعتقد أنني مسؤول تجاه رينس، لكنني في الحقيقة أعمل لك».

«بلى، بلى، بلى»، قال ترامب. كان يعرف أمر الهياكل التنظيمية الرسمية ويكرهها. «انسَ أمر رينس. إنه أشبه بفأر صغير. يعدو وحسب في الجوار. ليس عليك أن توليه أي اهتمام. تعال فقط وتحدث إليّ. ليس عليك أن تمرّ به».

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

بدّل ذلك اليوم في العلاقة بين ترامب وبورتر. فسكرتير شؤون موظفيه كان نسخة عن نيل غورسوتش.

وقد راع بورتر أن يكون ترامب على هذا القدر من اللؤم حيال رئيس موظفيه.

واصل بريبوس وبورتر وغيرهما محاولة إقناع ترامب بالحد من استخدامه «تويتر».

«هذا بوقي». أجاب ترامب. «إنها الطريقة التي أتحدث فيها مباشرة مع الناس من دون أي مصفاة. أخترقُ الضوضاء. أخترق الأخبار الكاذبة. إنها الطريقة الوحيدة التي أملكها للتواصل. لدي عشرات الملايين من المتابعين. وهذا أكبر من أخبار الكَبل. أخرج وألقي خطاباً تنقله السي إن إن، ولا من يشاهد. ولا من يبالي. أغرّد شيئاً وهذا بوقي إلى العالم».

«إنه يصاب بالجنون». كان ذلك هو التعبير الذي استخدمه بريبوس لوصف ترامب في وقت مبكر من صباح الخميس ٢٩ حزيران/يونيو. فقد استهدف ترامب بتغريدتين كتبهما قبل السادسة صباحاً برنامج «مورنينغ جو» على كبل الإم إس إن بي سي، الذي يقدّمه عضو الكونغرس الجمهوري السابق جو سكاربورو وزميلته ميكا برجنسكي(١).

كان الاثنان وديين، بل داعمين لترامب في فترة مبكرة من الحملة الانتخابية الرئاسية. وكان ترامب يحلّ بانتظام ضيفاً على البرنامج في خلال الانتخابات التمهيدية، لكنهما باتا الآن يحطان من قدره بانتظام. وجاء في تغريدة ترامب: «كيف أن ميكا المجنونة ذات معدل الذكاء المنخفض ومعها المعتوه جو قد جاءا إلى مار-آ-لاغو ثلاث ليال على التوالي قرابة رأس السنة، وأصرّا على الانضمام إليّ. وكانت تنزف بشدّة جراء عملية شد الوجه».

كان ترامب، قرابة العاشرة والربع قبل الظهر، في المكتب البيضاوي يقرأ الصحيفة عندما دخل عليه بريبوس.

«أعرف ما ستقول»، قال ترامب فيما بريبوس يجتاز العتبة. «ذلك لا يليق بالرئاسة. واحزر ماذا؟ أنا أعرف ذلك. لكن كان عليّ فعله في أي حال».

عرف بريبوس ألّا يسأل عن السبب.

ارتاعت هوب هيكس، وكانت قد باتت المسؤولة عن الاتصالات الاستراتيجية. حاولت أن تتخذ زمام المبادرة في شأن التغريدات التي تناولت ميكا.

قالت هوبس للرئيس: «إن ذلك لا يساعد سياسياً. لا يمكنك ببساطة أن تكون على تويتر أشبه

---

(١) راجع تغريدات ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/880408582310776832; https://twitter.com/realdonaldtrump/status/880410114456465411

بمدفع خارج عن السيطرة. الكثير من هذه المادة يقتلك. أنت تطلق النار على قدمك، وترتكب أخطاء كبيرة».

هبّت، في أعقاب تغريدة ميكا. عاصفة ملموسة من الاحتجاج من جمهوريين رئيسيين، كانت هناك حاجة إلى أصواتهم لإلغاء مشروع الرعاية الصحية الذي أقرّه أوباما واستبداله وغير ذلك من التشريعات[1]. وقالت السيناتورة سوزان كولينز عن ماين: «يجب التوقف عن ذلك». وقالت السيناتورة ليزا موركوفسكي عن ألاسكا: «أوقفوا ذلك!». وبما أن ترامب يقف على أرض مهتزة مع النساء، فإن تهجماته الشخصية قد شجّعت على إجراء المقارنات مع سوابقه التاريخية.

اقترحت هيكس، ومعها بورتر وغاري كوهن ومدير وسائل التواصل الاجتماعي في البيت الأبيض دان سكافينو، أن يؤلفوا لجنة، كإجراء أقصى. سيضعون مسوّدة بضع تغريدات اعتقدوا أن ترامب سيحبها. ولو إن الرئيس قد امتلك فكرة تغريدة فيمكنه وضعها كتابة أو يأتي بواحد منهم للتدقيق فيها: هل وقائعها دقيقة؟ هل التهجئة صحيحة؟ هل هي منطقية؟ هل تخدم حاجاته؟

«أعتقد أنكم محقّون»، قال ترامب في مرّات عدة. «يمكننا القيام بذلك». لكنه تجاهل معظم التنقيحات أو التدقيقات وقام بما كان يريد.

كان ترامب قد تلقى تحذيراً، بعد الخطاب التصعيدي بينه وبين الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون، من أن «تويتر قد تؤدي بنا إلى حرب».

«هذا بوقي»، كرّر ترامب القول. «لن نسمّيها تويتر. دعونا نسمّها أداة تواصل اجتماعي». وبالرغم من أن للبيت الأبيض حسابات على فيسبوك وإنستغرام، فإن ترامب لم يستخدمها. بل تمسّك بتويتر. «هذا أنا. وهكذا أتواصل. إنه السبب في انتخابي. إنه السبب في نجاحي».

لم تكن التغريدات أمراً عارضاً في رئاسته. بل كانت مركزية. وأمر بطبع تغريداته الأخيرة التي حازت القدر الأكبر من الإعجاب، ٢٠٠ ألف أو أكثر. ودرسها للعثور على الموضوعات المشتركة في الأكثر نجاحاً بينها. بدا أنه يريد أن يصير أكثر استراتيجية، أن يجد إذا كان النجاح مرتبطاً بالموضوع، باللغة، أو ببساطة بالمفاجأة أن الرئيس يدلي بدلوه. وكانت أكثر التغريدات فاعلية هي في الغالب الأكثر إثارة للذهول.

وعندما أعلنت تويتر لاحقاً أن عدد الحروف المسموحة في التغريدة الواحدة قد تضاعف من ١٤٠ إلى ٢٨٠، قال ترامب لبورتر إنه يعتقد أن للتغيير مغزاه على مستوى واحد. فسيتمكن الآن من بلورة أفكاره وإضافة مزيد من العمق عليها.

(١) Glenn Thrush and Maggie Haberman, "Trump Mocks Mika Brzezinski; Says She Was 'Bleeding Badly from a Face-Lift,'" The New York Times, June 29, 2017.

«إنه أمر جيّد»، قال ترامب، «لكنه مؤسف بعض الشيء، لأنني كنت إرنست همنغواي المئة وأربعين حرفاً».

في قمة مجموعة الدول العشرين التي عُقدت في هامبورغ، بألمانيا، أوائل تموز/يوليو، أراد ترامب الحديث مع رئيس الوزراء الأسترالي مالكولم ترنبول. فدعاه، في انتهاك للقواعد الأمنية، إلى مرفق المعلومات الحساسة والمجزأة SCIF التابعة له. ولم يكن يُسمح بالدخول إلى المرفق إلا لمن يملكون أرفع التصاريح الأمنية للاطلاع على المعلومات الحساسة والمجزأة السرية للغاية. كانت تلك قاعدة مطلقة تهدف إلى منع أي يكن من زرع أجهزة تنصُّت. ووجب بعد الاجتماع تدمير ذلك المرفق. وهو كناية عن غرفة فولاذية كبيرة.

كانت العلاقة بين الزعيمين صعبة منذ الأسبوع الأول للإدارة. عندما تحادث الرجلان هاتفياً. أراد ترامب الانسحاب مما أسماه الصفقة «الغبية» التي «ستقتلني» بين الولايات المتحدة وأستراليا والتي أبرمت في عهد الرئيس أوباما[1]. ويُسمح بموجب الاتفاق لبعض اللاجئين من ذوي الخلفيات المريبة المنتظرين على جزيرة قبالة أستراليا بالدخول إلى الولايات المتحدة. وتسرّب نص مكالمتهما في ٢٨ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧. وكان ترامب قد قال. «يا للزمن الرديء.... هل سيصبحون مفجّر بوسطن؟»[2].

كان ترنبول، وهو يتوجّه إلى الاجتماع مع ترامب في ألمانيا، مدركاً النقاش في البيت الأبيض حول الرسوم الجمركية الممكنة التي ستُفرض على الفولاذ المستورد إلى الولايات المتحدة.

قال ترنبول: «إذا ما فرضتَ رسوماً على الفولاذ. فعليك أن تعفُوَ الفولاذ الأسترالي. فنحن نصنّع فولاذاً من نوع خاص. ونحن الوحيدون الذين ننتجه في العالم. عليك أن تستثنينا. فلديك فائض تجاري معنا بقيمة أربعين مليار دولار. ونحن على تحالف عسكري معكم. نخوض معكم كل معركة».

«بالتأكيد»، قال ترامب. «سنستثنيكم. ذلك منطقي. أنتم أيها الإخوان رائعون. لدينا فائض كبير معكم أيها الإخوان». إنها الكأس المقدّسة.

كان غاري كوهن. الذي حضر الاجتماع، مسروراً. فقد سبق لترنبول أن كان شريكاً في غولدمان ساخس، وقد عمل لكوهن عندما كان رئيساً لغولدمان.

---

(١) Greg Miller, Julie Vitkovskaya and Reuben Fischer-Baum, "'This Deal Will Make Me Look Terrible': Full Transcripts of Trump's Calls with Mexico and Australia," The Washington Post, August 3, 2017.

(٢) Greg Miller, Julie Vitkovskaya and Reuben Fischer-Baum, "'This Deal Will Make Me Look Terrible': Full Transcripts of Trump's Calls with Mexico and Australia," The Washington Post, August 3, 2017.

كان ترامب، بعودته من قمة مجموعة العشرين، يضع مع بورتر اللمسات على خطاب سيلقيه. كتب الرئيس، وهو يدوّن أفكاره بخطّ أنيق وواضح: «التجارة سيئة» (TRADE IS BAD)[1].

وبالرغم من أنه لم يقل ذلك في أي خطاب، فقد عثر في النهاية على العبارة المختصرة والتعبير الأصدق عن حمائيته وانعزاليته وقوميته الأميركية المتّقدة.

بعد ذلك بنحو ثمانية أشهر، أي في ٢٢ شباط/فبراير ٢٠١٨، وصل ترنبول إلى البيت الأبيض لمقابلة الرئيس.

في جلسة التحضير للاجتماع في الغرفة البيضاوية، ذكّر كوهن ترامب بتعهّده.

«سيّدي الرئيس»، قال كوهن، «إن أول أمر سيطرحه هو الرسوم على الفولاذ. وسيذكّرك بأنك استثنيته منها».

«لا أذكر»، قال ترامب وهو يجلس وراء المكتب الرئاسي وهو من طراز «ريزولوت».

«الحقيقة، سيدي»، قال كوهن، «أنك أجريت حديثاً معه...».

«سأنفي ذلك»، أجاب ترامب، «لم أجرِ معه مثل ذلك الحديث».

«حسناً، سيدي، إنني أذكّرك فحسب بأن هذا الموضوع سيثار».

كان كوهن قد شهد على مثل ذلك طوال أكثر من سنة؛ النفي عند الحاجة أو عندما يكون مفيداً أو مناسباً أكثر. وقال كوهن لأحد زملائه: «إنه كاذب محترف».

خلال الغداء، لزم ترنبول الحذر، وهو يذكّر ترامب بالوقت الذي قضياه معاً في قمة مجموعة العشرين الصيف الماضي.

«أتذكر عندما كنّا في هامبورغ؟».

«نعم»، قال ترامب.

«عدتَ بي إلى مرفقك المأمون؟».

«آه، نعم، أذكر ذلك»، أجاب ترامب، «كان أفراد أمني مستائين للغاية، لم يصدّقوا أنني قمت بذلك».

«أتذكر الحديث الذي أجريناه؟».

هزّ ترامب برأسه.

---

(١) وثيقة استحصل عليها المؤلف.

«كنا نتحدث عن الفولاذ الخاص الذي تنتجه أستراليا حصراً».

نسخة من النَعَم من ترامب.

«لدينا فائض بقيمة ٤٠ مليار دولار».

«نعم»، عرف ترامب ذلك بالتأكيد.

«واتفقنا أن تستثنيني من أي رسم على الفولاذ؟».

«آه، بلى»، أجاب ترامب، «أعتقد أنني أذكر ذلك».

ضحك كوهن.

واستُثني الفولاذ الأسترالي لاحقاً، إضافة إلى فولاذ دول أخرى. واحتفظت أستراليا باستثنائها اعتباراً من حزيران/يونيو ٢٠١٨.

الفصل السادس والعشرون[1]

كان ماكماستر، في ١٥ تموز/يوليو، يحتسي الشراب مع المفوضة الكبيرة في فريقه، دينا باول، ومع بورتر.

قال ماكماستر إن «فريق الاثنين»، تيلرسون وماتيس، يجعلان موقفه صعباً وأقل فأقل تقبّلاً.

وقال إنه يعتقد أن ماتيس وتيلرسون قد استنتجا أن الجنون قد ضرب الرئيس والبيت الأبيض. وقد سعيا معاً، نتيجة ذلك، إلى أن يطبّقا، بل أن يصوغا بأنفسهما سياسة خاصة بهما من دون تدخّل من ماكماستر أو ضلوعه، ناهيك بالرئيس نفسه.

قال ماكماستر إن تيلرسون كان، في الأسبوع الماضي تماماً، في قطر، ووقّع على مذكّرة تفاهم مهمة مع وزير الخارجية القطري تتعلق بمكافحة الإرهاب وتعطيل تمويله[٢].

وقال ماكماستر إنه كان يجهل كل شيء عن ذلك. لم يستشره وزير الخارجية أو حتى أنه لم يبلغه مسبقاً بالأمر الذي عرفه من التقارير الصحافية! وكان تيلرسون قد قال في مؤتمر صحافي عُقد بقطر إن الاتفاق «جاء نتيجة أسابيع من النقاشات المكثفة» بين الحكومتين، وبالتالي فإنه كان في طور الإعداد منذ زمن[٣].

وقال بورتر إن تيلرسون لم يتبع عملية وضع السياسة في البيت الأبيض، كما أنه لم يشرك الرئيس في الأمر. ومن الواضح أن تيلرسون يعمل من تلقاء نفسه.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Tom Finn, "U.S., Qatar Sign Agreement on Combating Terrorism Financing," Reuters, July 10, 2017

(٣) المصدر نفسه.

وقال ماكماستر: «أن تحاول إقناع الرئيس أمر فيه إخلاص وصدق، وهو أفضل من الالتفاف عليه». وقال إنه قد نفّذ أوامر مباشرة عندما كان الرئيس واضحاً. وشعر أن الواجب يلزمه بذلك بوصفه ضابطاً عسكرياً. وهو ما لم يشعر به تيلرسون بنوع خاص.

«يا له من وغد»، قال ماكماستر. «يظن أنه أذكى من أي شخص آخر. ويعتقد بالتالي أنه يستطيع القيام بأشيائه الخاصة».

اتخذ بريبوس، في مسعاه الطويل لجلب النظام إلى الفوضى، ترتيبات يسجّل بموجبها كل أعضاء الحكومة الرئيسيين حضورهم بانتظام[1]. وحضر تيلرسون إلى مكتبه في الساعة ٥:١٥ من بعد ظهر الثلاثاء ١٨ حزيران/يونيو.

لم يكن ماكماستر قد دعي، لكنه انضم مع ذلك إلى الاجتماع. واتخذ مقعداً له إلى طاولة الاجتماعات. كان الحضور الصامت لمستشار الأمن القومي مشؤوماً ومكهرباً.

سأل بريبوس تيلرسون: قل لي كيف تسير الأمور؟ هل أنت في الطريق إلى تحقيق أهدافك الأساسية؟ كيف هي العلاقة بين وزارة الخارجية والبيت الأبيض؟ وبينك وبين الرئيس؟

«أنتم أيها الجماعة في البيت الأبيض لا تتصرفون بشكل سليم»، قال تيلرسون، وانفتحت بوابات السد. «لا يستطيع الرئيس اتخاذ قرار. لا يعرف كيف يتخذ قراراً. ولن يتخذ قراراً. يتخذ قراراً ثم يبدّل رأيه بعد يومين».

خرج ماكماستر عن صمته، وصبّ جام غضبه على وزير الخارجية.

«أنت لا تعمل مع البيت الأبيض»، قال ماكماستر. «أنت لا تستشيرني أبداً. كما أنك لا تستشير أحداً من فريق مجلس الأمن القومي. إنك تتجاهلنا باستمرار». وعدد أمثلة. منها محاولته ترتيب مكالمات أو اجتماعات أو جلسات على الفطور مع تيلرسون. «تكون خارجاً تقوم بأشيائك» وتتصل مباشرة بالرئيس وماتيس وبريبوس أو بورتر. «لكنك لا تتصل أبداً بمجلس الأمن القومي»، و«ذلك ما نحن موجودون هنا للقيام به». ثم أطلق اتهامه الأكثر إثارة، «أنت بالتأكيد تسعى إلى تقويض عملية الأمن القومي».

«ذلك غير صحيح». أجاب تيلرسون. «أنا موجود في أي وقت. وأتحدث معك كل الوقت. وأمس تماماً أجرينا مكالمة جماعية. ونجري مكالماتنا الصباحية هذه ثلاث مرات في الأسبوع. ما الذي تتحدث عنه، يا «هـ.ر» (هربرت رايموند)؟ لقد عملت معك. وسأعمل مع أي كان».

---

(١) مراجعة المؤلف للملاحظات المتزامنة لأحد المشاركين في الاجتماع.

وتابع تيلرسون، «وعليّ أن أكون وزيراً للخارجية. وأحياناً أكون مسافراً. وأكون أحياناً في منطقة زمنية مختلفة. لا يمكنني دوماً تلقي اتصالاتك».

وقال ماكماستر: لو أن المناصب قد شُغلت لتشاورت مع مساعدي وزير الخارجية المعنيين.

«ليس لدي مساعدون». أجاب تيلرسون. ببرود. «لأنني لم اخترهم. أما المعيّنون عندي فلا أحبهم ولا أثق بهم ولا أعمل معهم. ويمكنك بالتالي التحقق مع من تريد. ليس لذلك أي تأثير بي». ومن تبقى من وزارة الخارجية لا يهم: وإذا لم تمر عبره فالأمر لا يُحتسب.

نزل تيلرسون بعد الاجتماع إلى مكتب بورتر وهو لا يزال مغتاظاً. «البيت الأبيض كارثة كبيرة. والكثيرون من الأشخاص في الطابق العلوي لا يمتلكون فكرة عمّا يجري».

وقال تيلرسون إن جوني ديستيفانو، مدير الموظفين الذي يبلغ التاسعة والثلاثين من العمر. لا يستطيع أن يختار شخصاً لمنصب رئيسي في وزارة الخارجية حتى ولو وضعته نصب عينيه. وكان ديستيفانو قد عمل موظفاً في تلة الكابيتول ولم يعرف شيئاً عن السياسة الخارجية. «لن تصدّق من هو الشخص الذي أرسله لأجري معه مقابلة» من أجل منصب مساعد وزير الخارجية.

«كانت مزحة. لا أعرف في أي عالم ممكن قد يعتقد أحدهم أنه مؤهّل لهذه الوظيفة».

وقال بريبوس لاحقاً لبورتر: «آه، يا للعجب، ألعاب نارية! يبدو أن ريكس مستاء بالفعل من أمور كثيرة في الوقت الحاضر. إنه حاد المزاج بعض الشيء».

اعتقد بورتر أن ماكماستر كان محقّاً تماماً. بالرغم من أن اجتماعاته واتصالاته قد تكونان مملتين، ولا داعي لهما في الغالب. لكن التدهور بين تيلرسون وماكماستر قد شكّل إثباتاً للخلل في الأداء العام.

في يوم الأربعاء ١٩ تموز/يوليو ٢٠١٧. منح ترامب النيويورك تايمز مقابلة فريدة شن فيها حملة تصيب الرأس بالدوار على جيف سيشنز[(١)].

قال إن سيشنز ما كان ليعيّن، لو عرف أنه سيتنحى عن الإشراف على التحقيق المتعلق بروسيا. «ما كان يُفترض بسيشنز أبداً أن يتنحى، وافترض به، لو أنه كان سيتنحى، أن يخبرني بذلك قبل

(١) Peter Baker, Michael S. Schmidt and Maggie Haberman, "Citing Recusal, Trump Says He Wouldn't Have Hired Sessions," The New York Times, July 19, 2017.

تولي الوظيفة، وكنت سأختار شخصاً آخر. فكيف تتولى وظيفة ثم تتنحى؟ لو أنه تنحى قبل الوظيفة لقلت له. 'شكراً، جيف، لكنني لن آخذك'. ذلك مجحف للغاية. وأنا أستخدم تعبيراً ملطّفاً، في حق الرئيس».

كان ترامب لا يزال يستشيط غضباً على سيشنز، عندما صعد بعد ذلك بثلاثة أيام على متن طائرة «المارينز واحد» متوجهاً إلى نورفولك بفرجينيا. كان يتحدث في حفل تدشين حاملة الطائرات «جيرالد ر. فورد»، السفينة الحربية التي كلّفت ١٣ مليار دولار.

كان ترامب وبريبوس يتبادلان أطراف الحديث. وقال ترامب إنه لطالما كان معجباً بالمدعي العام في عهد أوباما، إريك هولدر. فبالرغم من أنهما قد اختلفا، بالتأكيد، في السياسة بقي هولدر مرتبطاً بأوباما على مدى ثماني سنين بغض النظر عمّا حدث ومهما كان الخلاف. لم يحدث أي تنحّ أو هروب من تراشق النيران السياسية. كان هولدر على استعداد لتلقي الضربة عن رئيسه.

وقال: «إن جيف ليس بالشخص المستعد للوقوف معي في السراء والضراء».

وقال ترامب إن سيشنز قد رفض التنحي في التحقيق في شأن روسيا بقوله إنه لم تكن له أي علاقة بالعمليات اليومية لحملة ترامب. ورغم صعوده على متن طائرة الحملة وذهابه إلى التجمعات، لم تكن له أي علاقة بالاستراتيجية المتمثلة في المناورات التكتيكية، أو بريد الإقناع، أو العمليات الرقمية.

كما أن الرئيس لم يكن راضياً عن شهادة سيشنز أمام مختلف لجان الكونغرس في شأن الاجتماعات أو النقاشات مع الروس.

وجّه ترامب أمراً إلى بريبوس: «أوكل إليك أمر استقالته».

ولاحقاً، قال ستيفن ميلر، الذي كان موظفاً سابقاً لدى سيشنز ومؤيداً كبيراً له، لبريبوس: «نحن في مشكلة حقيقية. لأنك إذا لم تجعله يقدّم استقالته فسيظن أنك ضعيف. وإذا حصلت عليها فستصبح جزءاً من دوامة كارثية سريعة التدهور».

تحدّث بريبوس مرات عدة إلى سيشنز. لم يشأ المدعي العام الاستقالة. وقال بريبوس، إذا كان الرئيس لا يريدك أن تخدم، فعليك ألا تخدم، بل عليك أن تستقيل وتذهب.

ووافق ترامب، في نهاية الأمر، على الانتظار. لم يرد استقالة فورية، وذلك بحسب قوله، لأنه أراد لهم أن يجتازوا برامج الأحد الحوارية في اليوم التالي.

بعد ذلك بيومين واصل ترامب وابل قصفه على سيشنز، ووصفه على تويتر بـ «مدعينا العام المحاصَر»[١].

واستبعد، في مقابلة مع وول ستريت جورنال، تأييد سيشنز له في خلال الحملة الانتخابية الرئاسية[٢]. «عندما قالوا إنه يؤيدني، ذهبت إلى الآلاباما. كان لي ٤٠ ألف شخص. كان سيناتوراً من ألاباما. وفزت في الولاية بأعداد كثيرة، ضخمة. كسبت الكثير من الولايات بأعداد ضخمة. لكنه كان سيناتوراً، فينظر إلى ٤٠ ألف شخص، وربما يقول، 'ماذا لديّ لأخسره؟' وأيّدني. وبالتالي ليس في التأييد الكثير من الولاء».

طلب بانون من سيشنز المجيء إلى البيت الأبيض. وجلس سيشنز على كرسي في ما يسميها بانون «غرفة عملياته»، وقد رُصفت جدرانها بألواح بيضاء تضم جداول بوعود ترامب الانتخابية. كان المدعي العام، ذو القامة القصيرة، عصبياً ولكن لطيفاً.

«انظر»، قال بانون. «كنتَ هناك طوال وقت الحملة. وعرفتَ أن ذلك الشيء كان عرضاً سيئاً، فوضوياً تماماً».

استفزّ هذا الأمر سيشنز ودفعه إلى النقاش والجدال في ذلك.

وانتقل بانون إلى ما يشكّل ربما الذكرى الأحب إليهما في حياتهما السياسية، عندما فاز ترامب بالرئاسة في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر. كانت حلاوة طعم الانتصار شديدة للغاية.

«أيدور في خلدك أي شك في يوم التاسع، عندما وصف ذلك بأنه يد الربّ؟». سأله بانون، وهو يغوص في عقيدتهما الإيمانية المشتركة «في أن تلك العناية الإلهية هي التي عملت من خلال ترامب للفوز بهذا؟».

«لا»، قال سيشنز.

«وهل تعني ذلك؟».

قال سيشنز إنه يعنيه.

«كانت يد الله، أليس كذلك؟ أنا وأنت كنّا هناك. نعرف أن الأمر ما كان ليحدث لولا يد الله».

«نعم».

«حسناً»، قال بانون. «أنت لن تستقيل أبداً، أليس كذلك؟».

«لن أستقيل أبداً». سيكون على ترامب أن يطرده فيما بعد.

---

(١) انظر تغريدات ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/889467610332528641

(٢) Michael C. Bender, "Trump Won't Say if He Will Fire Sessions," The Wall Street Journal, July 25, 2017

«أتعدُ بأنك لن تستقيل أبداً؟»

«نعم».

«لأن الأمر سيزداد سوءاً».

«ماذا تعني؟» سأل سيشنز.

«ذلك كلّه إلهاء».

«ماذا تعني؟».

«جاريد سيدلي بشهادته». كان صهر ترامب سيمثل الاثنين أمام لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ، والثلاثاء أمام لجنة الاستخبارات في مجلس النواب. «لم يعتقدوا أن لديهم غطاء كافياً».

قال سيشنز: «لن يفعل بي ذلك».

«اللعنة. سيفعل ذلك بك في لحظة. إنه يفعله بك! انتبه! عندما ينتهي جاريد من الشهادة، وإذا وجدوا أنها شهادة جيدة. فسيتوقف عن التغريد».

في ٢٤ تموز/يوليو. أصدر جاريد، قبل مثوله أمام الكونغرس، بياناً طويلاً اعتنى المحامون في صياغته[١]. «لم أتواطأ، ولا أعرف أحداً غيري في الحملة تواطأ، مع أي حكومة أجنبية. لم أجر أية اتصالات غير مشروعة. ولم أعتمد على الموارد الروسية لتمويل نشاطاتي التجارية في القطاع الخاص».

خمدت هجمات ترامب على سيشنز لفترة. كان ذلك عرضاً جانبياً وإلهاء. بيد أنه اعتقد بالفعل أن سيشنز قد خذله، ولذلك كان الأمر إلهاء عن قناعة.

أيقظت هجمات ترامب على سيشنز الجمهوريين في مجلس الشيوخ الأميركي. قال غراهام إن سيشنز «يؤمن بحكم القانون»[٢]. ودافع جمهوريون آخرون عن زميلهم السابق. وقالوا إنه لن يكون من السهل إيجاد بديل منه يثبّته مجلس الشيوخ. وقد يستقيل النائب رود روزنشتاين. وقد يتتالى الأمر ليتحوّل إلى وضع شبيه بووترغيت يذكّر «بمجزرة ليل السبت»، عندما طرد نيكسون المحقق الخاص فاستقال كلا المدعي العام ونائبه. وخشي بريبوس من أن ذلك قد يجعل مشكلة كومي تبدو كلعبة أطفال.

استهدف ترامب سيشنز بهجوم مدمّر في المكتب البيضاوي، واصفاً إياه «بالأحمق». وبعث

(١) Annie Karni, "Kushner Defends His Russia Contacts: 'I Did Not Collude,'" Politico, July 24, 2017

(٢) Rebecca Savransky, "Graham Defends Sessions: Trump Tweets 'Highly Inappropriate,'" The Hill, July 25, 2017.

سيشنز برسالة استقالته إلى ترامب، بالرغم من الوعد الذي قطعه لبانون. وأقنع بريبوس الرئيس بعدم قبولها[1].

قال ترامب لبورتر إن التنحّي جعل من المدعي العام «خائناً». وسخر الرئيس من لكنته الجنوبية. «هذا الشخص متخلف عقلياً. إنه ذلك الجنوبي الغبي». بل إن ترامب حاول قليلاً تقليد اللكنة الجنوبية، وبيّن كيف أن الأمور كلها اختلطت على سيشنز إبان جلسات الاستماع لتثبيته، نافياً أنه كان قد تحدث مع السفير الروسي.

وسأل ترامب بورتر. «كيف. بحق السماء. لا أعرف... كيف ترسّخت قناعتي التامة باختياره ليكون المدعي العام الخاص بي؟ فهو عاجز حتى عن أن يكون قاضياً ريفياً منفرداً في الاباما. فأي علاقة له في كونه مدعياً عاماً؟».

ولم يتوقف ترامب عند هذا الحد. بل قال لبورتر: «إذا كان سيتنحى عن هذا، فلماذا قبل اختياره مدعياً عاماً؟ تلك كانت خيانة عظمى. كيف أمكنه ذلك؟».

أعدّ بورتر جواباً، وقدّمه بألطف طريقة ممكنة. «هناك قواعد راسخة ومبادئ توجيهية للتنحّي. وقد استوفاها. لم يكن ذلك قراراً سياسياً من جانبه. لم يكن شيئاً أراد القيام به. تشاور مع الخبراء من ذوي الاختصاص في وزارة العدل. وقالوا له أنت تستوفي المعايير، ويتوجب عليك ذلك».

«حسناً»، قال ترامب بغضب، «ما كان يُفترض به قبول المنصب. وما كان عليه أن يستمع إلى موظفيه. لو أنه كان ذلك المحامي البارع. وعرف أنه سيتوجب عليه التنحي. لكان عليه أن يخبرني: عندها ما كنت لأختاره على الإطلاق. لكنه غبي حتى أنه لم يعرف ذلك بعد».

(1) Chris Whipple, "'Who Needs a Controversy over the Inauguration?' Reince Priebus Opens Up About His Six Months of Magical Thinking," Vanity Fair, March 2018.

الفصل السابع والعشرون[1]

دعا بريبوس في الثامنة من قبل ظهر العشرين من تموز/يوليو، جميع كبار الموظفين إلى اجتماع يبحث في موضوع الهجرة[2]. قدّم ستيفن ميلر عرضاً كان شبيهاً، في نظر البعض، بقائمة تسوّق للقضايا المثارة: الجدار الحدودي، ضبط الحدود، إلقاء القبض والإفراج، قضاة الهجرة، قرعة التنوع، المدن الملاذ، قانون كايت، وهو القانون الذي يضاعف العقوبات على الأشخاص الذي يحاولون معاودة الدخول بطريقة غير شرعية إلى الولايات المتحدة بعد أن يكونوا قد رُحّلوا، والهجرة التسلسلية.

قال ميلر: إن علينا اختيار القضايا الرابحة، تلك التي يعتبرها الديمقراطيون قضايا سيئة. وعلينا عندها أن نقنع مجلس الشيوخ بتولّي التصويت على مسائل حسّاسة صعبة مثل قطع التمويل عن المدن الملاذ.

اعترض كوشنر بقوة على استراتيجية ميلر. «علينا التركيز في أمور بناءة تحظى بدعم الحزبين، بل البحث عن قواسم مشتركة يمكننا تقديمها إلى الديمقراطيين، تشمل بعضاً من أولوياتنا، وبعضاً من أولوياتهم». أراد «طريقاً إلى المستقبل بحيث يمكننا في الواقع إنجاز شيء».

خالف بريبوس كوشنر الرأي. «أعرف تلّة الكابيتول. وأعرف ما الذي سيكون جيّداً بعبارات عمليات التصويت هذه عبر الرسائل النصية». فمُطوّر عقاري من مدينة نيويورك، مثل جاريد، لا يعرف الكثير في السياسة.

احتج جاريد. «أعرف كيف أنجز الأمور وأكون بنّاء وأعرف كيفية التعامل مع الأشخاص المختلفين وإيصالهم إلى المكان نفسه».

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) مراجعة المؤلف للملاحظات المتزامنة لأحد المشاركين في الاجتماع.

وقال جاريد إن معظم النقاشات التشريعية في البيت الأبيض ضلع فيها أعوان بريبوس من اللجنة الوطنية الجمهورية النضالية، أو من مكتب السيناتور السابق سيشنز، أو من اسطبل بنس من المحافظين. ولم يكن لأي منهم خبرة في التفاوض على اتفاقات ما بين الحزبين أو في إنجاز الصفقات. فالمتطرفون والأشخاص الذي يحاولون تسجيل نقاط سياسية هم الذين يديرون الروزنامة التشريعية.

أجرى ماتيس وغاري كوهن عدة محادثات هادئة حول «المشكلة الكبيرة». لم يستوعب الرئيس أهمية الحلفاء في الخارج، ولا قيمة الدبلوماسية. أو أهمية العلاقة بين الجيش والاقتصاد، أو الشراكة الاستخبارية مع الحكومات الأجنبية.

التقيا على الفطور في البنتاغون لوضع خطة عمل.

كان أحد أسباب المشكلة يتمثل في الاعتقاد الراسخ عند الرئيس بأن العجز التجاري السنوي البالغ ٥٠٠ مليار دولار قد أضرّ بالاقتصاد الأميركي. ومضى في حملة لفرض الرسوم الجمركية والكوتا بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها كوهن لتثقيفه حول فوائد التجارة الحرة.

ومن وجهة نظرهما الصريحة، كان عليهما حلّ معضلة أساسية، وهي: كيف يمكنهما إقناع الرئيس وتثقيفه؟ أدرك كوهن وماتيس أنهما ليسا البتّة قريبين من إقناعه. واستمرت الاجتماعات حول التجارة تتوالى مراراً وتكراراً، ولم تؤدّ إلا إلى زيادة الاحتقان.

واقترح ماتيس قائلاً: «دعنا نأتي به إلى هنا إلى «الدبابة». و«الدبابة» كناية عن غرفة آمنة في البنتاغون يجتمع فيها رؤساء الأركان المشتركة. وقد يحمله هذا على التركيز.

«فكرة رائعة»، قال كوهن. «دعنا نخرجه من البيت الأبيض». لا صحافة؛ لا تلفزيونات: لا مادلين وسترهاوت، سكرتيرة ترامب الشخصية التي تعمل على مسافة صوت من المكتب البيضاوي. ولن يكون هناك حتى من ينظر من خلال النافذة. لأن «الدبابة» خالية من النوافذ.

قد يفي إخراج ترامب من محيطه الطبيعي بالغرض. وهذه الفكرة هي من المسلّمات الأساسية في كتاب قواعد الشركات، مثل خلوة أو اجتماع في خارج موقع العمل. وهكذا، فإن من الممكن لماتيس وكوهن أن يستدرجا ترامب إلى «الدبابة» مع فريقه الأساسي للأمن القومي وفريقه الاقتصادي لمناقشة العلاقات الاستراتيجية في العالم.

واتفقا أنهما سيكونان معاً متحدين في مواجهة ترامب في هذا الموضوع. لأن الحروب التجارية أو الاختلالات في الأسواق العالمية قد تؤدي إلى الإضرار بالاستقرار الهش في هذا العالم أو حتى إلى تقويضه. ويمكن أن يمتد هذا التهديد ليشمل مجتمع العسكر والاستخبارات.

لم يكن في وسع ماتيس أن يصدّق السبب الذي يمكن أن يدفع الولايات المتحدة إلى افتعال شجار مع الحلفاء، سواء في حلف شمال الأطلسي، أو مع الأصدقاء في الشرق الأوسط، أو اليابان، أو كوريا الجنوبية بصفة خاصة.

قُبيل العاشرة من صباح العشرين من تموز/يوليو، وكان هذا اليوم هو يوم خميس من أيام الصيف الحارة الخانقة، اجتاز فيه دونالد ترامب، وقد مرّت ستة أشهر على رئاسته، نهر البوتوماك إلى البنتاغون.

كان «للدبابة» جاذبها. أحب ترامب الغرفة. وهي تُعرف أحياناً بالغرفة الذهبية بسبب لون سجادها وستائرها، وهي مزخرفة ومهيبة، وفي الأساس هي غرفة معدّة لخلوة مغلقة وهي شديدة الحراسة وتختزن عقوداً من التاريخ.

نظّم ماتيس وكوهن العروض في جزءين: جزء هو كناية عن درس تاريخي، وجزء آخر هو مكاشفة جغرافية سياسية. وشكّل هذا الدرس التاريخي أيضاً جهداً متأخراً لمعالجة السؤال الذي يلوح في الأفق: كيف تحدد هذه الإدارة أولياتها السياسية وتلتزمها؟

لم يحضر ماكماستر بسبب التزام أُسَري.

ملأت الخرائط التي تصوّر الالتزامات الأميركية في مختلف أنحاء العالم، من انتشار عسكري، وجنود، وأسلحة نووية، ومراكز دبلوماسية، وموانئ، وقواعد استخبارية، ومعاهدات، بل اتفاقات تجارية، شاشتي جدار كبيرتين، كان عرضاً لتاريخ الولايات المتحدة في العالم. جرى في هذا العرض إظهار البلدان التي تمتلك الولايات المتحدة فيها حقوق استخدام موانئها والتحليق في أجوائها، وكذلك الرادارات الأساسية، وسوى ذلك من منشآت المراقبة.

افتتح ماتيس الحديث بالقول: «الهدية الكبرى التي قدّمها إلينا الجيل الأعظم هي النظام الدولي الديمقراطي المبني على القواعد». هذه الهندسة العالمية جلبت الأمن والاستقرار والازدهار.

جلس بانون جانباً، مراقباً من المقاعد الخلفية والرئيس على مرمى بصره. كان يعرف جيداً نظرة الرئيس المعولمة إلى العالم. ويعتبرها نوعاً من التعويذة. فالفكرة التي تسلّطت على عقله كانت لا تزال «أميركا أولاً».

وفكّر بانون أن الأمر سيكون ممتعاً، فيما كان ماتيس يحاول إثبات أن مبادئ الماضي التنظيمية لا تزال مجدية وضرورية.

وفكّر بانون أن ذلك هو قلب المشكلة النابض.

وجاء بعدها دور وزير الخارجية ريكس تيلرسون.

قال رجل النفط التكساسي السابق: «هذا ما حافظ على السلام ٧٠ عاماً».

كان الأمر، في نظر بانون، أقرب إلى النظام العالمي القديم: التزامات باهظة التكلفة ولا حدود لها، ووعود تُقطع ويجري الوفاء بها.

كان ترامب يهّز برأسه. غير موافق. بالرغم من أنه لم يقل شيئاً.

تحدّث كوهن تالياً، فدافع عن التجارة الحرّة: المكسيك. كندا. اليابان. أوروبا. كوريا الجنوبية. وعرض بيانات الاستيراد والتصدير. ولفت إلى أننا مُصدّر ضخم للمنتجات الزراعية. حوالى ١٣٠ مليار دولار في السنة. ونحتاج إلى أن تشتري هذه البلدان منتجاتنا الزراعية. وقال إن وسط الولايات المتحدة بأسرها مؤلف في الأساس من المزارعين.

ومعظمهم من المصوّتين لترامب.

بلغت صفقات الأسلحة الأميركية مع الخارج ٧٥,٩ مليار دولار في السنة المالية ٢٠١٧. وقال كوهن ليس من الخطأ أن يكون لدينا الكثير من الطائرات الحربية في المطار نفسه في سنغافورة التي تشتري منّا الكثير من طائرات البوينغ. وليس من الخطأ أن تكون لدينا عمليات استخبارات ضخمة انطلاقاً من سنغافورة. وليس من الخطأ أن يدخل أسطول بحريتنا إلى هناك ويخرج لإعادة التزوّد بالوقود والتموين.

أكّد كوهن أن العجز التجاري يؤدي إلى نمو الاقتصاد الأميركي.

«لا أريد سماع ذلك»، قال ترامب. «كلّه هراء بهراء!».

وتحدث وزير الخزانة منوشين، وهو قديم آخر من قدامى «غولدمان»، عن أهمية الحلفاء الأمنيين والشركاء التجاريين.

استدار ترامب للنظر إلى بانون. ثم نظر من جديد. واعتبر بانون ذلك بمثابة إشارة.

«تمهلوا للحظة»، قال بانون للجميع وهو يقف. «لنكن واقعيين».

وانتقى واحداً من الاتفاقات الدولية الأكثر إثارة للجدل التي تربط الولايات المتحدة بهذا النظام العالمي. «يريد الرئيس سحب الثقة من الاتفاق الإيراني وأنتم أيها الناس تبطئون سيره. إنه اتفاق رهيب. يريد سحب الثقة منه ليتمكن من إعادة التفاوض». فترامب لن يكتفي بتمزيقه، بحسب ما وعد في الحملة.

وقال كبير الاستراتيجيين «إن أحد الأمور التي يريد القيام بها» هو فرض عقوبات على إيران.

«فهل هناك حليف من حلفائكم اللعينين الكبار في الاتحاد الأوروبي» سيدعم الرئيس؟ كان كل هذا الحديث يدور حول المسألة الآتية: كيف يكونون شركاءنا؟ «هل تعطوني واحداً سيدعم الرئيس في مسألة العقوبات؟».

حاول منوشين الإجابة عن أهمية الحلفاء.

«أعطوني شخصاً واحداً». قال بانون. «بلداً واحداً. شركة واحدة. من الذي سيؤيد العقوبات؟».

لم يجب أحد.

«ذلك ما أتحدّث عنه». قال ترامب. «لقد وضّح موقفي للتو. تتحدثون عن جميع هؤلاء الأشخاص بوصفهم حلفاء. ليس هناك أي حليف. أجيبوا عن سؤال ستيف. من الذي سيدعمنا؟».

قال تيلرسون: «أفضل ما يمكننا قوله هو أنهم لا ينتهكون [يقصد الإيرانيين] شيئاً». وكالات الاستخبارات كلّها تتفق على هذا. كانت تلك هي النقطة الحاسمة. كيف يمكن فرض عقوبات جديدة إذا لم يحدث أيّ انتهاك للاتفاق؟

«كلّهم يجنون المال». قال ترامب، مشيراً إلى أن الاتحاد الأوروبي يتاجر ويعقد الصفقات الكبرى مع إيران[1]. «وما من أحد سيحمي ظهرنا».

انتقل ترامب إلى أفغانستان التي كان قد عانى أخيراً بالفعل من نصف دزينة من الاجتماعات في شأنها في مجلس الأمن القومي وفي اجتماعات أخرى أقل شأناً. قائلاً: «متى سنبدأ بكسب بعض الحروب؟ لدينا هذه الرسوم البيانية. متى سنبدأ بكسب بعض الحروب؟ لماذا تقحمون هذا في حلقي؟».

وانطلق الرئيس في هجوم شديد في إشارة إلى قائد أفغانستان، الجنرال جون نيكولسون، الذي لم يكن حاضراً. «لا أعتقد أنه يعرف كيف يربح. لا أعتقد أنه رابح. لا نرى أية انتصارات».

ولم يكن ترامب قد استقر على استراتيجية بخصوص أفغانستان. التي كانت لا تزال حينها مدار نقاش.

«يفترض بكم أن تقتلوا أشخاصاً. لا تحتاجون إلى استراتيجية لقتل أشخاص».

هبّ رئيس الأركان المشتركة، الجنرال دانفورد، للدفاع عن نيكولسون.

---

(١) كان الاتفاق النووي في العام ٢٠١٥ بمثابة منجم غني لبلدان الاتحاد الأوروبي. وقد ازدادت الواردات الأوروبية من إيران بمعدل مذهل بلغ عام ٢٠١٦ معدل ٣٤٧٪ مقارنة مع السنة السابقة. (المصدر: خدمة الأبحاث في الكونغرس، ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧). وعقدت إحدى الشركات الفرنسية صفقة غاز مع إيران بقيمة ٤,٧ مليارات دولار. وقد أوضح ترامب موقفه من دون أن يدخل، طبعاً، بالتفاصيل.

«سيدي الرئيس»، قال دانفورد بتهذيب شديد وصوت لطيف: «ليس هناك من تفويض بالفوز. تلك ليست أوامره». كانت الاستراتيجية في عهد أوباما، الذي سحب معظم الجنود، إذ خفضهم إلى ٨,٤٠٠ من عددهم المرتفع الذي كان ١٠٠ ألف، تقضي عملياً بتجميد الوضع.

كان ماتيس ودانفورد يقترحان قواعد جديدة لاشتباك الجنود الأميركيين في أفغانستان، وتحريرهم ليكونوا أكثر هجومية وقتلاً من خلال رفع القيود التي وُضعت على القادة المحليين في عهد أوباما. ولن تعود التكتيكات تُعلن للعدو. وقد برهنت النجاحات الأخيرة ضد داعش على أهمية هذه التغييرات.

استذكر ترامب أن الجنرال نيكولسون قد أذن باستخدام قنبلة «جي بي يو-٤٣/ب» التي تزن عشرين ألف رطل، وتُعرف أيضاً باسم «مواب» MOAB، «أم كل القنابل».[1] «لقد أسقط تلك القنبلة اللعينة عليهم».

نعم، قال دانفورد، ذلك كان قراراً اتخذه القائد الميداني، ولم يُتخذ في واشنطن.

حاول ماتيس التدخل بتهذيب: «سيدي الرئيس، سيدي الرئيس...»

«ماد دوغ، ماد دوغ»، أجاب ترامب مستخدماً اسم ماتيس الرمزي في المارينز. «إنهم يستغلوننا. فماذا نفعل؟» سأل ترامب جنرالاته بما أمكن من الحدّة من دون أن يصرخ. «وماذا عن الفوز؟ إن السبب في وجودنا في هذا الوضع يعود إلى أنكم كنتم توصون بهذه النشاطات».

وما إن عادوا إلى إيران حتى أخذ التوتّر في الازدياد.

«إنهم يتقيدون». قال تيلرسون. «ذلك هو الاتفاق. إنهم يتقيدون. قد لا تحب ذلك». سلك وزير الخارجية طريقة منطقية في السير عبر التفاصيل التقنية المتعلقة بالتقيد بالاتفاق.

وصفه ترامب بالمؤسساتي. كانوا يحاجون بأن كل هذه الأمور مترابطة: الاتفاقات التجارية مع الصين، مع المكسيك، الاتفاق النووي الإيراني، نشر القوات، المساعدة الخارجية. وكانت رسالة ترامب هي «لا» على كل ما عُرض.

«لا يمكننا فعل هذا»، قال ترامب. «هذا ما أوصلنا إلى ذلك الوضع».

بدا منوشين أنه يراوغ.

«لا، توقف»، ألحّ بانون. «هل هم مؤيدون أم معارضون؟»

«لن يؤيدوا ذلك أبداً»، قال منوشين.

---

(١) «مواب» وتعني رسمياً: القنبلة ذات الذخيرة الضخمة التي تنفجر في الهواء.

«أنهيت مرافعتي»، قال بانون. «بحلفائك».

قال ترامب، وهو يشير بإصبعه إلى منوشين، «الشركات الأوروبية. إنها، ويا للعنة، عديمة الجدوى». فسيمنس، وبيجو، وفولكسفاغن، وغير ذلك من الأسماء الأوروبية المعروفة كانت تستثمر في شكل فاعل في إيران.

قال ترامب: «ريكس، أنت ضعيف. أريد سحب الثقة».

وانتقل ترامب إلى واحدة من قضاياه المفضلة. أراد فرض رسوم على الفولاذ والألومنيوم والسيارات المستوردة. وتساءل لماذا لا يُعلن منوشين أن الصين تتلاعب بالعملة كما أراد له أن يفعل.

وشرح منوشين أن الصين كانت، منذ سنوات مضت، تتلاعب بالعملة، لكنها لم تعد تفعل.

«ماذا تعني؟» قال ترامب. «أثبت القضية. قم بذلك فحسب. أعلنه».

شرح منوشين أن قانون الولايات المتحدة واضح في شأن المطلوب لإثبات التلاعب بالعملة، وهو لا يستطيع إثبات القضية.

«نحن النقيض» في الاتفاقات التجارية. قال ترامب. «نكون تحت سطح الماء في كل واحد منها». الدول الأخرى تجني المال. «انظروا فقط إلى كل هذه الأمور هناك. نحن ندفع مقابلها كلها». وأعلن أن تلك الدول كانت «محميات».

وكرر كوهن القول: «إن ذلك في الواقع جيّد لاقتصادنا».

«لا أريد سماع ذلك». أجاب ترامب. «ذلك كلّه هراء».

وفيما أخذ الاجتماع يوشك على الانتهاء، اتكأ تيلرسون على كرسيه إلى الخلف. بدا كأنه يحدّث الرئيس لكنه لم ينظر في عينيه. بل نظر بدلاً من ذلك إلى ماتيس.

«صفقتك»، قال وزير الخارجية. «إنها صفقتك».

كان ذلك تراجعاً على الطريقة التكساسية، كما لو أنه يقول، سأطيع وأنفّذ، لكنها خطّتك لا خطتي.

قال ترامب بغضب: «إننا ننفق ٣,٥ مليارات دولار في السنة لتكون لنا قوات في كوريا الجنوبية». ولم يتمكن الجنوب من أن يقرر. هل يريد نظام «ثاد» THAAD المضاد للصواريخ أم لا؟ وهل سيدفعون ثمنه أم لا؟

اعتقد البعض في كوريا الجنوبية أن المنظومة قد تثير الحرب مع كوريا الشمالية، واحتجوا على المنشأة، مجادلين بأنها لمصلحة الولايات المتحدة واليابان.

«اسحبوا ذلك الشيء اللعين!» قال ترامب. «فأنا لا أبالي البتة».

«الكوريون الجنوبيون يوفّرون لنا السلع اللعينة المدعومة»، قال كوهن معارضاً الرئيس مباشرة. وكرر القول إن الاتفاق التجاري جيّد لاقتصاد الولايات المتحدة. «نشتري أروع أجهزة التلفزة في العالم بـ ٢٤٥ دولاراً. ما يعني أن الناس ينفقون أموالاً أقل على أجهزة التلفاز، وأموالاً أكثر على منتجات أخرى في الولايات المتحدة».

ولو أن الولايات المتحدة سحبت قواتها لتطلب الأمر، بغية الشعور بالراحة، المزيد من مجموعات حاملات الطائرات في ذلك الجزء من العالم. وأعلن كوهن أن تكلفة ذلك قد تكون عشرة أضعاف.

أضف إلى ذلك الاستخبارات الفائقة السرية التي يجري اكتسابها بفضل برامج الوصول الخاص إلى المعلومات التي سمحت كوريا الجنوبية للولايات المتحدة بتشغيلها. وبدا أن ترامب لا يفقه قيمتها وضرورتها.

قال الرئيس: «مثل ٣,٥ مليارات دولار لثمانية وعشرين ألف جندي». كان محموماً فعلاً. «لا أعرف سبب وجودهم هناك. فلنعدهم جميعهم إلى الديار!».

قال كوهن: «إذن، ما الذي تحتاج إليه في المنطقة، يا سيدي الرئيس، كي تنام قرير العين طول الليل؟».

«لن أحتاج إلى شيء لعين». قال الرئيس. «وأنا أنام كالطفل».

أعلن بريبوس نهاية الاجتماع. وبدا ماتيس منقبضاً تماماً.

نهض ترامب وخرج.

بدا تيلرسون وكأنه قد فقد كل أنفاسه. لم يتمكّن من تحمّل هجوم ترامب على الجنرالات. كان الرئيس يتحدّث وكأن الجيش الأميركي قوة مرتزقة للإيجار. فإذا لم تدفع لنا دولة ما لنكون فيها، فلا نريد أن نكون فيها. كما لو أن أميركا ليست لها مصالح في صياغة نظام عالمي والحفاظ عليه، كما لو أن المال كان هو المبدأ التنظيمي للولايات المتحدة.

«أأنت بخير؟» سأله كوهن.

«إنه لأحمق لعين». قال تيلرسون بحيث سمعه الجميع.

غادر ترامب الاجتماع قُبيل الساعة ١٢:٤٥ ومعه بريبوس وبانون وكوشنير[١]. وقضى بعض اللحظات وهو يحيي الجنود المصطفين في الممشى.

---

(١) Jordan Fabian, "In-Town Pool Report #2—Troop Greeting & Another Comment on Afghan," 12:51 p.m., July 20, 2017, http://www.presidency.ucsb.edu/report.php?pid=2357

«كان الاجتماع عظيماً»، قال ترامب للمراسلين الصحافيين. «اجتماع جيّد جدّاً».

وتوجّه نحو الليموزين الرئاسية.

«اللعنة، أنا سعيد لأنك قرّرت أن تقول شيئاً»، قال ترامب لبانون. «احتجتُ إلى بعض الدعم».

قال بانون، «كنتَ تُبلي جيّداً».

كان وزير الخزانة منوشين قد تبعهما إلى الخارج. أراد أن يتأكد من وضوح وقوفه مع ترامب بخصوص الحلفاء الأوروبيين. قال: «لا أعلم إن كانوا حلفاء أم لا. أنا معك».

وفي السيارة، وصف ترامب مستشاريه بأنهم «لا يعرفون أي شيء في الأعمال. كل ما يريدون القيام به هو حماية الجميع، والدفع مقابل ذلك».

قال إن الكوريين الجنوبيين، حلفاءنا، لن يبرموا معنا صفقة جديدة حول التجارة. «ويريدون منا حمايتهم من ذلك الشخص المجنون في الشمال».

خلص كوهن إلى أن ترامب كان، في الواقع، يتراجع. فقد كان طيّعاً أكثر في الأشهر الأولى عندما كان مبتدئاً.

كان ذلك، في نظر بريبوس، الاجتماع الأسوأ بين الكثير من الاجتماعات الرهيبة. أمكنه، بعد ستة أشهر على الإدارة، أن يرى بوضوح أنهم يواجهون مشكلة أساسية في تحديد الأهداف. فإلى أين يتوجهون؟

كان الارتياب الذي يملأ الغرفة مزعجاً جداً. كان الجو بدائياً؛ كان الجميع، ظاهرياً، في الجانب نفسه، لكن بدا أنهم ارتدوا الدروع الحربية، وبخاصة الرئيس.

واستنتج بريبوس أن هذا هو الجنون بعينه.

سجّل مسؤول كبير في البيت الأبيض، تحدّث في حينه مع المشاركين في الاجتماع هذا الملخّص، الآتي:[1] «شرع الرئيس في توبيخ المجموعة بأسرها وإهانتها، لعدم معرفتها شيئاً عندما يتعلّق الأمر بالدفاع أو بالأمن القومي. وبدا واضحاً أن الكثيرين من كبار مستشاري الرئيس، وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى مجال الأمن القومي، قلقون للغاية من طبيعته المتقلّبة، وجهله النسبي، وعدم قدرته على التعلّم، إضافة إلى ما يعتبرونه وجهات نظره الخطرة».

(١) مراجعة المؤلف للملاحظات المتزامنة لأحد المشاركين في الاجتماع.

الفصل الثامن والعشرون[1]

بعد الاجتماع في «الدبابة»، غادر تيلرسون، وهو نسر في الكشافة، للمشاركة في مهرجان فتية الكشافة في غرب فرجينيا وحضور زفاف نجله في تكساس. كان يفكّر في الاستقالة. «اسمع»، قال بريبوس في اتصال هاتفي أجراه معه في وقت لاحق: «لا يمكنك الاستقالة في الحال. تلك سخافة. وافني إلى مكتبي».

جاء تيلرسون لرؤيته، قائلاً: «لا أحب الطريقة التي يتحدث فيها الرئيس إلى هؤلاء الجنرالات. إنهم لا يستحقون ذلك. لا يمكنني الجلوس والاستماع إلى هذا من الرئيس. إنه مجرّد أحمق».

فوجئ بريبوس بعدائه الصريح. أدرك أن شكواه الحقيقية كانت من الطريقة التي حدّثه بها الرئيس. كان تيلرسون، في الكثير من اجتماعات غرفة الأزمات، يكاد، بالحرف الواحد، يلهث بقوّة، باعثاً بإشارات واضحة إلى أنه أكثر من منزعج، وبالكاد يستطيع كتم تعليقه بكلمة «أحمق».

اقترح بريبوس على تيلرسون التخفيف من لهجته، قائلاً: «لا يمكنك أن تكون عديم الاحترام. لا يمكنك الحديث مع الرئيس بالطريقة التي تتكلم فيها. عليك أن تجد طريقة للتواصل، أن تقول الأمر نفسه، ولكن أن تجد طريقة غير عدائية لقول ذلك»».

أُعجب بريبوس بمقاربة ماتيس الداعية إلى تفادي المواجهة، إظهار الاحترام والمراعاة، المباشرة بذكاء بالأعمال، السفر بقدر الإمكان، الخروج من المدينة والبقاء خارجها.

عاد تيلرسون إلى موضوع الجنرالات: «لا يمكنني الجلوس هناك والاستماع إلى الرئيس يوبّخ هؤلاء الجنرالات. لا أستطيع تحمّل ذلك. ذلك ليس صواباً».

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

ولاحقاً أبلغ بريبوس ترامب أنه كان قد تحدّث مع تيلرسون في كونه عديم الاحترام للرئيس. لكنه لم يشر إلى التعليق بعبارة «أحمق».

استمع ترامب بهدوء، على غير عادة، ولم يخالف الرأي في شأن ما يجري. وفكّر بريبوس أن الرئيس لم يرد أن يقرّ بعدائية تيلرسون لأنه كان يمتلئ كبرياء. وليس عليه، بوصفه رئيس السلطة التنفيذية، أن يسمح بتمرّد واضح من وزير خارجيته.

كانت آلية مجلس الأمن القومي تعمل أحياناً. فكانت لجنة التنسيق السياسي، وهي مباشرة تحت مستوى لجنة المفوضين، تجتمع وتجمع المعلومات من الأركان المشتركة، ومن المدنيين في وزارة الدفاع، ومن وزارة الخارجية، ومن وكالات الاستخبارات، ومن وزارة الخزانة ومكتب الإدارة والموازنة. وقد توضع مسودة ورقة استراتيجية، مع ملاحقها، ويجري تجاوز نقاط الخلاف. فتُرفع الورقة من ثم إلى لجنة المفوضين ليتمكن المفوضون من مختلف الإدارات من إجراء التغييرات فيها. وعندما يتفق الجميع على إطار عمل، وتجري الموافقة على خارطة طريق، تُدعى لجنة كبار الموظفين إلى الاجتماع برئاسة ماكماستر وحضور وزراء الحكومة.

كان تيلرسون الأرفع مستوى، وبالتالي أول المتحدثين في اجتماع كبار المسؤولين. يدخل ويقول: لم أرَ الورقة الاستراتيجية لمجلس الأمن القومي. إنها مسألة صعبة. يجب أن نضعها في إطارها الصحيح. وهاكم نظرتي إلى الأمر.

يوزّع رزمة من شرائح الخلاصات. وبدلاً من إرسالها قبل الاجتماع ليتمكن الجميع من قراءتها مسبقاً، يمر على كل واحدة من الشرائح في الاجتماع، مستغرقاً أحياناً خمس دقائق على واحدة منها فقط. ويكون أعضاء مجلس الأمن القومي جمهوراً مأخوذاً. وغالباً ما تُحدَّد اجتماعات كبار المسؤولين بساعة و١٥ دقيقة، ويكون تيلرسون بالتالي الصوت الوحيد، والصوت الأساس بالتأكيد.

أراد تيلرسون من الجميع الموافقة على تحديده للمشكلات العودة. من ثَمّ، وإعادة صياغة الاستراتيجية.

بشكل أو بآخر، استهدفت مداخلات تيلرسون، التي تمثل رغبته في إعادة الشروع في العملية المشتركة بين الوكالات بالاستناد إلى تقويمه للمسار الذي يجب أن تتجه فيه السياسة، الاستراتيجية حول إيران، والعراق، ولبنان وحزب الله، وسورية، والصين، وكوريا الشمالية، وهزيمة داعش.

وكانت إعادة التأطير تثير إعجاب البعض في اجتماعات كبار الموظفين، بمن فيهم كل الجالسين إلى الطاولة وفي المقاعد الخلفية. ورأى آخرون أن عروضه تقليدية. وكان تيلرسون يعرض حججه

من أجل المزيد من التكامل الاقتصادي، وتنسيق المساعدة التنموية، والحاجة إلى معالجة محرّكي العنف، واستخدام الدبلوماسية بشكل فاعل.

وما كان ينقص في الغالب أو يؤجّل، هو الخطة التنفيذية التي توزّع المسؤولية والحساب. كانت أهداف المرحلة النهائية ضبابية أو غير مذكورة. والنتيجة في الغالب أسابيع أو أشهر من التأخير.

في ذلك الوقت، أي في تموز/يوليو، كان ترامب على متن طائرة صغيرة، لا تزال تُسمى «الطائرة الرئاسية»، راجعاً من بدمينستر. عاد إلى باحة الموظفين الصغيرة التي كانت إيفانكا وجاريد وماكماستر وبورتر جالسين فيها.

قال الرئيس بنبرة توبيخية إن العراق وأفغانستان وسورية، مناطق الحرب الرئيسة الثلاث، مأزق وقد ضاق ذرعاً بكونها مشكلاته. قال: «يا للموارد الضخمة التي نواصل إنفاقها في تلك البلدان! بات علينا فقط أن نعلن النصر، وننهي الحروب، ونعيد الجنود إلى الديار».

بدا ماكماستر مكتئباً. أراد ترامب، بعد ستة أشهر من كونه القائد الأعلى، أن يطيح كل شيء وينسحب.

بعد مغادرة الرئيس، بدا القلق على جاريد وإيفانكا، فقد أعلنا أنهما يريدان مساعدة ماكماستر. قالا، لماذا، عندما نعود جميعنا، لا نجلس مع بورتر ونضع استراتيجيتنا. نتصور طريقة ما لسحب جنودنا، ولكن مع الإبقاء أيضاً على بعضهم؟ لعلنا نجد طريقة للتحدث مع الرئيس.

في ٢٥ تموز/يوليو، عاود الرئيس توبيخ ماكماستر. قال ترامب إنه غير مهتم بالحلفاء. وهو لا يريد أي جنود في كوريا الجنوبية حتى عندما جرى تذكيره بالفارق بين ثلاث ثوان لرصد صاروخ عابر للقارات من هناك في مقابل ١٥ دقيقة لرصده من ألاسكا.

عند الرواق ذي الأعمدة، خارج المكتب البيضاوي، تحدث ماكماستر مع كوهن وبورتر.

قال ماكماستر إن ترامب أطلق الساعة ٦:٠٢ صباحاً التغريدة الآتية: «جهود أوكرانية لتخريب حملة ترامب 'تعمل بالسر على تعزيز كلينتون'. فأين التحقيق أيها المدعي العام؟»[1].

قال ماكماستر من الواضح أنها كانت دعاية روسية. وكان هو ومجلس الأمن القومي وخبراء الاستخبارات قد استنتجوا ذلك. لكن الرئيس كان قد التقطها وأطلقها.

وقال ماكماستر إنه لا يعرف إلى متى يمكنه أن يبقى.

---

(١) راجع تغريدات ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/889788202172780544

في وقت لاحق من ذلك اليوم، كان ماكماستر، في المكتب البيضاوي، يحمل أمراً حساساً يحتاج إلى توقيع الرئيس ويتعلّق بليبيا.

«لن أوقع عليه»، قال ترامب. على الولايات المتحدة أن تحصل على النفط. والجنرالات لا يركزون كفاية في الحصول على المال أو جنيه. لا يدركون ما الذي يجب أن تكون عليه أهدافنا. وقد حملوا الولايات المتحدة على الانخراط بكل الطرق الخاطئة.

كل يوم، وقبل توجّه الرئيس إلى مقر إقامته، كان بورتر يسلمه كتيّب إحاطة مع أوراق معلومات أساسية، ومذكرات سياسية وبرنامج اليوم التالي.

وكان الرئيس ينزل في اليوم التالي إلى المكتب البيضاوي عند العاشرة أو الحادية عشرة أو حتى الحادية عشرة والنصف.

ويسأل: «ماذا في برنامجي لليوم؟» يحتمل أن يكون قد ألقى نظرة خاطفة على الكتيّب، أو لم يلق أيّة نظرة على الإطلاق. وقد حمل على الاعتقاد بأن الارتجال ربما كان نقطة قوته. كان يستطيع قراءة الوضع، أو الغرفة، أو اللحظة كما فعل خلال حملته الانتخابية الرئاسية.

وخلص بورتر إلى أن ترامب يحب القيام بالأمور الوليدة اللحظة، على سجيته. يتصرّف كما لو أن القيام بكثير من التحضير المسبق سينتقص من مهاراته في الارتجال. لم يشأ أن يخرجه التفكير المسبق عن مساره، كما لو أن التخطيط سينتزع منه قوته، حاسّته السادسة.

وما يعرضه الرئيس في الصباح كان في الغالب ما قد شاهده على التلفزيون، وبخاصة «فوكس نيوز»، أو شيئاً من الصحف التي يقرأها بإمعان بأكثر ما يعرفه الجمهور عنه عموماً.

وسيسعى ترامب خلال النهار إلى طلب رأي من يجده في الجوار، من مسؤولي الحكومة إلى الحراس الأمنيين. كان ذلك نمطه في تعدّد مصادر المعلومات والآراء.

سأل مرّة جوني ماكنتي، مرافقه الشخصي البالغ ٢٧ عاماً، إن كان عليه أن يرسل المزيد من الجنود إلى أفغانستان.

وقال ماكنتي: «ليس ذلك بمنطقي، في نظري».

وعندما كان ترامب يسأل آخرين في الجناح الغربي، كانوا في الغالب يتفادون الإجابة: «أعتقد، حقّاً أن عليك أن تتحدث مع «هـ.ر» في ذلك الشأن، لأنه هو الخبير».

«لا، لا، لا». قال ترامب في إحدى المرات، «أريد أن أعرف رأيك».

«أعرف ما أقرأه في الصحف».

كان ذلك غير كافٍ للرئيس. «لا، أريد أن أعرف رأيك».

جميع الرؤساء توجّههم الاعتبارات الجماهيرية. لكن جمهور ترامب المركزي ظل في الغالب هو نفسه. واصل مراجعة نفسه. والمراجعات بمعظمها إيجابية بشكل حماسي. كان الكثير من دماغه في صندوق الصحف.

كانت العمليات في المكتب البيضاوي والبيت الأبيض تتعلق في الغالب بحل الاتفاق أكثر مما تتعلّق بفن إبرام الاتفاق. وكانت عملية الحل هذه تظهر في الغالب نصب عينيك، تجمع لترامب في عرض مستمر. ما من مجال لعدم النظر.

شرح ترامب للذين يقضون معظم الوقت في المكتب البيضاوي أن الأمر في الشؤون الخارجية مرتبط بالعلاقات الشخصية. وقال عن الرئيس الصيني: «أتمتع بعلاقة شخصية جيدة بالفعل مع شي. لدينا كيمياء جيّدة بالفعل. شي يحبني. عندما زرت بكين، فرش لي السجادة الحمراء». وكان، في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧، قد قال في العلن، «أعتبره صديقي. ويعتبرني صديقه».[١]

حاول ماكماستر أن يشرح أن شي كان يستغل الرئيس. فالصين تمارس اقتصاداً عدوانياً، وتخطط لتصير الرقم واحداً في العالم.

قال ترامب إنه يدرك ذلك كله. لكن علاقته مع شي تبطل كل تلك المشكلات.

كان مجلس الأمن الدولي، في الأشهر الأربعة الأخيرة من العام ٢٠١٧، قد صوّت ثلاث مرات لفرض عقوبات اقتصادية أكثر تشدداً على كوريا الشمالية. وكانت نتيجة التصويت في ٢٢ كانون الأول/ديسمبر، ١٥ في مقابل لا شيء، بما في ذلك الصين[٢]. وقضت العقوبات بخفض كمية البترول التي يمكن لكوريا الشمالية أن تستوردها بنسبة ٨٩٪. وكان ترامب سعيداً جدّاً.

وقال: «ذلك لأنني أقمت مثل تلك العلاقة الرائعة مع الرئيس شي. ولأنه يحترمني، وأنا أحترمه. أليس من الجيّد أنني على علاقة ودية معه فيما تقولون أيها الناس أنه علينا أن نكون على خصومة معهم. فما كانوا أبداً ليفعلوا ذلك لو أنني لم أكن على هذه العلاقة الرائعة مع الرئيس شي». كانت تلك هي الكيمياء، الثقة. «بحيث أحملهم على القيام بأمر ما كانوا لولا ذلك ليفعلوه».

---

(١) Donald J. Trump, "The President's News Conference with Prime Minister Shinzo Abe of Japan in Tokyo, Japan," November 6, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=128510

(٢) Rick Gladstone and David E. Sanger, "Security Council Tightens Economic Vise on North Korea, Blocking Fuel, Ships and Workers," The New York Times, December 22, 2017.

كان من غير المجدي الجدال في مسائل كان ترامب قد كوّن عقوداً من الآراء في شأنها. وقال واحد من الأكثر خبرة في الجناح الغربي عامي ٢٠١٧ و٢٠١٨. «إن هناك أموراً كان قد استنتجها بالفعل. ولا يهم ما تقول. ولا يهم الحجج التي تقدّمها. فهو لا يصغي».

قال ترامب مرّة إنه قد قرر فرض الرسوم.

«عظيم»، قال كوهن. «ستنخفض سوق الأسهم ألف نقطة إلى ألفي نقطة في الغد، لكنك ستكون سعيداً. أليس كذلك، يا سيدي؟».

«لا، لا، انتهى الاجتماع! دعونا نبقَ من دون أن نفعل شيئاً».

«خوفك الأكبر أن تكون مثل هربرت هوفر»، قال كوهن.

كان من جديد يوماً شاقاً آخر في شأن التجارة. الحجج ذاتها، النقاط ذاتها، والقناعة نفسها، لدى الطرفين. وهم في الأسبوع المقبل أو الشهر المقبل سيجرون النقاش نفسه.

قال ترامب تكراراً إنه سينسحب من الاتفاقات التجارية ويفرض الرسوم. وقال مرّات عدة، «لنقم بذلك!»، وطلب أن يجري تحضير أمر يوقّع عليه.

«علينا أن نلهيه عن 'كوروس' (اتفاق التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية)»، قال بورتر لكوهن. «علينا أن نلهيه عن 'نافتا' (اتفاق التجارة الحرة لأميركا الشمالية)». ووافق كوهن.

كان بورتر قد وضع مرتين على الأقل مسوّدة الأمر بحسب توجيهات الرئيس. ومرّتين على الأقل أخذه كوهن أو بورتر عن مكتبه. واكتفيا، في مرات أخرى، بالمماطلة.

بدا أن ترامب لا يتذكّر قراره، لأنه لم يسأل عنه. لم يكن ينظّم، في رأسه أو في أي مكان آخر، لائحة بالأعمال التي يتوجب عليه إنجازها.

في ١٢ تموز/يوليو ٢٠١٧، كان ١٥ رئيساً سابقاً لمجلس الاستشاريين الاقتصاديين، وهو المجلس الرسمي ذو القدرة العالية المؤلف من أكاديميين اقتصاديين، قد بعثوا برسالة إلى ترامب يحثونه فيها على عدم «الشروع في عملية فرض الرسوم على الفولاذ»، لأن ذلك سيضر بالعلاقات مع حلفاء أساسيين، «ويضر في الواقع باقتصاد الولايات المتحدة».

وكان من الموقّعين على الرسالة فريق من نخبة الجمهوريين والديمقراطيين، هو: رئيسا الاحتياطي الفيدرالي السابقان ألن غرينسبان وبن برنانكي، وكبيرة المستشارين الاقتصاديين في إدارة كلينتون لورا تايسون، والحائز جائزة نوبل جوزف ستيغليتز.

وفي أعلى الصفحة، في ملاحظة مكتوبة إلى ترامب، خط ويلبر روس اعتراضه: «عزيزي السيد الرئيس، إن من الأهمية بمكان أن تكون مشورة الأشخاص المدرجة أسماؤهم في هذه اللائحة هي التي أنتجت عجزنا [التجاري]. لا يمكننا تحمّل سياساتهم. مع أفضل التحيات، ويلبر».

خلّفت الأيام العشرة الأخيرة من تموز/يوليو ٢٠١٧ ندوباً. كان ترامب قد وظّف يوم الخميس، ٢٧ تموز/يوليو، أنتوني سكاراموتشي، وهو مصرفي استثماري متهوّر، وقديم آخر من قدامى «غولدان ساخس»، مديراً للاتصالات بالرغم من معارضة بريبوس الشديدة.

وكان سكاراموتشي قد أنهى جولة رابعة من المقابلات الصحافية، وقال في العلن قريباً سيطلب إلى بريبوس الاستقالة. وقال إن «راينس مصاب بلعنة جنون الارتياب وبانفصام الشخصية، وإنه مذعور»(١).

في وقت مبكر من صباح الجمعة الواقع فيه ٢٨ تموز/يوليو، سقط تعهّد ترامب إلغاء «أوباماكير» واستبداله في الكونغرس. وألقى ترامب بالملامة على بريبوس. فقد كان يُفترض به أن يعرف تلة الكابيتول وأن تكون له علاقات وثيقة بالزعماء الجمهوريين. ولم تنفع كل محاولات بريبوس في الشرح، لأن ترامب لم يصدّقه. «أنت لم تنجز الأمر».

طار ترامب في ذلك اليوم إلى لونغ آيلند لإلقاء خطاب. رافقه بريبوس. تحادثا في مقصورة خاصة في مقدمة الطائرة الرئاسية.

كان بريبوس قد قدم استقالته في الليلة السابقة. فقد ضاق ذرعاً، وعرف أنه بات عديم الجدوى لترامب.

تساءل ترامب عمن سيكون بديلاً صالحاً منه، وقال إنه كان قد تحدث إلى جون كيلي، وزير الأمن الداخلي والجنرال ذي الأربع نجوم المتقاعد من المارينز. وسأله ترامب: ما رأيك بكيلي؟

قال بريبوس، سيكون الجنرال كيلي عظيماً.

ووافق ترامب وقال: أعتقد أن كيلي سيكون مناسباً، لكنني لم أعرض الوظيفة على كيلي بعد.

كان القلق قد ساور بريبوس في شأن تظهير رحيله. قال إنه يستطيع فعل ذلك خلال عطلة الأسبوع، أو يمكننا أن نصدر بياناً صحافياً، أو نقوم به الاثنين، أي ما تريد فعله. «وأنا على استعداد للقيام بذلك الآن إذا أردت».

---

(١) Ryan Lizza, "Anthony Scaramucci Called Me to Unload About White House Leakers, Reince Priebus and Steve Bannon," The New Yorker, July 27, 2017.

«قد نقوم به في عطلة الأسبوع هذه»، قال ترامب. ما الذي ستفعله؟

أمل بريبوس في العودة إلى مكتب المحاماة القديم الخاص به.

احتضنه ترامب في عناق كبير. «سنجد مخرجاً»، قال. «أنت الرجل».

هبطت الطائرة الرئاسية. ونزل بريبوس السلّم. كان المطر قد خلّف بقعاً على سيارته السوداء ذات الدفع الرباعي حيث كان ستيفن ميلر ودان سكافينو في انتظاره. شعر بالكثير من الارتياح.

وصله إشعار بتغريدة رئاسية. نظر إلى آخر ما ورد على: @realdonaldtrump[1] «يسرني أن أبلغكم أنني عيّنت للتو الجنرال/الوزير جون ف. كيلي رئيساً لموظفي البيت الأبيض. إنه أميركي عظيم...».

«أمر لا يُصدّق!» فكّر بريبوس. «هل هذا جاد؟».

لقد تحدّث منذ قليل مع ترامب أن يؤخّر الإعلان قليلاً.

لم يكن أحد يتوقع تغريدة ترامب. وعندما شاهدها ميلر وسكافينو قفزا من سيارة بريبوس ذات الدفع الرباعي للولوج إلى سيارة أخرى، مخلفين كبير الموظفين السابق لوحده.

تساءل بريبوس، وهو يقفل باب السيارة أنه ربما وضع مسودة التغريدة وأرسلها عن طريق الخطأ. لا. ذلك لم يكن قد حدث. لم تكن المحادثة في المقصورة إلا مجرّد كذبة أخرى.

جاء الجنرال كيلي في تلك الليلة للقاء بريبوس. كانا في الخندق معاً. لكن سبق لكيلي أن انتقد، في السرّ بينه وبين ترامب، الاضطراب والفوضى في البيت الأبيض. وكان كيلي قد أبلغ الرئيس أن في استطاعته ضبط المكان.

«راينس»، قال كيلي، «ما كنت أبداً لأفعل ذلك بك. لم تُعرض عليّ الوظيفة إلا بعد ظهور التغريدة. وإلا لكنت أبلغتك».

أدرك بريبوس أنه لم يكن لذلك معنى ما لم تُفهم الطريقة التي يتخذ فيها ترامب القرارات. «لا يمتلك الرئيس أي قدرة نفسية على إدراك التعاطف أو الشفقة بأي شكل من الأشكال».

أُخذ كيلي على حين غرّة. فغاب عن السمع لعدة ساعات. توجّب عليه الاتصال بزوجته ليشرح لها أن ليس لديه خيار سوى القبول بعد أن عُرضت عليه واحدة من أهم الوظائف في العالم عبر تغريدة.

قال كيلي في بيان ذلك اليوم: «كنت محظوظاً بخدمة بلادي على مدى أكثر من ٤٥ عاماً:

---

(١) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/891038014314598400

أولاً كجندي في المارينز، ثم كوزير للأمن الداخلي. أتشرّف بأن يُطلب مني العمل كرئيس لموظفي رئيس الولايات المتحدة»[1].

لم يتخطَّ بريبوس، من بعض النواحي، الطريقة التي جرى بها التعامل مع رحيله. وخلص إلى الآتي: إذا لم تكن تمتلك التعاطف أو الشفقة على أي شيء أو على أي شخص، فلا تبدو عندها تلك الواقعة على ذلك القدر من الشذوذ. وهو ما مكّن ترامب من الاتصال به بعد يومين: راينس، يا رَجلي، ما الأمر؟ كيف حالك؟ لم يعتقد ترامب أن لديهما مشكلة. وبالتالي لم ينظر إلى الأمر على أنه غريب.

والقاعدة العامة، فيما يتعلّق بترامب، أنك كلّما كنت أقرب زدت ابتعاداً. تبدأ بمئة نقطة. ولا يمكنك الحصول على أكثر. كان كيلي قد بدأ وفي سلّته مئة نقطة، أخذت تتناقص. ويعني كونك قريباً من ترامب، وبخاصة في دور رئيس الموظفين، أن نقاطك ستتناقص. يعني أنك تكون قد دفعت من جيبك.

الجزء الأهم في عالم ترامب كانت الحلقة المحيطة بنقطة الهدف: الأشخاص الذين اعتقد ترامب أنه كان عليه أن يوظفهم، أو الذين كانوا قد عملوا لديه وتخلّص منهم وهو يفكّر الآن أنه، ربما لم يكن يُفترض به ذلك. إنهم الأشخاص الذين كانوا إما هناك وإما توجّب أن يكونوا هناك، أو شركاء أو معارف لا يدينون له بشيء وكانوا من حوله لكنهم لم يأتوا طلباً لأي شيء. كانت تلك الحلقة الخارجية هي التي تمسك بمعظم السلطة، وليس الأشخاص الذين في الداخل. لم يكن من بينهم كيلي أو بريبوس أو بانون.

بعد أشهر من رحيله عن البيت الأبيض، أجرى بريبوس تقويماً نهائياً: اعتقد أنه كان محاطاً في الجناح الغربي بقتلة طبيعيين رفيعي المستوى لا يُطلب منهم تحقيق عمل مثمر منتظم: خطة، خطاب، خطوط عريضة لاستراتيجية معيّنة، جدول زمني يومي أو أسبوعي. كانوا متطفلين متجولين، فريقاً من مولّدي الفوضى.

كانت هناك إيفانكا، الصيّادة الساحرة تتغمس داخلة وخارجة في الاجتماعات أو في آخر الأعمال الرئاسية. وكانت لجاريد الحقوق ذاتها. فقد شغلا منصباً من دون خبرة.

تمكّنت كيليان كونواي، أو سمحت لنفسها بأن تكون لها كلمتها في التلفزيون أو المقابلات كلّما شاءت ذلك تقريباً، وغالباً ما يكون ذلك من دون تنسيق مع مكتبي الاتصالات والصحافة اللذين افتُرض أن بريبوس يشرف عليهما.

---

(١) Cristiano Lima, "Kelly 'Honored' to Serve as White House Chief of Staff," Politico, July 28, 2017

ثم هناك بانون، الذي كان قد انتزع مكتباً رئيساً في الجناح الغربي على مقربة من المكتب البيضاوي، رصف على جدرانه ألواحاً بيضاء تتضمن لوائح بوعود ترامب الانتخابية. كان استراتيجياً في عملية ليست لديها استراتيجية. كان يتقدّم لينفث ناره في النقاشات عندما تبدو الروزنامة القومية-الشعبوية في خطر، أو ظاهرها عشوائيًا، ويكون هو في حاجة إلى ما يقوم به.

كان ترامب قد أخفق في اختبار الرئيس لينكولن. واستنتج بريبوس أنه لم يضع حول الطاولة فريقاً من الخصوم السياسيين أو المتنافسين. «كان يُجلس مفترسين طبيعيين إلى الطاولة»، قال بريبوس لاحقاً. «ليسوا مجرّد خصوم، بل مفترسون».

كان هؤلاء أشخاصاً لا خبرة لهم في الحكم. وهي سمة عامة مميزة في شكل مدهش. كانوا قد قضوا حياتهم يخوضون في الآراء السياسية والنقاشات المتعلقة بالسياسة، أو كانوا صغاراً جدّاً.

اتّبع هؤلاء الأربعة: إيفانكا، جاريد، كونواي، بانون، طريقة العمل نفسها، بشكل من الأشكال. «يسيرون إلى الجناح الغربي. أنت لا تلقي بسلاحك»، قال بريبوس. «ولا أنا أيضاً». ولا تهدف نقاشاتهم إلى الإقناع بل، على غرار رئيسهم، إلى الفوز: إلى الذبح، والسحق، والتحقير.

قال بريبوس: «إذا كان لديك مفترسون طبيعيون يجلسون إلى الطاولة، فالأشياء لا تتحرّك». وهكذا فإن البيت الأبيض لم يكن رائداً في مسائل أساسية، مثل العناية الصحية والإصلاح الضريبي. ولم تكن السياسة الخارجية متماسكة، بل كانت متناقضة في بعض الأحيان.

«لماذا؟» سأل بريبوس. «لأنك عندما تضع أفعى وفأراً وصقراً وأرنباً وكلب بحر وفقمة في حديقة حيوان من دون سور، فإن الأمور تتخذ مساراً قبيحاً ودامياً. وذلك هو الذي يحدث».

الفصل التاسع والعشرون[1]

في إحدى نهايات أسبوع أواسط آب/أغسطس، وفي الشهر السابع على رئاسة ترامب، دخل مئات من العنصريين البيض في نزاع عنيف مع متظاهرين في شارلوتسفيل بفرجينيا، مبرزين بشكل صارخ الانقسام العرقي في أميركا.

سار ٢٥٠ من العنصريين البيض عابرين حرم جامعة فرجينيا في مسيرة ليلية مؤرقة. بالمشاعل في المساء الحار من الحادي عشر من آب/أغسطس، مرددين صدى ألمانيا ثلاثينات القرن العشرين، وهاتفين: «لن يجري استبدال اليهود بنا»، ومردّدين الشعار النازي «الدم والتربة».

في اليوم التالي، وفي أعقاب شجارات بين القوميين البيض الذين كانوا يحتجون على إزالة تمثال الجنرال الاتحادي روبرت إي. لي، وبين متظاهرين مناهضين لهم، قاد واحد من المحتجين القوميين البيض سيارته في حشد من المتظاهرين قاتلاً امرأة وجارحاً ١٩ آخرين. وباتت صور رجال بيض مزمجرين، ويحملون مشاعل الخيزران ويرتدون قمصان البولو والكاكي، وفيديو السيارة التي تفرّق المشاة بوحشية، مشهداً تلفزيونياً وإخبارياً رئيسياً.

كان ترامب، يوم السبت الثاني عشر من آب/أغسطس، يشاهد فوكس نيوز من ملعب الغولف الذي يملكه في بدمينستر. وفي الواحدة بعد الظهر، وعلى فوكس، وصفت متحدثة باسم شرطة ولاية فرجينيا العراك:[2] «في الحشود، كانت الزجاجات تُلقى من كل صوب، فضلاً عن عبوات الصودا المعبأة بالأسمنت. وكانت تُرمى كرات الطلاء. كانوا يتعاركون. يكسّرون ويهاجمون بعضهم بعضاً. ويلقون بالمواد الكيماوية على الحشد، إضافة إلى قنابل الدخان».

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) يمكن مشاهدة ملاحظات المتحدثة على يوتيوب: https://youtu.be/UshUxz7Lt0w

غرّد ترامب في الساعة ١:١٩ دعوة إلى الهدوء[١]: «علينا جميعنا أن نكون متحدين وندين كل ما يرمز إليه ذلك الحقد. لا مكان لهذا النوع من العنف في أميركا. دعونا نلتقِ معاً كشخص واحد!».

في توقيع روتيني لمشروع قانون يتعلّق بقدامى المحاربين في وقت لاحق من بعد الظهر، كان في يد ترامب نص كلّه إدانة انتهى بعبارة «عنف»[٢]. قال ترامب: «إننا ندين بأقوى العبارات الممكنة هذا العرض الفاضح للبغضاء والتعصب الأعمى والعنف». لكنه خرج عن النص وأضاف، «من أطراف كثيرة. من أطراف كثيرة. ذلك يحدث منذ وقت طويل في بلادنا. ليس دونالد ترامب. وليس باراك أوباما. ذلك يحدث منذ وقت طويل، طويل». ثم عاد إلى النص: «ولا مكان له في أميركا».

عزف ترامب على وتر حساس بعبارة «أطراف كثيرة» ما أوحى بأنه يعادل بين النازيين الجدد وأولئك الذين يعارضون العنصرية البيضاء. امتد الانتقاد اللاذع للرئيس على كامل الطيف السياسي، بمن في ذلك الكثير من الزعماء الجمهوريين.

غرّد السيناتور ماركو روبيو قائلاً: «إن من المهم جدّاً للأمة أن تسمع @potus (أي الرئيس) يصف الأحداث في #Charlottesville شارلوتسفيل على حقيقتها، أي إنها هجوم إرهابي شنه #whitesupremacists (العنصريون البيض)»[٣].

وغرّد كوري غاردنر، السيناتور الجمهوري من كولورادو، قائلاً: «السيّد الرئيس: علينا أن نسمّي الشر باسمه. هؤلاء كانوا عنصريين بيضاً، وهذا كان إرهاباً محليّاً»[٤].

«لم يضحِّ شقيقي بحياته محارباً هتلر من أجل أفكار نازية تنتشر من دون رادع في الديار»، غرّد السيناتور أورين هاتش، وهو في العادة حليف موثوق لترامب[٥].

ووصف السيناتور جون ماكين، في بيان له، ما حدث في شارلوتسفيل بأنه «مواجهة بين أفضل

---

(١) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/896420822780444672

(٢) Donald J. Trump, "Remarks on Signing the VA Choice and Quality Employment Act of 2017 in Bedminster, New Jersey," August 12, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=128032; and author review of contemporaneous notes by a participant.

(٣) Kristine Phillips, "Trump Didn't Call Out White Supremacists. He Was Rebuked by Members of His Own Party," The Washington Post, August 13, 2017.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

ملائكتنا وأسوأ شياطيننا. فالعنصريون البيض والنازيون الجدد هم، بحكم التعريف، معارضون للوطنية الأميركية والمثل العليا التي تحدّد هويتنا»[١].

وغرّد رئيس مجلس النواب بول رايان قائلاً: «إن العنصرية البيضاء آفة. ويجب مواجهة هذا الحقد وما ينتج عنه من إرهاب، وهزيمته»[٢]. وغرّد ميت رومني، قائلاً: «إن التمييز العرقي، ثم الحقد، ثم الخطاب الكريه، ثم التجمهر المنفّر، ثم القتل: ليس هذا تفوّقاً عرقياً. بل بربرية»[٣].

ظهر السيناتور الجمهوري على «فوكس نيوز صنداي»، وقال إن الرئيس يحتاج إلى أن «يصوّب الأمور هنا. يبدو أن هذه الجماعات تعتقد أنها عثرت على صديق بوجود ترامب في البيت الأبيض»، و«سأحث الرئيس على وقف اعتقاد هذه الجماعات بأنه صديقها»[٤].

وأضاف نائب الرئيس بنس: «لا نتسامح مع حقد العنصريين البيض والنازيين الجدد والكو كلوكس كلان ولا مع إرهابهم. لا مكان لهذه الجماعات الهامشية الخطرة في الحياة العامة الأميركية وفي النقاش الأميركي، ونحن ندينها بأشد العبارات»[٥].

وركزت التغطية الإخبارية في إحجام ترامب عن إدانة العنصريين البيض. ولاحظ البعض أنه أهدر فرصة تبديد الشكوك بأنه يخفي تعاطفاً مع العنصريين البيض.

كان كيلي قد أعد لمؤتمر عبر الهاتف الآمن عند الثامنة من قبل ظهر الاثنين ١٤ آب/أغسطس. كان في بدمينستر، لكن معظم كبار الموظفين كانوا في البيت الأبيض بواشنطن. حدث خطب ما في صوت جهاز الهاتف الآمن، وتأجّلت بداية المؤتمر.

«اللعنة!»، قال كيلي بعد ٣٠ ثانية. «لن نفعل ذلك». واندفع خارجاً، متسبباً في الكثير من ثرثرة الموظفين حول مزاجه الحاد وسرعة انفجاره.

وفي اليوم التالي حدث خلل آخر.

«تباً لهذا»، قال كيلي. «اللعنة عليه. أخرجوا الناس عن الخط. سنكتفي بالاجتماع مع الأشخاص الحاضرين هنا».

---

(١) Kristine Phillips, "Trump Didn't Call Out White Supremacists. He Was Rebuked by Members of His Own Party," The Washington Post, August 13, 2017.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) Fox News Sunday transcript, Fox News, August 13, 2017

(٥) Philip Rucker, "Pence: 'We Have No Tolerance for... White Supremacists, Neo-Nazis or the KKK," The Washington Post, August 13, 2017.

كان روب بورتر في بدمينستر مع ترامب، وانضم إلى الجهد المنسّق لتنظيف الفوضى من خلال خطاب جديد عن شارلوتسفيل. وكان كاتب الخطابات في البيت الأبيض قد وضع مسوّدته. ونقل بورتر إلى ترامب مسوّدة الخطاب الذي سيلقيه في اليوم التالي، الاثنين ١٤ آب/أغسطس، في البيت الأبيض. كان الهدف من الخطاب إظهار الرئيس بوصفه قوة بنّاءة ومهدئة.

سلّم بورتر المسوّدة إلى ترامب في رحلة العودة إلى واشنطن على متن الطائرة الرئاسية. وعمل الاثنان عليها. لم يحب الرئيس النبرة. لم يشأ أن يبدو كمن يستسلم للاعتبارات السياسية.

كان بورتر وسارة هوكابي سندرز، وهي الآن السكرتيرة الصحافية، قد اتفقا على الحاجة إلى إظهار جبهة موحّدة لحمل ترامب على إلقاء خطاب آخر.

قالت سندرز للرئيس: «أعتقد أن من المهم فعلاً أن تتمكن من التحدث مباشرة إلى الشعب الأميركي، وليس من خلال الفلتر الإعلامي، بحيث لا يُساء فهمك في هذا. وبحيث لا يتمكن الأشخاص في السي إن إن والإم إس إن بي سي، أو أي شخص آخر، من الإيحاء بأنك تقول وتعني شيئاً مختلفاً عمّا تقوله وتعنيه. ولذا عليك أن تكون واضحاً في هذا الشأن. وأفضل طريقة للقيام بذلك، في غياب أي فلتر إعلامي، هي في أن ... تكون دقيقاً جداً في هذا الشأن، وصريحاً جداً. وعندها ستتمكن من القيام بذلك من دون أن يعمد الإعلام إلى تحويره».

دافع ترامب عمّا كان قد قاله. «ليس الأمر وكأن طرفاً واحداً يمتلك أي نوع [من الاحتكار] للحقد أو التعصّب الأعمى. وليس ما حدث وكأن جماعة واحدة مخطئة أو أي شيء من هذا القبيل. ولن يحصل المرء من الإعلام أبداً على معاملة منصفة. فأي شيء يقوله أو يفعله سيتعرّض للانتقاد».

«عليك أن تعالج الأمر». جادله بورتر. «لا تريد أن يُنظر إليك بالطريقة التي يُنظر إليك فيها الآن. عليك أن تعيد لمّ شمل البلاد». ذلك كان الالتزام المعنوي.

«لا نجد أي جانب مشرق لعدم الإدانة المباشرة للنازيين الجدد وأولئك الذي يحرّكهم العداء العنصري. هناك شرخ عظيم في البلاد». عزف بورتر بقوة على «أنا» الرئيس ورغبته في أن يكون هو المحور. وقال إن بالإمكان أن يكون الرئيس أول المعالجين، وأوّل المعزّين.

وقال بورتر: «تعتمد البلاد عليك بلاغياً لبلسمة الجراح وتحديد الاتجاه قدماً». فيمكن للرئيس أن يلهم الناس وأن ينهض بهم. كما يمكنه أن يجعل الأمر متعلّقاً به، وأن يكون المخلّص.

لم يقاوم ترامب هذا الرأي. لكنه لم يقل نعم.

بالعودة إلى البيت الأبيض، كان الجناح الغربي يخضع لأعمال التجديد. فمضى ترامب وبورتر إلى

مقر الإقامة. أظهر بورتر مسوّدة الخطاب على شاشة حاسوبه المحمول. إذ لم تكن هناك أي طابعة في المتناول. فعمل الرئيس وبورتر على الحاسوب المحمول. وجلس ترامب، الذي لا يطبع باللمس أو على لوحة المفاتيح، وراء مكتبه. وبورتر إلى جانبه يمرّر المسوّدة وهما يقطعان وينسخان.

قال ترامب عند عرْض كلمة ما في المسوّدة: «لا أدري في هذا الشأن».

كانت المسوّدة هجوماً على العرقية، وتشير إلى ضرورة المحبة والتعافي.

«لا أدري إذا كان هذا يبدو صائباً»، قال الرئيس. بدا ضعيفاً. لم يشأ الاعتذار. «لا يبدو لي ذلك صائباً».

أُتيح لبورتر أن يرى أمامه شخصيتَي دونالد ترامب. النزوتين. من الواضح أنه كان متمزقاً. فهو لن ينحني للاعتبارات السياسية. بيد أنه يريد إعادة لمّ شمل الناس. وسرعان ما رأى ذلك ولم يعترض على أسلوب اللغة.

«حسناً، نعم»، قال فيما كان بورتر يمرّر المسودة. مدخلاً تغييرات وافق عليها ترامب. «حسناً»، قال في النهاية. «سنقوم بهذا».

شهد بورتر هذا التنازع بين موقفين. من الواضح أن ترامب، وهو ليس من النوع الذي يخفي انفعالاته أو استنتاجاته، لم يكن مبتهجاً. بيد أنه لم يكن مستاء. لم يكن غاضباً. وقام بورتر بتلقيم النسخة النهائية، الموافَق عليها والمؤلفة من ١٢ مقطعاً، في جهاز التلقين عن بعد TelePromTer. وكان ترامب سيلقي الخطاب من غرفة الاستقبال الدبلوماسية.

بُعَيْد الساعة ١٢:٣٠ بعد الظهر، سار ترامب إلى المنصّة الموضوعة بين العلم الأميركي والعلم الرئاسي[1]. أمسك بالمنصة بعنف بكلتا يديه، عبس، بدا متجهّماً، وقال إنه موجود هنا في واشنطن للقاء فريقه الاقتصادي في شأن السياسة التجارية والإصلاح الضريبي. أثنى على الاقتصاد القوي، وسوق الأسهم المرتفعة، ومعدل البطالة المنخفض، وقال إنه سيقدّم آخر التطورات فيما يتعلق بشارلوتسفيل.

قال لمشاهدي التلفزيون الوطني إن وزارة العدل كانت قد فتحت تحقيقاً متصلاً بالحقوق المدنية. وقال ترامب: «إلى كل من تصرّف بطريقة جرمية في العنف العرقي في عطلة نهاية الأسبوع هذه، ستكونون عرضة للمساءلة الكاملة».

---

(١) Donald J. Trump, "Remarks on the Situation in Charlottesville, Virginia," August 14, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=128019

تابع الرئيس، وهو يبدو متصلّباً وغير مرتاح، كما لو أن أحدهم أكرهه على التحدث في فيديو رهائن، «مهما يكن لون بشرتنا، فإننا جميعاً سنعيش تحت سقف القوانين ذاتها، وسنؤدي التحية للعلم العظيم نفسه. علينا أن نحب بعضنا بعضاً. وأن نظهر التعاطف بعضنا حيال بعض. ونتوحد معاً في إدانة الحقد والتعصب الأعمى والعنف. علينا أن نعيد اكتشاف روابط المحبة والولاء التي تجمعنا كأميركيين».

«العرقية شرّ». قالها وهو يخص بالذكر الكو كلوكس كلان والنازيين الجدد والمؤمنين بتفوّق العرق الأبيض وسواهم من المجموعات الحاقدة الأخرى.

«سندافع عن الحقوق المقدسة لجميع الأميركيين ونحميها» بحيث يكون كل مواطن «حرّاً في اتباع أحلامه والتعبير عن المحبة والفرح في روحه».

كان ذلك خطاباً استغرق خمس دقائق أمكن أن يلقيه الرئيس ريغان أو الرئيس أوباما.

قال الجنرال كيلي لكبار موظفيه. «احرصوا على إبلاغه كم كان عظيماً». ولم يكن قد مضى عليه أكثر من ثلاثة أسابيع رئيساً للموظفين.

كان ستيف منوشين وغاري كوهن حاضرين لاستقبال ترامب عند المصعد في طريق عودته إلى مقر الإقامة. وأمطراه بالثناء. «كان خطاباً عظيماً»، قال كوهن. «إنها واحدة من أفضل لحظاتك كرئيس». كان من ضمن التقليد العظيم القاضي بالتوحيد وبسلوك الطريق الصحيح للتعافي من العرقية. وأبلغا بورتر لاحقاً أنهما لا يعرفان كيف تمكّن من إقناع ترامب.

شعر بورتر بأنها لحظة انتصار، بأنه قدّم فعلاً بعض الخير إلى البلاد. لقد خدم الرئيس على أكمل وجه. وهو ما جعل الساعات الطويلة من العمل الذي لا ينتهي تستحق العناء.

غادر ترامب ليشاهد بعضاً من أخبار فوكس. أشاد روب أونيل. المؤلف والقائد السابق للفريق السادس في مغاوير البحر، بترامب، عموماً، لكونه دقيقاً، لكنه أضاف: «كاد ذلك يكون اعترافاً بأنني كنت مخطئاً. وأنا في نوع من التفاوض على ذلك»[1].

قال مراسل فوكس كيفين كورك: «قام السيد ترامب بتصحيح المسار في غضون ٤٨ ساعة على التحدّي الداخلي الأكبر لرئاسته الحديثة».

أثار الإيحاء بأنه كان اعترافاً بارتكابه خطأً، وبأنه كان غير مستقر، سخط الرئيس. «هذا أكبر

---

(١) "Trump Condemns Hate Groups Amid Uproar over Initial Response," transcript, Fox News, August 14, 2017.

خطأ لعين أرتكبُهُ»، قال الرئيس لبورتر. «أنت لا تقوم أبداً بهذه التنازلات. أنت لا تعتذر أبداً. وأنا، في المقام الأول، لم أخطىء. فلماذا أبدو ضعيفاً؟».

بالرغم من أن بورتر لم يكتب المسوَّدة الأصلية، إلا أنه كان قد قضى قرابة الأربع ساعات وهو ينقّحها مع ترامب، موفّراً اللغة الملائمة. لكن، ومن الغريب، أن ترامب لم يصبّ جام غضبه على بورتر. «لا أستطيع التصديق أنني أُجبرتُ على القيام بذلك»، قال ترامب، وقد استمر، على ما يبدو، في عدم إلقاء اللوم على بورتر، لكنه ينفّس عن احتقانه له مباشرة. «هذا أسوأ خطاب ألقيه على الإطلاق. ولن أعاود القيام بأمر كهذا أبداً من جديد». واستمر في الغليان على ما كان قد قاله، وكيف أنه كان خطأ عظيماً.

الفصل الثلاثون[1]

في اليوم التالي، أي يوم الثلاثاء، كان ترامب يعقد اجتماعات في نيويورك لمناقشة اقتراحه المتعلق بالإنفاق على البنى التحتية من طرق وجسور ومدارس. وكان من المقرر أن يقدم بعد الظهر إيجازاً صحافياً في ردهة برج ترامب. وأسدلت ستارة زرقاء على واجهة ماركة إيفانكا ترامب في الردهة. طلب، قبل النزول، نسخاً مطبوعة عن «الجمل الجيدة فعلاً» من البيانين اللذين كان قد أصدرهما في شأن شارلوتسفيل. قال إنه يريد اللغة الدقيقة التي كان قد استخدمها في حال سئل عن ذلك.

لا تجب عن أي سؤال، قال له جميع الموظفين بإلحاح. وقال ترامب إنه لا يخطط للتقيّد بأي منها.

أجاب في الإيجاز الصحافي عن الأسئلة، وكانت كلها عن شارلوتسفيل[2]. سحب البيان الذي أدلى به يوم السبت. «كما قلتُ، على ما أذكر يوم السبت، ندين بأقوى العبارات الممكنة هذا العرض الفاضح للبغضاء والتعصب الأعمى والعنف». وأغفل الجزء المتعلق «بالطرفين»، لكنه أضاف في هذه المرة، «لكن اليسار البديل alt-left جاء مهاجماً» في التجمّع. «كانت هناك مجموعة في الطرف الآخر وكانت أيضاً عنيفة جداً هي الأخرى. وما من أحد يريد قول ذلك، لكنني سأقوله الآن بالذات.

«صدّقوني، لم يكن جميع أولئك الأشخاص من النازيين الجدد. لم يكن جميع أولئك الأشخاص من العنصريين البيض في أي حال. كان الكثير من هؤلاء الأشخاص حاضرين للاحتجاج على إنزال

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Donald J. Trump, "Remarks on Infrastructure and an Exchange with Reporters in New York City," August 15, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=126765

تمثال روبرت إي. لي.... وأتساءل: هل سيكون دور جورج واشنطن في الأسبوع المقبل؟ وهل يحين دور توماس جيفرسون في الأسبوع الذي يلي؟». ولاحظ أن كليهما كانا من مقتني العبيد. «عليكم أن تسألوا أنفسكم حقاً، أين ينتهي ذلك؟».

عاد إلى حجته الأساسية: «تقع الملامة على الطرفين ... وكان هناك أشخاص، أشخاص صالحون جداً في الطرفين. كان هناك أشخاص سيئون في الجماعة الأخرى أيضاً ... هناك وجهان للقصة الواحدة».

غرّد ديفيد ديوك، الزعيم السابق المشهور جداً لكو كلوكس كلان، قائلاً: «شكراً أيها الرئيس ترامب على صدقك وشجاعتك في قول الحقيقة عن شارلوتسفيل»[1].

شن قادة كل من فروع الجيش الأميركي على وسائل التواصل الاجتماعي حملة توبيخ مذهلة للقائد الأعلى[2]. غرّد رئيس العمليات البحرية الأميرال جون ريتشاردسون، قائلاً: «إن الأحداث في شارلوتسفيل غير مقبولة ويجب عدم التسامح معها. والبحرية الأميركية تقف، إلى الأبد، ضد التعصب والحقد». وكتب قائد سلاح مشاة البحرية الجنرال روبرت ب. نللر، قائلاً: «لا مكان للحقد العنصري أو التطرف في سلاح مشاة البحرية الأميركي. إن القيم الجوهرية المتمثلة بالشرف والشجاعة والالتزام هي الإطار للطريقة التي تحيا بها المارينز وتتصرف». وغرّد رئيس أركان الجيش مارك ميللي، قائلاً: «لا يتساهل الجيش مع العنصرية والتطرف أو الحقد في صفوفنا. ذلك يتناقض مع قيمنا ومع كل ما دافعنا عنه منذ العام ١٧٧٥». وأتبع قائدا سلاح الجو والحرس الوطني ذلك ببيانين مشابهين.

أطلق ستيفن كورلبرت، على السي بي إس مزحة سوداء تقول: «الأمر أشبه باليوم-دي (D-Day أي ساعة الصفر). أتذكرون طرفي اليوم-دي، الحلفاء والنازيين؟ كان هناك عنف من الطرفين. فقد دمّرا شاطئاً جميلاً، أمكن أن يكون ملعب غولف»[3].

كان الجنرال السابق جون كيلي قد وقف في ردهة برج ترامب فيما كان ترامب يتلقى الأسئلة. وقد اكفهر وجهه. وقال كولبرت: «إن هذا الشخص جنرال بأربع نجوم. العراق، لا مشكلة. أفغانستان، يمكننا ذلك. مؤتمر صحافي من عشرين دقيقة؟ ورطة».

---

(١) راجع تغريدة ديوك على: https://twitter.com/drdavidduke/status/897559892164304896

(٢) Ben Watson, "How U.S. Military Leaders Are Reacting to Charlottesville," Defense One, August 16, 2017.

(٣) Emily Yahr, "'Clinically Insane,' '7th Circle of Hell': Late-Night Hosts Process Trump's News Conference," The Washington Post, August 16, 2017.

كان بورتر قد راقب من الكواليس في ردهة برج ترامب. كان في حالة من الصدمة، محطّماً وغير مصدّق. ولاحقاً، عندما جاءه ترامب بالخطاب الثاني، قال سكرتير الموظفين: «اعتقدت أن الخطاب الثاني كان وحده الجيّد من بين الثلاثة».

«لا أريد التحدّث معك»، أجاب ترامب. «ابتعد عني».

وقال كيلي في وقت لاحق للرئيس إنه وقد أدلى بثلاثة بيانات: «بات لدى الجميع واحد يختارونه، وقد يصب ذلك في مصلحة الرئيس. ربما كان ذلك أفضل ما هو متاح». وقال إن زوجته أحبت بيان يوم الثلاثاء والمؤتمر الصحافي الثالث، لأنه أظهر الرئيس قوياً ويتّسم بالتحدي.

كان كينيث فرايزر، رئيس «ميرك»، شركة صناعة الأدوية العملاقة، وواحد من قلة من رؤساء الشركات الأفارقة الأميركيين لواحدة من أكبر ٥٠٠ شركة، قد أعلن أنه يستقيل من مجلس الصناعة الأميركي، وهو مجموعة من المستشارين الخارجيين للرئيس في مجال الأعمال[١].

وفي غضون ساعة هاجم ترامب فرايزر على تويتر. وكتب: الآن وقد استقال فرايزر، «سيتسع له الوقت لخفض الأسعار النّهابة للأدوية!»[٢].

لحق الرئيسان التنفيذيان لـ «أندر أرمور» و«إنتل» بفرايزر، واستقالا هما أيضاً من المجلس.

وفي صفعة جديدة لفرايزر، وكان ترامب لا يزال يستشيط غضباً، كتب أن على ميرك أن «تعيد الوظائف وتخفض الأسعار!»[٣]

وفي يوم الثلاثاء الواقع فيه ١٥ آب/أغسطس، غرّد ترامب: «لدي لكل رئيس تنفيذي ينسحب من مجلس الصناعة الكثيرون ليحلّوا محله». ووصف الذين كانوا قد استقالوا بـ «محبي الظهور»[٤].

كان مؤتمر ترامب الصحافي أكثر مما يمكن لأعضاء المنتدى الاستراتيجي والسياسي، وهو مجلس استشاري آخر، ومجلس الصناعة التابعَين للرئيس، تحمُّله. وخلال النهار أعلن الرؤساء التنفيذيون لـ «ثري إم»، و«كامبل سوب»، و«جنرال إلكتريك» استقالاتهم من مجلس الصناعة، وكذلك استقال ممثلو اتحاد العمال؛ ومجلس المؤسسات الصناعية، ورئيس تحالف التصنيع الأميركي.

أبلغ جامي ديمون، الرئيس التنفيذي لجي بي مورغان، الموظفين أنه تقرر حلّ منتدى

---

(١) Nolan D. McCaskill, "Trump Attacks Merck CEO for Quitting Manufacturing Council over Charlottesville," Politico, August 14, 2017.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/897478270442143744

الاستراتيجية والسياسة. واستبق ترامب المزيد من الاستقالات بإلغاء المجموعتين عبر تويتر: «بدلاً من الضغط على رجال أعمال مجلس الصناعة ومنتدى الاستراتيجية والسياسة، فإنني ألغيهما كليهما. شكراً لكم جميعاً!»[١]

إلا أن الأكثر مغزى كان ردود الفعل الشخصية الصادرة عن رئيس مجلس النواب راين وزعيم الأغلبية في مجل الشيوخ ماكونيل. اتصل كلا الجمهوريين ببعض الرؤساء التنفيذيين، وأشادا بهم في شكل شخصي على وقفتهم.

في يوم الجمعة، ١٨ آب/أغسطس، طار غاري كوهن بالمروحية من إيست هامبتون، في لونغ آيلاند، إلى موريستاون، في نيو جرسي، حيث كانت تمطر بغزارة[٢]. واضطر إلى الانتظار على المدرج للحصول على تصريح بالتوجه إلى بدمينستر. وكان يحمل رسالة استقالته. كان ذلك أكثر مما يمكن تحمُّله. فقد رسم أحدهم شارة الصليب النازي المعكوف على باب غرفة نوم ابنته في المعهد.

توجّه إلى النادي، حيث كان ترامب سيتحدث في مباراة تجرى بين الأعضاء والضيوف. داخلاً وسط التصفيق، صافح ترامب الأيدي وألقى ملاحظات مذكّراً الجميع أنه سبق له أن فاز في مباراة بين الأعضاء والضيوف. أخذ ترامب وكوهن طعاماً من المقصف وانسلاّ إلى غرفة طعام خاصة.

«سيدي الرئيس»، قال كوهن عندما أصبحا لوحدهما: «أنا متعب جداً من الموقف الذي وضعتني وأسرتي فيه. ولا أريد لهذا النقاش أن يكون خصامياً».

قال ترامب: «أنت لا تعرف ما الذي تتحدث عنه».

ناقشا ما كان ترامب قد قاله وما لم يقله.

قال الرئيس: «أريدك، قبل أن تتفوّه بالمزيد، أن تعود وتستمع إليه من جديد».

«سيدي»، أجاب كوهن: «لقد استمعت إليه نحو ثلاثين مرة. هل شاهدت الفيديو، يا سيدي؟».

«لا لم أشاهد الفيديو».

«أريدك، يا سيدي، أن تشاهد الفيديو». قال كوهن. «أريدك أن تشاهد فيديو زمرة من البيض يحملون مشاعل الخيزران قائلين ’لن يحل اليهود محلّنا‘. لا يمكنني العيش في عالم كهذا».

---

(١) راجع تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/897869174323728385

(٢) مراجعة الكاتب لملاحظات معاصرة.

«اذهب واستمع واذهب واقرأ». قال ترامب. «وسأذهب لمشاهدة الفيديو».

اتفقا على مناقشة المسألة بعد الاستماع والمشاهدة.

«لم أقل شيئاً خاطئاً»، قال ترامب. «كنت أعني ما أقول».

«بيان الاثنين كان رائعاً»، قال كوهن. «أما بيانا السبت والأحد فكانا رهيبين».

في يوم الاثنين التالي، حضر كوهن إلى المكتب البيضاوي في البيت الأبيض. كانت إيفانكا تجلس على إحدى الأرائك، وكيلي واقفاً وراء كرسي[1].

كان كوهن في منتصف المسافة في المكتب البيضاوي عندما قال ترامب. «إذن أنت هنا للاستقالة؟»

«نعم، سيدي. أنا هنا لذلك».

«لم أرتكب خطأً». كرّر ترامب. وقال لكوهن: «إنك تغادر بسبب أصدقائك الليبراليين في بارك أفنيو. لا بد وأنها زوجتك»، قال ترامب واضعاً الملامة على زوجة كوهن. وشرع ترامب في رواية قصة عن لاعب غولف عظيم. اشتكت زوجة اللاعب لأنه كان يغيب في كل نهاية أسبوع. فاستمع إليها، والآن، قال ترامب، فإن من كان لاعب غولف عظيماً بات يبيع كرات الغولف ولا يجني أي مال، منهياً بذلك السرد الذي يضع اللوم على الزوجة.

«الجميع يريدون مركزك»، تابع ترامب. «ارتكبتُ خطأً عظيماً بمنحك إياه».

وتابع الرئيس الكلام في شكل حاقد. كان ذلك يصيب بالقشعريرة. فلم يسبق لكوهن في حياته كلّها أن تحدث إليه أحد أو عامله بهذا الشكل. «هذه خيانة»، قال ترامب.

وتحوّل ترامب إلى محاولة إشعار كوهن بالذنب: «أنت تقود سياستنا. وإذا غادرت الآن سينتهي أمر الضرائب. لا يمكنك القيام بهذا». كان كوهن قد قضى أشهراً وهو يعمل على خطة الخفض الضريبي، وكان في وسط النقاشات في تلة الكابيتول، يعمل على مشروع ضخم ومعقد. «كيف يمكنك تركي معلّقاً بهذا الشكل؟».

«سيدي، لا أريد تركك معلّقاً. ولا أريد لأحد أن يعتقد أبداً أنني خنته. لدي سمعة أهتم بها أكثر من أي شيء في العالم. وأنا أعمل بالمجان هنا في البيت الأبيض. الأمر لا يتعلّق بالمال، بل يتعلّق بمساعدة البلاد. وإذا اعتقدتَ أنني أخونك، فأنا لن أفعل ذلك أبداً». وأضاف، وقد لان: «سأبقى وأنجز الضرائب. لكن لا يمكنني البقاء هنا ولا أقول شيئاً».

---

(١) مراجعة الكاتب لملاحظات معاصرة.

دخل نائب الرئيس بنس، ووقف إلى جانب كوهن ولمسه بعطف. قال بنس إنهم يحتاجون إلى بقاء كوهن، لكنه يتفهم الوضع الذي هو فيه. نعم، على كوهن أن يقول شيئاً في العلن.

«امضِ وقلْ ما شئت». قال ترامب. «فمنوشين قد قال شيئاً».

كان منوشين قد أصدر بياناً جاء فيه الآتي:[1] «أدين بشدة أفعال أولئك الذين يمتلئون حقداً.... فلا دفاع عنهم عندي ولا دفاع عنهم من رئيس هذه الإدارة». واستشهد برد ترامب الأول على شارلوتسفيل وعلّق عليه وأضاف: «بوصفي شخصاً يهودياً... وفيما أجد صعوبة في الاعتقاد بأن عليّ الدفاع عن نفسي في هذا الأمر، أو عن الرئيس، أشعر بأنني مضطر أن أعلمكم أن الرئيس لا يعتقد، بأي طريقة أو شكل أو صورة، أن النازيين الجدد وغيرهم من جماعات الحقد الذين يؤيدون العنف، متساوون مع الجماعات التي تتظاهر بطرق سلمية وقانونية».

وسمّى ترامب آخرين ممن أبعدوا أنفسهم عنه.

أجاب كوهن: «لا أمتلك أرضية».

«ماذا تعني؟» سأله ترامب.

قال كوهن إن لوزراء الحكومة مديريات صحافية. «يمكنهم الخروج والتصريح عندما يشاؤون ذلك. وأنا مساعد للرئيس. ولا يفترض بي الإدلاء ببيانات صحافية».

«لا أبالي». قال ترامب. «اذهب إلى المنصة الآن بالذات، وأدلِ بتصريح». كان يدعو كوهن للذهاب إلى المنصة في غرفة الصحافة في البيت الأبيض.

«لن أفعل ذلك، يا سيدي. فهو مُحرِج. ليس ذلك ما تفعله. دعني أقمْ بذلك على طريقتي».

«لا يهمني بأي طريقة تفعل ذلك». قال ترامب. «فأنا لا أريدك أن تغادر إلى أن تنجز الضرائب. ويمكنك أن تقول أي شيء تحتاج إلى قوله».

«أتريد الاطلاع عليه قبل أن أقوله؟».

بدا ترامب وكأن له ذهنين. «لا». أجاب ترامب في البداية. «قل أي شيء». لكنه عاد وسأله عما يمكن أن يكون. «أيمكننا الاطلاع عليه أولاً؟».

قال كوهن إنه سيعمل مع قسم الاتصالات في البيت الأبيض.

وفي طريق العودة من المكتب البيضاوي، سحب الجنرال كيلي، الذي استمع إلى الأمر كله،

---

(١) "Statement by U.S. Treasury Secretary Steven T. Mnuchin," U.S. Department of the Treasury, August 19, 2017.

كوهن إلى غرفة الحكومة. وبحسب ملاحظات سجّلها كوهن بعد ذلك، قال كيلي: «كان ذلك أعظم عرض لضبط النفس أشاهده في حياتي. لو كنتُ مكانك، لأخذت رسالة الاستقالة تلك وأقحمتها في مؤخرته ست مرّات».

اختار كوهن أن يعرّف بوجهات نظره في مقابلة مع الفايننشال تايمز[1]. يمكن للإدارة أن تفعل. بل عليها أن تفعل ما هو أفضل.... وقد تعرّضتُ لضغط هائل للاستقالة والبقاء معاً.... وأشعر أيضاً بأنني مضطر إلى التعبير عن شدّتي.... فلا يمكن للمواطنين الذين يدافعون عن المساواة والحرية أن يتساووا أبداً مع العنصريين البيض والنازيين الجدد والكو كلوكس كلان».

قال كوهن إن ترامب كان غاضباً، لأن الرئيس لم يتحدّث معه على مدى أسبوعين. وكان ترامب يتجاهله في الاجتماعات العادية. وأخيراً، وفي أحد الأيام، استدار ترامب نحوه وسأله: «غاري، ما رأيك؟».

انتهى النبذ على مستوى الإدارة الداخلي، لكن الندوب بقيت.

كانت شارلوتسفيل، في نظر روب بورتر، نقطة الانفجار. فقد رفض ترامب التقدير الصحيح لكل فريقه. وكان قد فعل ذلك من قبل. فاستقلاليته الفاسدة ولاعقلانيته كانتا في حالة من المد والجزر. لكن أبواب السد فُتحت فحسب مع شارلوتسفيل. ففي سبيل بضع كلمات، كان قد رسم خطّاً صارخاً. «لم تعد هذه رئاسة». قال بورتر. «لم يعد هذا البيت الأبيض. هذا رجل يقوم بما يحلو له». فترامب كان يمضي قدماً رغم كل شيء.

وكما رأى بورتر ذلك عن قرب، القرب نفسه الذي رآه فيه كل مَن في الفريق باستثناء هوب هيكس. فإن انتخاب ترامب قد أعاد إذكاء الانقسام في البلاد. فكانت هناك علاقة أكثر عدائية مع الإعلام. وأعيد إنعاش ثقافة الحروب. كانت ثمة مسحة عنصرية، وقد سرّعها ترامب.

تساءل بورتر إن كانت محاولة إصلاح أي من هذه الانقسامات بعد شارلوتسفيل تكاد تكون قضية خاسرة. لم تكن هناك إمكانية للتراجع. كان ترامب قد اجتاز خط اللاعودة. فهو بنظر معارضيه وكارهيه، لم يكن أميركيًّا، وكان عنصريًّا. لقد جرى بالفعل صب الكثير من الزيت على النار. وأضاف إليه ترامب الكثير جداً. فالنار ستحرق، وستحرق بتأجج.

باتت هناك الآن حالة دائمة من الريبة والإنكار والعداء. «إنها الآن حرب شاملة».

---

(۱) "Transcript: Gary Cohn on Tax Reform and Charlottesville," Financial Times, August 25, 2017

الفصل الحادي والثلاثون[1]

عمد بانون، في خضم الاشتباكات التي اندلعت في مدينة شارلوتسفيل، إلى مهاتفة كيلي، وقال له: «أنا أعرف هذا الرجل (يقصد ترامب)، وما لم تباشروا في الاستعانة داخل البيت البيض بأفراد قادرين على تصحيح أفعاله. فلسوف تكون العواقب وخيمة. عليكم القيام بذلك».

وخاطب بوب كوركر، السيناتور الجمهوري[٢]، الصحافيين قائلاً: «إن الرئيس لم يتمكن حتى الآن من إثبات تمتّعه بالاستقرار والكفاءات» الضرورية للنجاح في منصب الرئيس. بينما أفردت مجلة بوليتيكو تحقيقاً مطوّلاً عن ترامب وفورات غضبه، ونعتته بأنه «منقاد خلف مزاجه». وذكرت أن «غضبه وسيلة للسيطرة على العاملين معه، والتعبير عن عدم رضاه، أو أن غضبه هذا بكل بساطة متنفّس يستعيد من بعده رباطة جأشه»[٣].

قال «بانون»: «لم يخرج أحد من الإدارة العليا في البيت البيض ليدافع عنه».

وشعر «بانون» أن من الضروري أن يربح «ترامب» معركة الرسائل تلك. وقال: «من خلال تساؤل الرئيس ترامب عن منتهى كل ما يحدث، وحديثه عن واشنطن وجيفرسون ولينكولن، فإنه يريد أن يتواصل مع الشعب الأميركي. بينما ترغب سياسات اليسار، التي تلعب على أوتار الهوية العرقية، في طرح القضية على أنها عنصرية. امنحوني المزيد.. فأنا لم أشبع بعد من كل هذا»[٤].

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) "Republican Senator Says Trump Yet to Demonstrate Needed Stability," Reuters, August 17, 2017

(٣) Nancy Cook and Josh Dawsey, " 'He Is Stubborn and Doesn't Realize How Bad This Is Getting,' " *Politico*, August 16, 2017.

(٤) "President Trump, by asking": Jeremy W. Peters, Jonathan Martin and Jack Healy, "Trump's Embrace of Racially Charged Past Puts Republicans in Crisis," The New York Times.

وقام نائب الرئيس «مايك بنس» بإعادة تغريد بعض من تغريدات ترامب، مضيفاً إليها تغريدة سابقة للرئيس: «كما قال الرئيس ترامب علينا أن نتّحد معاً نحن الأميركيين حول محبة أمتنا.. وإبداء الحب بعضنا لبعض Charlottesville#»[1].

أردف بانون مخاطباً كيلي: «إذا جرت محاصرته من كل جانب، فعندئذ تصبحون فريسة سهلة لخصومه في الكابيتول هيل (الكونغرس). عليكم أن تبادروا إلى حماية الرجل».

وسأله كيلي: «هل تودّ حقاً تولّي هذه المهمة؟».

«عذراً، ماذا تقصد؟».

«هل تودّ أن تكون كبير موظفي البيت الأبيض؟».

«ما الذي تتحدث عنه؟ لا تحاول هذا معي. تعلم أنك وحدك الأنسب لهذه المهمة».

«اسمعني.. أمامي الآن مشكلة تتمثّل في احتمال أن أخسر نصف العدد الذي معي هنا، وربما أخسر ثلث الوزراء. أنت لا تفهم ما يجري. هذا أشبه بحد السيف. ولن يتسامح الناس مع ذلك ويغضّون الطرف عنه. لا بد من إدانة. وإن كنت ترى أن بجعبتك حلاً...».

ولكن بانون لم يكن يمتلك حلّاً. وأخبر «كيلي» أنه سوف يستقيل.

«سوف أرحل يوم الجمعة».

أي إن الغد هو آخر يوم له. فأجاب كيلي:

«ربما كانت هذه الخطوة الفضلى».

وما كان يشغل بال بانون اقتراب عطلة نهاية الأسبوع لترامب في كامب ديفيد. حيث كان من المقرر عقد آخر اجتماع لمجلس الأمن القومي قبل حسم قراره بشأن أفغانستان.

«عليك أن تتأكّد من أن يطّلع الرئيس على كل التفاصيل وكل الخيارات».

«سوف أحرص على ذلك».

كان ذلك هو شاغله: أن تكون لدى الرئيس الصورة كاملة، وأن يحظى بمختلف الخيارات.

«واحرص كذلك أن تتاح الفرصة كاملة لبومبيو حتى يعرض ما لديه».

وطمأنه كيلي.

أدرك بانون أن ترامب كان في طريقه إلى اتخاذ قرار عولمي. وكانت مراكز القوى في مؤسسة

---

(١) تغريدة نائب الرئيس مايك بنس: https://twitter.com/vp/status/896471461669605376

الأمن القومي، بقيادة ماكماستر، تنصب فخاً له. فقد كانت تُعدّ ملفاً ينتهي ترامب بعد الاطلاع عليه إلى قناعة بأن أفغانستان لا تزال تشكّل خطراً إرهابياً محتملاً، وأنها ربّما كانت قاعدة لهجمات على غرار هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، مستقبلاً. وفي حال حدوث ذاك التهديد، تبادر مراكز القوى تلك إلى تسريب معلومات إلى الواشنطن بوست أو النيويورك تايمز، مفادها أن ترامب كان على علم مسبق بتلك التحذيرات والتهديدات، وأنه تجاهلها برغم ذلك.

وفق ما هو مخطط لاجتماع مجلس الأمن القومي في ١٨ آب/أغسطس. فسوف يدعو سيشنز وكيلوغ إلى سحب القوات من أفغانستان. ويطرح بومبيو، مدير المخابرات المركزية، فكرة التوسُّع في دور القوات شبه العسكرية التابعة للمخابرات، عوضاً عن إرسال قوات إضافية. وقد اتفق مع بانون على ذلك مسبقاً. وفي المقابل، سوف يتحدث ماكماستر عن إبقاء الوضع على ما هو عليه، ما يعني تعزيز القوات بأربعة آلاف جندي إضافي.

استهل سيشنز حديثه بالتنويه إلى أنه كان عضواً في لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ منذ أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. ولقد سمعت دائماً الموضوع ذاته. أمامنا فترة تمتد من ستة أشهر إلى ثمانية عشر شهراً لتشهد بعدها أفغانستان تحوُّلاً جذريّاً. إنها الأسطوانة نفسها المكررة، المرة تلو الأخرى. لقد كنتم دائماً على خطأ. انظروا إلى قرارات أوباما التي جرى بموجبها إرسال عشرات الآلاف من القوات. إن هذا التحوُّل الكبير مرتقب ومتوقع. كنا دائماً على خطأ. ولهذا السبب فنحن هناك منذ ستة عشر عاماً. واليوم، تسيطر طالبان على مساحة تتجاوز نصف مساحة البلاد.

خلص كيلوغ إلى الأمر الواقع: «لا بد من إعادة القوات إلى الوطن».

حضر بومبيو في لانغلي سلسلة من جلسات غرضها التحذير والإنذار، حيث ذكّره ذوو الخبرة بأن أفغانستان لطالما كانت مقبرة الإمبراطوريات، والمناصب أيضاً. كانت الوكالة قد قضت سنوات وهي تقوم بدور ثانوي، بالتعاون مع فرق مكافحة الإرهاب شبه العسكرية، حريصةً على تجنب المسؤولية الكاملة. وظلت نصيحة الحرس القديم أن تبقى أفغانستان مشكلة الجيش وحده. أما الشاغل الآخر، فهو أن خطة بومبيو المقترحة تقوم على أن يكون الجيش مسؤولاً عن فرق مكافحة الإرهاب، وألا يمنح الوكالة أي سيطرة حقيقية على مجريات الأمور. ولم يكن هناك من ضمان، أو توقع منطقي، لنجاح تلك الخطة، ولسوف يُلقى اللوم على شخص ما في نهاية المطاف.

وعندما حان الوقت، طرح بومبيو خطّته البديلة. قال إن وكالة المخابرات المركزية الأميركية تحتاج إلى قرابة عامين قبل أن تكون جاهزة للتوسُّع بجهود فرق مكافحة الإرهاب. لسنا جاهزين من

ناحية العدة والعتاد، كما أننا لا نمتلك البنية الأساسية. ليست لدينا المقدرة على التدخل والمشاركة في تنفيذ مثل هذا المشروع الطموح بالتعاون مع القوات الخاصة. كما أضحت مقدرات الوكالة في أفغانستان ضعيفة. لم تعد بديلاً مجدياً اليوم.

كان ماكماستر في ذلك الحين مستعداً لتأييد الإمعان في إرسال أربعة آلاف جندي إضافي إلى هناك. ورأيه هو أن الغاية الاستراتيجية الرئيسية هي منع القاعدة وأي تنظيم إرهابي آخر من توجيه ضربة داخل الأراضي الأميركية أو إلى أي من حلفاء أميركا.

وقال ترامب: «لقد سئمت من سماع هذا، لأن كلامكم هذا ينطبق على أي دولة أخرى في العالم. وأنتم تقولون دائماً إن تنظيم الدولة الإسلامية منتشر في كل مكان. وإن بمقدوره شنّ هجوم علينا. ونحن في المقابل لا يمكن أن نكون في كل مكان».

كانت غضبة ترامب موجّهة بالأخص إلى جنرالاته. «أنتم من خلقتم هذا الوضع الكارثي. وأنتم من خططتم لتلك الفوضى في أفغانستان. وصنعتم تلك المشكلات. أقول لكم إنكم، وبرغم ذكائكم، جزء من المشكلة. وقد عجزتم عن حلها، بل تزيدون الطين بلة».

ثم أردف، في تكرار لكلام سيشنز: «وتريدون الآن إرسال المزيد من القوّات لأمر أنا غير مقتنع به. وكنت ضدّه منذ البداية».

عقد الرئيس ذراعيه أمام صدره، وقال: «أريد الخروج من هناك، وأنتم تودون إقناعي بأن الحل يكمن في إرسال المزيد من القوات»».

وكان لماتيس بأسلوبه الهادئ، تأثير كبير في اتخاذ القرار. وهو ليس تصادمياً بطبعه. ويفضل عوضاً عن ذلك انتهاج أسلوب مفاده أن الأقل هو الأكثر.

فقال لترامب: «أعتقد أن ما تقوله صحيح، وقد صدق حدسك بخصوص الأموال. ولكن هناك طريقة جديدة يمكن أن تنجح: ألا وهي الانتهاء من تلك الجداول الزمنية المصطنعة والتي صُمّمت على غرار نهج أوباما، ورفع القيود المفروضة على القادة الميدانيين. فمن شأن الرحيل من هناك أن يعجّل بانهيار الدولة الأفغانية. ومن قبل، كان الانسحاب الأميركي من مشهد في أفغانستان سبباً في ترك فراغ ملأه تنظيم القاعدة، وأقام هناك ملاذاً للإرهابيين. وكانت هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر نتيجة لذلك. فالمشكلة هنا هي أن هجوماً إرهابياً جديداً، وخصوصاً إذا كان كبيراً، وينطلق من أفغانستان ضدنا، سيكون كارثة».

وقال إن الانسحاب الآن يعني إيجاد بيئة خصبة لتنظيمات على غرار تنظيم الدولة الإسلامية، وهو تنظيم له حضور بالفعل هناك في أفغانستان.

نبّه ماتيس بكلام صريح واضح ترامب إلى أن ما جرى من ظهور لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق، إبان إدارة أوباما، قد يتكرّر خلال إدارته. كانت تلك مأساة يدركها، ويتذكرها جيداً كثير ممن حضروا الاجتماع.

عندئذ، قال ترامب بنبرة تنطوي على مرارة: «جميعكم تخبرونني بأن عليّ القيام بهذا، وأرى أن من الجيد القيام به، رغم قناعتي بأنكم على خطأ بصدده. ولا أجد جدوى منه. نحن لم نستفد من ذلك قط. بل أنفقنا تريليونات الدولارات، وفقدنا كل تلك الأرواح». بيد أنه أقرّ في النهاية أن من غير الحصافة أن ندع كل شيء، ونرحل؛ تاركين بذلك فراغاً لن يملأه سوى تنظيم القاعدة، وإيران، وبقية الكيانات الإرهابية.

وفي أعقاب الاجتماع، هاتف سيشنز بانون، وقال له: «لقد بصق اللجام»، مستخدماً ذلك التعبير الذي يوصف به جواد السباق المنهك الذي يتمرَّد في النهاية على أوامر فارسه، من فرط سأمه.

«مَن؟».

«صاحبك، بومبيو».

«ما الذي تتحدث عنه؟».

«كان ذلك أسوأ عرض لوجهة نظر سمعته في حياتي».

بينما بذل هو وكيلوغ ما في وسعهما، أردف قائلاً:

«لم يسعني القيام بما هو أفضل مما قمت به بالفعل. وكان كيلوغ مذهلاً، ووجدت ماكماستر في أفضل حالاته، لأنك لم تكن حاضراً. الحقيقة أن الرئيس قال لاحقاً إنني، أنا وكيلوغ، أفضل من طرح وجهة نظر. على أن من البادي للعيان أن الرئيس كان يسعى بوضوح إلى الخيار الذي يرضي الجميع».

«إلى أي مدى كان بومبيو سيئاً؟».

«لم يبدُ متحمساً لما يتحدّث عنه».

«وكيف يكون ذلك؟».

بدوره، هاتف بانون بومبيو:

«ما الذي جرى؟ قمنا بكل تلك التمهيدات لكي تستغل الفرصة أنت».

«بذلت ما في وسعي، ولديّ جبهات أخرى عليّ الانتصار فيها».

كان يتحدث عن إدارته للوكالة.

ذكر بومبيو ما كان كبار المسؤولين في لانغلي يخبرونه به. كانوا ينبهونه إلى أنه يقحم نفسه في شأن قد يُساءل فيه ذات يوم، في وقت يقوم فيه بعمله على الوجه الأكمل. ويُجمع فيه الكل على تميُّزه، حتى أن ترامب أُعجب بأسلوبه.

وقال له أحد مسؤولي الوكالة: «لقد حرصنا طوال عشرة أعوام قضيناها في العاصمة ألا نكون محل مساءلة تجاه أي شيء يتعلق بأفغانستان. لماذا تتطوع بأداء هذا الدور؟ لا مصلحة لنا في ذلك. ودعك من بانون. إنه مهرج مجنون. رجال البنتاغون يحاولون إيقاعنا في الفخ الذي نصبوه. لأنهم يرغبون بدورهم في الخروج من هناك».

وصف بومبيو موقف الوكالة بالآتي: «ليست لدينا الأدوات التي تتيح لنا تولّي مثل هذا الأمر. تلك أمور ينبغي للجيش القيام بها. أنت تطلب إليّ المشاركة. ليست لدينا مقدرات من ذلك النوع. وليست لدينا خبرة على النطاق الذي يتحدثون عنه. نحن لن نتحمّل المسؤولية. هل تتحمّل مسؤولية أفغانستان؟ لن نتحمّلها، لأننا لن ننتصر. أنت تدرك أننا لن ننتصر!». كان ذلك صعباً، لاسيما وأن ترامب كان يقول: كيف لا ننتصر؟ كيف يتمكنون [طالبان] من تفجير رجالنا؟».

هاتف بانون ترامب قائلاً:

«أنت تعرف موقفي من هذا الأمر. وأرى أنك سوف تضطر في النهاية إلى الموافقة على حل وسط».

«أنت لم تسمع كل الأطراف. إنهم يطبّقون بالفعل استراتيجية جديدة هناك. ولسوف ننتصر».

خلال اجتماع مجلس الأمن القومي، الذي انعقد في ١٨ آب/أغسطس، اعتمد ترامب استراتيجية ماكماستر التي أوجزت في مذكرة قوامها ٦٠ صفحة. ووقّع عليها ماكماستر في ٢١ آب/أغسطس. ورد فيها الآتي: التعزيز: «قم بتوفير المزيد من العتاد والتدريب. ولكن عليك الاستفادة من الدعم وفرض شروط تؤدي إلى إصلاحات»؛ إعادة الترتيب: «تجري إعادة تنسيق المساعدة من الإدارة المدنية والغطاء السياسي، بغية استهداف مناطق رئيسية تقع تحت سيطرة الحكومة هناك، فضلاً عن التعامل مع المناطق التي تقع خارج نطاق تلك السيطرة، على أساس كل حالة على حدة»؛ التوفيق والتسوية: «تستحث الجهود الدبلوماسية الحكومة من أجل بذل جهود أوسع نطاقاً تجاه التشجيع على الشمول والاحتواء السياسي، وعقد انتخابات، وتمكين القوى الفاعلة في تلك المناطق ومختلف العرقيات»؛ نهج منطقة منطقة: «التعاون مع الفاعلين في كل منطقة على حدة».

ورد في المذكرة أن الاجتماع قد أكد أن الهدف في أفغانستان يتمثل في «إعادة صياغة البيئة

الأمنية»، بغية الحد من الخيارات العسكرية المتاحة أمام طالبان، وحثّهم على التفاوض بخصوص تسوية سياسية تؤدّي إلى خفض معدّلات العنف. وتحرم الإرهابيين من ملاذهم الآمن».

وفوّض ترامب ماتيس بإدراج طالبان وشبكة حقاني الإرهابية في قائمة القوى المعادية.

ونجد في ثنايا قسم الاستراتيجية، المكوَّن من ١٩ صفحة، إقرار بأن «من المرجَّح استمرار المأزق السياسي القائم في أفغانستان»، وأن «طالبان سوف تكتسب في الغالب أراضيَ جديدة».

ولمّا كانت العادة قد جرت على دس الحقائق في طيات مذكرة، فإن خلاصة ما وقع عليه ماكماستر هو أن «النصر بعيد المنال».

تحدّث ترامب إلى غراهام، قائلاً:

«أنت أول شخص أهاتفه. لقد اجتمعت من فوري مع الجنرالات. وقررت اعتماد خططهم».

«حسناً، سيدي الرئيس، أرى أن هذه هي أذكى خطوة بوسع أي رئيس القيام بها».

«كانت خطوة صعبة. إنها مقبرة الإمبراطوريات».

كان يشير إلى كتاب لسيث ج. جونز عن أفغانستان.

هنا، مازحه غراهام قائلاً:

«من حسن حظي أن يكون هذا هو الكتاب الوحيد الذي قرأته».

وضحك ترامب طويلاً.

«هذا الكلام ليس للنشر»[١] هكذا بدأ ترامب حديثه إلى كبار مساعديه في طائرة الرئاسة يوم الجمعة ١٨ آب/أغسطس، على الرغم من عدم وجود أي من ممثلي وسائل الإعلام على متن الطائرة.

«لقد قررت إقالة بانون. هل سمعتم ما قاله عن كوريا الشمالية، ومن أن الخيار العسكري غير مطروح؟ ذلك الوغد!».

كان بانون قد أجرى حواراً مع روبرت كوتنر، من مجلة أميركان بروسبكت ذات التوجُّه الليبرالي[٢]، وألمح خلاله إلى أن لهجة ترامب الهجومية ونهج «النار والغضب» تجاه تهديدات كوريا الشمالية، هي استراتيجية خداع في الحقيقة. وقال:

---

(١) حديث ترامب الذي ذكر أنه ليس للنشر، من ملاحظات ذكرها للمؤلف أحد الذين حضروا اللقاء.

(٢) حوار بانون مع روبرت كوتنر، مجلة أميركان بروسبكت:
Robert Kuttner, "Steve Bannon, Unrepentant," The American Prospect, August 16, 2017.

«لا نتحدث عن حل عسكري هنا. وقد فهموا هذا. وإلى أن ينجح أحدهم في حل ذلك الجزء من المعادلة الذي يضمن ألا يلقى عشرة ملايين نسمة مصرعهم خلال نصف الساعة الأوَّل من أي حرب بالأسلحة التقليدية بين الطرفين، فإنني لا أجد معنى لما تقوله».

كان ترامب قلقاً من الدخول في حرب كلامية مطوّلة مع بانون، وأصيب بالحنق من أنه لم يتقبّل الإقالة من منصبه في صمت.

تقرّر أن يلقي الرئيس خطاباً ليلة الاثنين، ٢١ آب/أغسطس، يبثّ عبر التلفزيون الوطني، يتحدث فيه عن الاستراتيجية المزمع تنفيذها في أفغانستان، أمام حشد عسكري في فورت ماير، بفيرجينيا. ولم تكن تلك بالمسألة الروتينية؛ فقد كان هذا الخطاب أحد أوائل الخطابات الرسمية التي يلقيها ترامب، ويعلن فيه عن إحدى السياسات أمام حضور كبير[١].

وقال ترامب: «كان حدسي في البداية يميل إلى سحب القوات من هناك؛ وقد تعلّمت من خبراتي أن أتبع حدسي». وكرّر ثلاث مرات أن الهدف هو «تحقيق النصر»، وقال: «لن نتحدث عن أعداد القوات، أو عن بقية مخططاتنا العسكرية».

وبهذا، تحاشى ترامب نقطة ضعف عانت منها إدارة بوش ومن بعده أوباما. وأسهمت استراتيجيته في تنحية الجدل حول الحرب في أفغانستان جانباً، ولم تعد أفغانستان محور اهتمام إعلامي، إلا في حال وقوع حادث عنف كبير.

وأثنى جون ماكين على خطوة ترامب، قائلاً: «أؤيد الرئيس ترامب وتلك الخطوة الكبيرة التي اتخذها في الاتجاه الصحيح بانتهاج استراتيجية جديدة في أفغانستان»[٢]. ومن جهته، قال تيم كاين[٣]، السيناتور الديمقراطي الذي اختارته هيلاري كلينتون ليكون نائبها في حملتها الانتخابية، أن الولايات المتحدة بحاجة «إلى ضمان ألّا تتحول أفغانستان أرضاً خصبة لتنشئة كيانات معادية».

وتحدث بانون مع ستيفن ميلر، قائلاً: «ماذا بحق السماء كان موضوع ذلك الخطاب؟ إنه مجرّد لف ودوران ومراوغة».

---

(١) خطاب استراتيجي بثّه التلفزيون الوطني: دونالد ج. ترامب: «خطاب إلى الأمة حول استراتيجية الولايات المتحدة في أفغانستان وجنوب آسيا»، من قاعة ماير-هندرسون في قاعدة فورت ماير، فيرجينيا، ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٧. عبر الإنترنت بواسطة جيرهارد بيترز، وجون ت. وولي، مشروع الرئاسة الأميركية:

http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=126842

(٢) تعليق جون ماكين: «حديث ماكين بشأن الاستراتيجية الجديدة في أفغانستان»، ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٧.

(٣) تيم كاين، السيناتور الديمقراطي الذي اختارته هيلاري كلينتون ليكون نائبها خلال حملتها الانتخابية: «يجب أن تستثمر الولايات المتحدة في أفغانستان»، Talking Points Memo، ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٧.

على أن الخطاب لم يكن محاولة للف والدوران. كان خطاباً جديداً وأقرب إلى استراتيجية أوباما ذاتها. ولكن اعتراض بانون الأساسي كان على انعدام الواقعية: «ليس من المنطقي أن يظهر ليتحدث مراراً وتكراراً عن النصر. فلن يكون هناك أي نصر».

تشبث ترامب بخطاب النصر. ومنح الجناح العسكري. ماتيس وماكماستر. ما يريده. وبالتالي حفظ ذلك الجناح ماء وجهه. ولم يضطر إلى الإقرار بهزيمته.

وفي اليوم التالي لخطاب الرئيس. توصّل تيلرسون إلى وسيلة أخرى لتبيان أن النصر بعيد المنال[1]. فقد توجّه بحديثه إلى طالبان خلال مؤتمر صحفي، قائلاً: «لن تحققوا أي انتصار عسكري. قد لا ننتصر. لكنكم لن تنتصروا كذلك».

لا انفراج هناك.

---

(١) مقال آرون بليك في الواشنطن بوست، ٢٢ آب/أغسطس ٢٠١٧:
Aaron Blake, "Rex Tillerson Totally Undercut Trump's 'We Will Win' Rhetoric on Afghanistan," The Washington Post, August 22, 2017.

الفصل الثاني والثلاثون[1]

قضى كيلي وبورتر عدة أسابيع مع الرئيس في بيدمنستر خلال عطلة الكونغرس في شهر آب/ أغسطس. رأى كبير موظفي البيت الأبيض الجديد أن البيت الأبيض في حالة فوضى. حيث إن بريبوس وبانون يعملان كهاويين. وأراد فرض بعض النظام والانضباط.

قال بورتر: «جربنا أن نضبط الأمور بعض الشيء». أخبر كيلي كيف جرب بريبوس أن يرسخ النظام. قبل عدة أشهر، دعا بريبوس أبرز موظفي البيت الأبيض. ماكماستر وكوهن وبانون وكيليان كونواي وبورتر، إلى اجتماع في غرفة وضع الاستراتيجيات في مبنى المكتب التنفيذي.

قال بريبوس: «إننا نحتاج إلى استراتيجية. ما هي الأولويات؟ كيف سنرتبها؟» كتب الأفكار على الألواح البيضاء المعلقة على الجدران في غرفة وضع الاستراتيجيات. بدا المكان أشبه بـ(حجرات مناقشة المعلومات السرية) المخصصة لتبادل النقاشات السرية جداً. كان يضج بالحواسيب ومعدات عقد المؤتمرات عن بعد بواسطة الفيديو.

لم تكن الأفكار الواردة في الجلسة تؤخذ على محمل الجد. فغالباً ما يتخذ الرئيس القرارات إثر التداول مع واحد أو اثنين أو ثلاثة من الأشخاص ذوي الصلة فقط. لم تكن ثمة عملية منظمة لاتخاذ القرارات وتنسيقها. «فوضوي» و«مربك» كلمتان لا تكفيان لوصف الوضع. فهو وضع غير منضبط البتة. حينما تخطر للرئيس فكرة ما يقول «أريد توقيع شيء ما». فيتعين على بورتر أن يشرح لترامب أنه يملك سلطة واسعة لإصدار الأوامر التنفيذية، على سبيل المثال. ولكن غالباً ما يقيد القانون الرئيس. لم يكن ترامب يفقه بتاتاً كيفية عمل الحكومة. في بعض الأحيان يشرع في صياغة الأوامر

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

بنفسه أو إملائها. التكتيك الأساسي الذي اعتمده بورتر من أيام بريبوس حتى الآن هو المماطلة والتأخير. وذكر العقبات القانونية. وفي بعض الأحيان أخذ المسودات عن مكتب الرئيس.

ظل بورتر يطالب باتباع «عملية تنظيمية لعينة» كما ظل يسمّيها يومياً لأشهر. فقد احتاجوا إلى فرض قبضة حديدية على ما يتم توقيعه وطلبه. إن لم تكن قبضة حديدية. هم بحاجة على الأقل إلى شيء ما، إلى قليل من السيطرة والضبط.

في ٢١ من آب/أغسطس. أصدر كيلي وبورتر مذكرتين إلى كل موظفي الحكومة وكبار مساعدي البيت الأبيض. «يعمل سكرتير موظفي البيت الأبيض كصندوق واردات وصادرات في آن لكل ما يرد إلى الرئاسة». كل ورقة. بما فيها مذكرات القرارات، وكل مذكرة. وإصدار صحفي. وحتى المقالات الإخبارية، يجب أن تمر عبر بورتر.

يستغرق إتمام الأوامر التنفيذية «ما لا يقل عن أسبوعين». بما في ذلك إخضاعها لمراجعة ضرورية يقوم بها مستشار البيت الأبيض ومكتب المستشار القانوني في وزارة العدل. الذي يوفر التأويل القانوني للبيت الأبيض.

«كل الأوراق التي تغادر المكتب البيضاوي يجب تقديمها إلى سكرتير موظفي البيت الأبيض... للتأكد من توافقها مع قانون السجلات الرئاسية».

أفادت مذكرة ثانية (مسطّرة في الأصلية) بأن «القرارات ليست نهائية. وبالتالي لا يمكن تنفيذها، إلى أن يقدم سكرتير موظفي البيت الأبيض مذكّرات قرارات وقّعها الرئيس». ويشمل ذلك كل تدابير السياسات الجديدة. مثل الميزانية والرعاية الصحية والتدابير التجارية: وكذلك العمليات الحكومية، مثل العمليات الدبلوماسية أو الاستخبارية أو العسكرية.

«والقرار الذي يُتخذ عقب توجيهات شفوية لا يُعتبر نهائياً» إلى أن تصدر مذكرة قرار رسمية.

كان ذلك محض خيال.

جلس كيلي وبورتر مع الرئيس لشرح عملية التنظيم الجديدة.

قال بورتر: «لا يسعك إصدار قرار من دون توقيع مذكرة قرار». لا داعيَ أن تكون المذكرة طويلة. «سأحصرها بصفحة واحدة». أشار بورتر إلى أن مذكرات القرارات ستضم مواد داعمة. «ولكنّني لن أجعلك أبداً تقرأ أكثر من صفحة واحدة بخصوص أي قرار. سأعمد أيضاً إلى القدوم وإطلاعك عليه بإيجاز. حتى نتباحث فيه. أحياناً ستحتاج إلى عقد اجتماع كامل مع ٥ مستشارين أو ٦ أو ٧. في كثير من الأحيان تستطيع الاكتفاء بإصدار القرار بالاستناد إلى مذكرة قرار».

فأبدى ترامب موافقته.

١

الرئيس دونالد ج. ترامب والسيدة الأولى ميلانيا ترامب وابنهما بارون. ١١ عاماً. في البيت الأبيض في ١٧ نيسان/إبريل ٢٠١٧.

٢

بعد نشر شريط «أكسس هوليوود» Access Hollywood في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦. عمّم مايك بنس. المرشّح لنيابة الرئاسة مع ترامب. بياناً شديد اللهجة. واعتقد البعض أنه على استعداد لأخذ مكان ترامب مرشحاً جمهورياً للرئاسة ولأخذ وزيرة الخارجية السابقة كوندوليزا رايس مرشحة لنيابة الرئاسة.

٣

عيّن ترامب، في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٦، الرئيس التنفيذي السابق لإكسون موبيل، ريكس تيلرسون وزيراً للخارجية، قائلاً لمساعديه إن تيلرسون يناسب الدور الذي سيؤديه على المسرح الدولي. وكان تيلرسون قد قضى ٤٠ عاماً في إكسون، وليست له أية خبرة في الحكم. «إنه اختيار على الطريقة الترامبية تماماً»، قالت مديرة الحملة كيليان كونواي على التلفزيون، واعدة «بوقع كبير».

كان تيلرسون وترامب يتصادمان باستمرار. وقد وصف الرئيس «بالأحمق» وأقيل لاحقاً في ١٣ آذار/مارس ٢٠١٨.

٤

أسهم الجنرال المتقاعد من المارينز ووزير الدفاع جيمس ماتيس، كبير المستشارين الاقتصاديين في البيت الأبيض غاري كوهن، وسكرتير الموظفين روب بورتر، في التأكيد لترامب ضرورة الحفاظ على الاتفاق التجاري البالغ الأهمية مع كوريا الجنوبية. «سيدي الرئيس»، قال ماتيس، «يشكل كيم جونغ أون التهديد المباشر الأكبر لأمننا القومي. ونحتاج إلى كوريا الجنوبية حليفاً. قد لا تبدو التجارة مرتبطة بذلك كله، لكنها أساسية. ونحن لا نفعل ذلك من أجل كوريا الجنوبية. نحن نساعد كوريا الجنوبية لأن ذلك يساعدنا».

حاجج رئيس الأركان المشتركة الجنرال جوزف دانفورد لمصلحة حلف شمال الأطلسي وضد التخلي عن الاتفاق التجاري مع كوريا الجنوبية. وصُدم دانفورد عندما طلب ترامب خطة حرب جديدة لتوجيه ضربة عسكرية إلى كوريا الشمالية. وقال دانفورد: «نحتاج إلى استخبارات أفضل قبل أن أقدم إلى الرئيس خطة».

٦

نال مدير السي آي إي مايك بومبيو، وهو عضو جمهوري سابق في الكونغرس، حظوة لدى ترامب. حاول بومبيو في البداية إيجاد حل وسط للحرب في أفغانستان. هل يمكن توسيع قوة السي أي إي شبه العسكرية بما يجعل إجراء زيادة كبيرة في عدد الجنود غير ضروري؟ ولما أقنعه ذوو الخبرة القديمة في الوكالة بأن السي آي إي تحاشي المبالغة في التزام أفغانستان، أبلغ بومبيو الرئيس بأن السي إي إي ليست بديلاً صالحاً للقوات التقليدية في أفغانستان. وقد عُيّن لاحقاً وزيراً للخارجية بدلاً من تيلرسون.

٧

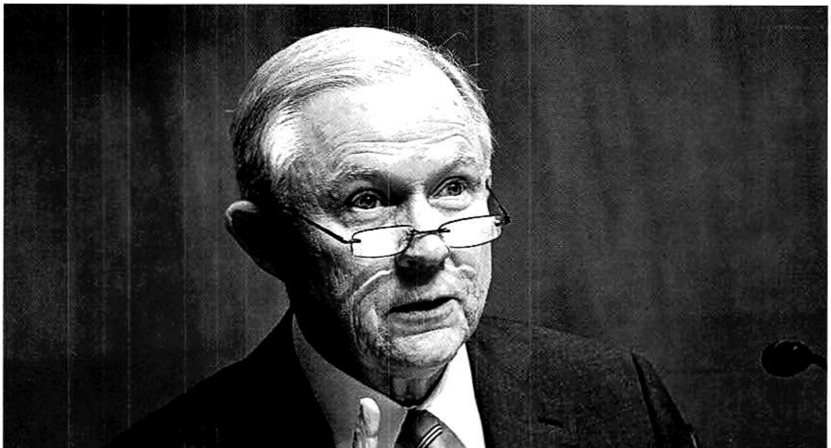

شعر ترامب أن المدّعي العام جيف سيشنز قد خذله بتنحيه عن التحقيق الذي يجريه مولر في شأن التدخل الروسي في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠١٦. «جيف، ليس بالشخص المستعد للوقوف معي في السراء والضراء». قال ترامب. كان سيشنز «غبياً» و«خائناً» و«متخلفاً عقلياً» لأنه تنحّى. وتساءل ترامب: «كيف، بحق السماء، جرى إقناعي باختياره ليكون المدّعي العام الخاص بي؟ إنه عاجز حتى عن أن يكون قاضياً ريفياً منفرداً في ألاباما. فأي علاقة له في كونه مدّعيا عامّا؟».

٨

اعتقد راينس بريبوس، رئيس الموظفين الأول لدى ترامب، أن البيت الأبيض لم يكن رائداً في مسائل أساسية مثل العناية الصحية والإصلاح الضريبي. ولم تكن السياسة الخارجية متماسكة، بل كانت متناقضة في بعض الأحيان. واستنتج أن البيت الأبيض لم يكن لديه فريق من المتنافسين، بل فريق من المفترسين. «عندما تضع أفعى وفأراً وصقراً وأرنباً وكلب بحر وقفقمة في حديقة حيوان من دون سور، تأخذ الأمور منحى قبيحاً ودامياً. ذلك ما يحدث». وفي تموز/يوليو ٢٠١٧، استبدل ببريبوس وزير الأمن الداخلي جون كيلي.

٩

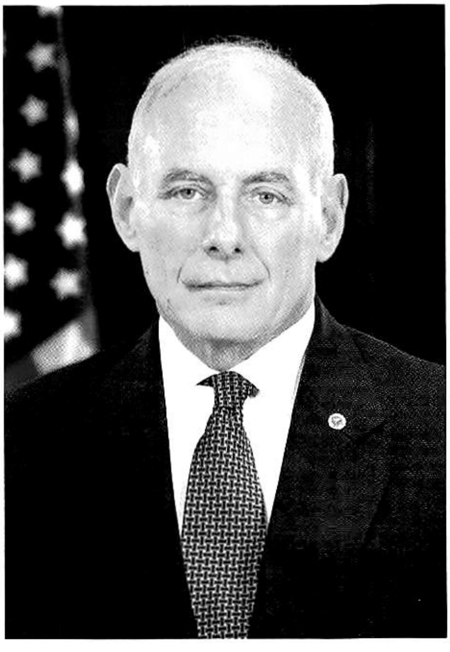

كان وزير الأمن الداخلي، والجنرال المتقاعد من المارينز، جون كيلي، قد انتقد في مجالسه الخاصة الاضطراب والفوضى في البيت الأبيض. وأبلغ كيلي الرئيس عن اعتقاده بأن في وسعه ضبط المكان. لكنه أخذ على حين غرّة عندما أعلن ترامب، في تموز/يوليو ٢٠١٧ عبر تويتر، أنه عيّنه رئيساً جديداً لموظفيه. وسرعان ما جرى تحييد كيلي بالرغم من بقائه في منصبه.

١٠

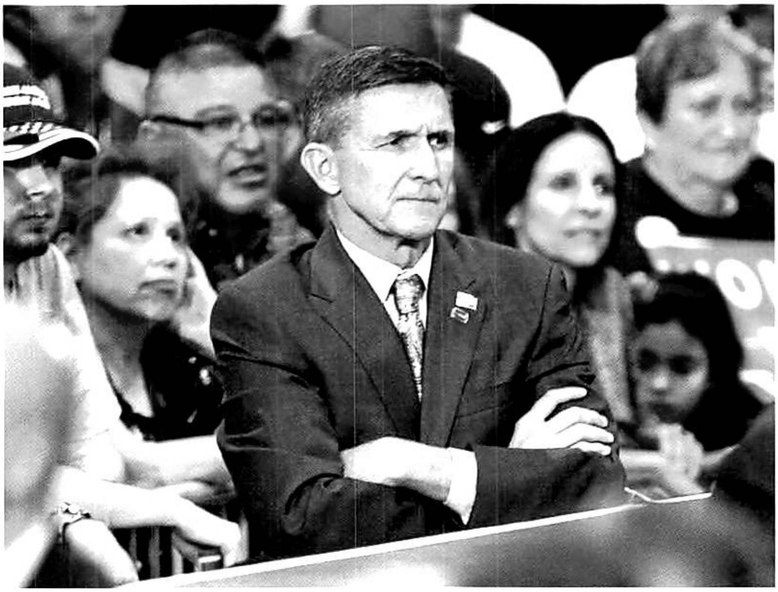

استقال الجنرال المتقاعد مايكل فلين، في ١٣ شباط/فبراير ٢٠١٧، من منصبه ككبير مستشاري ترامب في شؤون الأمن القومي، لأنه كذب في شأن محادثاته مع السفير الروسي سيرغي كيسلياك، واعترف لاحقاً بتهمة الكذب على الإف بي آي، لكنه نفى بشدّة ارتكابه الخيانة.

١١

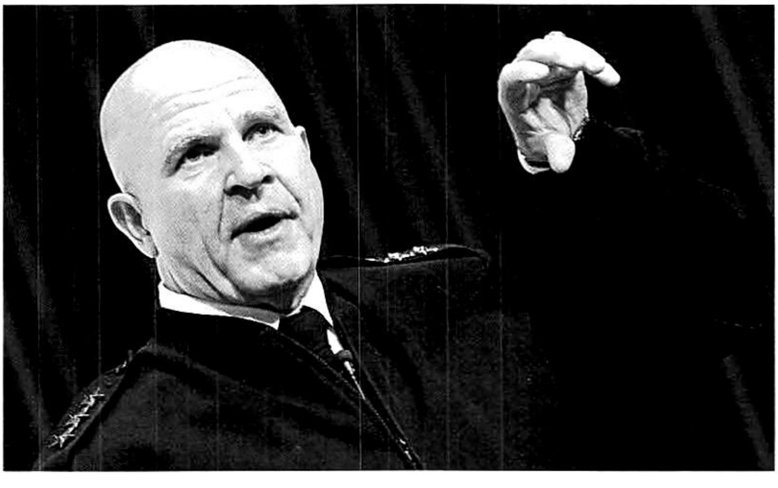

اعتبر الفريق هـ. ر. ماكماستر، مستشار الأمن القومي الثاني لدى ترامب، وزير الدفاع ماتيس ووزير الخارجية تيلرسون أنهما «فريق الاثنين»، ووجد نفسه خارج مدارهما. واعتقد أن ماتيس وتيلرسون قد استنتجا أن الرئيس والبيت الأبيض مجانين، وقد سعيا أن يطبّقا، بل أن يصوغا بأنفسهما، سياسة من دون تدخّل ماكماستر، ناهيك بالرئيس. وقال ماكماستر: «أن تحاول إقناع الرئيس هو أكثر إخلاصاً من الالتفاف عليه».

١٢

تصادم ترامب مع مستشاره لشؤون الأمن القومي هـ. ر. ماكماستر، ورئيس موظفيه الجنرال المتقاعد جون كيلي، ووزير خارجيته ريكس تيلرسون. وفي المقابل بقي نائب الرئيس، مايك بنس، بعيداً عن الأنظار متفاديا النزاع.

١٣

شكّل رئيس المجلس الاقتصادي الوطني غاري كوهن تحالفاً مع سكرتير الموظفين روب بورتر، وأحياناً مع وزير الدفاع جيمس ماتيس، لكبح بعض اندفاعات ترامب الأكثر خطورة: «لا يتعلّق الأمر بما فعلنا من أجل البلاد»، قال كوهن، «بل بما منعناه من القيام به».

١٤

كان جاريد كوشنر، صهر الرئيس والمستشار الكبير في البيت الأبيض، قد هندس، بمفرده تقريباً، أولى زيارات ترامب إلى الخارج. وكانت قمة أيار/مايو ٢٠١٧ في المملكة العربية السعودية قد وطّدت العلاقات بين السعودية وسواها من دول الخليج مع إسرائيل. وقد جرى ذلك في مواجهة مقاومة من مستشاري ترامب للسياسة الخارجية.

١٥

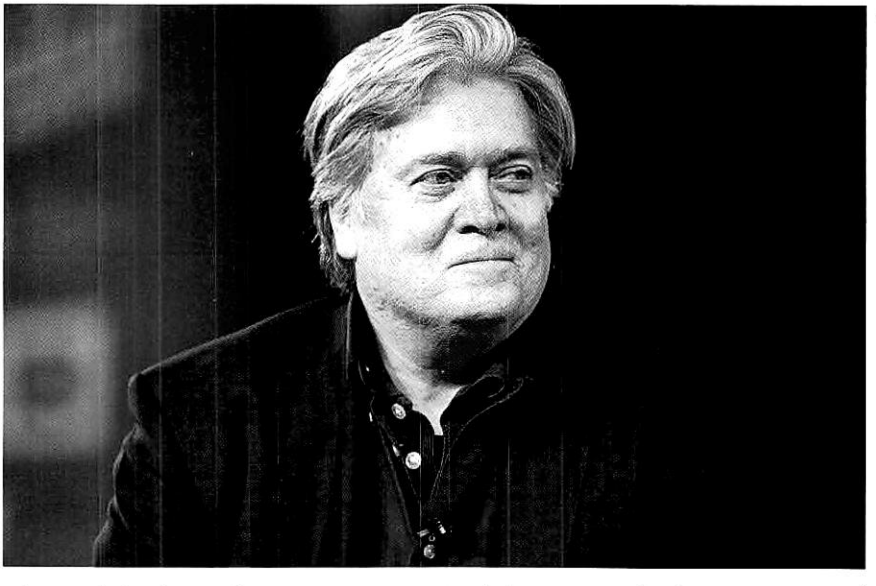

أصبح ستيف بانون، في آب/أغسطس ٢٠١٦، الرئيس التنفيذي لحملة ترامب. وكان لدى بانون ثلاثة موضوعات للحملة:

«أولاً، سنوقف موجات الهجرة غير القانونية، ونبدأ بالحد من الهجرة القانونية لاستعادة سيادتنا. ثانياً، سنبدأ بإعادة الوظائف الصناعية إلى البلاد.

ثالثاً، سوف ننسحب من تلك الحروب الخارجية التي لا طائل منها».

كانت إيفانكا ترامب، ابنة الرئيس ذات الستة والثلاثين عاماً، مستشارة كبيرة في البيت الأبيض. وقد امتعض الآخرون في البيت الأبيض من نفوذها لدى والدها وقاوموها. ودخل كبير الاستراتيجيين ستيف بانون في معركة صياح معها. «أنت موظفة لعينة!» صاح بانون. «لست إلا موظفة لعينة! تتجولين في المكان وكأنك المسؤولة. وأنت لست كذلك. أنت في عداد الموظفين!».

وصاحت إيفانكا مجيبة: «لستُ موظفة! ولن أكون موظفة أبداً. أنا الابنة الأولى».

١٧

أصبحت كيليان كونواي، في آب/أغسطس ٢٠١٦، مديرة حملة ترامب. وابتكرت جملة «ناخب ترامب المستتر.... لا يوجد، في البلاد كلها، ناخب مستتر واحد لهيلاري كلينتون. فجميعهم يصولون ويجولون».

١٨

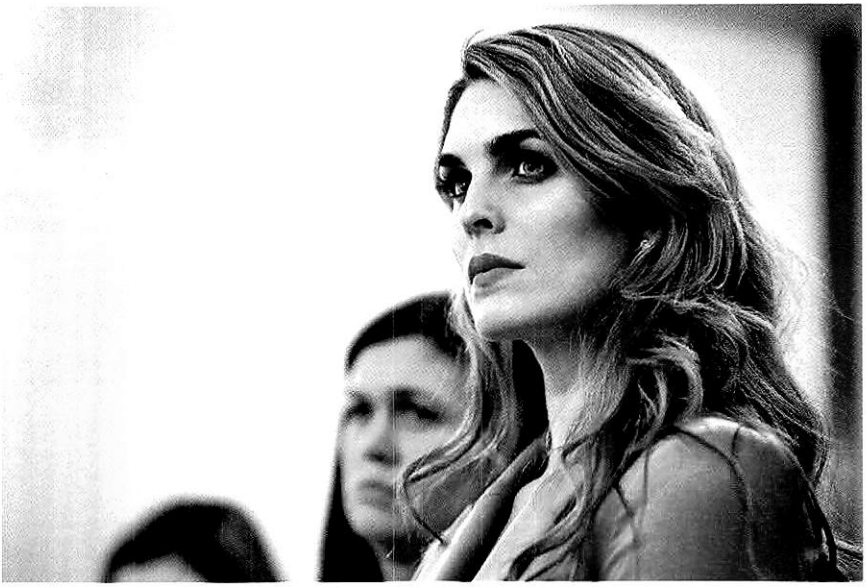

عملت هوب هيكس سكرتيرة صحافية لترامب خلال الحملة، وأصبحت مديرة الاتصالات الاستراتيجية في البيت الأبيض. وعلى غرار الكثيرين غيرها، حاولت كبح جماح تغريد الرئيس لكنها أخفقت في ذلك. وقالت لترامب «إن ذلك لا يساعد سياسياً. لا يمكنك ببساطة أن تكون على تويتر أشبه بمدفع خارج عن السيطرة. الكثير من هذه المادة يقتلك. أنت تطلق النار على قدمك. ترتكب أخطاء كبيرة». وتظهر هيكس في الصورة مع السكرتيرة الصحافية سارة هوكابي ساندرز.

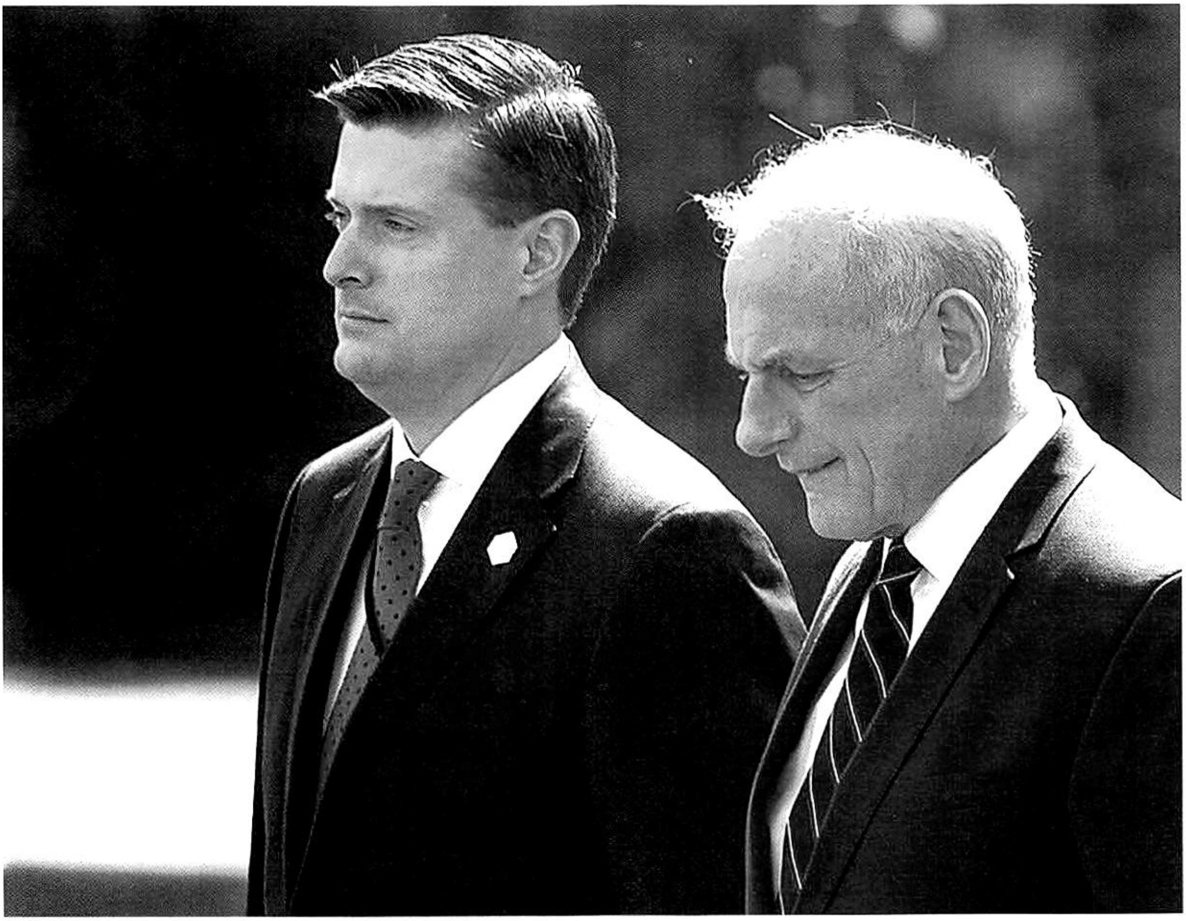

حاول سكرتير الموظفين روب بورتر، وهو يطلع ترامب على مذكرات قرار وغير ذلك من الوثائق الرئاسية المهمة، وبالتحالف مع غاري كوهين، أن يصد أكثر اندفاعات ترامب الاقتصادية والسياسية الخارجية خطورة. وقال بورتر لأحد مساعديه: «كان ثلث عملي يقضي بالرد على بعض أفكاره الخطيرة حقاً، ومحاولة إعطائه الأسباب للاعتقاد بأنها ربما لم تكن أفكاراً على هذا القدر الكبير من الجودة».

٢٠

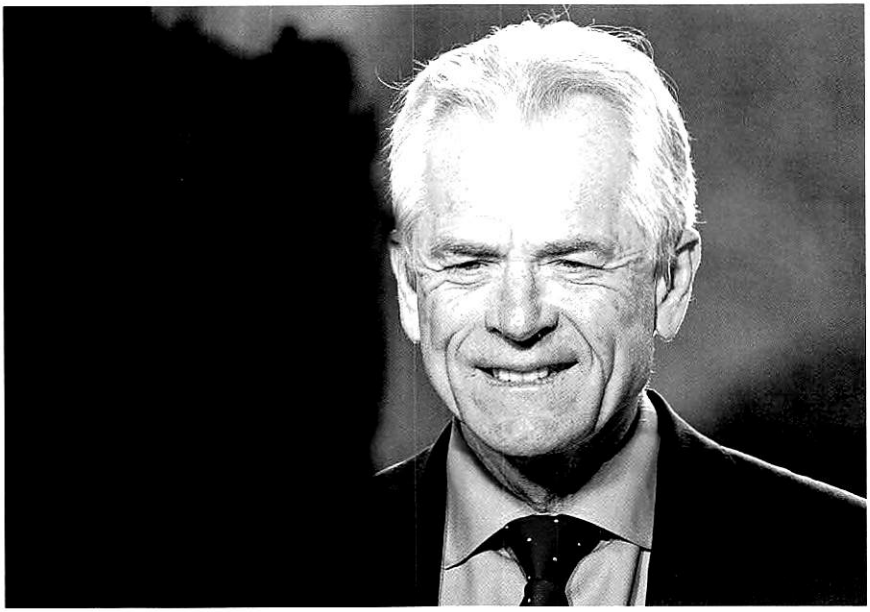

منح ترامب بيتر نافارو، ابن السابعة والستين والحائز دكتوراه في الاقتصاد من جامعة هارفرد، منصباً في البيت الأبيض. كان ترامب ونافارو من المؤمنين المتحمسين القائلين أن العجز التجاري يضر باقتصاد الولايات المتحدة. ووافق نافارو مع ترامب على فرض الرسوم على الفولاذ والألومنيوم، وهو ما لم يشاركهما الرأي فيه سوى القلّة.

٢١

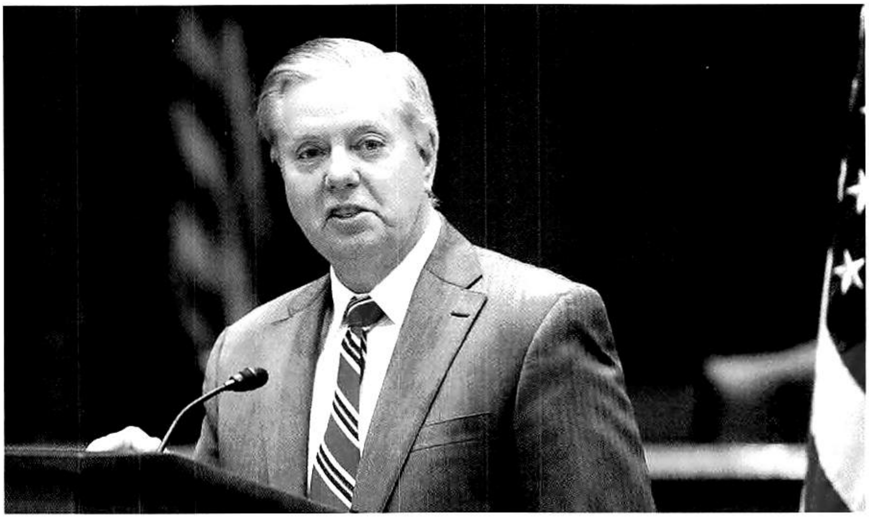

حث السيناتور ليندسي غراهام (الجمهوري عن كارولاينا الجنوبية) ترامب على اتخاذ خط متشدّد حيال كوريا الشمالية. وقال لترامب: «لا تريد أن تتضمن سيرتك الذاتية أن كوريا الشمالية، وهي قوة ذرية، قد حصلت، في فترة مناوبتك، على صاروخ يمكنه بلوغ الولايات المتحدة».

«وإذا حققوا اختراقاً وحصلوا على صاروخ يبلغ الولايات المتحدة، فعليك أن تضربهم».

٢٢

طرد ترامب مدير الإف بي آي جيمس كومي في أيار/مايو ٢٠١٧. «لا تحاولا إقناعي بغير ذلك». قال ترامب لمحامي البيت الأبيض دون ماكغان ورئيس موظفيه راينس بريبوس. «لأنني اتخذت قراري، فلا تفكرا حتى في المحاولة». اعتقد أن كومي يحب الظهور وخارج عن السيطرة.
واستغل ترامب الادعاءات بأن كومي أساء التعامل مع التحقيق في بريد هيلاري كلينتون الإلكتروني أساساً لطرده.

٢٣

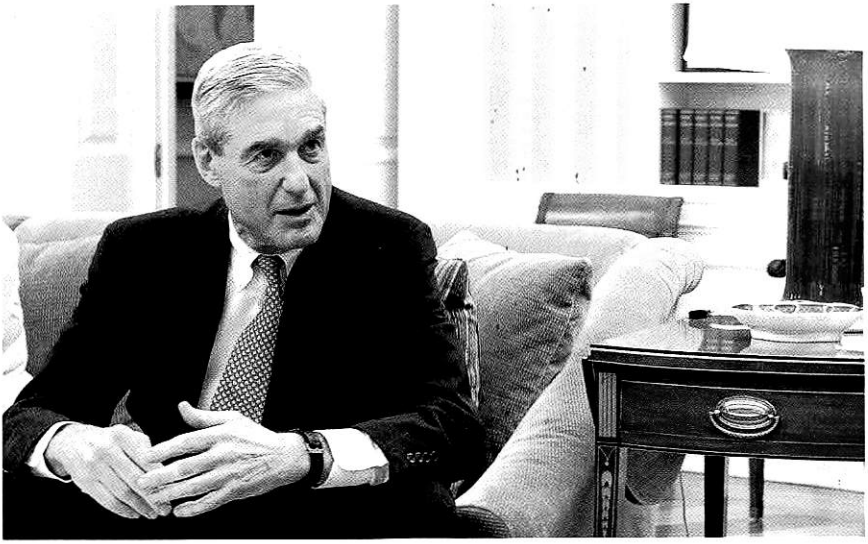

عُيّن مدير الإف بي آي السابق روبرت مولر محققاً خاصاً للتحقيق في التدخل الروسي في الانتخابات وفي أي علاقة مع حملة ترامب الرئاسية. ورفضه ترامب كبديل لكومي في منصب مدير الإف بي آي وقال: «كان موجوداً فحسب، ولم أعينه في الإف بي آي، وهو بالتأكيد يكنّ لي الضغينة».

انضم جون داود في أيار/مايو ٢٠١٧ إلى فريق ترامب القانوني. وأقنع الرئيس بعدم الإدلاء بشهادته في التحقيق الذي يجريه مولر. لكنه استقال في آذار/مارس ٢٠١٨ عندما بدّل ترامب رأيه ولم يستطع داود ردعه.

وقال داود لترامب: «سيدي الرئيس. لا يمكنني. كمحام. وكمسؤول في المحكمة. أن أجلس بقربك وأجعلك تجيب عن تلك الأسئلة. وأنا أعرف تمام المعرفة أنك غير قادر فعلا على ذلك».

٢٥
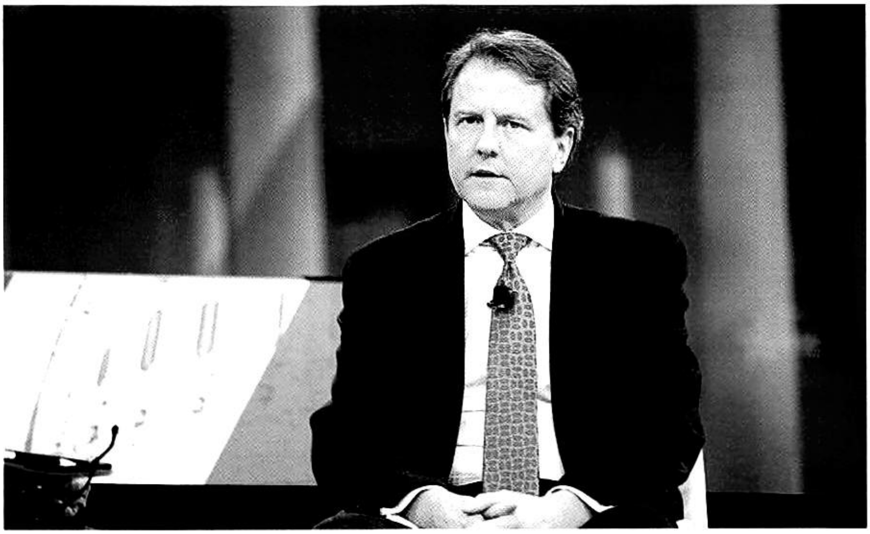

أراد محامي البيت الأبيض دون ماكغان من الرئيس تأكيد الامتياز التنفيذي في تحقيق مولر ومقاومة تسليم الوثائق. ولم يوافق محامي ترامب جون داوْد وتعاون مع مولر من أجل تسريع التحقيق.
«يمكننا باستخدام العسل الحصول على أكثر بكثير مما سنحصل عليه باستخدام الخل».

٢٦

ترامب والسيدة الأولى ميلانيا مع الرئيس الصيني شي جينبينغ والسيدة الأولى بنغ ليوان. اعتقد ترامب أن تأييد الصين للعقوبات ضد كوريا الشمالية كان نتيجة علاقته الشخصية مع شي. «أليس من الجيّد أنني على علاقة ودية معه. فيما تقولون أيها الناس إن علينا أن نكون على خصومة معه». قال بالرغم من التحذيرات إن شي كان يستغله. «فما كانوا أبداً ليفعلوا ذلك لولا أنني على هذه العلاقة الرائعة مع الرئيس شي. بحيث أحملهم على القيام بأمر ما كانوا. لولا ذلك. ليفعلوه».

كان الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون، البالغ من العمر ٣٤ عاماً، بحسب الاستخبارات الأميركية، قائداً أكثر فاعلية من والده كيم جونغ إيل، في ما يتعلق ببرامج الأسلحة النووية والصواريخ. وتقبّل كيم الابن أن تؤدّي تجارب الأسلحة والصواريخ حتماً إلى إخفاقات، ولم يأمر بإطلاق النار على المسؤولين والعلماء بعد الإخفاقات كما كان يفعل والده. واعتقد ترامب أن النزاع المتصاعد بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية هو صراع إرادات. «الأمر كلّه يتعلّق بزعيم في مواجهة زعيم، رجل في مواجهة رجل. أنا في مواجهة كيم».

خلال الأسابيع الأولى أزعج النظام الجديد الرئيس. وفي النهاية اتبع بورتر نظاماً دورياً يعمد فيه إلى أخذ ما بين مذكرتين إلى عشر مذكّرات إلى الرئيس ليوقعها كل يوم. راق لترامب التوقيع. فهذا يعني أنه ينجز الأمور، وكان يوقّع بخط منمق فيه صعود ونزول، ويوحي بالطابع الرسمي مستخدماً قلم تحديدٍ أسود.

لاحظ بورتر أن كيلي قد عامل الرئيس بودٍّ بالغ خلال الأسابيع الأولى. بدوا أشبه بندّين. ولطالما ظهر كيلي راسماً الابتسامة على وجهه خلال ظهوره قرب الرئيس. وكان يعمد إلى ممازحته وتقديم النصح إليه وعرض الحلول عليه: «سيدي الرئيس أعتقد أن من الجدير بنا فعل كذا». كان يبدي المراعاة والاحترام. «أنا مجرد موظف. أنت الرئيس. نود تقديم أفضل المعلومات الممكنة إليك». إنه كبير موظفي البيت الأبيض الأمثل. «أنت صاحب القرار. أنا لا أحاول التأثير في قرارك بطريقة أو بأخرى».

ولكن سرعان ما انتهى شهر العسل. بدءاً من شهر أيلول/سبتمبر، أصبح كيلي وبورتر معاً، وحدهما أو برفقة بضعة موظفين كبار.

قال كيلي: «إن الرئيس غير عقلاني». حيث طرأت مشكلة ما، ولاسيما على الاتفاقيات التجارية أو القوات الأميركية في كوريا الجنوبية. قال كيلي: «علينا جميعاً أن نحاول إقناعه بالعدول عن الأمر». لقد اضطروا إلى الوقوف في وجه الرئيس. فهو لا يصغي.

تزايدت العشوائية في إنجاز أعمال المكتب البيضاوي واتخاذ القرارات. قال كيلي: «إن الرئيس لا يفقه أي شيء حيال هذا الموضوع. إنه لا يعرف عمّا يتكلم».

لدى إصرار ترامب على الانسحاب من الاتفاقيات التجارية أو السياسات الخارجية المكلفة، راح كيلي يقول: «لا أصدق أنه يفكر بالقيام بذلك». فالتمس شخصياً المساعدة من بورتر.

«روب، عليك أن تضع حدّاً لهذا الأمر. لا تكتب ذاك الأمر. لا تنزل وتقوم بذلك. هلا تدخل وتكلمه لترى إن كان ممكناً إحداث أي تقدم؟ لقد تكلمت معه عبر الهاتف صباح هذا اليوم. وتحاورت معه بهذا الصدد. حاولْ وسنرى بأي نفع عساك تأتي؟».

ظل موضوع وجود القوات الأميركية في كوريا الجنوبية محط حوار دائم مع ترامب، الذي ظل على إصراره أنهم يدعمون كوريا الجنوبية. «هذا غير منطقي».

ذكّره بورتر بأن ماتيس وعدة أشخاص آخرين قالوا له إن هذا قد يكون أفضل إنفاق في سبيل الأمن القومي، تقدم عليه الولايات المتحدة. موجود القوات الأميركية يوفر معلومات استخبارية سرية جداً ولا غنى عنها، وهي تؤدّي دوراً أساسياً في كشف وردع الهجمات الصاروخية التي قد تشنها كوريا الشمالية.

في ٢٥ آب/أغسطس، قرر الرئيس أن يتّخذ قراراً حاسماً بشأن اتفاقية نافتا (اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية) واتفاقية كورس (اتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية) ومنظمة التجارة العالمية. قال ترامب: «سبق أن تكلمنا بهذا الموضوع ملياً إلى درجة الغثيان. نفّذوا الأمر. نفّذوه فحسب. انسحبوا من اتفاقية نافتا. انسحبوا من اتفاقية كورس. وانسحبوا من منظمة التجارة الدولية. سننسحب من تلك الثلاث».

استعان كوهن وبورتر بكيلي، الذي لم يرد للتجارة أن تزعزع الأمن القومي. توجّه بورتر وكيلي إلى المكتب البيضاوي. قال كيلي لترامب: «إن كوريا الشمالية حليفة، وإن اتفاقية كورس أفضل مما تعتقد».

قدّم بورتر بعض الدراسات التي تُظهر أن اتفاقية كورس أبقت ميزان العجز التجاري منخفضاً.

قال كيلي: «هذه فترة حساسة جداً بخصوص علاقتنا مع كوريا الشمالية وتلك المنطقة بأكملها. علينا ألا نقوم بأية خطوة من الناحية التجارية، خصوصاً بالنظر إلى مدى ضآلة حجم هذه الخطوة ضمن الصورة الأعم. فقد تُفجّر الوضع». نصح بأن يتصل الرئيس بتيلرسون، الذي اتخذ الموقف نفسه في هذا الصدد.

أجمع تيلرسون وماتيس وماكماستر وكيلي، وكل من هو في مجال الأمن القومي، على الآتي: حتى لو كان العجز التجاري مع كوريا الجنوبية مختلاً عشرة أمثال، لما برّر ذلك الانسحاب من الاتفاقية. وقد أجمعوا على أن مجرد التفكير بالانسحاب من الاتفاقية ضرب من الجنون.

أخيراً قال ترامب نهار الجمعة في الأول من أيلول/سبتمبر: «حسناً لن نعلن اليوم الانسحاب من اتفاقية كورس التي ستمسي باطلة بعد ١٨٠ يوماً من إعلاننا الانسحاب منها. هذا لا يعني أننا لن ننسحب منها، ولكن لا بأس، لن نفعل ذلك اليوم».

أبلغ بورتر الفريق التشريعي وجميع محامي البيت الأبيض وأعضاء مجلس الأمن القومي ألّا يحركوا ساكناً ذاك اليوم على الأقل. وحرص على عدم وضع أية مسوّدة يمكن للرئيس توقيعها.

بعد أربعة أيام، أي في الخامس من أيلول/سبتمبر، توجّه بورتر وكوهن والآخرون إلى المكتب البيضاوي. كان ترامب يحمل بيده مسوّدة رسالة[1] تعطي إشعاراً بمدة المئة وثمانين يوماً المطلوبة قبل انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية كورس. لم يكن بورتر قد كتبها، ولم يعرف قط من كتبها. ربما كان نافارو أو روس، ولكنه لم يتأكد قط من هوية كاتبها.

قال ترامب: «لدي مسوَّدة. سوف ننسحب من هذه الاتفاقية. أحتاج فقط إلى صياغة هذه الرسالة بشكل جيد وسنطبعها على ورقة رسمية ونرسلها. يجب أن نفعل ذلك اليوم».

---

(١) وثيقة استحصل عليها المؤلف.

قدم ماكماستر الحجج المتعلقة بناحية الأمن القومي. وقدم كوهن وبورتر الحجج المتعلقة بالناحيتين التجارية والاقتصادية.

قال ترامب: «إلى أن أتخذ بعض الخطوات لأبيّن بأن تهديداتي حقيقية ويجب أن تؤخذ على محمل الجد، سوف نخفف دعمنا لهذه الجهات». ثم غادر المكتب البيضاوي.

بعد خروج الرئيس من منطقة أمانة سر الموظفين التي يسيطر عليها بورتر، لكي يحصل على مسودة رسالة جديدة، شعر كوهن بالقلق الشديد. فأزال هذه الرسالة عن طاولة مكتب الرئيس(*).

خلال الأشهر الأولى من عمله ككبير موظفي البيت الأبيض. بدا أن كيلي كان يجلس في المكتب البيضاوي كل يوم تقريباً، وفي كل اجتماع. لم يكن يكثر الكلام، بل كان أكثر ميلاً إلى الرصد والمراقبة. حاول أن يظهر الحرص على إقفال باب بين المكتب البيضاوي والمكتب الخارجي الصغير حيث تجلس مادلين ويسترهاوت. كانت تبلغ السابعة والعشرين من العمر، وكانت تعمل كمساعدة سابقة في اللجنة الوطنية الجمهورية، وتشبه هوب هيكس بشعرها الطويل البني وابتسامتها العريضة. والسبب المعلن هو لتوفير المزيد من الخصوصية والأمن. وكان كيلي يريد بذلك أن يمنع الناس من التجول ما بين الداخل والخارج كما كان يحدث في السابق.

فيقول الرئيس: «لا، لا، دعْه مفتوحاً. أريد التمكن من رؤية مادلين حتى يسعني مناداتها».

تعوّد العميد البحري روني جاكسون، طبيب الرئيس في البيت الأبيض، أن يمرّ على الرئيس للاطمئنان عنه في أغلب الأيام، وحتماً يحدث ذلك مرّات في الأسبوع.

فيقول جاكسون وهو يمد رأسه إلى خارج مكتبه خلال مرور الرئيس: «كيف حالك اليوم أيها السيد الرئيس؟» عادة تكون زيارة اطمئنان تمتد لثلاثين ثانية، وتدور في الأغلب حول شيء ما مثل رذاذ للأنف.

عمد د. جاكسون إلى زيارة كيلي عدة مرات. قال جاكسون ذات مرة: «الرئيس يخضع لضغط كبير في الآونة الأخيرة. سنحتاج إلى إيجاد طريقة للتخفيف من وطأة الأمور، أو تخفيف جدول مواعيده».

وفي مرة أخرى كان جاكسون أكثر دقة، إذ قال: «يبدو أن الرئيس يخضع لضغط أكثر من المعتاد. فلنخفّف من جدول أعماله لليوم التالي».

وجد كيلي الحل بإعطاء الرئيس مزيداً من «الوقت التنفيذي»، أي الوقت الذي لا يقضيه في

(*) راجع المقدمة، ص ١٥.

المكتب. جرت العادة أن يحدِّد ترامب بنفسه موعد البدء بالعمل، وغالباً ما يكون له الخيار في موعد العودة إلى مقر إقامته.

حاول كيلي أن يستجيب إلى طلب جاكسون. أيُّ المواعيد ضرورية؟ هل يمكنهم إعطاء ترامب نصف ساعة أو ساعة إضافية في فترات الصباح، أو توقيف برنامج مواعيد قبل ساعة في فترات المساء؟ جربوا القيام بذلك. ولكن المتطلبات الكثيرة للرئاسة لا تهدأ، وغالباً ما يقوم ترامب بإشغال الجميع، وهو من ضمنهم.

دعا ترامب مجموعة من الأشخاص[1] إلى مقر الإقامة لمناقشة التعريفات الجمركية على الصُلب. فحضر روس ونافارو ولايتهايزر وكوهن وماكماستر وبورتر. أفاد ترامب بأنه سئم من هذا الجدال، ويريد توقيع مذكرة قرار لفرض تعريفات على الصلب بقيمة ٢٥٪، من دون منح استثناء لأي دولة.

كان الجدال محتدماً كالعادة، إلى أن قال منوشين إن الإصلاح الضريبي يجب أن يأتي في المقام الأول. قال إن هذه فرصة العمر لتمرير قانون الإصلاح الضريبي مادامت الأغلبية الجمهورية تسيطر على مجلس النواب ومجلس الشيوخ والبيت الأبيض. فالإصلاح الضريبي لم يحدث منذ عهد رئاسة ريغان قبل أكثر من ٣٠ سنة.

نبّه منوشين إلى أن الكثير من السيناتورات الجمهوريين الذين سيحتاج إليهم للموافقة على الإصلاح الضريبي هم من أرباب التجارة الحرة، ومن المعارضين المتشددين لفرض التعريفات على الصلب.

قال: «أيها الرئيس، قد تخسرهم».

وافقه بورتر الرأي. أما ماكماستر فقد حاجج بالاستناد إلى موضوع الأمن القومي بأن التعريفات على الصلب ستضر تماماً بالعلاقات مع أبرز الحلفاء، وأصرّ على ضرورة الالتفات إلى مسألة الضرائب وعلاقة ذلك بالسيناتورات الجمهوريين.

قال ترامب أخيراً: «نعم أنت محق. رغم أهمية هذا الأمر، لا يسعنا أن نعرّض قانون الضرائب للخطر لأجله. لذا سنتريث. ولكن بمجرد أن ننتهي من مسألة الضرائب، فسوف ننتقل إلى التجارة. وأول ما علينا فعله هو فرض هذه التعريفات على الصلب».

بعد خروج بانون من البيت الأبيض، أوجد ترامب وسيشنز حلاً آخر لمسألة الهجرة في الخامس من

---

(١) مراجعة المؤلف للملاحظات المتزامنة لأحد المشاركين في الاجتماع.

أيلول/سبتمبر. صرّح ترامب إلى الإعلام أنه وضع حدّاً[1] لبرنامج داكا للهجرة الذي كان معمولاً به في عهد أوباما. وقد أسماه «نهج العفو أولاً». وقال إن على الكونغرس أن يجد بديلاً منه في غضون ستّة أشهر.

بعد يومين حاول أن يهدئ الجميع[2]. وفي ٧ أيلول/سبتمبر، غرد ترامب قائلاً: «لكل الذين يشملهم قانون داكا والقلقين على أوضاعهم خلال مدة الأشهر الستة، لا داعي للقلق، لن يحدث أي تحرك!».

بيد أن بانون، الذي كان لا يزال يحظى بفرصة تواصل مع ترامب، قد اتصل به ليذكّره بمدى أهمية مناهضة الهجرة بتشدُّد.

يتذكّر بانون أنّه سأل الرئيس: «هل تعلم أن هذه المسألة كادت تدمّر الحزب الجمهوري في صيف العام ٢٠١٣؟ هذا السبب الرئيسي وراء كونك الرئيس. الشيء الوحيد الذي قد يدمّر الحزب الجمهوري. لا تزال مسألة العفو هذه تطاردنا».

نقل ستيفن ميلر خبراً من البيت الأبيض إلى بانون فحواه أن هذا الجدال برمّته بات يدور حول الهجرة المتسلسلة. أجرى بعض الحسابات وتوصَّل إلى أن السياسة الحالية ستضيف ٥٠ مليون مهاجر جديد بعد ٢٠ سنة، في حال تواصلها.

قال ميلر لبانون: «لن يتخلى الديمقراطيون أبداً عن الهجرة المتسلسلة. فهي التي غيّرت البلاد. الهجرة المتسلسلة تمثّل كل شيء. بهذه الطريقة يحصل المهاجرون على فرصة لمّ الشمل الأُسَري».

تبيّن أن ميلر محقّ. وواصل ترامب الكلام وكأنه سيقدم تسوية، ولكن لم يُعقد أي اتفاق مع الديمقراطيين.

قال ترامب ذات يوم في المكتب البيضاوي: «ليس لديّ محامون جيدون، لديّ محامون سيئون». وخصَّ بكلامه محامي البيت الأبيض دون مكغان. «لدي مجموعة محامين غير مندفعين وضعفاء، ولا يأخذون في اعتباراتهم مصلحتي، وهم ليسوا أوفياء. إنها كارثة. لا يسعني إيجاد محام جيد». وشمل في حديثه المحامين الشخصيين الذين يتولّون قضية تحقيق مولر.

توجّه بورتر إلى مكتب كيلي لينبّهه. كانا وحدهما. قال بورتر: «سبق لي أن شاهدت هذا الفلم. أشعر بالقلق لأن ثمة أوقاتاً مرت علينا في السابق، وتحديداً بعد تعيين المحقّق الخاص؛ إنها حقبة

---

(١) Michael D. Shear and Julie Hirschfeld Davis, "Trump Moves to End DACA and Calls on Congress to Act," The New York Times, September 5, 2017.

(٢) للاطلاع على تغريدة ترامب: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/905788459301908480

مولر-كومي، التي استُنزف خلالها الرئيس وتشتّت انتباهه كثيراً؛ فواجه صعوبة في تأدية عمله كرئيس واتخاذ قراراته بشكل فاعل. كما واجه صعوبة في توجيه تعليماته التي كنا نحتاج إليها كي نتمم عمل الحكومة.

«لحسن الحظ تخطّينا تلك المرحلة. أخشى أن يحدث هذا النوع من نوبات الانفعال ثانية، خصوصاً مع اتخاذ التحقيق لمجراه. وبعد أن تتعقّد الأمور فسوف يبلغ السيل الزبى، لا أعرف ما الذي سيحفّز على تفجير الوضع».

قد يتشكّل هذا الحافز بفعل التحقيقات الخاصة بروسيا التي يجريها مجلس الشيوخ ومجلس النواب. «أو من يدري؟ ولكن يجب أن نكون على علم بالأمور. إن لم نحسّن طريقة تقسيمنا للأمور، وإن لم نمنحه الوقت والمجال للتعامل مع مسألة مولر بحيث يتسنى له التفكير بشكل أفضل، فسوف ينعكس ذلك على باقي أقسام البيت الأبيض. إن ترامب بحاجة إلى الوقت «كي يتنفس ويتمتع بالاستقرار الانفعالي».

عمد بورتر إلى حثّ كيلي على التفكير بذلك، «حتى تكون مستعداً، وحتى يتسنى لنا مواصلة العمل، وحتى لا يؤدي ذلك إلى شل كامل الجناح الغربي لأيام إن لم يكن لأسابيع، كما حدث في السابق».

هزّ كيلي برأسه موافقاً. «نعم، سبق أن رأيت مثل هذه الأشياء. وبوسعي التخيُّل أن الوضع سيكون على هذه الدرجة من السوء».

قال بورتر: «بالكاد نجونا في المرة الماضية التي حدث فيها هذا الأمر. وقد يكون هذه المرة أسوأ من ذي قبل. لذا علينا أن نبدأ برسم خطة لطريقة تعاملنا مع الوضع».

وافق كيلي على أن كلامه منطقي، وقال: «لنحاول». ولكن لم تخطر لأي منهما فكرة فورية.

الفصل الثالث والثلاثون[1]

لم تقتصر الأمور التي تشغل ذهن ترامب على التحقيقات الواسعة التي يقوم بها مولر، لكنها شملت التغطية الإعلامية المستمرة، والتي تحدّثت عن تعاون حدث بينه وبين الروس، وعرقلة العدالة، أو الأمرين معاً وكان ذلك بمثابة سيل لا ينقطع عنده يتسبَّب بالحنق الشرس وغير المهذّب. قال بورتر إن نتيجة ذلك. «تمثّلت في أن الرئيس بدا أحياناً عاجزاً عن أن يكون رئيساً».

لاحظ ماكماستر هذا الوضع، ولم يكن من غير المعتاد ألّا يصغي الرئيس طويلاً، أو أن يصغي بتركيز شديد، إلى مستشاره للأمن القومي، لكن الأمر ازداد سوءاً بعد ذلك. أبلغ ماكماستر بورتر: «يبدو الأمر وكأنني لا أحوز انتباهه».

ردّ بورتر بنصيحة: «لا تعتبر الأمر شخصياً. ومن الواضح أنه يعاني من الشرود. بقي الرئيس على هذه الحال طوال النهار، وسبب ذلك أنه يركّز تفكيره في الأخبار المتعلّقة بروسيا».

أبلغ غاري كوهن بورتر: «أن لا فائدة حتى اليوم من التحدث معه».

كانت هوب هيكس قلقةً عندما أبلغت بورتر: «لقد أتعبه هذا الوضع». أرادت هوب أن يهدأ الرئيس، وأن يتجنّب القيام بأي شيء، أو ألّا يقول شيئاً متسرعاً، لأنه إذا ما فعلَ فإنه سيندم لاحقاً. عزمت هوب على محاولة دفع ترامب إلى التحدث عن أمور أخرى، وعلى حرف انتباهه بعيداً من شاشة التلفزيون، وحتى التوقّف عن إعطاء الأمور أهمية أكثر من ما تستحق.

كان المقرّبون منه على استعداد لمرافقته على متن الطائرة الرئاسية للتحدث علناً أمام الناس. قال ترامب: «أعتقد أنني سوف أقضي الدقائق العشر الأولى في مهاجمة وسائل الإعلام».

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

سأل ترامب بورتر في عدة مناسبات إن كان مهتماً بتولّي منصب مستشار البيت الأبيض، لكن بورتر رفض العرض.

كان ترامب في بعض الأحيان يدعو بورتر للانضمام إليه، عندما كان يأتي محاميه الخاص للتحدث معه عن مسائل تتعلق بالمستشار الخاص مولر.

«روب، أريدك أن تبقى، وأن تكون جزءاً من كل ما يحدث هنا».

قال بورتر: «إنني لستُ محاميك، وأنا لا أقوم بدور المحامي. لكن حتى لو كنت محاميك، فإنني سأعمل بصفتي محامي الحكومة، وليس بصفتي أحد محاميك الشخصيين، ومن شأن ذلك كسر امتياز المحامي – الموكّل، ولذلك لا أستطيع أن أكون هنا».

قال ترامب: «كلا، كلا، كلا. هذا الأمر لا يهم في شيء».

احتاج الأمر إلى واحد من محامي ترامب الشخصيين، مثل جون دوود، ليقول للرئيس: «يتوجّب على روب أن يغادر الغرفة».

أبلغ غاري كوهن بورتر قائلاً: «لا أعرف كم يمكنني أن أبقى بعد الآن، فالأمور هنا أصبحت تميل إلى الجنون، والفوضى سائدة في كل مكان. أعتقد أنه لن يتغيّر أبداً، لذلك لا جدوى من تحضير مؤتمرٍ صحفي ذي معنى، ومفيد، ومنظّم، للرئيس في حين نمتلك مجموعة من الشرائح، فأنت تعرف أنه لن يصغي إليكَ أبداً. إننا لن نتمكن من إتمام المؤتمر. لكن بإمكانه المضي قُدُماً للدقائق العشر الأولى، ثم لا يلبث أن يرغب في التحدث عن موضوعٍ آخر. وهكذا سوف نبقى هناك لفترة ساعة، لكن لن نستطيع إتمام هذا المؤتمر الصحفي».

حاول بورتر تحضير أوراق منظّمة للمؤتمر الصحفي تتضمن معلومات، ووجهات نظر مختلفة، وتكاليف، ومكاسب، وفوائد، ومَضار، وكذلك عواقب اتخاذ أي قرار. لكن فكرة عقد مؤتمر صحفي لم تنجح.

عمل غاري كوهن، وروبرت لايتيزر، الممثّل التجاري الأميركي، على مدى أشهرٍ لحمل ترامب أن يجيز البدء بتحقيق عن خروق الصين للملكية الفكرية في ممارساتها التجارية. كانت هذه القضية فرصةً أمام ترامب من أجل عرض عضلاته المعارِضة من دون نسف اتفاقية التجارة بين البلدين. كانت هذه الصلاحية مستمدة من القسم ٣٠١ من قانون التجارة الذي صدر في العام ١٩٧٤، وهو القانون الذي أعطى الرئيس سلطة فرض قيود تجارية عقابية من جانبٍ واحد على البلدان التي تتعامل بصورة غير عادلة في تجاراتها مع الولايات المتحدة.

دأب الصينيون على كسر كل القواعد، كذلك سرقوا كل شيء، بدءاً بشركات التقنية، مروراً

بالبرمجيات المقرصنة، والأفلام، والموسيقى، وتزوير السلَع الفاخرة والأدوية. كانوا يشترون القطَع من الشركات ويسرقون التكنولوجيا. سرقوا كذلك الملكيات الفكرية من الشركات الأميركية التي فُرِضَ عليها الانتقال إلى الصين لكي تمارس أعمالها هناك. اعتبر كوهن الصينيين أوغاداً فاسدين. وقدّرت الإدارة الأميركية أن الصين قد استفادت من السرقات الفكرية بما مقداره ٦٠٠ مليار دولار.

كان من شأن فتح تحقيق بشأن القسم ٣٠١، الذي يُعرف اختصاراً بـ ٣٠١، إعطاء لايتيزر فرصة عام واحد لكي يقرِّر إن كان يتعيّن على مكتب الممثل التجاري الأميركي فتح تحقيق رسمي يتعلّق بالصين. وإذا كان الأمر كذلك فسوف يمتلك ترامب السلطة لفرض رسوم جمركية، وعقوبات، وإجراءاتٍ أخرى ضد الصين.

أعرب الأوروبيون، واليابانيون، والكنديون، عن رغبتهم في الانضمام إلى مجهودٍ منسّق ضد خروق الصينيين للملكية الفكرية. كان من شأن ذلك أن يكون أول تنفيذ لإجراءٍ تجاري يقوم به ترامب.

وافق ترامب أخيراً أن يوقّع[1] مذكّرة، وأن يُعلن في خطابٍ له عن فتح تحقيق يستمر لمدة سنة عن خروق الصين للملكية الفكرية. كان ذلك مساراً طويلاً من أجل تزويده بإجراءٍ واضحٍ ومحددٍ على جبهة التجارة.

لكن ترامب تراجع فجأةً خلال اجتماع عُقد في مقر فريقيه الاقتصادي والتجاري. وكان قد تحدّث لتوّه مع الرئيس شي. لم يرغب الرئيس باستهداف الصين. قال الرئيس: «إننا بحاجة إلى مساعدة الصين في موضوع كوريا الشمالية. إننا لا نحتاج إليها في التصويت على قرارٍ واحدٍ من مجلس الأمن الدولي، بل نحتاج إلى مساعدتها على الدوام. أريد إلغاء كل ما يشير إلى الصين من الخطاب». فهو لم يرغب في عرقلة علاقاته القوية مع الرئيس شي.

قال بورتر إن المذكرة القصيرة المؤلّفة من صفحتين جاءت على ذكر الصين خمس مرات، والصين فقط. كانت الصين هي محور المذكّرة التي نوقشت على مدى أشهر من الزمن.

«لا، لا، لا. لا أريد أن أتحدّث عن الصين بالتحديد. دعونا نتحدّث عن العالم بأسره».

لكن القانون يفرض أن تكون التحقيقات بشأن ممارسات تجارية محدَّدة وغير عادلة، وهي تلك التي تقوم بها دولةٌ محدّدة.

قال بورتر: «إنها الصين في هذه الحالة، ولا يمكننا تجاهل هذه الحقيقة».

---

(١) Donald J. Trump, "Memorandum on Addressing China's Laws, Policies, Practices, and Actions Related to Intellectual Property, Innovation, and Technology," August 14, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=128023

قال الرئيس: «حسناً، موافق. يمكنني توقيع أي شيء، لكن لا أريد أن أذكر الصين في الملاحظات».

«لا يمكننا شرح أي شيء من دون أن نذكر أننا نستهدف الصين».

وافق ترامب على هذا الطرح، وهكذا قال في ملاحظاته العلنية(١): «إن سرقات الملكية الفكرية التي تقوم بها الدول الأجنبية تكلّف أمّتنا ملايين الوظائف ومليارات الدولارات في كل سنة. استمر هذا الهدر من ثروات بلادنا على مدى فترة طويلة، بينما لم تفعل واشنطن أي شيء حيال هذا الوضع... لكنها لم تعد مستعدة لإغماض عينيها عن هذا الهدر من الآن فصاعداً». لم يذكر الرئيس الصين سوى مرة واحدة.

كان كوهن وبورتر يتمنيان أن يؤدي توقيع مذكرة السماح بفتح تحقيق ٣٠١، وعلى الفور، إلى تحويل ترامب عن تصميمه فرض الرسوم الجمركية على استيراد الفولاذ والألومنيوم.

لكن، عندما كان أحد الرجلين يقوم بتحدي قناعة ترامب بشأن أهمية العجز التجاري، والحاجة إلى فرض الرسوم الجمركية، لم يكن ترامب يتزحزح عن موقفه. قال الرئيس: «أعرف أنني على حق، وإذا كنتما تخالفانني الرأي، فهذا يعني أنكما على خطأ».

أدرك كوهن أن المعركة الحقيقية سوف تجري حول الرسوم الجمركية، أي حيث يمتلك ترامب أكثر المواقف صلابةً، وحيث يستطيع إنزال الضرر الأكبر باقتصاديات العالم والولايات المتحدة. ولذلك قدَّم كل المعطيات المتعلقة التي تمكّن من الحصول عليها إلى الرئيس، والتي تشرح كيف أن الرسوم على الفولاذ المستورد سوف تكون بمثابة كارثة، وسوف تؤذي الاقتصاد.

اشتملت الوثيقة المكوّنة من ١٧ صفحة، والتي أرسلها كوهن، على رسم بياني يُظهر الدخل الضئيل المحصّل في العامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٣، أي عندما فرض الرئيس بوش رسوماً جمركية للأسباب ذاتها المطروحة في هذه الفترة. بيّن الرسم البياني أن الدخل المحصّل كان ٦٥٠ مليون دولار، وكان هذا الرقم يمثّل ٠,٠٤٪ من الدخل الفيدرالي الكلّي، والذي بلغَ ١,٧٨ تريليون دولار.

(١) Donald J. Trump, "Remarks on Signing a Memorandum on Addressing China's Laws, Policies, Practices, and Actions Related to Intellectual Property, Innovation, and Technology and an Exchange with Reporters," August 14, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb .edu/ws/ ?pid=128022

لاحظ هنا أن ترامب قدّم هذه الملاحظات في ١٤ آب/أغسطس، أي في اليوم نفسه الذي عرض فيه مجموعته الثانية من الملاحظات حول شارلوتس فيل. وكان خطابه في شارلوتس فيل عند الساعة ١٢:٤٠ من بعد الظهر، في حين أن ملاحظاته حول الصين قُدّمت عند الساعة ٣:٠٦ من بعد الظهر.

كان الدخل المتوقّع من فرض رسم جمركي بنسبة ٢,٥٪ سيبلغ الآن ٣,٤ مليارات دولار، أو ٠,٠٩٪ من الدخل الكلّي البالغ ٣,٧ تريليونات دولار للعام ٢٠١٨.

قال كوهن إن عشرات آلاف الوظائف قد فُقدت في الصناعات التي تستهلك الفولاذ، كما قدّم رسماً بيانياً يُثبت ذلك.

وقف مع ترامب ثلاثة من الحاضرين الذين وافقوا معه على أن العجوزات التجارية بالغة الأهمية، وكانوا وزير التجارة ولبور روس، وبيتر نافارو، وبوب لايتيزير، الممثل التجاري للولايات المتحدة.

قال نافارو إن المعطيات المقدَّمة لا تتضمن الوظائف التي أضيفت في مصانع الفولاذ في أعقاب فرض بوش الرسوم الجمركية في العامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٣.

قال كوهن: «أنت على حق. لقد أضفنا ستة آلاف وظيفة في معامل الفولاذ».

ردّ نافارو: «معلوماتك خاطئة تماماً».

كان ترامب مصمِّماً على فرض الرسوم الجمركية على الفولاذ، فقال: «اسمعوني جيداً. سوف نجرّب، وإذا لم تنجح التجربة فسوف أُلغيها».

قال كوهن: «سيّدي الرئيس. إننا لا نتصرّف هكذا مع الاقتصاد الأميركي... لأن المخاطر كبيرة جداً، ومن المهم جداً أن نكون حذرين... إننا نقوم بإجراءٍ ما عندما نكون متأكدين ١٠٠٪ أنه سوف ينجح، ثم نصلّي بحرارة لأن نكون مصيبين. لكننا لا نفعل هذا في الاقتصاد الأميركي مع نسبة نجاح ٥٠٪ فقط».

كرّر ترامب موقف وقال: «إذا كنا مخطئين، فسوف نتراجع».

كانت اتفاقية نافتا NAFTA من الأهداف الدائمة لترامب. وهكذا واظب على القول، وعلى مدى أشهرٍ عدة، إنه يريد الانسحاب من نافتا قبل إعادة التفاوض على اتفاقٍ جديد. «إن الطريقة الوحيدة للتوصل إلى اتفاقٍ جيّد هي إلغاء الاتفاق القديم. وإذا قمتُ بإلغائه، فإنهم سوف يعودون مسرعين إلى طاولة المفاوضات في غضون ستة أشهر». كان ذلك يعني أن نظريته للتفاوض تقضي بالآتي: إذا أردت الحصول على الموافقة في مسألةٍ، فما عليك إلّا أن ترفض أولاً».

ردّ كوهن: «إذا ألغيتَ الاتفاق، فقد ينتهي الأمر. هذه هي الاستراتيجية الأكبر خطراً، وهي إما أن تنجح، وإما أن نتعرّض للإفلاس».

كان كوهن يعلم بأن ترامب قد أفلس ست مرات، لكنه لم يكترث لذلك. ولم يكن الإفلاس

سوى استراتيجية عملٍ أخرى. وهكذا كانت تلك الاستراتيجية تعني هنا: ابتعد قليلاً، وهدّد بإلغاء الاتفاق. القوة الحقيقية هي الخوف.

امتنع مصرف غولدمان ساكس، وعلى مدى عقود، عن التعامل مع مؤسسة ترامب، أو مع ترامب ذاته، وذلك لعلمه بأن ترامب قد يصدم أي شخص، وكل الناس. وكان بإمكانه أن يكتفي بعدم الدفع، أو أن يقاضي. تذكّر كوهن أنه، في بداية عمله مع غولدمان، كان هناك رجل مبيعات شاب يقوم بتسوية عملية سندات لمصلحة كازينو مع ترامب.

أبلغ كوهن رجل المبيعات الشاب أن عدم تسوية العملية، سوف يعرّضه للصرف من العمل. لكن لحسن الحظ قام ترامب بالدفع في ذلك الوقت.

لكن تطبيق هذه العقلية، المأخوذة من أيام عمل ترامب في العقارات، على الحكم، وتقريرَ أنه يستطيع المخاطرة بإفلاس الولايات المتحدة، هما أمران مختلفان كلّيًّا.

كشف كوهن خلال نقاش آخر مع الرئيس أن دراسة أعدّتها وزارة التجارة قد أظهرت أن الولايات المتحدة بحاجةٍ ماسة إلى التعامل التجاري مع الصين. «إذا كنتَ أنتَ الجانب الصيني وتريد تدميرنا بالفعل، فبإمكانك التوقف عن إرسال أدوية المضادات الحيوية إلينا. أنت تعرف أننا لا ننتج المضادات الحيوية في الولايات المتحدة». أظهرت الدراسة كذلك أن تسعة أدوية رئيسة من المضادات الحيوية لا تُصنَّع في الولايات المتحدة، بما فيها البنِسيلين. إن الصين باعتنا ٩٦,٦٪ من كل المضادات الحيوية التي استخدمناها هنا. «إننا لا ننتج البنِسيلين هنا».

تطلّع ترامب نحو كوهن بطريقةٍ غريبة.

«سيّدي، عندما يبدأ أطفال الأمهات بالموت جرّاء التهاب الحنجرة، فماذا تقول لهنّ؟»؛ سأل كوهن ترامب إن كان سيقول لهنّ، «لكن العجز التجاري أهم».

ردّ ترامب مقترحاً: «سوف نشتري المضادات الحيوية من بلدٍ آخر».

«إذن سوف يقوم الصينيون ببيعها [المضادات الحيوية] للألمان، وسوف يقوم الألمان برفع الثمن ليبيعوها لنا. يعني ذلك أن عجزنا التجاري سوف يهبط مع الصينيين، وسوف يرتفع مع الألمان». يعني ذلك أيضاً أن المستهلكين الأميركيين سوف يتحملون تكلفة إضافية. «هل هذا مفيد لاقتصادنا؟» قال نافارو إنهم سيشترون المضادات من بلدٍ آخر غير ألمانيا.

ردّ كوهن بأن هذا يعني عودة إلى المشكلة ذاتها، وأضاف: «يعني ذلك أنك تعيد توزيع لعبة الورق على متن باخرة التيتانيك».

كانت صناعة السيارات الأميركية من القضايا الأخرى التي تستحوذ على اهتمامات ترامب. زعم الرئيس أن الصين تتسبَّب في أضرارٍ كثيرة لهذه الصناعة، وللعمّال الأميركيين بقدرٍ أكبر.

جمع كوهن أفضل الإحصاءات التي تمكّن من تجميعها، لكنه كان يعرف أن ترامب لن يقرأها، ولذلك أحضر لوحة رسوم بيانية إلى المكتب البيضاوي. أظهرت الأرقام أن صناعة السيارات الأميركية كانت على ما يرام. وأظهرت إحدى الرسوم الكبيرة أن الشركات العملاقة الثلاث في ديترويت كانت تنتج ٣,٦ ملايين سيارةٍ وشاحنة خفيفة أقلّ ممّا كان عليه الأمر منذ العام ١٩٩٤، لكن باقي أنحاء الولايات المتحدة، ومعظمها في الجنوب الشرقي من البلاد، قد رفعت إنتاجها بالقيمة ذاتها، أي ٣,٦ ملايين سيارة.

قال كوهن إن مجموعة سيارات البي. إم. دبليو ٣ المنتشرة في العالم قد صُنعت بأكملها في كارولاينا الجنوبية. أما جميع العربات الرياضية لشركة مرسيدس، فتُصنع في الولايات المتحدة. تعني هذه الأرقام أن ملايين الوظائف في صناعة السيارات، والتي جرت خسارتها في ديترويت، قد انتقلت إلى كارولاينا الجنوبية، وذلك نتيجة لقوانين الحق في العمل.

سألَ ترامب: «ماذا بشأن المصانع المهجورة؟... يتعيّن إصلاح هذا الخلل».

قدّم كوهن في هذه الأثناء وثيقةً أخرى، وكانت بعنوان، «سجلّات الولايات المتحدة في نزاعات منظمة التجارة العالمية»، وهي وثيقة وضعها في السجل اليومي الذي يجمعه بورتر لكي يقرأه الرئيس في الليل. لكن ترامب نادراً ما كان يفتح ذلك السجل، هذا إذا قام بفتحه أساساً.

قال ترامب: «إن منظمة التجارة العالمية هي أسوأ منظمة أنشئت على الإطلاق. إننا نخسر الكثير جداً من القضايا فيها».

«هذه موجودة في سجلّك سيّدي»، قالها كوهن وهو يُخرج نسخةً أخرى من الوثيقة التي تُظهر أن الولايات المتحدة ربحت ٨٥,٧٪ من قضاياها المرفوعة أمام منظمة التجارة العالمية، وكانت هذه نسبة تزيد على المعدّل المتوقع. «ربحت الولايات المتحدة قضايا حول النزاعات التجارية ضد الصين، تتعلّق بالقيود غير العادلة المفروضة على تصدير المواد الأولية والمعادن الثمينة. استخدمت الولايات المتحدة كذلك نظام تسوية النزاعات من أجل إجبار الصين على إلغاء الدعم المادي في عددٍ كبيرٍ من القطاعات».

ردّ ترامب: «هذا هراء، وخاطئ».

«هذا ليس خاطئاً، المعطيات مأخوذة من الممثّل التجاري للولايات المتحدة. يمكنك إجراء اتصال مع لايتيزر لتعرف إن كان يوافق عليها».

قال ترامب: «لا أريد الاتصال بلايتيزر».

ردّ كوهن: «حسناً. أنا سوف أتصل به. إنها معطيات حقيقية... لن يشكك أحد بها». أضاف بعد ذلك: «إن المعطيات هي المعطيات».

تعوّد كوهن أن يطلب بين وقت وآخر مساعد نائب الرئيس بنس، وكان يفعل ذلك خلال أحاديث خاصة تجري بينهما. شرح كوهن موقفه من مسألة الرسوم الجمركية على الفولاذ والألومنيوم، وقال: «مايك، أريد أن تساعدني في هذه المسألة».

قال بنس: «أنت تقوم بالأمر الصائب. لكنّني لا أعرف ماذا أفعل».

«أتعرف يا مايك، ما من ولاية سوف تتضرر من الرسوم على الفولاذ والألومنيوم أكثر من إنديانا. وتُعدّ إيلكهارت في إنديانا عاصمة المراكب وعربات الترفيه في العالم. ما هي المكوّنات الأساسية في المراكب وعربات الترفيه؟ الألومنيوم والفولاذ. سوف تختنق ولايتك نتيجة لهذا الإجراء».

«أجل فهمت».

«أيمكنك أن تساعدني؟».

«سأفعل كل ما في وسعي».

كان بنس يقف على الحياد كعادته. ولم يحب أن يكتب عنه أحد ولو تغريدةً واحدة، أو أن يصفه بالغباء. لكن لو كان مستشاراً لكوهن، لأقنعه بأن يفعل هذا بالضبط، أي أن يبقى خارج كل هذا الجدال.

استنتج كيلي أن بيتر نافارو كان هو المشكلة. كان باستطاعة نافارو الدخول إلى المكتب البيضاوي ونفخَ الحماسة في صدر ترامب حول قضايا العجز التجاري. كان ترامب يدأب على إلقاء الخطابات على مؤيديه، وهكذا لن يتأخر عن التحوّل إلى وضعية الناشط ليعلن قائلاً: «سأوقّع هذا اليوم».

كان كوهن ينتهز كل فرصة ليُخبر كيلي كيف أن نافارو كان كارثةً بكل معنى الكلمة. ناقش كوهن بكل قوة ضرورة التخلّص منه، وتنحيته من منصبه، لأن هذا المكان لن يتمكّن من مواصلة العمل مادام نافارو موجوداً فيه.

طلب كيلي رأي بورتر في الموضوع. قال بورتر: «الوضع الراهن لا يُحتمل. لكنني لا أعتقد أن بإمكانك التخلص منه يا بيتر، وذلك لأن الرئيس يحبّه، وهو لن يسمح بشيء كهذا... ولا يمكنك ترقية نافارو كما يريد هو، لأنه سوف يتصرف بسخافة. «يحتاج بيتر أن يكون مسؤولاً أمام شخص ما، وليس فقط أن يشعر أنه يستطيع التعامل مع الرئيس مباشرةً، لكنني تمكنت من منعه مرات كثيرةً».

قرّر كيلي تأكيد سلطته[1]. لذلك دعا إلى عقد اجتماع للفريقين المتعارضَين في ٢٦ أيلول/ سبتمبر. كان ذلك الاجتماع أشبه ما يكون بمبارزة. سُمِح لنافارو بإحضار أحد داعميه، ولذلك اختار ستيفن ميلر. أما كوهن فقد أحضر بورتر معه.

بدأ نافارو حديثه بأنه، خلال الحملة الانتخابية، قد تلقى وعداً من ترامب إذا نجاحه في تولي الرئاسة بأن يكون مساعداً له. أما الآن فإنه يعمل فقط نائباً لمساعد الرئيس. قال إن ذلك يُعدّ خيانةً بحقّه، وإنه لا يصدّق أن الأمر قد استغرق كل هذا الوقت. أضاف أنه تحدّث مع الرئيس، واكتشف أنه لا يميّز بين وظيفة مساعد الرئيس نائب المساعد. اعتقد الرئيس كذلك أن منصب المساعد الخاص يبدو أفضل كثيراً، لكنه لم يدرك أن هذا المنصب هو أدنى من سواه.

قال نافارو إن الرئيس أبلغه بأنه يستطيع حيازة أي لقب يريده. وأن يختار أي هيكلية لرفع تقاريره. وأضاف أنه مع مجلس التجارة الذي يديره يمثّل العامل الأميركي. والقاعدة الإنتاجية في البلاد، وإنسانها المنسي.

ردّ كوهن: «يقوم بيتر بالغش في ذلك المجال. إنه هو الذي يولّد كل هذه المشكلات، وهو يُبلغ الرئيس الأكاذيب. إنه بلا ضوابط على الإطلاق، وهو كذلك مصدر كل الفوضى في هذا المبنى».

ردّ نافارو: «لا يعرف غاري عمّا يتحدث. إنه نصير العولمة. وهو ليس مخلصاً للرئيس... وكان يغشّ دوماً في الإجراءات ويتلاعب بها بهدف تأخير كل شيء، وبحيث لا يتمكن نافارو من الاجتماع بالرئيس».

قال كيلي: «حسناً. لا أستطيع الاستمرار في هذا النقاش أكثر من ذلك. وأنت يا بيتر سوف تصبح عضواً في المجلس الاقتصادي الوطني، وسوف ترفع تقاريرك إلى غاري. هكذا سوف تسير الأمور. وإذا لم يعجبك ذلك فبإمكانك أن تستقيل. انتهى الاجتماع».

ردّ نافارو: «أنا أعترض، وسوف أرفع الأمر وأتحدث مع الرئيس».

قال كيلي: «لن تتحدث مع الرئيس. اخرج من مكتبي».

مرّت الشهور. سأل الرئيس ذات يوم: «أين بيتر بحق السماء؟ لم أتكلّم مع بيتر نافارو منذ شهرين». لكن الرئيس لم يتابع الأمر كعادته.

(١) مراجعة المؤلف للملاحظات المتزامنة لأحد المشاركين في الاجتماع.

الفصل الرابع والثلاثون[1]

اكتسبت المواجهة بين ترامب وكيم جونغ أون صبغة شخصية متوترة آخذة في الاطّراد.

على متن طائرة الرئاسة، كانت الأجواء مشحونة للغاية. وقال ترامب في لحظة تأمل نادرة: «هذا الرجل مجنون. آمل حقاً ألا يقودنا هذا الأمر إلى نهاية سيئة».

كان يُدلي بتعليقات متناقضة بشأن كوريا الشمالية: فمن تعليقات استفزازية ومتحذلقة، إلى تعليقات تؤكد رغبته في تحقيق السلام. ففي مايو/أيار، قال[2] إنه «يشرّفه» لقاء كيم جونغ أون «إذا كانت الظروف مؤاتية». بينما صرح في أغسطس/آب للصحافة[3] قائلاً: «من الأفضل لكوريا الشمالية ألا تلوّح بالمزيد من التهديدات للولايات المتحدة، وإلا فإنها ستواجه ناراً وغضباً لم يسبق للعالم أن رآهما من قبل».

وفي غياب حل منطقي، أعلن ماكماستر استراتيجية جديدة تحدّد حملة للضغط على كوريا الشمالية. قُدمت الخطة في وثيقة موقعة، وكانت غايتها الضغط على كوريا الشمالية والصين ودفعهما إلى التفاوض بشأن برنامج الأسلحة النووية للشمال، وإيقاف برنامج تطوير الصواريخ الباليستية العابرة للقارات، بينما تعد وزارة الخزانة العقوبات التي يمكن فرضها على كوريا الشمالية، وتعمل وزارة الخارجية مع الصين لمزيد من الضغط على الشماليين.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) Ashley Parker and Anne Gearan, "President Trump Says He Would Be 'Honored' to Meet with North Korean Dictator," *The Washington Post*, May 1, 2017.

(٣) Donald J. Trump, "Remarks Prior to a Briefing on the Opioid Crisis and an Exchange with Reporters in Bedminster, New Jersey," August 8, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency* Project. http://www.presidency.ucsb.edu /ws/?pid=127991

أما وزارة الدفاع، فقد كان عليها أن تُجري عمليات توغل عسكرية، مثل عمليات الاختراق الجوي، مخترقة المجال الجوي الكوري في تدريبات باسم «البرق الأزرق»، وخوض نشاط سيبراني محدود لاستعراض قدرتها الإلكترونية وإظهار التهديد؛ ولكن من دون أن تسبّب هذه الأعمال اندلاع نزاع غير مقصود.

ظل ماكماستر مصرّاً في اجتماعات مجلس الأمن القومي على أن ترامب لا يقبل أن تمتلك كوريا الشمالية قدرات نووية.

لكن الرئيس لخّص موقفه[١] من كل شيء تقريباً في مقابلة مع صحيفة النيويورك تايمز، بقوله: «أنا أتحرّك دائماً. أتحرك في كلا الاتجاهين».

شكّل رئيس هيئة الأركان المشتركة، دانفورد، خلية اتصالات استراتيجية في دائرة عملياته، J3، لبحث الفرص المتاحة لإرسال الرسائل إلى كوريا الشمالية، ومعرفة الإجراءات التي يمكن اتخاذها بحيث تمثل تهديداً بقدر كافٍ للردع.

أعرب ماتيس عن عدم شعوره بالارتياح عندما كانت في المنطقة ثلاث حاملات للطائرات. فهل يمكن أن يسبّب هذا رد فعل غير متوقّع من كيم جونغ أون؟ هل يمكن أن تتسبَّب الولايات المتحدة في اندلاع الحرب التي يحاولون تفاديها؟ لقد أبدى قلقاً بهذا الشأن أكثر مما أبداه كثيرون آخرون في وزارة الدفاع الأميركية، وبالتأكيد في البيت الأبيض.

كان ماتيس ممن درسوا كتاب المؤرخة باربرا توكمان «أسلحة أغسطس»، والذي يتناول خلفيات اندلاع الحرب العالمية الأولى. وبالاستناد إلى أحد المسؤولين، «كان مهووساً بأحداث أغسطس/آب ١٩١٤ وبالفكرة الآتية: في حال اتخاذ إجراءات، أي إجراءات عسكرية، يُنظر إليها أنها قد اتُّخذت وفق تخطيط متعقل، فإن النتائج غير المقصودة قد تفضي إلى حرب لا هوادة فيها». سوف تتولد قوة دافعة في اتجاه الحرب، «وسوف تعجزون عن إيقافها».

لم يكن ماتيس يريد حرباً. وهو يرى أن ثبات الوضع الراهن واستراتيجية اللاحرب، حتى في وجود توترات قوية وغامرة، كانا بمثابة موقف مرضٍ للجانبين.

ولخّص المسؤول الوضع قائلاً: «كانت وجهة نظر ماتيس ودانفورد احتواء كوريا الشمالية. وقال دانفورد بالفعل. 'هذه كانت نصيحتي التي قدّمتها إلى الرئيس'».

---

(١) "Excerpts from Trump's Interview with the Times," interview conducted by Michael S. Schmidt, *The New York Times*, December 28, 2017.

في ١٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١٧،[١] ألقى الرئيس ترامب خطابه الأول أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. وللمرة الأولى، أطلق على الزعيم الكوري الشمالي لقب «رجل الصاروخ». كما أعلن الآتي: إذا أجبرت الولايات المتحدة على الدفاع عن نفسها، «فلن يكون لديها خيار إلا تدمير كوريا الشمالية تدميراً تاماً».

بعد ثلاثة أيام، كان رد كيم جونغ أون، على النحو الآتي: «الكلب الخائف ينبح بصوت أعلى»، وقال إن ترامب «بالتأكيد مارق وشقي مولع باللعب بالنار. وأنا حتماً وبكل تأكيد سأروّض ذلك الخرف الأميركي المشوّش العقل»[٢].

وفي تغريدة له في ٢٣ أيلول/سبتمبر[٣]، نعت ترامب كيم جونغ أون بـ «رجل الصاروخ الصغير». كان ترامب وروب بورتر معاً في حجرة الرئيس الأمامية على متن طائرة الرئاسة، والتلفاز يعرض بث قناة فوكس نيوز.

«رجل الصاروخ الصغير»، علّق ترامب بفخر. «أظن أنه أفضل لقب أطلقته على شخص ما».

«شيء مضحك»، قالها بورتر، وأردف: «ويبدو بالتأكيد أن ذاك اللقب سبّب إزعاجاً شديداً لكيم جونغ أون». لكنه تساءل: «ما النتيجة النهائية هنا؟ إذا تابعنا زيادة حدّة الخطاب ودخلنا في حرب كلامية، وتفاقم الأمر، فما الذي تأمل في الخروج به من كل هذا؟ كيف سينتهي الأمر؟» فكان رد ترامب: «لا يمكنك أن تظهر الضعف أبداً». وتابع الحديث قائلاً: «لا بد أن تُبدي القوة. يجب إقناع كيم جونغ أون وغيره بأنني مستعد لعمل أي شيء لدعم مصالحنا».

«فهمت، تريد إبقاءه في حالة ترقب، وتريد إشاعة جو من عدم التوقع فيما يتصل بموقفك. لكنه يبدو متقلّباً جداً، ونحن لسنا واثقين: هل هو في حالة سليمة أم لا؟ هل هو حاضر ذهنياً من الأساس؟ فهو لا يخضع لقيود سياسية مماثلة لتلك التي يخضع لها أشخاص آخرون. ويبدو إلى حدّ بعيد أنه يريد أن يؤخذ مأخذ الجد على المسرح الدولي».

«لا بد أن تظهر القوة»، قالها الرئيس مرَة أخرى.

تابع بورتر الحديث: «أتساءل: هل يرجّح أن يدفعه إحراجه إلى الاستسلام أم أن من الممكن أن يستثيره أيضاً؟» لم يرد ترامب. ولكن لغة جسده أوحت أنه كان يدرك أن كيم جونغ أون قادر على

---

(١) Donald. J. Trump, "Remarks to the United Nations General Assembly in New York City," September 19, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project.* http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=128326

(٢) «النص الكامل لرد كيم جونغ أون على الرئيس ترامب». النيويورك تايمز، ٢٢ أيلول/سبتمبر ٢٠١٧.

(٣) تغريدة ترامب على: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/911789314169823232

عمل أي شيء. ثم باح بما خلص إليه: إنه صراع بين إرادتين. «ملخص الموقف كله أننا أمام زعيم في مواجهة زعيم. رجل في مواجهة رجل. أنا في مواجهة كيم جونغ أون».

في نهاية أيلول/سبتمبر، طلب الجنرال كيلي من غراهام المجيء إلى البيت الأبيض لحضور تدريب محاكاة للتأهب لمواجهة كوريا الشمالية.

كانت وسائل الإعلام تضج برسائل متضاربة من ترامب وتيلرسون. فعلى مدى أسابيع، ردّد تيلرسون[1] علناً ما قال إنها «اللاءات الأربع»: الولايات المتحدة لا تسعى إلى تغيير النظام؛ ولا تخطط لانهيار النظام؛ ولا تبحث عن إعادة توحيد الشمال والجنوب بسرعة؛ ولا تتخذ أي ذريعة لإرسال قوات إلى الشمال.

«لقد أربكناه»، قالها كيلي لغراهام، مشيراً إلى كيم جونغ أون.

تقدّم غراهام إلى كيلي وماكماستر، بالاقتراح المثير الآتي: «على الصين أن تقتله وتستبدل به جنرالاً كوريًّا شماليًّا تُسيطر عليه». فالصين على الأقل لديها سيطرة كافية بحيث لا يهاجمها الشماليون. «أعتقد أن الصينيين هم، بشكل واضح، المفتاح هنا؛ وعليهم التخلص منه. ليس نحن، بل هم. وعليهم، من ثم، السيطرة على المخزون النووي هناك ووضع حد لهذا الأمر، أو السيطرة عليه، لإيقاف المسيرة نحو امتلاك ترسانة نووية كبيرة. ما أخشاه هو إمكان أن يبيعه».

إضافة إلى ذلك، اقترح أن يقول ترامب للصين: «العالم مكان خطر، وأنا لن أترك هذا النظام يهدّد وطننا بسلاح نووي».

قال غراهام إن ترامب أخبره أنه لن يسمح بحدوث ذلك، وإن غراهام قد فعل كل ما في استطاعته فعله، ولم يعد أمامه سوى أن ينشر إعلان في صحيفة يخبر من خلاله العالم بما قاله له ترامب وجهاً لوجه.

في الأول من تشرين الأول/أكتوبر، أي بعد شهور من مد تيلرسون يده علناً إلى كوريا الشمالية ليشجّعها على فتح باب الحوار، غرّد ترامب[2] قائلاً: «أخبرت ريكس تيلرسون، وزير خارجيتنا الرائع، أنه يهدر وقته في محاولة التفاوض مع رجل الصاروخ الصغير. وفّر طاقتك يا ريكس، سنقوم بما يجب عمله!».

---

(١) Arit John and Mark Niquette, "Tillerson Vows 'Peaceful Pressure Campaign' Against North Korea," Bloomberg, September 17, 2017.

(٢) تغريدة ترامب: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/914497877543735296; https://twitter.com/realdonaldtrump/status/914497947517227008

هذه التغريدة العدوانية تُرجِمت على نحو واسع تقويضاً لجهود الرجل الذي يشغل أعلى منصب دبلوماسي في البلاد.

يبدو أن ترامب قد تملّكته نزوة. فخلال الحملة الرئاسية، مد هو بنفسه يده بغصن زيتون، معرباً عن رغبته في التفاوض مع كيم جونغ أون، أثناء تناولهما شطائر هامبرغر.

لكن ما غفل عنه المراقبون هو أن ترامب كانت لديه طريقة في الظهور بمظهر صاحب اليد العليا عن طريق إيجاد وضع، خطر في أغلب الأحيان، لم يكن له وجود في السابق. فتهديد نظام على شاكلة النظام الكوري الشمالي بالأسلحة النووية إجراء لا يمكن تخيّله، لكنه هدَّده بالفعل. وانضح أن تلك هي البداية فحسب. لقد انتهت سياسة المسايرة والانسجام التي اتّبعتها مؤسسة الرئاسة في الماضي.

بادر ترامب إلى تطويع كيلي. وبعد عدة شهور، زال سحر كيلي الذي كان يسيطر على ترامب. كان واضحاً أن ترامب لا تروق له عاطفياً السيطرة الخارجية. كما لو كان يقول إنه لم يعد يستطيع تحمّل ذلك، وإنه يشعر وكأنه في شرنقة، وإنه لم يعد ممسكاً بزمام الأمور.

في تشرين الثاني/نوفمبر، شاهد ترامب كريس كرين، رئيس اتحاد موظفي هيئة الإنفاذ لشؤون الهجرة والجمارك، يشكو في قناة فوكس نيوز من صعوبة الوصول إلى ترامب، حيث قال إن ترامب خذلهم بعد أن أيّده الاتحاد قبل ستة أسابيع من الانتخابات، في سابقة يساند فيها المجلس الوطني لهيئة الإنفاذ لشؤون الهجرة والجمارك، كما كان يسمّى في ذلك الوقت، مرشحاً رئاسياً[1].

واستشاط ترامب غضباً.

كانت هناك كراهية شديدة بين كيلي وكريس كين. فعندما كان كيلي وزيراً للأمن الوطني، منع وكلاء هيئة إنفاذ الهجرة والجمارك من مواجهة بعض انتهاكات الهجرة بحزم.

دعا ترامب كرين إلى المكتب البيضاوي من دون إعلام كيلي بذلك. أخبر كرين ترامب أن كيلي قد قطع كل سبل وصولهم إليه، وهم من عرّضوا أنفسهم للخطر من أجله وأيدوه، وظلّوا يساندون كل السياسات التي ينتهجها. وها هم الآن لا يمكنهم التواصل معه.

عندما علم كيلي بوجود كرين في المكتب البيضاوي، ذهب إلى هناك، لكن سرعان ما بدأ كرين وكيلي يتبادلان الشتائم.

«لا أصدق أنك سمحت لشخص لعين كهذا بدخول المكتب البيضاوي»، قالها كيلي لترامب.

---

(١) طالع خطاب كرين: https://jicreport.com/wp-content/uploads/2017/11/POTUS-Ltr-11_13_2017.pdf

واستطرد قائلاً إن استمرار مُضيّ الأمور بهذه الطريقة، سوف يدفعه أن «يستقيل!»، ثم اندفع خارجاً.

فيما بعد، أخبر ترامب آخرين أن كيلي وكرين، على ما بدا له، سوف يصل بهما الأمر إلى حد الاشتباك بالأيدي.

حث كيلي الرئيس على اختيار كريستين نيلسن لشغل منصب الوزير الجديد للأمن الوطني، وهي محامية في الخامسة والأربعين من العمر، وكانت نائبة لكيلي في وزارة الأمن الوطني.

«كريستين هي الشخص الوحيد الذي يمكنه تولّي هذه المهمة»، قالها كيلي مجادلاً الرئيس؛ وتابع قائلاً: «إنها على دراية بوزارة الأمن الوطني، وكانت كبيرة موظفيّ، وهي بارعة بخصوص كل تلك الأعمال».

أُرسِل الترشيح إلى مجلس الشيوخ في ١١ تشرين الأول/أكتوبر[١].

سمع الرئيس مُعلّقة قناة فوكس نيوز[٢]، آن كولتر، وهي تصف نيلسن بأنها من «مؤيدي الإبقاء على حدود مفتوحة»، وأنها تعارض خطة ترامب لبناء جدار على الحدود. ثم زاد لو دوبز على ذلك بقوله إن نيلسن من مؤيدي إصدار العفو، وإنها ليست من المؤمنين الحقيقيين بالسياسات المطلوب تنفيذها، وليست ممن يتخذون مواقف متشددة في مواجهة الهجرة، وإنها عملت ضمن إدارة جورج دبليو بوش. وهي التي قالت خلال الجلسات التي عُقِدت لإقرار تعيينها[٣]: «ليست هناك حاجة إلى بناء جدار من المحيط إلى المحيط»، مما حدا دوبز، وهو من المؤيدين المخلصين لترامب، أن يصف هذا التعليق بأنه «مخزٍ».

«يقول الجميع إنها سيئة جداً». هكذا تحدث ترامب لاحقاً إلى كيلي في المكتب البيضاوي. «إنه أمر يدعو إلى السخرية. إنها من مؤيدي بوش. الجميع يكرهونها. كيف تجعلني أرشحها إلى هذا المنصب؟».

لكن كيلي رد عليه قائلاً: «إنها أفضل شخص. إنها الأفضل. أنا شخصياً أشهد لها بذلك. سوف تكون أول امرأة تتولّى الوزارة، وأعرف أنها شخص جيد. ستحسن القيام بالعمل، وستكون فعّالة جداً. إنها إلى جانبك. لقد كانت ذراعي اليمنى عندما كنت هناك، وهي على دراية واسعة بالوزارة».

(١) Ashley Parker and Matt Zapotosky, "Trump Taps Kirstjen Nielsen to Lead Department of Homeland Security," *The Washington Post*, October 11, 2017.

(٢) Andrew Restuccia and Eliana Johnson, "Advisers Bad-Mouth Nielsen as a 'Never Trumper,'" *Politico*, May 11, 2018.

(٣) المصدر نفسه.

وجاء ردّ ترامب على النحو الآتي: «كل هذا هراء، إنها فظيعة. أنت الوحيد الذي يعتقد أنها جيدة. ربما كان علينا سحب ترشيحها».

رفع كيلي يديه في الهواء مستسلماً: «قد يكون عليّ أن أستقيل إذن»، ثم اندفع خارجاً.

حمل بورتر فيما بعد قرار تكليف نيلسن ليوقّعه ترامب، ولتصبح رسمياً الوزيرة.

«لست واثقاً بأنني أريد حقاً التوقيع على هذا الآن»، قالها ترامب. وأردف: «أنا لست مطمئناً إليها».

«لقد جرى إقرارها»، أجابه بورتر. فقد جاءت نتيجة تصويت مجلس الشيوخ على ترشيحها ٦٢ إلى ٣٧ صوتاً لمصلحتها. ثم أضاف: «سوف يكون عليك حضور مراسم أدائها اليمين».

هكذا وقّع ترامب القرار.

ظهر كيلي في برنامج بريت بير في قناة فوكس نيوز[١]، حيث قال إن ترامب مر «بعملية تطور»، وأنه «غيّر موقفه تجاه قضية القرار المؤجل للواصلين أطفالاً، وحتى فيما يتّصل بالجدار».

وهناك في البيت الأبيض، ثار ترامب ثورة عارمة.

صاح موجّهاً حديثه إلى بورتر: «هل سمعت ما قاله كيلي؟». «إنني تطورت؟ هل تبدّل موقفي من هذه الأمور؟ من يظن نفسه؟ أنا لم أتبدّل مطلقاً. مواقفي لا تزال كما هي. سوف نبني الجدار. وسوف نبنيه على طول الحدود كلّها».

نبّه زاك فوينتس، مساعد كيلي، الموظفين الكبار في الجناح الغربي إلى أن كيلي يتصف بمدى انتباه قصير، وأن من السهل تشتيت انتباهه.

«إنه ليس رجل التفاصيل». هكذا أخبرهم فوينتس، الذي كان أيضاً مساعداً لكيلي في وزارة الأمن الوطني. «لا تقدّموا إليه أي موضوع في أكثر من صفحة واحدة، حتى وإن كان سيلقي عليه نظرة سريعة فقط، فهو لن يقرأ الشيء بأكمله. وتأكّدوا من إبراز النقاط الرئيسية بوضع خط تحتها، أو كتابتها بخط عريض». لكن كانت هناك بعض الموضوعات، ولاسيما تلك التي تتعلّق بالجيش، قال فوينتس إنها تحظى بالانتباه الكامل لكيلي، وإنه قد يريد مناقشتها بشكل مستفيض.

(١) Sophie Tatum, "Kelly on Immigration: Trump 'Has Changed the Way He's Looked at a Number of Things,'" CNN, January 17, 2018.

وتابع فوينتس قائلاً: «سيكون لديكم في العادة ثلاثون ثانية للتحدث إليه. إن لم تتمكنوا من جذب انتباهه خلالها، فلن يركز فيما يُقال له».

كان كيلي يجتمع بانتظام أيام الاثنين والأربعاء والجمعة، في غرفة روزفلت، بالعشرين الكبار من موظفي البيت الأبيض. وكان كثيراً ما يستعرض معهم محادثاته مع الرئيس.

«تحدثت إلى الرئيس خلال عطلة نهاية الأسبوع»[١]، أخبرهم كيلي في أحد تلك الاجتماعات، «وهو مهتم جداً بمغادرتنا تماماً لشبه الجزيرة الكورية، وبإجبار الكوريين الجنوبيين على دفع تكلفة منظومة (ثاد) لصواريخ الدفاع الجوي أرض - جو. وقد انتقدته بضراوة، وأخبرته أن من غير الممكن الإقدام على ذلك».

مع وقوع كيلي نفسه ضحية معترك النيران السياسية في واشنطن وانتقاد أجهزة الإعلام له، زاد حديثه باطراد عن الصحافة، وعن دوره الخاص أثناء اجتماعه بكبار الموظفين.

«أنا حائط الصد الوحيد الذي يحمي الرئيس من الصحافة»[٢]، قالها كيلي في أحد الاجتماعات. «الصحافة تسعى إلى الإيقاع به. إنهم يريدون تدميره، وأنا مصمم على الحيلولة دون هذا، وسأتلقى عنه كل الضربات. الجميع يحاولون النيل منا».

«الصحافة تكرهه. إنهم يكرهوننا. لن يمنحونا الفرصة لعمل أي شيء. إنه عداء فج صريح. لذلك نحن نتعرّض لكل هذا الهجوم. إنهم ينقلبون عليّ أيضاً، لأنني أنا من يقف أمام الرئيس محاولاً حمايته».

في اجتماع لمجموعة صغيرة من الأفراد في مكتبه ذات يوم[٣]، تحدث كيلي عن الرئيس قائلاً، «إنه أبله. ليست هناك جدوى من محاولة إقناعه بأي شيء. لقد فقد عقله. نحن في مدينة مجانين».

«لا أعرف حتى لماذا يحضر أيٌّ منا إلى هنا. هذه أسوأ وظيفة شغلتها على الإطلاق».

بدأت سيطرة كيلي على الأحداث ومشاركته فيها تضعفان. وكان ترامب يتصل بأعضاء الكونجرس عندما لا يكون كيلي موجوداً. كان يتصل بتشاك شومر أو توم كوتن أو ليندسي غراهام، أو ديك دوبرين أو أعضاء مجلس الوزراء، في تأكيد أنه هو من يدير موظفيه، ومن يدير شؤونه التشريعية.

كان يصيح: «مادلين، أريد مهاتفة رئيس الكونجرس». ثم تبدأ أسئلة ترامب. «كيف حال

(١) مراجعة الكاتب لما ذكره أحد المشاركين في الأحداث.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

كيلي؟»، يسأل بورتر. «إنه قاسٍ، لكنه يبدو أكثر قسوة مما ينبغي. لم يتناهَ إليّ أن الموظفين يحبونه إلى ذاك الحد».

«أظن أن دوره كان مفيداً»، أجابه بورتر. من الأفضل أن تكون مهاباً عن أن تكون محبوباً. لكن له حدوده. أظنه فقط بحاجة إلى معرفتها. وكذلك ينبغي أن تفعل أنت». قال بورتر إنه يظن أن نقطة ضعف كيلي تكمن في الأمور التشريعية. «تحتاج حقاً إلى مدير شؤون سياسية جيد، لأنها ليست الخلفية التي يأتي منها كيلي. وإن كنت تريد كبير الموظفين أن يكون كبير مستشاريك السياسيين، فيجب ألّا يكون كيلي».

اشتكى تيلرسون إلى كيلي في عديد من المرات قيام بورتر بجعل ترامب يوقع مذكّرات خاصة بقرارات من دون إعطاء وزير الخارجية موافقته عليها.

«أعرف أنك تحاول إبقاء ريكس على علم»، قالها كيلي لبورتر. وتابع: «لكنك الآن لا تستطيع أخذ مذكرة خاصة بقرار إلى الرئيس؛ لا يمكنك إطلاع الرئيس على شيء كهذا، ما لم تكن لديك موافقة صريحة على ذلك». أوضح كيلي أن أي تعليق من وزارة الخارجية بوجه عام، أو من كبير موظفي تيلرسون، لا يكفي للقيام بذلك. وأمر بورتر ألا يقوم بعرض أي قرارات حتى يتحدث إلى ريكس بالتحديد أو يبعث إليه برسالة عبر البريد الإلكتروني.

علم ترامب بأمر النزاعات الدائرة، وهو يحب الخلافات الشرسة، ذلك أنها تُخرج إلى العلن مجموعة عريضة من الآراء المتباينة. أما الانسجام فيمكن أن يؤدي إلى فكر جمعي. لذلك تبنّى سياسة الفوضى والغليان في التعامل مع مرؤوسيه.

قرابة التاسعة من مساء الاثنين ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر، وبعد أكثر من أربعة أشهر على مغادرة بريبوس للبيت الأبيض، اتصل به الرئيس على هاتفه المحمول، وتحدثا لمدة عشر دقائق.

ماذا عن السباق القادم لمجلس الشيوخ في ألاباما؟ سأله ترامب. كيف كانت الجولة البحرية التي قمتَ بها؟ قال ترامب إن ما قاما به معاً خلال الأشهر الستة الأولى كان عملاً مدهشاً. ماذا عن الإصلاح الضريبي وأعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين الذي يعارضون الإصلاح الضريبي؟ قال ترامب إن القصص التي نشرتها صحيفة النيويورك تايمز ذلك الأسبوع كانت جنونية.

ما رأيك فيما يفعله ريكس؟ سأله ترامب. هل تظنه يُحسن العمل؟

كان بريبوس حذراً. فقد تمثّل رأيه في أن تيلرسون كان يجب أن يكون له دور عظيم، لكنه كان قاسياً على الرئيس. وهذا ما لم يرق للرئيس.

لكن المكالمة لم تكن مملة، وكأنما أراد ترامب أن يتجاذب أطراف الحديث فحسب. فكيلي لا يتحدث إلا في الأمور الجادة، ولم يكن ممن يجلسون ويتحدثون فيما هو لا طائل من ورائه.

دعا الرئيس بريبوس لتناول الغداء في البيت الأبيض يوم الثلاثاء ١٩ كانون الأول/ديسمبر. أما وقد انتقل الآن إلى العمل كمحام خاص، فقد كان قربه من الرئيس ولقاءاته التي كانت تحظى بتغطية إعلامية واسعة، مفيدين فيما يتصل بموكليه. كان العالم يعرف أن بريبوس لا يزال بالتأكيد من الشخصيات المؤثرة. إلا أن أسئلة الرئيس حول تيلرسون ذكّرت بريبوس بكل المرات التي تنامى فيها إلى علمه أن ترامب قد استفسر فيها عنه من آخرين: ما رأيك في أداء راينس؟

كانت ذكريات سيئة. كان ترامب دائماً يسأل كل شخص رأيه في كل شخص آخر، حتى يكوّن هو رأيه الخاص. كان ذلك أسلوباً تخريبياً ومقوّضاً لسمعة كل شخص ومنزلته، معرِّضاً إياهما للتآكل.

«نهج الرئيس هو إرباك الجميع»، يقول بريبوس، ويتابع قائلاً: «وهو أن توضع كل فِيَش اللعب على المنضدة، ثم تُلتَقط فيشة فيشة، ببطء، ولكن بثقة». قد تُمثّل فيشة اللعب هذه شخصاً أو سياسة أو بلداً أو زعيماً أجنبياً أو جمهورياً أو ديمقراطياً أو خلافاً أو تحقيقاً؛ المهم أن يعمد ترامب إلى فرض نفوذه على أي شخص، بأي وسيلة، وكان ينجح في ذلك أحياناً. «إنه يستغل نفوذه بطريقة لم أرها من قبل قط».

الفصل الخامس والثلاثون[1]

الآن وقد وافق غاري كوهن على البقاء لإجراء إصلاح ضريبي، كان لزاماً عليه أن يخرج بأفضل النتائج. بلغ المعدَّل الحالي للضريبة على الشركات ٣٥٪؛ أحد أعلى المعدلات في العالم. ولطالما اجتمع الجمهوريون ورجال الأعمال على هذا الهدف لسنين.

كان هذا جل ما أراد ترامب الحديث عنه في البداية، فخلال عهدي بوش وأوباما نقلت عشرات الشركات الكبرى مقارّها إلى خارج الولايات المتحدة الأميركية للاستفادة من معدلات الضريبة الأجنبية المنخفضة. وقد عُرفت هذه العملية بـ «التحويل العكسي»، حيث انطوت عادةً على إنشاء شركة أم جديدة في بلد منخفض الضريبة مثل إيرلندا، على أن تكون الشركة الأميركية الحالية تابعةً لها. وكانت تلك مشكلة كبرى لدى أصدقاء ترامب الذين هم من رجال الأعمال. فخفض الضريبة على الشركات قد يعيد تريليونات الدولارات إلى الولايات المتحدة.

قال ترامب: «يجب أن يصبح معدل الضريبة على الشركات ١٥٪».

فردّ عليه كوهن قائلاً: «سنحاول تحقيق هذا، سيدي الرئيس».

أظهرت حسابات وزارة الخزانة أن قليلاً جداً من الشركات هو الذي سدّد ضريبة ٣٥٪، بالنظر إلى الثغرات الكثيرة والخروق في الضريبة الخاصة التي أقرّها الكونغرس.

أيقن كوهن أن الولايات المتحدة لا تواكب بقية دول العالم؛ فلدى بعض الدول، مثل إيرلندا، معدل منخفض للضريبة على الشركات يصل إلى ٩٪. حينها قال كوهن: «أعيدوا تلك الأموال إلى الولايات المتحدة ... هناك تريليونات الدولارات المتراكمة خارج الديار لتجنّب معدلات الضريبة

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

المرتفعة في الولايات المتحدة». وقد أكّد ترامب كلامه: «حوالى ٤ تريليونات دولار، أو أكثر، ربما ٥ تريليونات دولار».

وفي وقت آخر، اقترح الرئيس زيادة معدلات الضريبة على الدخول المرتفعة، والتي تبلغ حالياً ٣٩,٦٪ في أعلى منسوبٍ لها، مقابل خفض معدل الضريبة على الشركات كثيراً.

قال ترامب: «سأزيد معدل الضريبة على الدخول المرتفعة إلى ٤٤٪ مقابل خفض معدل الضريبة على الشركات إلى ١٥٪».

كان كوهن يعلم أن هذا جنوني[1]، مع علمه بأن ترامب، بكل ما يمتلك من عقارات وما يستحق من اقتطاعات، لم يسدد نسبة ٣٩,٦٪ قط، أو أنه بالكاد فعل ذلك».

أردف كوهن: «سيدي الرئيس، لا يمكنك رفع معدل الضريبة إلى الحد الأقصى، لا يمكنك ذلك!».

- ماذا تقصد؟

ردّ كوهن «الديمقراطي» قائلاً: «أنت جمهوري، والجمهوريون دوماً ما كانوا مشجعين لخفض معدلات الضريبة على الدخول. الحزب الجمهوري حزب ريغان، الرئيس الذي خفض الحد الأقصى لمعدل الضريبة الفيدرالية على الدخول من ٧٠٪ إلى ٢٨٪. ستكون عاقبتك وخيمة إذا زدت الحد الأقصى للضريبة على الدخول».

بدا ترامب متفهماً.

كان لدى كوهن رسوم بيانية وجداول بأسلوب غولدمان ساكس ليفهم بها الرئيس كيف تسير الضرائب. لكن ترامب لم يولها اهتماماً، ولم يتكبد عناء الاطلاع عليها.

في اجتماع بمكتب الرئيس الأميركي، أراد ترامب أن يعلم ما ستكون عليه معدلات الضريبة الجديدة على دخل الفرد. قال: «أحب تلك الأرقام المكتملة الكبيرة، ١٠٪، ٢٠٪، ٢٥٪. جيد! أرقام محكمة يسهل إقناع الناس بها».

قال ستيف منوتشين، وكوهن، وميك مولفاني، مدير مكتب الإدارة والميزانية، أن هناك حاجة إلى تحليل ودراسة ومناقشة أثر ذلك في الإيرادات والعجز وعلاقته بالإنفاق الفيدرالي المتوقع.

---

(١) أظهرت نسخة مسربة من الملف الضريبي لترامب عن العام ٢٠٠٥ أنه سدد ضرائب قدرها ٣٨ مليون دولار عن دخل يتجاوز ١٥٠ مليون دولار ذلك العام؛ أي ما نسبته ٢٥٪. طالع المستند:
https://www.nytimes.com/interactive/2017/03/14/us/politics/document-Donald-Trump-2005-Tax.html

عاد ترامب إلى الأرقام، وقال: «أريد أن أعلم ما ستؤول إليه الأرقام ... أظن أنها يجب أن تكون ١٠٪، و٢٠٪، و٢٥٪».

إلّا أنه رفض أية جهودٍ لحساب الأرقام. ذلك أن تغييراً بسيطاً في المعدلات قد يؤثر بشدة في الضرائب التي تجمعها خزانة الولايات المتحدة.

قال ترامب: «لا يهمني أي من ذلك». ذلك يعني أنه كان مهتماً فقط بالأرقام المحكمة. وأضاف: «هذا ما يفهمه الناس ... هكذا سأقنع الناس».

جاء في الصفحة الأولى من مستند الإصلاح الضريبي لكوهن الآتي: «إن زيادة النمو الاقتصادي من ٢٪ إلى ٣٪» ستجلب ٣ تريليونات دولار في مدخرات الخزانة في غضون عشرة أعوام.

قال كوهن: «سيدي الرئيس، إذا ارتفع النمو الاقتصادي من ٢٪ إلى ٣٪، سيكون هذا أقصى ما يمكننا الوصول إليه. وحينها يمكننا وضع خطة الضرائب موضع التنفيذ». وكلما زاد النمو الاقتصادي جمعت الحكومة ضرائب أكثر. صحيح أن الأمر سهل على الورق، إلّا أنه سيكون من الصعب، بل من المستحيل، الوصول إلى نمو بنسبة ٣٪، لأن هذا ليس إلّا مجرد حلم جمهوري.

أعجبت الفكرة ترامب، افتتن ببساطتها، فشرع في استخدام أرقامٍ مغايرة في حديثه عن نموٍ اقتصاديٍ كبير ضمن خطاباته.

حاول كوهن توضيح الأمر الآتي: إبّان عهد ريغان كان الاقتصاد الأميركي تنافسياً جداً، مما جعل الدول الأخرى تعمل على خفض ضرائبها. ثم استطرد ليسرد كثيراً من التفاصيل التاريخية والفنية، غير أن ترامب كان رده: «لا أكترث لهذا!».

تعوّد المتحدث بول ريان ليلة كل اثنين إقامة مأدبة إيطالية في قاعة مؤتمراته، ضيوفها هم أهم ستة أسماء إصلاحية تمثل الكونغرس والإدارة. عُرفوا باسم «الستة الكبار» وهم ريان، وماكونيل، وكيفن برادي، رئيس لجنة الطرق والوسائل، وأورين هاتش، رئيس لجنة المالية بمجلس الشيوخ، ومنوتشين، وكوهن. كانت المجموعة بمثابة كابوس لأي ديمُقراطي، حيث تتكوّن من خمسة جمهوريين محافظين ورئيس سابق لمؤسسة غولدمان ساكس، وكلهم منكبّون على قانون الضرائب.

توصّلت المجموعة إلى أربعة مبادئ: تبسيط قانون الضرائب، والإعفاء الضريبي للأسر متوسطة الدخل، وإيجاد الوظائف ورفع الأجور، بالإضافة إلى استعادة تريليونات الدولارات التابعة للشركات، والتي تراكمت في الخارج، وفرض الضرائب عليها.

اعتمد كوهن في التعامل مع قيادات الكونغرس أسلوب إعطائهم حقهم. كان الرجل قد قضى

عمراً في مهنة خدمة العملاء لدى مؤسسة غولدمان ساكس، ورأى أن الجميع يُعاملون كما يُعامل أهم عميل. أخبر عملاءه أنه «رهن إشارتهم وملبٍّ كل طلب، على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، ومجيب عن أيّ موضوع يودّون التحدّث فيه». وقد انصبّ اهتمامه على العميل أولاً، والعميل وحده هو من ينال هذا القدر من الاهتمام. والآن، فإن قيادات الكونغرس عميله الوحيد.

كان منوتشين قد أبعد بعض أعضاء المجلس الجمهوريين في الإدارة بإصراره على تصويتهم على قرارات بعينها، بشأن الميزانية الجارية، وسقف الديون، وحدّ الاقتراض الحكومي.

كان ميك مولفاني، مدير مكتب الإدارة والميزانية، صاحب خبرة الأعوام الستة في المجلس، قد أخطر كوهن بأن عضواً جمهورياً أخبر منوتشين قائلاً: «سيدي الأمين، إن آخر من أخبرني بما يجب عليّ فعله كان أبي، وكان عمري ثمانية عشر عاماً، بيد أنني لم أستمع إليه».

لاحقاً، اقترح منوتشين تغطية قيمة الدخل التجاري الذي قد يدفعه من يسدد ضرائبه بناءً على معدّلات الضريبة على الدخول الشخصية المنخفضة، والمعروفة باسم «السداد العابر». وأوضح أن ٩٥٪ من عوائد ضريبة السداد العابر كانت أقل من ٣٥٠ ألف دولار في الدخل السنوي.

قابل ريان وبرادي مقترح منوتشين بالرفض، فتلك كانت في رأيهما أغبى فكرة سمعا بها. لم يحسب منوتشين نسبة ٥٪ الأخرى من عوائد السداد العابر، والتي تضمّنت متبرعين كباراً جداً للحزب الجمهوري مثل الأخوة كوتش.

وقد حاول منوتشين إضافة أسماء بعض الجمهوريين من المجلس من دون علم ريان وبرادي.

وضع مولفاني ملحوظة على مكتب كوهن، جاء فيها: «إذا أردت إجراء إصلاحٍ ضريبي، فأبعد منوتشين عن الكابيتول».

أخبر كوهن كيلي بهذا. ومع احتدام المفاوضات على الضرائب في تشرين الثاني/نوفمبر[١]، ذهب منوتشين في رحلة عبر الولايات المتحدة تحدث فيها إلى الناس محاولاً إقناعهم بخطة الضرائب وكان برفقة إيفانكا في كاليفورنيا في ٥ و٦ تشرين الثاني/نوفمبر، ونيوجرسي في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ووحده في أوهايو في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر.

على صعيد مجلس الشيوخ، ألّف أورين هاتش، رئيس لجنة المال، مجموعة مكوّنة من الأعضاء: بات تومي من بنسلفانيا، وروب بورتمان من أوهايو، وتيم سكوت من كارولاينا الجنوبية، وجون ثيون من داكوتا الجنوبية، بهدف إدارة المفاوضات نيابةً عنه، حيث لم يكن على دراية واسعة بالسياسة الضريبية. أما كوهن فكان على اتصال دائم على الهاتف، ومن دون توقف بهؤلاء الأعضاء.

---

(١) Saleha Mohsin, "Mnuchin Crosses the U.S. Trying to Sell the GOP Tax Plan," Bloomberg, November 16, 2017.

أدرك كوهن مدى صعوبة الإصلاح الضريبي. وقد حمل أحد رسومه البيانية اسم «النظام الضريبي الفيدرالي على الدخل تصاعدي جداً». وظن أنه رسم بياني مهم آخر، فأوضح الصورة الكاملة، حيث لم يدفع ٤٤٪ من المواطنين الأميركيين الضريبة الفيدرالية على الدخل.

خلال الحملة الرئاسية عام ٢٠١٢ عندما كانت النسبة هي العُليا منذ الكساد العظيم، سُجّل للمرشح الجمهوري، ميت رومني[١]، قوله باستخفاف: «هناك ٤٧٪ في صف الرئيس باراك أوباما، يعتمدون على الحكومة، وهم يعتبرون أنفسهم أنهم ضحايا، ويؤمنون بأن الحكومة مسؤولة عن العناية بهم، هم على قناعة تامة بأنهم يستحقون الحصول على الرعاية الصحية، وعلى المأكل، والمسكن، وعلى كل ما هم بحاجة إليه، استحقاقاً كاملاً، وأن على الحكومة توفير ذلك لهم. كما أنهم سيصوتون لهذا الرئيس بغض النظر عن أي شيء آخر. هؤلاء الناس لا يدفعون ضرائب على الدخل. فليس من مهمات وظيفتي القلق على هؤلاء الناس. وليس دوري في أن أقنعهم بضرورة تحمّل مسؤولية أنفسهم والعناية بحياتهم».

في حين دفع أغلب الـ٤٤٪ الضرائب عن رواتبهم[٢]، والتي تؤول مباشرةً إلى التأمين الاجتماعي والرعاية الطبية، وكذلك الضرائب الفيدرالية بحسب الولاية، والضرائب على الأملاك، والضرائب على المبيعات. وبالتالي فإن هؤلاء لم يدفعوا دولاراً واحداً ضمن الضرائب الفيدرالية على الدخل. وهذا يعني أن الحكومة أضافت إلى ميزانيتها إيرادات من ٥٦٪ من المواطنين لا أكثر.

أوضح الرسم البياني أن الكثير من المواطنين، المنخفضي الدخل، لم يدفعوا دولاراً واحداً، حيث كان دخلهم ضعيفاً جداً[٣] إلى درجة أنهم لم يدينوا للحكومة بأي ضريبة فيدرالية على الدخل، فقد تسبّبوا في خسارة الحكومة الفيدرالية لأرباح أخرى؛ ذلك أن الحكومة كانت تمنحهم اعتمادات ضريبية قابلة للاسترداد؛ وهي أموال من الحكومة، مثل ائتمان الضريبة على الدخل المكتسب وائتمان الضريبة على الطفل.

عملت إيفانكا ترامب مع أعضاء في مجلس الشيوخ، مثل ماركو روبيو ومايك لي، على زيادة ائتمان الضريبة على الطفل إلى مبلغ يراوح بين ألف دولار وألفين للطفل الواحد. لم يصوّت روبيو ولي لحزمة الضرائب النهائية إلا بعد إضافة ما سبق. قال كوهن: «علينا شراء أصواتهم ... لقد

---

(١) Molly Moorhead, "Mitt Romney Says 47 Percent of Americans Pay No Income Tax," *PolitiFact*, September 18, 2012.

(٢) Roberton C. Williams, "A Closer Look at Those Who Pay No Income or Payroll Taxes," Tax Policy Center, July 11, 2016.

(٣) في العام ٢٠١٣، كلّف برنامج ائتمان ضريبة الدخل المكتسب (EITC) الخزانة الفيدرالية ٦٣ مليار دولار. وفق ما ذكرته بوليتيفاكت. بينما كلّف الائتمان الضريبي للطفل (CTC) ٥٧ مليار دولار في العام ٢٠١٣. وفق لجنة الموازنة الفيدرالية المسؤولة.

تعرّضنا لابتزاز لي وروبيو». لقد اعتقد أن الحكومة دمجت الضرائب مع الرفاه، وبالطبع كانت تستخدم التشريع الضريبي لمساعدة الفقراء.

ظلّت معدّلات الضريبة على الشركات معضلة أساسية. وقد أصرّ ترامب على نسبة ١٥٪، حتى أقنعه كوهن ومنوتشين بالموافقة على ١٨٪. بعد ذلك، اتصل سبيكر ريان، الخبير الضريبي، بترامب ودعاه إلى بلوغ ٢٠٪. خرجت مجموعة أورين هاتش المكوّنة من أعضاء مجلس الشيوخ وكوهن بنسبة ٢١٪.

اتصل كوهن بترامب وأعطاه وصفاً فنياً معقّداً لمزايا هذا المعدّل. قد يفهم المحامي المتخصّص في الضرائب الفروق الدقيقة للنسب المختلفة أو بعض الثغرات بعينها، والتي لا يمكن لترامب فهمها أو حتى الاكتراث لها.

قال ترامب: «موافق!».

رأى كوهن أنه قد يفعل أي شيء في مشروع الإصلاح الضريبي مادام ترامب لن يراه إلّا انتصاراً.

كان لدى ترامب فكرة تسويقية: «ليكن الاسم مشروع الاقتطاعات». أحب الرجل الفكرة، وأجرى اتصالاً هاتفياً مطولاً مع ريان وبرادي لإقناعهما بهذا الاسم. وبعد انتهاء المكالمة، كان لدى ترامب انطباع بأن المشروع سيُطلق عليه اسم «مشروع الاقتطاعات» في المجلس.

أطلق المجلس على المشروع اسم «مشروع الاقتطاع الضريبي والوظائف». ولكن بالنظر إلى قواعد المجلس القديمة، كان هذا الاسم قصيراً جداً، وبدلاً من ذلك، وبطريقة لا تُصدّق، أطلق عليه أخيراً اسم «قانون التسوية بموجب السندين الثاني والخامس من القرار المتزامن بشأن الميزانية للعام المالي ٢٠١٨».

اكتشف كوهن أن الحصول على الأصوات في المجلس يتطلب منح أعضاء بعينهم بعض ما يناسبهم من ثغرات قانونية أو خروق ضريبية. ووصف ذلك الأمر بأنه أشبه «بأطفال في متجر للحلوى». كان أعضاء المجلس تشاك غراسلي، وجون ثيون، ودين هيلر، من الأعضاء الذين طالبوا بتصديق على وقود بديل، بما في ذلك طاقة الرياح. وأصرت سوزان كولينز على اقتطاع لمعلمي المدارس الذين اشتروا مستلزمات فصولهم الدراسية. لم تكن لتصوّت لمصلحة المشروع إن لم يدخل الاقتطاع ضمن المسألة. كان رون جونسون نائب ويسكنسون قلقاً حيال مسألة السداد العابر. وقدم ماكونيل وعوداً أخرى تتضمن وعداً لجيف فليك بشأن الهجرة.

كان المشروع الأخير بمثابة متاهة كبيرة من الأرقام والقواعد والتصنيفات. لم يكن هناك شك في أنه كان مشروعاً ضريبياً جمهورياً يصب في مصلحة الشركات والأثرياء. غير أن المشروع كان من شأنه خفض الضرائب[1] على كل مستويات الدخل في العام ٢٠١٨. وبحسب مركز السياسة الضريبية، فإن الدخل بعد الضريبة سيرتفع بمتوسط ٢,٢٪.

كان من المفترض أن ينخفض معدّل الضريبة على دخول المواطنين، الذين هم من الطبقة المتوسطة، والذين تُراوح دخولهم بين ١٩ ألفاً و٧٧ ألفاً، من ١٥٪ إلى شريحة جديدة منخفضة بنسبة ١٢٪، مما يوفر على الفرد المتوسِّط الدخل مئات الدولارات. غير أن تلك الاقتطاعات الضريبية على دخل الفرد كانت ستقل سنوياً حتى تنتهي تماماً في العام ٢٠٢٥.

وقد تضمنت الفوائد التجارية انخفاضاً في معدل الضريبة على الشركات من ٣٥٪ إلى ٢١٪، بالإضافة إلى حصول مشروعات ما يُطلق عليه اسم «السداد العابر»، مثل الشراكات والمشروعات الصغيرة الحجم مثل مؤسسة ترامب على اقتطاع ضريبي فعّال بنسبة ٢٠٪.

في الواحدة صباحًا من يوم ٢٠ كانون الثاني/ديسمبر ٢٠١٧، كان بينس، نائب الرئيس، على مقعده ينتظر التصويت ليكسر صوته تعادل الأصوات في المجلس.

جرى تمرير المشروع بنتيجة ٥١ صوتاً في مقابل ٤٨ صوتاً.

توجّه إلى كوهن عضو ديمُقراطي كبير كانت تربط بينهما صداقة جيدة. بدا أكثر الأعضاء غضباً غاضب تحت قبة المجلس.

قال العضو: «سيحدث هذا ضرراً لعقدٍ كامل قادم ... سنعمل على إبطال أثر هذا الأمر طوال العقد القادم».

طلب منه كوهن الهدوء قائلاً: «يجب علينا أن نصبح تنافسيين في عالم الشركات. علينا القيام بهذا. وعندما تطّلع على الرسم البياني لمنافسينا، فسوف تدرك أننا نعيش وسط عالم تنافسي».

استقرت معدّلات الضريبة على دخل الفرد عند ١٠٪، و١٢٪، و٢٢٪، و٢٤٪، و٣٢٪، و٣٥٪، بينما استقر الحد الأقصى عند ٣٧٪. كان الانخفاض من ٣٩,٦٪ اقتطاعاً ضريبياً جمهورياً قياسياً.

في النهاية، كان من المتوقع أن يضيف القانون حوالي ١,٥ تريليون دولار إلى العجز السنوي على مدار عشرة أعوام.

---

(١) Howard Gleckman, "How the Tax Cuts and Jobs Act Evolved," Tax Policy Center, December 28, 2017

احتفل القادة الجمهوريون وترامب[1] بخطابات يتبادلون فيها التهاني داخل الجناح الجنوبي من البيت الأبيض. قال ترامب: «ماذا يعني هذا في الأساس؟ يعني وظائف.. وظائف.. مزيداً من الوظائف».

كان الإصلاح الضريبي هو التشريع الأساسي الوحيد الذي جرى تمريره خلال عامه الأول.

(١) Donald J. Trump, "Remarks on Congressional Passage of Tax Reform Legislation," December 20, 2017. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=129018

الفصل السادس والثلاثون[1]

بدأ الرئيس في أوائل العام ٢٠١٨ بإجراءات إطاحة بانون الذي كان قد تحدث بوضوح مع الصحفي مايكل وولف كمصدر رئيسي لكتابه «نار وغضب»[*].

وقال ترامب في ما يمكن اعتباره تصريحاً طويلاً وليس مجرد تغريدة[٢]: «ستيف بانون ليس له علاقة بي أو بفترة رئاستي، وعندما جرى فصله لم يفقد عمله فقط، بل فقد عقله أيضاً.. ستيف بدأ العمل معي بعد أن كنت قد فزت بالفعل بترشيح الحزب الجمهوري متفوقاً على ١٧ منافساً.. الآن ستيف بمفرده وهو يتعلم أن النجاح ليس بالسهولة التي أجعله يبدو فيها، وليس له أي نصيب في النجاح التاريخي الذي حدث بمشاركة الرجال والنساء المنسيين في هذه الأمة».

ومن وجهة نظره، يعتقد بانون أن ترامب قد أخفق على نطاق واسع في أن يكون عاملاً ناجحاً في التغيير. ويعتقد أن الغلبة كانت للنظام القديم خلال السنة الأولى من ولاية ترامب. ولعلَّ الاستثناء الوحيد كان في الموقف الصارم تجاه الصين وإدراك أن الصين كانت خصماً حقيقياً في ما يتعلق بالشؤون الدولية.

وتخوَّف بانون من المستند المتعلق باستراتيجية الأمن القومي[٣]، المؤلَّف من خمس وخمسين

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(*) الصادر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٨.

(٢) Donald J. Trump, "Statement on Former White House Chief Strategist Stephen K. Bannon," January 3, 2018. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=128962

(٣) يمكن الاطلاع على استراتيجية الأمن القومي على الرابط:
https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2017/12/NSS-Final-12-18-2017-0905.pdf

صفحة، والذي نُشر في شهر كانون الأول/ديسمبر من العام ٢٠١٧. حيث يتحدث القسم الخاص بالشرق الأوسط عن أن السياسة المرسومة كانت تهدف إلى «الحفاظ على توازن القوى الإقليمي المواتي».

وتساءل بانون عما يعنيه كل هذا؛ كان ذلك بمثابة تجديد للعالم القديم، وعودة إلى حقبة حكم كيسنجر، بحثاً عن الاستقرار السياسي. لقد كان الهدف الأساسي من قمة الرياض التي ذهب إليها ترامب عام ٢٠١٧ تشكيل تحالف يقف في وجه المد والهيمنة الإيرانيين. ويعني «توازن القوى» بحسب رؤية بانون ارتياح الولايات المتحدة للوضع الراهن واستراتيجية إيران «القاصرة عن الحرب» والتي أخذت المواجهة باتجاه حافة الهاوية، إلا أنها سمحت لإيران بالبقاء في المنطقة الرمادية.

يعتقد بانون أن ترامب أراد إرجاع إيران خطوات إلى الوراء وعزلها، بإخراجها من العراق، ومن سورية، ومن لبنان ومن اليمن في شبه الجزيرة العربية. ويتألف التحالف الهادف إلى ذلك من الولايات المتحدة، والمملكة العربية السعودية، ودول الخليج وإسرائيل.

الصين هي العدو الحقيقي. لم تكن روسيا هي المشكلة. وكان حجم الاقتصاد الروسي بأكمله بحجم اقتصاد ولاية نيويورك، أي حوالي ١,٥ تريليون دولار، بينما كان الاقتصاد الصيني قريباً من أن يصبح أكبر من اقتصاد الولايات المتحدة، ربما خلال ١٠ سنوات.

ولا يزال بانون يعتقد أن الحركة الشعوبية القومية قوية. ولكن النظام القديم كان قادراً على القضاء على كل ذلك خلال السنة الأولى من حُكم ترامب. لم يكن النظام القديم في طريقه إلى الاستسلام.

أظهرت الحركة الشعوبية أنها لا تمتلك القوة اللازمة لاختراق الصف السياسي الثابت. ويمثل ترامب القوة المدرّعة التي بإمكانها اختراق الدور الذي أدّاه الرئيس كلينتون، من دون أن تفعل شيئاً أمام البقية.

ويعتقد بانون أن الجمهوريين قد قاموا بإخضاع ترامب. وصبّت التخفيضات الضريبية في مصلحة الشركات بنسبة ١٠٠٪. وكان العجز في الموازنة بإضافة ١,٥ تريليون دولار الجزء الأسوأ في الوسط السياسي المهيمن، وازدهار عقلية حصول كل لوبي على صفقته الخاصة. لم يكن هناك أي حاجز يمنع حدوث ذلك، لتصبح الأمور أشبه بمستنقع.

لم تكن الدولة العميقة هي المشكلة، بل دولة التحدي.

ويرى بانون أن أكثر ما جعل ترامب عرضةً للانتقاد، هو الخطاب الذي ألقاه في منتدى الاقتصاد

العالمي بتاريخ ٢٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٨ في دافوس بسويسرا[١]، حيث خرجت صحيفة النيويورك تايمز بعنوان رئيسي، هو: «وصل ترامب إلى دافوس مثل ضيف غير مرغوب فيه. وغادرها بعبارات ثناء على فكره البراجماتي»[٢].

ويعتقد بانون أن خطاب ترامب كان أشبه بخطابٍ يصلح لغرفة التجارة. حيث نظر إلى ما يخدم مصالح الحزب الجمهوري وتبنّاه بشكل أساسي.

وكان انتقاد ترامب لجلسات استماع المدعي العام جيف مؤلماً لبانون. فقد كان واثقاً أن ترامب لم يكن بمقدوره الحصول على صديق موثوق في مجلس الشيوخ.

شغل التظلّم جزءاً كبيراً من الأساس الذي يستند إليه ترامب، تماماً كصبي في الرابعة عشرة من عمره شعر بأنه استُهدف من دون وجه حق. وليس باستطاعتك التحدث إليه بمنطق الراشدين، بل عليك بالضرورة استخدام منطق المراهقين.

تفهَّم البعض، خلال الأشهر الستة الأولى من انتقال دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، كثرة تناوله في الإعلام. لقد كان الأمر مخيفاً. لم يكن ترامب يأتي إلى عمله حتى الساعة الحادية عشرة صباحاً. وفي كثير من الأوقات كان يشاهد التلفاز لفترة تراوح بين ست ساعات وثماني ساعات يومياً. ويتساءل بانون: فكّر كيف يمكن أن يكون عقلك وسط أجواء كهذه؟

ادّعى بانون أنه تعوّد أن يقول لترامب: «توقّف عن هذا التصرف اللعين».

في منتجع مارالاجو، كان ترامب يعود من لعب الجولف. ويكون ذلك ظهيرة يوم سبت من شباط/فبراير أو آذار/مارس. يا له من جمالٍ أخاذ. أحد أجمل الأشياء في العالم. ميلانيا تمكث في الغرفة المجاورة. كان ترامب يشاهد برنامج نقاشات أعضاء الفريق دي على قناة السي إن إن، الذين هم بنظر بانون حاقدون للغاية، فيزداد حنقه. وكان بانون يسأله: «ماذا تفعل؟ لماذا تفعل ذلك؟ توقّف عن ذلك؛ فهو بلا مغزى. استمتع فقط».

وغالباً ما يكون رد ترامب: «هل ترى ذلك؟ إنها كذبة لعينة. من هم بحق الجحيم؟...».

وينصحه بانون: «اذهب وداعب ميلانيا». لم يقض ترامب الكثير من الوقت كذلك مع ابنه بارون، بعد بلوغه سن الحادية عشرة.

---

(١) Donald J. Trump, "Remarks and a Question and Answer Session at the World Economic Forum in Davos, Switzerland," January 26, 2018. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb .edu/ws/?pid=128980

(٢) Peter S. Goodman and Keith Bradsher, "Trump Arrived in Davos as a Party Wrecker. He Leaves Praised as a Pragmatist," *The New York Times*, January 26, 2018.

لم يشعر بانون أنه صديق لترامب، ولم يكن لترامب أصدقاء حقيقيون. لقد كان أشبه بشخص يعيش في الماضي، في خمسينات أميركا. وكان رجلاً لمن هم حوله من رجال وصاحباً أصيلاً لأصحابه.

ويعتقد بانون أن الحركات النسوية من قبيل MeToo# وTimesUp# كانت تخلق بديلاً من نهاية سيطرة النظام الذكوري السائد.

ويخلص إلى القول إن: «ترامب هو النموذج المثالي لما تستهدفه تلك الحركات». «إنه مثال للأب السيىء، والزوج المريع، والحبيب الذي قام بمضاجعتك مراراً ثم تخلّى عنك، بعد أن منحته شبابك. ولكن ها هو ذا يهجرك. ومثال لمديرك السيىء في العمل الذي لا يتوقف عن التحرش بكِ والتسبب في إلحاق الأذى بكِ طوال الوقت».

كانت تغريدات ترامب أقرب ما تكون إلى إعلان حرب على كوريا في أوائل العام ٢٠١٨. ولم يعلم عامة الناس القصة الكاملة عن المخاطر التي نتجت عن انخراط ترامب وزعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون في حربٍ كلامية على الملأ.

بدأت القصة في اليوم الأول من بداية السنة الجديدة بخطاب يذكّر كيم فيه العالم والرئيس الأميركي بأسلحته النووية.

«هذا ليس مجرد تهديد بل هو واقع، لأن لديّ زراً على طاولة مكتبي لإطلاق الأسلحة النووية»، بحسب إعلان كيم. «إن جميع الأراضي الأميركية تقع ضمن مجال ضرباتنا النووية». لقد كان ذلك تهديداً قبيحاً ومستفزاً[١].

وقال الرئيس ترامب بعد تلقّيه الموجز الرئاسي اليومي بتاريخ ٢ كانون الثاني/يناير[٢]: «الأمر في هذا المنصب أشبه بلعب خمسة أدوار بوكر في الوقت نفسه. نحن فائزون حالياً في أغلب الأدوار. إيران منشغلة بنفسها الآن ونظامها الحاكم يرزح تحت ضغط هائل. بينما ترتعد باكستان خشية فقدان جميع مساعداتنا الأمنية والمالية. وستذعن لنا كوريا الجنوبية في المحادثات وإتمام الصفقة مع كوريا الشمالية». وبدا ترامب وكأنه يعتلي قمة العالم، ولكنه لم يذكر دور البوكر الخامس.

السلطة الحقيقية محض خوف.

كان الرد على كوريا الشمالية هو بث الخوف في نفس كيم جونغ أون. قال ترامب لبورتر «إنه مجرد متنمّر.. إنه شخص قوي. وللتعامل مع هؤلاء الأشخاص يجب أن نكون أقوياء. وسوف أقوم بتخويفه وأتدبّر أمره».

---

(١) Peter Baker and Michael Tackett, "Trump Says His 'Nuclear Button' Is 'Much Bigger' Than North Korea's," *The New York Times*, January 2, 2018.

(٢) ملاحظة من مصدر مشارك كتبها المؤلف بتصرف.

أرسل ترامب في ذلك المساء رسالةً ساخرة، من خلال تغريدة مفادها «ما لديّ أكبر مما لديك» تسبّبت في صدمة البيت الأبيض والمجتمع الدبلوماسي، وهي:

«قال كيم جونغ أون إن الزر النووي موجود باستمرار على مكتبه. هل يمكن لشخص ما، من فضلكم، إبلاغ نظامه الذي يعضّه الجوع أن لديّ أيضاً زراً نووياً، لكنه أكبر كثيراً وأكثر قوة مما لديه، كما أن زرّي النووي فعّال».

أثارت تلك التغريدة مخاوف كيم، حيث أخفقت ١٦ محاولة اختبار صاروخية من أصل ٨٦ خلال السنوات الست الأخيرة، بحسب مركز جيمس مارتن لدراسات عدم الانتشار النووي.

وكأن رئيس الولايات المتحدة يتقمّص أحد المشاهد الشهيرة في فِلم «الدكتور سترينجلوف». الأمر الذي أفقد مجتمع الإنترنت صوابه.

وسارع حساب صحيفة الواشنطن بوست على تويتر إلى نشر الإيضاح الآتي: «ليس هناك أي زر نووي»[١].

وغرّد كولين كال، مساعد وزير الدفاع السابق في إدارة الرئيس أوباما: «هؤلاء ليسوا متخوّفين حيال وجود زر بالمعني الحرفي. لكنهم هلعون بشأن الحالة العقلية لرجل بإمكانه قتل الملايين من دون أخذ إذن أحد»[٢].

وتساءل الكثيرون عبر تويتر إن كان ترامب قد انتهك شروط خدمة منصة تويتر من خلال التهديد بشن حرب نووية. واستذكر آخرون عبارة هيلاري كلينتون من خطاب حملتها في يوليو ٢٠١٦: «الرجل الذي تستطيع أن تستدرجه بتغريدة ليس رجلاً يمكننا الوثوق به عندما يتعلق الأمر بالأسلحة النووية»[٣].

ولم تخلُ تغريدة ترامب من وجود داعمين لها. حيث ختم أحد الكُتّاب مقاله في صحيفة الواشنطن إكزامينر المحافظة: «مثّل التصوُّر الخارجي أحد التحديات الرئيسية أمام الرئيس السابق باراك أوباما: من أصدقاء وأعداء على حد سواء، ذلك أنه كان متردِّداً في توظيف كامل نطاق القوة الأميركية... أعتقد أن ترامب كان محقاً في أداء الدور وتبنّي النهج المعاكس»[٤].

---

(١) التغريدة: https://twitter.com/washingtonpost/status/948380549156098052

(٢) طالع التغريدة: https://twitter.com/colinkahl/status/948395216213626881

(٣) Hillary Clinton, "Address Accepting the Presidential Nomination at the Democratic National Convention in Philadelphia, Pennsylvania," July 28, 2016. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb .edu/ws/?pid=118051

(٤) Tom Rogan, "Trump's 'Nuclear Button' Tweet About North Korea Was Good," *Washington Examiner*, January 3, 2018.

لم يكتفِ ترامب بذلك. كما لم يكن قانعاً بأنه يكفي لدولة بمكانة الولايات المتحدة، تحتل قمة العالم في القوة النووية، أن تصدر تهديداً غير مسبوق مثل هذا.

وفي نطاق البيت الأبيض فقط، ومن دون نشر ذلك على الملأ، اقترح ترامب إرسال تغريدة تبيّن أنه كان سيأمر جميع أُسَر القوات الأميركية، الآلاف من أفراد أُسر القوات البالغ عددها ٢٨٥٠٠، بمغادرة كوريا الجنوبية.

من المؤكد أن تصرُّفاً من هذا القبيل يعني لكوريا الشمالية أن الولايات المتحدة جادة في استعدادها للحرب.

تسلّم ماكماستر في الرابع من كانون الأول/ديسمبر رسالة تحذير في البيت الأبيض. حيث نقل ري سو يونغ نائب رئيس المكتب السياسي (بوليتبورو) عبر وسطاء رسالةً مفادها أن «الشماليين سوف يرون في إجلاء المواطنين الأميركيين إشارةً إلى هجوم وشيك».

كان سحب الأُسَر هو الورقة الأخيرة التي يمكن لعبها. أثارت التغريدات المحتملة مخاوف قيادة البنتاغون: ماتيس ودانفورد. لأن صدور إعلانٍ بهذا الشأن من موقع القيادة الأميركية على تويتر كان أمراً لا يخطر على بال.

كان من شأن تغريدة تأمر بخروج جميع أُسَر القوات المسلحة من كوريا الجنوبية أن تستفز كيم، زعيم كوريا الشمالية التي حصلت مؤخراً على الأسلحة النووية ولديها العديد من القنابل النووية التي يمكن أن يمتلكها عدو محتمل محب لإطلاق النار. ومن الممكن أن تترسّخ لديه عقلية استخدام هذه الأسلحة بدلاً من خسارتها.

لم تظهر التغريدة إلى العلن. ولكن ترامب لم يكن ليدع الأمر وشأنه، وقام بتصعيد قضية سحب أُسَر القوات الأميركية مع السيناتور غراهام.

في الثالث من كانون الأول/ديسمبر، وقبل بدء الحربِ الكلامية بين ترامب وكيم، وبعد اختبار كوريا الشمالية لمنظومة ICBM، دعا غراهام إلى سحب أُسَر القوات الأميركية من كوريا الجنوبية. وقال في لقاء مع برنامج «واجه الأمة» عبر محطة السي بي إس[1]: «من الجنون إرسال الزوجات والأطفال إلى كوريا الجنوبية». واقترح اتخاذ كوريا الجنوبية مكاناً لإقامة القوات من دون اصطحاب مرافقيهم وأُسَرهم وقال: «أعتقد أن الأوان قد آن لبدء نقل الأُسَر الأميركية خارج كوريا الجنوبية».

بعد مضي شهر، عندما دعا ترامب إلى الأمر نفسه، بدا وكأن هناك تغيراً في موقف غراهام الذي قال: «عليك أن تفكر مطولاً بجدية قبل اتخاذ هذا القرار، لأن من الصعب التراجع عن هذا

---

(١) "Transcript: Sen. Lindsey Graham on 'Face the Nation,'" December 3, 2017

القرار بعد اتخاذه. سيكون يوم تنفيذك لهذا القرار اليوم الذي تنهار فيه سوق المال الكورية الجنوبية والاقتصاد الياباني. إنها مسألة حساسة للغاية».

سأله ترامب: «هل تعتقد أنني يجب أن أنتظر؟».

أجاب غراهام: «سيدي الرئيس، لا أعتقد أن عليك البدء بهذه العملية على الإطلاق، ما لم تكن تستعد بحق لشن حرب».

أوقف ترامب تغريداته على تويتر في الوقت الراهن، ولكن قضية أُسَر القوات الأميركية في كوريا الجنوبية لم تذهب أدراج الرياح. واستمر الجيش الأميركي في أي حال في إرسال الأسَر إلى كوريا الجنوبية.

الفصل السابع والثلاثون[1]

أخطر الجنرال كيلي الرئيس أن مستشاري الشؤون الخارجية لديه، ماكماستر وتيلرسون، قد خاضا جدالاً حاداً حول من سيتولى المفاوضات مع المملكة العربية السعودية للحصول على ٤ مليارات دولار كجزء من تمويل العمليات العسكرية في سورية، والتي تشمل مشروعاً سرياً للغاية لوكالة المخابرات المركزية CIA من أجل الثوار السوريين باسم مشفّر هو TEAK.

كان من أهداف ترامب الرئيسية والثابتة تمويل الحكومات الأجنبية لعمليات الجيش الأميركي ووكالة المخابرات المركزية بالدول الأجنبية. قال ترامب: «اللعنة على مجلس النواب، هؤلاء الأكاديميين المتذاكين الذين لا يعرفون كيفية عقد الصفقات، أو إجراء المفاوضات».

وقد وافقه كيلي الرأي. فلم يكن ماكماستر الشخص المناسب لهذه المهمة؛ فهو لم ينجح حتى الآن بشكل كبير في التعامل مع السعوديين. فالسعوديون غالباً ما يكونون على استعداد لمنح المبالغ الضخمة من أجل تمويل المشروعات في سورية. إلا أن ماكماستر، وفقاً لرواية تيلرسون، تدخل قائلاً: «لقد تواصلت مع نظرائي في المملكة العربية السعودية، وسأتولى المفاوضات مباشرة معهم».

كان الرئيس غاضباً. إذ كان تيلرسون يملك خبرة أكبر في إجراء الصفقات مع العائلة الحاكمة بالمملكة العربية السعودية لسنوات بصفته المدير التنفيذي لإكسون موبيل، بالرغم من المشكلات العديدة معه. بالإضافة إلى إدراك تيلرسون أن السعوديين غير جديرين بالثقة. وبنظر ترامب، فإن القاعدة الأولى في المفاوضات هي عدم الثقة بالطرف الآخر، بل التغلب عليه للحصول على صفقة أفضل. حيث يجب عليك أن تكون قاسياً وحازماً في الرفض حتى تحصل على الموافقة في النهاية.

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

أردف ترامب قائلاً: ما فائدة أن يتولّى ماكماستر هذا الأمر بدلاً من تيلرسون؟ لا معنى لذلك على الإطلاق!

لكنّ كان هناك أمر آخر أكثر أهمية بكثير في ذلك اليوم، أي في ١٩ كانون الثاني/يناير ٢٠١٨، قبل يوم واحد من إتمام ترامب سنته الرئاسية الأولى.

في محادثاته الهاتفية المتعددة مع رئيس كوريا الجنوبية مون جاي، انتقد ترامب مراراً اتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة الأميركية وكوريا. إذ لم يتمكن من غض النظر عن العجز التجاري الذي يقدر بـ ١٨ مليار دولار وتكاليف نشر ٢٨ ٥٠٠ جندي أميركي التي تبلغ قيمتها ٣,٥ مليارات دولار. فكان قراره المخاطرة بالعلاقات مع الرئيس الكوري الجنوبي، الذي لا يعجبه. وهكذا مجدداً، أدى مزاج ترامب الاستحواذي وسلوكه المتهور من دون تمييز، إلى قيامه بمحاولات يائسة.

أخبر ترامب الرئيس مون بأنه يريد إرسال خطاب يخطره فيه بإنهاء الاتفاقية خلال ١٨٠ يوماً.

«إنهم ينهبوننا. أراد الفصل بين التجارة والمشكلات الأمنية. لقد اكتفيت من منحكم أموالاً بلا مقابل!».

أجاب الرئيس الكوري الجنوبي مون، محاولاً استرضاءه، بأن التجارة والأمن متداخلان، إلّا أننا نريد العمل معكم. يبدو أن هناك سوء فهم بخصوص العلاقات الاقتصادية. دعنا نعمل على الوصول إلى حل وسط.

كان ترامب منفعلاً. يجب عليكم دفع أموال مقابل تثبيت نظام ثاد المضاد للصواريخ الباليستية. لمَ نحتاج إلى وضع نظام مضاد للصواريخ الباليستية هناك؟

استخف ترامب باتفاقية KORUS للتجارة الحرة، وكوريا الجنوبية ورئيسها الجديد. كان هذا الانفعال، الذي لم يحاول كبته مع أحد الحلفاء، سلوكاً غير دبلوماسيّ على الإطلاق، وهو ما تعوّد الرئيس القيام به. ونتيجة لذلك أصبح على شفا إفساد العلاقة بين الولايات المتحدة الأميركية وكوريا الجنوبية.

سخر كيلي وماكماستر وتيلرسون وماتيس من عدم وجود تفسير لغضب الرئيس الشديد من كوريا الجنوبية، وهو الغضب الذي لم يظهر مثله في وجوه أعدائنا: الصين وروسيا وإيران وسورية وكوريا الشمالية.

كان طاقم البيت الأبيض الرئيسي وفريق الأمن القومي يشعران بالرعب، فلم يعلما ما الذي قد يفعله الرئيس أو يقوله. كانت هذه العلاقة مهمة في تلك الفترة بالذات، ووجب عليهما الإقدام على أمر بشأن هذا الموقف، قبل أن ينفد صبر الرئيس الكوري الجنوبي مون.

عقد ماكماستر اجتماعاً لمجلس الأمن القومي[1] بغرفة العمليات في ١٩ كانون الثاني/يناير ٢٠١٨، حيث دارت المناقشات بين الرئيس والأعضاء الرئيسيين، تيلرسون وماتيس وكيلي وماكماستر ودانفورد وكوهن، حول المسائل المتعلقة بكوريا الجنوبية.

بدأ ترامب بالمناقشة مباشرة من دون مواربة متسائلاً: «ماذا نستفيد من وجود قاعدة جيش ضخمة في شبه الجزيرة الكورية؟» وهذا النقاش هو الذي يعود بنا إلى التركيز المستمر في التمويل والجنود.

وتابع قائلاً: «بالإضافة إلى ذلك، ما النفع الذي يعود علينا من حماية تايوان، على سبيل المثال؟». كان على الدوام يرى أن هذه مشكلة عالمية: حيث تتكبد الولايات المتحدة الأميركية تكاليف حماية الآخرين في آسيا والشرق الأوسط وحلف شمال الأطلسي (الناتو). لم يجد منطقاً في التحالف مع كوريا الجنوبية، ولا طريقاً للخروج منه. إذ طرح هذه الأسئلة مراراً على مدار سنة بلا إجابات مرضية.

استطرد ماتيس والجنرال دانفورد في شرح كمّ المنفعة الهائلة مجدداً. فقال ماتيس إن هذا يضمن استقرار الديمقراطية في تلك المنطقة على نحو نحتاج إليه. كوريا الجنوبية هي أحد أقوى المعاقل في تلك المنطقة بانتخاباتها الحرة ونظامها الرأسمالي الحيوي.

ويبلغ تعداد سكان كوريا الجنوبية خمسين مليون نسمة، كما تقع في المركز ٢٧ من حيث الحجم بين دول العالم مع احتلالها المركز ١١ في حجم الاقتصاد العالمي بإجمالي ناتج محلي بمقدار ١,٥ تريليون دولار، مثل روسيا.

واطّلع ترامب على الدور الذي أدّته عمليات استخبارية من خلال برنامج الوصول الخاص في مراقبة الولايات المتحدة الأميركية ورصدها لعمليات إطلاق الصواريخ في كوريا الشمالية، إذ تلتقطها فقط في ٧ ثوانٍ مقارنة بفترة الاكتشاف من ألاسكا التي تقدر بـ١٥ دقيقة. وهناك أيضاً امتلاك المقدرة على شنّ هجوم تخريبي شرس عبر الإنترنت، كان من نتائجه تعطل صواريخ كوريا الشمالية قبل الإطلاق أو بعده.

ظهر على ماتيس ضجره من تقليص إمكانيات الجيش والمخابرات وعدم استعداد ترامب لاستيعاب أهميتهما.

قال ماتيس بهدوء وحزم: «لابد من فعل ذلك لمنع نشوب حرب عالمية ثالثة». كان تعليقاً مفاجئاً متحدياً لترامب، إذ يلمح إلى أنه يخاطر بقيام حرب نووية. وقد خيّم السكون على أغلب الحضور مع وقع هذه العبارة. وقال أحدهم إن رسالة ماتيس كانت واضحة: توقّف عن العبث، نحن نقوم بهذا لمنع قيام حرب عالمية ثالثة، ليست هذه إحدى صفقاتك التجارية التي ينحصر خطرها فقط في مجرد الإفلاس.

---

(١) ملاحظات مصدر مشارك كتبها المؤلف بتصرف.

بدا أن ماتيس والآخرين قد فاض بهم الكيل مع الرئيس. كما لو كان لسان حالهم يقول: كيف تتساءل بشأن ما هو بديهي؟ هلا توقفت عن هذا الهراء!

لم ينته ماتيس بعد من الحديث. إذ أردف قائلاً: «لدينا القدرة على الدفاع عن بلادنا بنشر ٢٨٥٠٠ جندي». وتردَّد في ذكر برامج «ساب» في مثل ذلك الاجتماع الكبير.

شرح ماتيس كيف يمكن أن يزيد خطر الحرب من دون إمكانيات المخابرات والجنود. وفي هذه الحالة تتناقص وسائل الدفاع عن كوريا الجنوبية واليابان. إذا نشبت حرب مع عدم وجود هذه الإمكانيات، يصبح الخيار الوحيد المتبقّي هو الخيار النووي، إذ لن نجد بعد ذلك وسيلة أخرى رادعة. وهذا ما لا يمكن لنا أن نعتبره خياراً مثالياً من حيث المخاطرة». وتعد الاتفاقية مع كوريا الجنوبية من إحدى أنجح صفقات الأمن القومي على الإطلاق. حاول ماتيس الحديث بمصطلحات ترامب، لاجئاً إلى تحليل التكلفة مقابل المنفعة.

اعترض ترامب: «لكننا نخسر الكثير من الأموال في التجارة مع كوريا الجنوبية والصين وسواهما من الدول. إنني أفضِّل إنفاق هذه الأموال على دولتنا». إذ إن الولايات المتحدة الأميركية تدعم الدول الأخرى التي تعاني اختلالاً في ميزانها التجاري.

واستأنف ترامب قائلاً: «قبلت الدول الأخرى تولّي الشؤون الأمنية فقط لكي تحصل على الكثير من أموالنا. إنهم ينهبوننا».

أجاب ماتيس بالقول: «إن الانتشار الأمامي لقواتنا هو أقل الوسائل تكلفة في تحقيق أهدافنا الأمنية، وقد يؤدي الانسحاب إلى فقدان ثقة حلفائنا تماماً».

أكد الجنرال دانفورد هذه النقاط بحماسة.

لكن ترامب بقي مصرّاً على وجهة نظره: «نحن ننفق الكثير من الأموال على دول غنية للغاية، والتي بدورها لا تعبأ حتى بالمشاركة في التكلفة».

ثم ذكر على حين غرة ما قاله له كيلي بشأن جدال ماكماستر وتيلرسون حول مَن يتولى المفاوضات مع السعوديين للحصول على أربعة مليارات دولار للعمليات في سورية وأماكن أخرى.

ثم أشار ترامب إلى ما عرفه عن جدال ماكماستر مع تيلرسون ليجبره على التراجع وفسح المجال له. ثم التفت إلى مستشاره للأمن القومي، ماكماستر، متسائلاً: «لمَ فعلت ذلك؟ السعوديون مرتبكون وهذا مبلغ هائل، أربعة مليارات دولار. دع ريكس يقوم بهذا ولا شأن لك به. لا أفهم كيف ظننت أن من الأفضل أن تتولّى هذا بدلاً من ريكس، لكن تنحَّ جانباً. ريكس هو من سيتولى هذا الأمر».

تلقى ماكماستر التوبيخ من دون نقاش، بالرغم من إهانته أمام مجلس الأمن القومي الذي يقوده ويشرف عليه. حيث أجاب قائد القوات: «حسناً يا سيدي».

من ناحية أخرى عاد تيلرسون مجدداً إلى الموضوع الرئيسي: أهمية قوات الانتشار الأمامي. «إن ذلك أفضل نموذج: النظام العالمي. يؤدّي التحالف في التجارة والجغرافيا السياسية إلى نتائج أمنية جيدة».

أيد دانفورد حجته مجدّداً، وقال: «إن تكلفة الانتشار الأمامي للقوات في كوريا الجنوبية تصل بالكاد إلى ملياريْ دولار. وتسدد كوريا الجنوبية ما يزيد على ٨٠٠ مليون دولار منها. فنحن لا نسعى إلى استعادة بعض من تكلفة قواتنا هناك» مثل أجورهم. هناك دول أخرى أيضاً تسدّد للولايات الأميركية المتحدة دعماً سنوياً عن الأنشطة التي نريد القيام بها في جميع الأحوال لحمايتنا الخاصة. إذ نحصل على أربعة مليارات دولار دعماً سنوياً مقابل مجهودات تصبّ في مصلحة حماية أراضينا».

قال ترامب: «أعتقد أن من الممكن أن نصبح أثرياء للغاية إن لم نتصرف بغباء. يجري استغلالنا، خصوصاً على يد حلف شمال الأطلسي (الناتو). الدفاع الجماعي هو مجرد استغلال».

أنهى الرئيس حديثه مشيراً إلى الإحصاء الذي دائماً ما يرجع إليه بانون في حساب التكلفة المالية لجميع الحروب وتوزيع الجيش والمساعدات الأجنبية في الشرق الأوسط، وقال: «لقد أنفقنا ٧ تريليونات دولار في الشرق الأوسط. إننا حتى لا نستطيع جمع تريليون دولار لمشروعات البنية التحتية في بلادنا».

غادر الرئيس، تاركاً الأعضاء الرئيسيين حانقين من هذه الأسئلة. لمَ يجب علينا التعامل مع هذا دائماً؟ متى سيتعلم؟ لم يصدقوا أنهم يخوضون تلك النقاشات وأن عليهم تبرير منطقهم. كان ماتيس بالذات حانقاً ومتخوفاً، قائلاً لزملائه المقربين إن الرئيس لديه سلوك وإدراك تلميذ في الصف الخامس أو السادس.

عندما سمعت بتفاصيل ما حدث في اجتماع لمجلس الأمن القومي أول مرة، رجعت إلى نص حديث الرئيس أوباما معي عام ٢٠١٠ عن أكثر ما يقلقه[1]. قال أوباما: «إن وقوع صاروخ نووي على مدينة أميركية كبيرة هو نقطة تحوُّل محتملة. وعندما أتفقد قائمة الأمور التي أخشاها طوال الوقت، فإن هذا الأمر يأتي على رأسها، ذلك أنه أحد المجالات التي لن تستطيع تحمل عواقب أخطائك بشأنها. وبالتالي، كيف يمكننا التخطيط والتركيز في ذلك خلال الكثير من مناقشات أمننا القومي؟ بالحرص ألا يحدث هذا الاحتمال، على الإطلاق، حتى وإن كان ضعيفاً».

---

(١) مقابلة مع الرئيس باراك أوباما، ١٠ تموز/يوليو ٢٠١٠.

توقّفت حملة الضغط على كوريا الشمالية عملياً في أولمبياد العام ٢٠١٨ الشتوي الذي أقيم في كوريا الجنوبية في الفترة الممتدة من ٩ إلى ٢٥ شباط/فبراير.

علم الجنرال دانفورد أن القوات الجوية قد خطّطت لبعض اختبارات البحث والتصميم لصواريخها الباليستية ذات القدرة النووية من كاليفورنيا إلى المحيط الهادئ قبل دورة الألعاب الأولمبية وبعدها.

كانت هذه الاختبارات من نوع الاختبارات التي كانت الولايات المتحدة الأميركية تضغط على كوريا الشمالية لتتوقف عنها. وكان هذا الأمر مستفزاً، فتدخّل وجعل القوات الجوية توقف الاختبارات.

في بداية العام ٢٠١٨، توصّلت وكالة المخابرات المركزية إلى أن كوريا الشمالية ليست لديها القدرة على إطلاق صاروخ برأس نووي بدقة نحو أراضي الولايات المتحدة الأميركية. فبحسب المخابرات والمعلومات الناتجة عن اختبار صواريخ كوريا الشمالية، فإنّ الكوريين الشماليين لم يتمكنوا بعد من إتقان تقنية دخول الرؤوس النووية على الصواريخ بكفاءة إلى المجال الجوي بعد إطلاقها. لكنهم كانوا يتقدمون نحو تحقيق هذا الهدف. وأقنعت وكالة المخابرات المركزية ترامب أن كوريا الشمالية لم تحقّق ذلك حتى الآن.

الفصل الثامن والثلاثون[1]

ظلتْ أفغانستان تُحبط ترامب. قبل أشهر، أي في أواخر شهر أيلول/سبتمبر، أقام حفل استقبال على هامش الاجتماع السنوي للأمم المتحدة في نيويورك. وقف رئيس أذربيجان إلهام علييف[2] وزوجته لالتقاط صورة مع ترامب وزوجته. وعندها كشف الرئيس الأذربيجاني بأن الصينيين يستخرجون كميات هائلة من النحاس من مناجم أفغانستان.

استشاط ترامب غضباً. فها هو ذا رئيس الولايات المتحدة ينفق المليارات على الحرب، في حين أن الصين تسرق النحاس!

كان الرئيس الأفغاني البالغ الثراء قد أغرى الولايات المتحدة بإمكانية الظَفر بشكل حصري بالثروة المعدنية الضخمة التي لم تلمسها أيدٍ بعد في سلاسل أفغانستان الجبلية. ولسان حاله: يمكن جني الكثير من الأموال. لا تبتعدوا. معادن نادرة في جوف الأرض، بما في ذلك الليثيوم، وهو مكوّن أساسي في صناعة أحدث البطاريات. أفادت بعض التقديرات المبالَغ بها بأن قيمة إجمالي المعادن المتوافرة في أفغانسان قد تبلغ عدة تريليونات من الدولارات.

أراد ترامب المعادن. قال في أحد الاجتماعات: «لقد عرضوا علينا معادنهم! عرضوا علينا كل شيء. لماذا لسنا حاضرين هناك لنأخذها؟ أنتم قابعون في أماكنكم والصينيون ينهبون المكان».

قال غاري كوهن: «سيدي، لا يمكننا بكل بساطة التوجُّه إلى هناك وأخذ المعادن. ليس لديهم

---

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) «التقى رئيس أذربيجان إلهام علييف الرئيس دونالد ترامب»، في السفارة الأميركية بأذربيجان، بتاريخ ٢١ أيلول/سبتمبر ٢٠١٧، https://az.usembassy.gov/president-azerbaijan-ilham-aliyev-met-president-donald-trump/

نظام قضائي ولا حقوق في الأرض». ثم أضاف قائلاً: «سيكلفنا تشييد البنى التحتية للمناجم مليارات الدولارات».

قال ترامب: «يجب أن نرسل شركة إلى هناك. نظّموا مزايدة». كانت هذه فرصة ضخمة، مشروع رأسمالي، بناء وتنمية بأبهى أشكالهما. «لمَ لسنا حاضرين هناك لنأخذ المعادن؟».

سأل كوهن قائلاً: «مَن نحن؟».

أجاب ترامب: «يجب أن نكون هناك لنأخذها»، وكأن هنالك شركة منجمية وطنية جاهزة للانتقال إلى أفغانستان.

في اجتماع تالٍ في المكتب البيضاوي، سأل ترامب: لِمَ لم يُنفّذ هذا الأمر؟».

قال ماكماستر: «إننا نعالجه مع مجلس الأمن القومي».

فصرخ ترامب، قائلاً: «لا أريد تنفيذ هذا الأمر ضمن معالجة لعينة! أريد منكم أن تتّجهوا إلى هناك، وتجيئوا بتلك المعادن. إنها مجانية! من يريد القيام بذلك؟». كانت فرصة معروضة على الجميع. مَن الذي يرغب في حصد هذه الثروة؟

تطوّع وزير التجارة ويلبور روس. قال وكأنما المسألة تتعلق بوزارة التجارة: «سأتولى هذه المسألة يا سيدي. أنا سأقوم بالأمر».

فوافق ترامب.

لم يتكلم كيلي كثيراً؛ ولكنه اصطحب ماكماستر وروس وكوهن إلى مكتبه.

غضب ماكماستر من كيلي، لأنه لم يتدخل. «لم تساندني رغم معرفتك أنني أجري عملية معالجة». كان يتّبع الأصول والقواعد كالعادة، وينسِّق مع وزارتي الخارجية والدفاع وسواهما من الوزارات أو الوكالات الأخرى التي لها مصلحة في الأمر. «لقد تخليتَ عني، وأحرجتني أمام الرئيس!».

لا أمر يكاد يجذب اهتمام ترامب، بقدر فكرة الاستحصال على المال من الآخرين، من أجل دفع تكاليف التزامات الأمن القومي التي أخذتها الإدارات الأميركية السابقة على عاتقها: الناتو، أفغانستان، العراق. الأمر الوحيد الآخر الذي يجذب اهتمامه، إنما هو إبرام صفقات جيدة، وأعتقد أن هذه واحدة منها.

عمدت وزارة الخارجية إلى تقييم حقوق التعدين. وخلص المحللون إلى أن هذا سيمنح المتطرفين في مختلف أنحاء العالم فرصة لشن حملة بروباغندا ضخمة: الولايات المتحدة قادمة

لاغتصاب أراضيكم ونهب ثرواتكم من باطن الأرض. لذا راحوا يسعون إلى استنباط آراء قانونية في هذه المسألة، على أمل تبطئتها.

في السابع من شباط/فبراير ٢٠١٨، جمع ماكماستر[١] مجموعة صغيرة من المديرين في غرفة العمليات للإصغاء إلى تقرير وزير التجارة روس. كان قد تكلم صباح ذاك اليوم مع وزير المناجم بالوكالة الأفغاني. «الصينيون لا يستخرجون أي شيء. يستحصلون على امتيازات كبيرة، تماماً كما يفعلون في جميع أنحاء العالم، ثم لا يحرّكون ساكناً. يُبقون عليها للمدى البعيد. ليسوا في بحاجة إلى تحصيل المال الفوري منها».

لذا ليس هنالك ما يدعو إلى القلق. قال إن أفغانستان تفتقر إلى البنية التحتية والنقل، وإلى الضوابط البيئية والتنظيمية. لا يمكن لأي شركة خاصة أن تتولّى هذا الاستثمار.

قال روس: «إنه خبر مزيّف»، مما أثار بعض الضحك.

أضاف ماكماستر أن أغلب هذه المعادن سوف يكون بلوغها مستحيلاً، لأن الكثير منها يقع في المناطق التي تخضع لسيطرة طالبان. إنها منطقة حرب، وسيتعين تأمين المحيط عسكرياً قبل حفر المناجم. ثم أردف قائلاً إن الأمر سوف يستغرق، في أفضل الأحوال، ١٠ سنوات، في حال سيْر كلّ الأمور على ما يرام.

قال روس إنه سيقوم بشرح هذا الأمر للرئيس.

بدا كيلي أنه يحاول فقط منع السفينة من الغرق. وأعلن، بكل فخر في اجتماع لأبرز موظفي البيت الأبيض مطلع العام ٢٠١٨، قائلاً: «بت الآن أعلم بأنني لن أكون كبير موظفي البيت الأبيض، صاحب مدة الخدمة الأقصر. فقد تفوقت الآن على مدة خدمة راينس». كان بريبوس قد تولّى منصبه لمدة ١٨٩ يوماً، وهي أقصر مدة خدمة لأي من كبار موظفي البيت الأبيض في التاريخ.

في مطلع العام ٢٠١٨، بث برنامج (٦٠ دقيقة)[٢] فقرة حول الحرب في أفغانستان، مشيراً إلى أن مستوى العنف في كابول مرتفع، إلى درجة يتعذّر معها إقلال القائد العسكري الأميركي بأمان إلى مقرّه عبر شوارع المدينة. وبالتالي يقطع الجنرال نيكسلون مسافة الكيلومترات الثلاثة تقريباً بطوّافة. وقد أوضح تماماً أنه تبنّى نهج ترامب المبني على النصر. قال نيكلسون: «هذه سياسة تؤمّن النصر».

---

(١) Author review of contemporaneous notes by a participant

(٢) "16 Years Later, Afghan Capital Under Siege," 60 Minutes, CBS, January 11, 2018

أظهرت خرائط العمليات الحربية والأخرى الاستخبارية التابعة لنيكلسون أن التحالف بقيادة الولايات المتحدة يسيطر على حوالى ٥٠٪ من البلاد. وضمن الدوائر المطلعة في البنتاغون ووزارة الخارجية، يُعرف أن نيكلسون قد ادعى القول: «سأوصل النسبة إلى ٨٠٪ في غضون سنتين».

كان مصمماً على تعزيز قدرات قوات التحالف والجيش الأفغاني من أجل إعادة انتزاع مساحة تصل إلى ١٩٤ ألفاً و٢٤٩ كم مربّعاً. وكان هذا هدفاً غير قابل للتحقيق بل مستحيلاً، على كثير ممن خدموا في أفغانستان.

كان لدى نيلكسون هدف إضافي مفاده أن طالبان، بعد ٤ سنوات، سيدركون أنهم يعجزون عن الانتصار، وسوف يجلسون حول طاولة المفاوضات. إنهم قوات طالبان أنفسهم الذين ما برحوا يقاتلون منذ ١٦ سنة.

أطْلَعَ مدير الاستخبارات القومية ترامب على المستجدات في أفغانستان مطلع العام ٢٠١٨: لم تكتسب الولايات المتحدة أي أراض. لم يجرِ استرجاع أي أراض. لم يطرأ أي تحسن عن السنة الماضية؛ بل إن بعض المناطق قد أمست، في الواقع أسوأ. وأفضى جزء من تبريراته إلى أن الولايات المتحدة والأفغان قد اضطروا إلى حماية كابول عقب مواصلة شن قوات طالبان الهجمة تلو الأخرى على العاصمة. في الأيام التسعة الأخيرة[1] من شهر كانون الثاني/يناير، قُتل ١٣٠ شخصاً في ٤ هجمات. مما حجّم من قدرة التحالف العسكرية على استعادة الأراضي.

خلص المحلّلون إلى استنتاجات محزنة أكثر. وهي أن باكستان لا تتفاعل أو تستجيب للضغط؛ وأن أي تسوية تستند إلى المشاركة الباكستانية.

والسيناريو الفوري المحتمل حدوثه هو زيادة وتيرة التمرد، بل وقوع حرب أهلية، في حال انسحاب القوات الأميركية. فالجهاديون يخرجون من سورية ويتجهون إلى أفغانستان: الأرض الموعودة الجديدة لصنّاع المتفجرات ومستخدميها.

وعلى الأرجح، ليس لدى قوات التحالف من الوقت سوى فترة تمتد حتى ربيع العام ٢٠١٩، لتحافظ على الوضع الراهن. إذ يبدو أن النسيج السياسي يتداعى. ثمة عاصفة هوجاء قادمة، وقد تمثّل مشكلة عملانية، مثل حالة الطقس، نقطة التحوُّل. تكاد تخلو الجبال من الثلوج، لذلك لا تسيل المياه نحو الحقول. ويلوح الجفاف في الأفق، ومعه أزمة انعدام الأمن الغذائي. وفي الوقت نفسه، يُحتمل أن ترسل باكستان بين مليون لاجئ ومليونين عبر الحدود إلى داخل أفغانستان. ويشكّل العديد منهم الأفغان

(١) Pamela Constable, "A String of Deadly Attacks in Afghanistan Exposes Government Weakness, January. Limits of U.S. Training Effort," The Washington Post,8102 ,92.

الذين عبروا الحدود إلى باكستان عقب الغزو الروسي عام ١٩٧٩. عاش حوالى مليونين في باكستان لعقود، لم يزوروا خلالها قط موطنهم الأصلي أفغانستان، ولكنهم قد يتوجّهون إليها.

مع ذلك، ظل الجنرال نيكسلون يقول إنه «سينتصر» في أفغانستان. بيد أن ماتيس لم يعجبه هذا الأمر. فقد أسرّ أحد مسؤولي البنتاغون قائلاً: «إن الوزير غير راض البتة عما قاله (نيكلسون) للتو، ونحاول أن نلجمه».

إذا كان رئيس الأركان يعتمد لغة «الانتصار»، فإن من الصعب انتقاد القائد الميداني لاستخدامه هذه اللغة. ولكن الاستخبارات أشارت إلى أن الوضع سيتجه نحو الأسوأ، وليس الأفضل في السنة القادمة.

في مطلع العام ٢٠١٨، قال مشارك بارز: «يبدو أن الجيش يريد تأمين وجود دائم على غرار وجوده في كوريا الجنوبية. إذا تحقق ذلك، فسوف تعمد روسيا وإيران والصين إلى توحيد خصوماتها، بالنظر إلى وجودنا الفجائي والدائم إلى جوارها. لكن ربّما وجد الجيش هناك، لأن الانسحاب سيضرّه جداً. قال الرئيس إننا سننتصر. ولا يمكنكم صياغة ذلك ببقائكم في حالة جمود إلى الأبد. في مرحلة ما سيدرك الناس استحالة نجاحكم هناك».

شرع بعض المسؤولين من وزارة الخارجية ومن الاستخبارات، بعصبية وعلى انفراد، برسم بعض السيناريوهات الحسّاسة جداً، أي رسم خطة بديلة. «الجيش يرسم السيناريوهات طوال الوقت. فلمَ لا يفعل المدنيون كذلك؟».

وصف المحلّل نتيجة هذه الخطة البديلة، فقال إنها: «ليست انسحاباً وانهياراً وحرباً أهلية. ليست ديمقراطية ليبيرالية، عميقة التمركز. ماذا يقع في الوسط؟ هل هو نظام فيدرالي، أكثر واقعية، وأكثر قابلية للاستدامة؟ هل هو إعطاء طالبان دوراً؟ لعل الورقة غير المضمونة ستكون قصر مدى انتباه الرئيس، وتشكيكه بكل الافتراضات التي يواصل الناس طرحها. وكذلك اشتمامه للترهات وتسميتها بأسمائها، عندما تقع عينه عليها». من الأمثلة على ذلك، قوله إن الأمور ستتصلح مع باكستان. «ولكن باكستان لم تتغيّر منذ ١١ أيلول/سبتمبر ولن تفعل. الخيار الوحيد إذن هو الخروج».

يمكن القول، باختصار، إن أفغانستان أرض مفكّكة جديدة، وتعيش عدم استقرار سياسي. الحكومة الأفغانية مفككة، هناك نقد موجه من الكونغرس وعامة الشعب في الولايات المتحدة، مكاسب عسكرية قليلة أو معدومة، جفاف، انعدام هائل للأمن الغذائي، لاجئون.

أنحى ترامب باللائمة على شخصين اثنين تحديداً: أولهما كان يكنّ له مقتاً من نوع خاص، هو الرئيس الأسبق جورج بوش الابن، الذي شن حرباً في أفغانستان سنة ٢٠٠١، ثم في العراق سنة ٢٠٠٣. قال لبورتر: «إنه رئيس مريع. كان داعية إلى الحروب. أراد فرض النفوذ الأميركي ونشر الديمقراطية في كل أنحاء العالم، وأراد أن يكون شرطي العالم، وقد شن كل هذه الحروب». كان ذلك تصرُّفاً خاطئاً وأرعن. ورغم اتخاذ ترامب لقرار تعزيز عدد القوات بإرسال بضعة آلاف آخرين، فقد صرح أنه لن يُبقي هذا الوضع على ما هو عليه.

الشخص الآخر الذي أنحى ترامب باللائمة عليه كان ماكماستر. واستشهد بالعراق كدليل. «لا أعلم كيف أفلح العراقيون في خداع ماكماستر، ولكنه ليس رجل أعمال. لا يفهم الجنرالات الأميركيون فكرة «تحليل التكلفة/المنفعة». لا أصدق أنني سمحت له أن يقنعني بتعزيز عدد الجنود هناك». كان يعتقد بأن ماكماستر قد عُيّن في منصبه على عجل.

وجّه ترامب إهانة حادة إلى مستشار الأمن القومي ماكماستر يوم عمد إلى تقليده. فنفخ الرئيس صدره وراح يلتقط أنفاساً مبالغاً بها إلى حد ملحوظ. ثم قال بصوت متقطّع عال: «أعرف رئيس العراق. إنه رجل طيب يا سيدي! أوقن أنه يتمنى لنا الأفضل».

وبعد أن عاد ترامب ليتكلم بصوته الطبيعي، قال: «ذاك الرجل منافق. لقد التقيتُه. وماكماستر لا يعرف عما يتكلم». كان ترامب قد التقى رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي في البيت الأبيض في آذار/مارس من العام ٢٠١٧.

«رجالات الجيش لا يفقهون شيئاً في مجال الأعمال. إنهم يلمّون بالشؤون العسكرية وبالقتال. لا يفهمون كم يكلف ذلك».

وحول أفغانستان، قال ترامب لبورتر[1]: «الوضع كارثي هناك. لن يتحوّل ذاك البلد أبداً إلى ديمقراطية فاعلة. ما علينا سوى الانسحاب تماماً».

(١) في نيسان/إبريل ٢٠١٨، ومن أجل اكتساب صوت مهم لمصلحة مايك بومبيو لكي يشغل منصب وزير الخارجية. قال ترامب هذا الكلام للسيناتور راند بول، وهو ينتمي إلى الحزب الجمهوري من كنتاكي. يقول بول: «لطالما قال لي الرئيس مراراً وتكراراً وبشكل عام إننا سننسحب من هناك».

الفصل التاسع والثلاثون[1]

كان ترامب والسيناتور غراهام يلعبان الغولف في نادي ترامب الدولي للغولف في ويست بالم بيتش قبل أسبوعين من عيد الميلاد، أي في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٧. ذكر غراهام في تغريدة له[٢] أن ملعب الغولف كان «مميزاً»، وهو تعليق حتماً يفرح قلب ترامب. ولم يكن شيئاً يُذكر مقارنةً بالمديح الذي أغدقه غراهام على ترامب خلال جولة اللعب.

قال لترامب: «أنت قائد أعلى ممتاز». كان الرئيس يصغي إلى قادته العسكريين وإلى أنّ التغييرات في قواعد الاشتباك في الشرق الأوسط وأفغانستان كانت تؤتي ثمارها.

اعتمد غراهام هذه الطريقة في كلامه مع ترامب: «أنت قادر على القيام بما يعجز الآخرون عن القيام به. أنت تنظف الفوضى التي تركها لك أوباما. أنت تبلي بلاءً حسناً جداً في تنظيف هذه الفوضى. أنت تعيد بناء الجيش. أنت ترفع الوطأة الثقيلة عن الاقتصاد. أنت فعلاً تفك القيود عن الجيش والاقتصاد. بورك إصلاحك للأضرار التي وقعت في السنوات الثماني الماضية. إلى أين تريد الوصول؟ ما الإرث الذي تريد تركه وراءك؟ لا ينحصر إرثك في تصحيح ما قمت به فحسب، بل في ترك بصمتك الخاصة على التاريخ».

بدا أن هذا التملق يروق لترامب؛ ولكنه قال لغراهام: «أنت شخص وسطي، أريدك أن تكون مؤيداً لترامب ١٠٠٪».

وهذا يناظر تعهُّد الولاء الذي قال جيمس كومي، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي آنذاك، إن

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) للاطلاع على تغريدة غراهام: https://twitter.com/LindseyGrahamSC/status/939988068823715842

ترامب طلبه منه. وفقاً لكومي، فإن ترامب قال له[1]: «أريد الولاء. وأتوقّع الولاء منك»، وذلك خلال عشائهما الشهير بمفردهما في الغرفة الخضراء في البيت الأبيض، خلال الأسبوع الأول من رئاسة ترامب.

سأله غراهام: «حسناً ما القصة؟ وسأخبرك إن كنت مؤيداً تماماً لك أم لا».

قال ترامب: «أنت تؤيدني بنسبة ٨٢٪ تقريباً».

«في بعض الأيام أؤيدك بنسبة ١٠٠، وفي أيام أخرى قد لا أؤيدك على الإطلاق».

«أريدك أن تؤيدني بنسبة ١٠٠٪ على الدوام».

سأله غراهام: «لمَ تريدني أن أقول لك إنك محق في الوقت الذي أجدك فيه مخطئاً؟ بأي نفع سيعود ذلك عليك أو علي؟ يحتاج الرؤساء إلى أشخاص قادرين على إبلاغهم بالحقيقة كما يرونها. ويعود الأمر إليك كي تعرف إن كنتُ كاذباً».

في ٢٩ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٧، لخّصت تغريدة لترامب[2] موقفه من قانون «داكا» الخاص بالهجرة: «قيل للديمقراطيين، وهم يفهمون تماماً، إن من غير الممكن العمل ببرنامج داكا من دون بناء الجدار الضروري جداً، عند الحدود الجنوبية، ووضع حد للهجرة المتسلسلة... علينا أن نحمي بلدنا بشتى الأثمان!».

دعا الرئيس إلى عقد اجتماع[3] في غرفة مجلس الوزراء في البيت الأبيض مع ٢٠ سيناتوراً ونائباً لمناقشة خطة هجرة لمن يُسمّون بالحالمين. أصدر ترامب تعليمات ببث كامل الاجتماع الذي سيُعقد نهار الثلاثاء في التاسع من كانون الثاني/يناير على شاشات التلفزة، والذي يمتد ٥٥ دقيقة. وظهر ترامب في البرنامج بمزاج استعراضي تام، ثم وعد بإصدار تشريع. «صدقاً يجب أن يكون تشريعاً ناجماً عن الحب، وبوسعنا القيام بذلك».

بدا الرئيس ممتعاً وجذاباً. فصُعق غراهام بفعل التغيُّر الصارخ لموقف ترامب حيال واحدة من أكثر المشكلات التي تواجههم حساسيةً. سيصاب المناهضون المتشددون للهجرة بالذهول التام،

(١) إفادة كومي أمام لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ في الثامن من حزيران/يونيو ٢٠١٧ وهي متوافرة على الموقع الإلكتروني الآتي: https://assets.documentcloud.org/documents/3860393/Comey-Opening-Statement-June-8.pdf

(٢) للاطلاع على تغريدة ترامب: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/946731576687235072

(٣) Donald J. Trump, "Remarks in a Meeting with Members of Congress on Immigration Reform and an Exchange with Reporters," January 9, 2018. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project.* http://www.presidency.ucsb .edu/ws/?pid=128934

فترامب كان آنفاً قائدهم. أمِل غراهام أن يكون ما شاهده خطةً من الرئيس يستخدم فيها مهارته لعقد صفقة.

أبدى غراهام ثقة تامة حيال قدرة ترامب على إبرام صفقة في مسألة الهجرة. وكان قد عمل على موضوع الهجرة طوال سنوات، ساعياً إلى عقد تسويات مع الديمقراطيين أمثال تيد كينيدي وتشاك شومر وديك دوربن. ومع ترامب، وجد إمكانية لتحقيق النجاح أخيراً. أفاد مبتهجاً في تصريح له[١]: «إنه أروع اجتماع خضته منذ أكثر من ٢٠ سنة لي في مجال السياسة».

عزّزت عناوين الصحف تفاؤل غراهام. فأفادت صحيفة النيويورك تايمز[٢]: «يبدو أن ترامب سيؤيد مسار منح الجنسيات لملايين المهاجرين». وأفادت صحيفة الواشنطن بوست[٣]: «حول الطاولة: حاول ترامب التفاوض وإثبات الاستقرار».

في اليوم التالي اتصل ترامب بغراهام هاتفياً.

قال غراهام: «وجدتُك بارعاً. لا تدع كل هؤلاء الأشخاص، أي المتشددين الجمهوريين، يخيفونك. أنت على المسار الصحيح هنا. هذا هو الرجل الذي أحاول أن أخبر الناس عنه حينما نلعب الغولف. هذا دونالد ترامب الذي أؤيده ١٠٠٪. وحدك أنت قادر على القيام بهذه الخطوة. جرب بوش القيام بها، وعجز أوباما عن ذلك. ولكن أنت تستطيع».

فوجىء غراهام بترامب يصله عبر الهاتف بالسيدة الأولى ميلانيا. فقالت السيدة الأولى بلكنتها الناعمة: «أردتُ فقط أن أخبرك بأن ما قلتَه راق لي. كما أعجبني أسلوب تناولك الموضوع وطريقة كلامك. وجدت ذلك جميلاً جداً».

أجاب غراهام قائلاً: «أشكرك سيدتي، لقد أفرحتني جداً». ولّدت لياقتها انطباعاً لديه، وكانت المرة الأولى التي يتكلم فيها معها. وبدا جلياً جداً أنها بصفتها مهاجرة متعاطفة مع الأطفال الذين يشملهم قانون داكا للهجرة.

سأل ترامب: «هل يسعنا تغيير قوانين القذف والتشهير؟» مغيّراً الحديث بسرعة إلى أحد الموضوعات التي تزعجه.

---

(١) للاطلاع على تغريدة غراهام: https://twitter.com/LindseyGrahamSC/status/950800026401492992

(٢) “Trump Appears”: Julie Hirschfeld Davis and Sheryl Gay Stolberg, “Trump Appears to Endorse Path to Citizenship for Millions of Immigrants,” The New York Times, January 9, 2018.

(٣) “At the table”: Ashley Parker and Philip Rucker, “55 Minutes at the Table: Trump Tries to Negotiate and Prove Stability,” The Washington Post, January 9, 2018.

أجاب غراهام، المحامي: «لا».

«لمَ؟».

أجاب غراهام: «لسنا إنكلترا حيث قوانين القذف والتشهير أكثر صرامة».

قال ترامب: «الناس يكتبون الترّهات».

وافقه غراهام الرأي قائلاً: «لا شك لديّ. ولكن لا، لا يسعنا تغيير قوانين القذف والتشهير ولا تقلق حيال ذلك». في قرار الحُكم الشهير للعام ١٩٦٤ في قضية النيويورك تايمز ضد سوليفان، رفعت المحكمة الأميركية العليا السقف إلى أعلى حد ممكن في مسألة التشهير: لا يُعتبر الكلام تشهيراً إلا إذا نُشر أو قيل، رغم كونه مزيّفاً ولا يراعي الحقيقة مطلقاً.

قال ترامب: «لا أعتزم أن نصبح مثل إنكلترا».

قال غراهام: «ليس ثمة شخص أكثر عرضة للكلام الجارح في العالم أجمع بقدر رئيس الولايات المتحدة. وقد نلت نصيبك الكافي جداً من النقد الخالي من الأساس والصحة، ولكن هذا واقع الحال. وهزيمتهم، سيدي الرئيس، تكون بالعمل المثمر. ولتحجّم نقّادك تماماً، لا تقاضِهم، بل قدِّم الإنجازات. أثبتْ أنهم جميعاً على خطأ».

شعر غراهام أن هذا الحديث واحد من أفضل الأحاديث التي تبادلها مع الرئيس. فهو كان الطرف الأكثر كلاماً فيه.

في حوالى الساعة الحادية عشرة قبل ظهر اليوم التالي، اتصل السيناتور ديك دوربن، الديمقراطي الثاني في مجلس الشيوخ، بغراهام.

«لقد أنهيتُ للتو اتصالاً مع ترامب»، قال دوربن الذي انضم إلى غراهام في جهوده لإبرام تسوية في مسألة الهجرة: «أعجبه ما قمنا به. ويريد مني ومنك أن نتوجه إليه».

اتصل غراهام بالبيت الأبيض ليحاول ترتيب موعد. وحضر كيلي إلى مكتب غراهام لمراجعة التفاصيل.

أبدى كيلي المناهض المتشدد للهجرة موقفاً حاداً. وكان قد أعرب لموظفي الجناح الغربي في البيت الأبيض، وحتى لبعض الأشخاص في موقع ذا هيل الإلكتروني، أن الرئيس لا يفقه ماهية قانون «داكا» للهجرة، وأنه لا يلم بنهج هذا القانون ولا بآلياته. كان الرئيس قد انتدب كيلي ليعالج مسألة قانون داكا، واعتبر كيلي أن جزءاً من هذه المهمة ينحصر في حرصه ألا يقوم ترامب بأي شيء أو يلتقي أي شخص بخصوص قانون داكا، مثل غراهام ودوربن، من دون وجوده. وأخبر زملاءه في

الجناح الغربي بأن الرئيس يعجز عن معالجة هذه المسألة بمفرده، لأنه إذا عالجها بمفرده فسوف يخربها.

قال غراهام: «إن جل ما أطلبه هو فرصة كي أشرح للرئيس». كانت خطة غراهام بسيطة: يمضي ترامب قدماً بإصدار تشريع «للحالمين» مقابل الحصول على تمويل لبناء الجدار. قال غراهام: «دعه يتّخذ قراره بنفسه». كان يكرر شعار كيلي الذي يردّده في كل المسائل. أراد أن يعرض الوقائع على الرئيس الذي يمكنه أن يقرِّر بعدها.

وبالتالي، توجّه غراهام ودوربن إلى البيت الأبيض، ظناً منهما أنهما سيلتقيان ترامب وحدهما. وعوضاً عن ذلك وجدا مجموعة من السيناتورات وأعضاء الكونغرس وموظفي البيت الأبيض المناهضين للهجرة، ومن ضمنهم كيلي وستيفن ميلر. وجد غراهام أن المجموعة تبدو أشبه بطغمة غوغائية مصطفة على كراسيّ في المكتب البيضاوي.

بدأ غراهام يشرح تفاصيل الخطة، التي تضمنت المال الذي طلبه ترامب من أجل توفير الأمن عند الحدود.

قال ترامب بتعالٍ: «ليس كافياً».

فأعرب غراهام عن ثقته أن باستطاعتهم القيام بالمزيد، ولكن هذه مجرد نقطة البداية. وذكر أن ٢٥ ألف تأشيرة دخول مُنحت بأغلبها لأشخاص من دول إفريقية. ولفت إلى أن تأشيرات الدخول مُنحت لأشخاص أتوا من أماكن مثل هاييتي والسلفادور بسبب الزلازل والمجاعة والعنف.

قال ترامب: «هاييتيون. لا نحتاج إلى مزيد منهم». ولدى ذكر المهاجرين من الدول الإفريقية قال ترامب: «لماذا نسمح بقدوم كل هؤلاء الأشخاص من دول مقيتة؟». كان قد التقى لتوه مع رئيس وزراء النرويج. «لمَ لا يُستقبَل مزيد من النرويجيين، أو الآسيويين الذي بوسعهم المساهمة في تعزيز الاقتصاد؟».

فوجئ غراهام بهذا الكلام، كما أن دوربن شعر بالاشمئزاز.

قال غراهام: «لنسترح»، مؤشّراً بيديه طالباً التوقف. «لا يروقني المسار الذي يتجه إليه الحديث. أميركا مكان مثالي. أريد هجرة على أساس الجدارة من كل أنحاء العالم، ولا أريد أوروبيين فحسب. كثير منا أتوا من دول مقيتة».

عاد ترامب للتفكير بمنطق، ولكن الضرر كان قد وقع.

خرج دوربن على الملأ[1]، كاشفاً تعليقات ترامب حول «الدول المقيتة»، فسانده غراهام.

بعد يومين، أي يوم السبت، اتصل ترامب بغراهام، الذي حسب أن ترامب يتصل به ليتبين حاله ودرجة غضبه.

قال ترامب بأنه يلعب الغولف في ناديه في ويست بالم بيتش.

أجاب غراهام: «لعباً موفقاً».

«قال ترامب مشيراً إلى دوربن: «لم أقل بعض الكلام الذي ادّعى أنني قلته».

أجاب غراهام مصرّاً: «بلى فعلت».

«بعض الأشخاص يروق لهم ما قلته».

قال غراهام: «لستُ واحداً منهم. أريد مساعدتك. يروقني لعب الغولف معك. ولكن إذا كان هذا ثمن قبولك للعبي معك، فسأنسحب. حظاً موفقاً. لعباً موفقاً».

لم تكن فكرة «الدول المقيتة» بالفكرة الجديدة لدى ترامب. فخلال حملة العام ٢٠١٦، زار ترامب حي (ليتل هاييتي) في ميامي. كان القادة الهاييتيون السابقون قد رفعوا الصوت، واتهموا الزوجين كلينتون بالفساد وبالسرقة من هاييتي.

بعد هذا الحدث، وعلى انفراد، أبدى ترامب حزنه. «شعرت بالتعاطف التام مع هؤلاء الناس. لقد أتوا من دولة مقيتة».

عقب خروج بانون من البيت الأبيض، شكّل ستيفن ميلر القوة الدافعة لموقف البيت الأبيض المتشدد حيال قانون داكا للهجرة. وظل ترامب يعبّر في كثير من الأحيان عن تعاطفه مع الشباب في برنامج داكا، قائلاً إنه في كثير من الأحيان لم يكن لهؤلاء الصغار ذنب في القدوم إلى هنا، وبأنه يتعاطف معهم. كما لفت إلى المناشدة السياسية «للحالمين».

كان ميلر يعمد إلى حقن المعارضة المتشددة. فيحاجج قائلاً: «اسمع، الكل يدعونهم بالصغار وبالحالمين، ولكنهم ما عادوا صغاراً. العديد منهم باتوا يبلغون الرابعة والعشرين أو السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين». أبدى ميلر موقفاً حازماً: إنّنا، مقابل وضع تسوية حول قانون داكا، نريد تمويلاً كاملاً للجدار على مدى عقد من الزمن، وليس لسنة واحدة فقط، إلى جانب

---

(١) John Byrne and Katherine Skiba, "Sen. Dick Durbin: President Trump Used 'Hate-Filled, Vile and Racist' Language in Immigration Meeting," Chicago Tribune, January 12, 2018; Josh Dawsey, "Trump Derides Protections for Immigrants from 'Shithole' Countries," The Washington Post, January 12, 2018.

وضع حد للهجرة المتسلسلة والتأشيرات المتنوعة عن طريق القرعة التي وزعت ما يصل إلى ٥٠ ألف إقامة دائمة في السنة لمهاجرين قدموا من دول كانت نسب الهجرة منها إلى الولايات المتحدة لتكون منخفضة، لولا هذه التأشيرات. لن نقبل أقلّ من هذه الشروط الثلاثة.

في ٢١ كانون الثاني/يناير، عمد غراهام إلى مهاجمة ميلر [١] علناً، قائلاً: «مادام ستيفن ميلر يتولى مسؤولية التفاوض في مسألة الهجرة، فإننا لن نصل إلى أي مكان. ظل خارج هذا الموضوع لسنوات. وقد تكلمتُ مع الرئيس، وهو يتعاطف مع هذه المسألة. إنه يتفهم جيداً ما يمكن تحقيقه، وكلما قدمنا اقتراحاً نجد أن من يرفضه هم الذين يحيطون بالرئيس».

نهار الجمعة ٢٣ شباط/فبراير ٢٠١٨ [٢]، ألقى ترامب كلمة في مؤتمر العمل السياسي للمحافظين CPAC، وهو أهم تجمُّع لجمهور المحافظين في البلاد. تكلم الرئيس، الذي بدا مرتاحاً ويعكس ثقة بالنفس، لأكثر من ساعة. كان في بعض الأحيان، يلتزم النص المحضّر سابقاً، ولكن أحياناً أخرى يرتجل بحماسة، ويتكلم بعفوية.

قال: «سوف تحظون برؤية الجدار، لا تقلقوا. صدرت بعض الأصوات في الخلفية تقول: إنه لا يريد الجدار. لقد استخدَم هذا الكلام لأجل حملته الانتخابية فحسب. فقلت: هل يسعكم تصديق ذلك؟ اعلموا أنني كل مرّة أسمع بها هذا الكلام فإن الجدار يرتفع ٣ أمتار، في كل مرّة. حسناً الآن، سوف نبني الجدار».

وقال حول الهجرة: «لا أريد أن يأتينا أشخاص ويتلقون نعَمَ بلادنا على مدى السنوات الخمسين القادمة من دون أن يسهموا في تقديم شيء... أريد أشخاصاً يحبوننا... لا أريد أن يأتينا أشخاص كما يحدث اليوم».

ثم أعاد سرد واحدة من قصصه المفضّلة [٣]، شعرٌ يتناول امرأة عطفت على ثعبان وقامت برعايته.

ذات صباح في طريقها إلى عملها وعلى الطريق الممتد بجوار البحيرة

---

(١) Elana Schor, "Graham Tees Off on Stephen Miller over Immigration," Politico, January 21, 2018

(٢) Donald J. Trump, "Remarks at the Conservative Political Action Conference in Oxon Hill, Maryland," February 23, 2018. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=129472

(٣) هذه القصة مأخوذة من كلمات أغنية للمغني ومؤلف الأغاني والناشط الراديكالي الأسود أوسكار براون الابن. وقد كرر ترامب سردها مراراً خلال حملته الانتخابية، رغم تلقّيه نقداً لاذعاً من أسرة براون.

رأت امرأة طيبة القلب ثعباناً فاتر الهمة متجمّداً من البرد

وقد تجمّد الندى على جلده الملوّن الجميل

فصرخت قائلة: مسكين، سآخذك وأهتم بك

تأوه الثعبان الشرير قائلاً:

خذيني أيتها المرأة العطوف، خذيني حباً بالسماء

خذيني أيتها المرأة العطوف...

فلفّته ودثّرته ببطانية من الحرير

ووضعته قرب مدفأتها وغذّته ببعض العسل والحليب

عادت مسرعة من عملها تلك الليلة وبمجرد وصولها

وجدت أن الحياة عادت لتدب في جسد ذاك الثعبان الجميل الذي حنّت عليه

فراحت تربّت جلده الجميل مجدداً وتقبّله وتحضنه

ولكن عوضاً عن توجيه الشكر إليها

أنزل بها الثعبان لدغة شريرة

فصرخت المرأة قائلة: أنقذتُك فلدغتني، لماذا؟

أنت تعلم أن لدغتك سامة وأنني سأموت الآن

فأجاب الثعبان باستهزاء: اخرسي أيتها المرأة السخيفة

كنت توقنين تماماً أنني ثعبان قبل أن تأخذيني في رعايتك.

قال ترامب: «وهذا ما نفعله ببلدنا. نستقبل الناس، وسينجم عن ذلك كثير من المتاعب. والوضع يزداد سوءاً».

كان ترامب قد وافق لتوه على قانون إنفاق يمتد لسنتين بقيمة ٨,٦ تريليونات دولار، لم يُخصَّص منه سنت واحد لتمويل الجدار.

انهارت علاقة ترامب بوزير خارجيته انهياراً تامًّا. طوال أشهر ساد جو من الترقب حيال احتمال

طرد تيلرسون أو تقديمه للاستقالة. كان في إفريقيا[1] حينما نبّهه كيلي في شهر آذار/مارس ٢٠١٨ إلى ضرورة قطع رحلته. قال كيلي: «قد تحصل على تغريدة». في صباح ١٣ آذار/مارس[2] غرد ترامب قائلاً إن مدير وكالة الاستخبارات المركزية بومبيو سيكون وزير الخارجية التالي. وجل ما قاله حول تيلرسون: «أشكر ريكس تيلرسون على خدمته!».

صرّح ترامب للصحفيين خلال وجوده في الناحية الجنوبية[3] من حديقة البيت الأبيض قائلاً: «ما زلنا، أنا وريكس، نتكلم حول هذ الموضوع منذ وقت طويل... وقد اختلفنا حول بعض الأمور... ولم نتشابه في طريقة التفكير... في الحقيقة يملك كل منا ذهنية وطريقة تفكير مختلفة».

---

(١) Peter Baker, Gardiner Harris and Mark Landler, "Trump Fires Rex Tillerson and Will Replace Him with CIA Chief Pompeo," The New York Times, March 13, 2018.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) Donald J. Trump, "Remarks on the Nomination of Director of the Central Intelligence Agency Michael R. Pompeo to Be Secretary of State, the Termination of Rex W. Tillerson as Secretary of State, and the Nomination of Gina C. Haspel to be Director of the Central Intelligence Agency and an Exchange with Reporters Upon Departure for San Diego, California," March 13, 2018. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http:// www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=129510

الفصل الأربعون[1]

ظل ترامب يتذمَّر لمحاميه داود بأن تحقيق مولر يعرقل قدرته على أداء واجباته كرئيس. سرد بعض الأخبار السرية التي يمكن لداود، الذي يحمل تصريحاً أمنياً، أن ينقلها إلى مولر وكوارلز، اللذين بدورهما يحملان أيضاً التصاريح المناسبة.

قام ترامب بتنبيه داود إلى أن هذه الأخبار حساسة جداً، ثم سرد عليه قصة حدثت في نيسان/إبريل، حيث قام هو شخصياً بالتفاوض على إطلاق سراح الناشطة الاجتماعية آية حجازي، البالغة من العمر ٣٠ سنة، وهي مواطنة أميركية تعرّضت للسجن في القاهرة لمدة ٣ سنوات.

سرد ترامب حديثه مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي الذي يحمل سجلاً هائلاً بانتهاكات حقوق الإنسان، ويتضمّن حملات اعتقالات جماعية وإقدام القوى الأمنية على قتل المحتجين، ومحاكمات عسكرية للمدنيين. قال ترامب: «تذكر يا داود مع من كنت أتكلم. الرجل قاتل لعين. ذاك الرجل قاتل لعين! كنت أحاول حل المسألة. إنه يجعلك تتصبّب عرقاً لدى مكالمته على الهاتف. وقبيل عقدنا للصفقة قال السيسي...»، وراح ترامب يتكلم بصوت أجش عميق، «يا دونالد أشعر بالقلق حيال هذا التحقيق. هل ستبقى في الحكم؟ افترض أنني احتجت إلى خدمة يا دونالد». ثم أردف ترامب قائلاً: «شكّل كلامه صدمة لي، كان مريعاً».

في شهر تشرين الثاني/نوفمبر، اتصل كيلي بداود وأخبره بالآتي: «قال الرئيس إنك ستقابل مولر».

«نعم، سنقابله بعد ساعات».

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

«قال ماتيس للرئيس إن بوتين والروس قد أمسيا في غاية الخطورة، وإن علينا أن نتولّى أمرهما. وأريدك أن توصل هذه المسألة إلى بوب. بوب يعرف ماتيس». مولر ووزير الدفاع خدما كلاهما في مشاة البحرية الأميركية، المارينز.

شرح داود لمولر كيف يُشتَبه بكل ما يفعله ترامب مع روسيا. «بوب، أعرف أنك تعرف الجنرال ماتيس». كان مولر قد التقى ماتيس خلال زيارة له إلى قندهار في شهر كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢، عندما كان مديراً لمكتب التحقيقات الفيدرالي. أفاد داود بأن ماتيس يشعر بالقلق حيال روسيا. «وبالمناسبة، هل تريد التأكد من الأمر؟ ارفع سماعة الهاتف واتصل به. هو يعرف من تكون. ويعرف بأنك تنتمي إلى مشاة البحرية».

قام داود بتذكير مولر بقوله إنه لن يسمح بتضييع وقته. «لقد ضيّعت وقتي كثيراً يا صاح. ونحن نواصل الدفاع عنك أمام الرئيس».

ذكر مولر بأنه جاد جداً بشأن إنهاء التحقيق.

«عليّ القول لك يا بوب، إنني لا أعلم كم سأصمد. أقوم بالدفاع عنكم طوال الوقت. وأدافع عما تقومون به. ولكن كما تعلم، لدينا أشخاص يخضعون للتحقيق بشكل متكرر».

يمارس داود لدى كلامه مع مولر الضغط بكل لطف.

أما مع كوارلز فهو يتذمّر. «لقد طفح الكيل!».

واجه داود مشكلات أخرى. إذ بدأ تاي كوب يظهر في مقابلات على الإعلام يصرح فيها أن التحقيق سينتهي بنهاية العام ٢٠١٧. حيث صرح لوكالة رويترز: «سأشعر بالإحراج إن ظل هذا التحقيق يطارد[1] البيت الأبيض بحلول عيد الشكر. وسأحرج أكثر إن ظل يطارده حتى قرابة نهاية السنة». راحت وسائل الإعلام تعرض قصصاً ومعها صورة كوب. فبات داود يرى أن كوب يبدو أشبه بعمدة مسنّ من الغرب الأميركي، يطلق شاربين عريضين مفتولين، ويخرج من الرواية الغربية (لونسوم لوف) ومسلسلها، وقد شعر بالذهول. إنه المحامي الأساسي للرئيس. هل يتبادل كوب أحاديث جانبية منفصلة مع كوارلز؟

ردّ كوب مصرّاً: «كلا. تريدني زوجتي أن أخرج من هذه المسألة. لذا ما لبثت أحاول مقاربة هذا الموضوع على العلن».

---

(١) Karen Freifeld, "White House Lawyer Cobb Predicts Quick End to Mueller Probe," Reuters, August 18, 2017.

قال داود: «هنالك مقابلات جرى حجزها في شهر كانون الأول/ديسمبر. وبصراحة كلها تصب في مصلحة الرئيس، ولذا سنتراجع عنها».

طرح كيلي على داود السؤال التالي: «أين وجدتَ ذاك الصديق اللعين تاي؟».

كان كوب قد استهل علاقته بكيلي على نحو سيئ، حيث التف من خلف ظهر كبير موظفي البيت الأبيض، ولجأ إلى الرئيس كي يحصل على مكتب في الجناح الغربي. قال لكوب: «إياك ومعاودة الالتفاف من خلف ظهري ثانية».

أكد داود للرئيس أنهم يتّبعون استراتيجية للتعامل مع مولر، وهي «التعاون معهم والضغط عليهم إلى أن تتكوّن صورة شاملة لما يجول في رؤوسهم». بالاستناد إلى هذه الصورة وإلى تعاون ٣٦ شاهداً ومراجعة كل الوثائق، كرّر عدة مرات القول الآتي: «لستُ أرى قضية».

شرح له داود أنه وفقاً للمادة الثانية من الدستور، يتسلّم الرئيس منفرداً السلطة التنفيذية. وكل تصرفاته، وتحديداً منها تلك المتعلقة بكومي، تقع ضمن نطاق سلطته هذه. «لن أقول لك أبداً إن حدسك حيال هؤلاء الأشخاص، وحيال ما ينوون فعله، خاطئ. لقد جرت معاملتنا بلطف شديد، ولكننا عاملناهم بلطف شديد».

في كانون الأول/ديسمبر نُشر[1]، في الصحيفة المالية اليومية الألمانية هاندلسبلات، قصة مفادها أن مولر عمد في تحقيقه إلى طلب إحضار سجلات من البنك الألماني (دويتشه بانك)، وهو أضخم بنك في ألمانيا، والمقرِض الأساسي لترامب.

اتصل الرئيس بداود في الساعة السابعة صباحاً. كان يستشيط غضباً.

قال: «أعرف ماهية علاقاتي بالبنك الألماني (دويتشه بانك)». فقد أعرب عن حب المصرف له وقبوله الدائم لمدّه بالمال. «أعرف ما استدنته، ومتى استدنته، ومتى عاودت تسديده. أعرف كل مبلغ من هذه المبالغ». أفلح في تذكُّر كل شخص تعامل معه إلى جانب تفاصيل محدّدة أخرى. «صدقني، ما يجري تفاهة».

ضغط داود على كوارلز، قائلاً: «جيم، ما من أسرار هنا. هذه تفاهة».

جرى تحديد موعد لإجراء اتصال جماعي عبر الهاتف مع المحامين من جميع شركات المحاماة ذات الصلة. بدا الجميع وكأنهم يتكلّمون بالشيفرات.

قال داود: «اسمعوا، أرجو منكم الالتفات، الرجل لا يتكلم بالشيفرات».

(١) "Mueller's Trump-Russia Investigation Engulfs Deutsche," Handelsblatt, December 5, 2017

أفاد كوارلز أخيراً: «لم نثبت شيئاً هنا. استحضرنا ملفات من المصرف الألماني (دويتشه بانك) منذ مدة، خلال فصل الصيف، ولكنها لا تشمل الرئيس ولا مالياته».

في الساعة العاشرة صباحاً، من ٢١ كانون الأول/ديسمبر، توجّه داود لمقابلة مولر في محاولة منه لقلب الطاولة. في أغلب الأحيان، تتمثّل أفضل طريقة للدفاع بالهجوم.

قال داود: «جرى تقديم كل السجلات. وأُجريت المقابلات مع كل الشهود باستثناء واحد أو اثنين منهم. يبدو أن التحقيق بأكمله ناجم عن مؤامرة حاكتها شركة (فيوجين جي بي إس) التي حضّرت ملف (ستيل) والمدعومة من اللجنة الوطنية الديموقراطية (DNC) وكبار المسؤولين الاستخباريين من مكتب التحقيقات الفيدرالي لتقويض رئاسة ترامب. من السخافة الإخفاق في التحقيق في دور كومي الذي أدى إلى هذا التحقيق. فالسلوك غير السوي والمشين لكومي يتطلب التحقيق فيه». كان المفتش العام في وزارة العدل يحقّق في تصرُّفات كومي حيال قضية البريد الإلكتروني لكلينتون. قال داود: «رمي الكرة في ملعب المفتش العام يضعف الثقة بتحقيقك».

امتنع مولر عن الإجابة.

واصل مولر وكوارلز الضغط. وأرادا مقابلة الرئيس. في ٨ كانون الثاني/يناير ٢٠١٨، أملى مولر قائمة تتألف من ١٦ موضوعاً أرادوا الاستفسار بشأنها. وتتعلق كلها تقريباً بفلين أو كومي أو سيشنز.

لفت دواد عناية الرئيس إلى أن تلك القائمة ليست محدَّدة. «إن ما أرغب القيام به هو الضغط أكثر بخصوص هذه القائمة حتى ترتسم لديك صورة أفضل. فاحتواؤها على ١٦ موضوعاً سيدفعك إلى التخمين بخصوص الأسئلة التي سيطرحونها عليك». سأل ترامب: «ماذا ستفعل؟».

«أفكر في كتابة رسالة إليه نجيب فيها عن أسئلته هذه». وهذه الرسالة ستستعرض الوقائع كما يرونها، وتقدِّم المرافعات القانونية، خصوصاً في ما يتعلق بسلطات الرئيس تحت المادة الثانية من الدستور. «وسنحضّرها على شكل موجز المحكمة العليا».

قال ترامب بنبرة إصرار: «لقد أعطيناهم كل شيء». ألم يكفِهم ذلك؟ ثم أضاف: «لا أمانع في التكلم معه».

قضى داود وجاي سيكيولو الأسبوعين التاليين في صياغة الرسالة. سيكيولو الذي غالباً ما يظهر كمعلِّق على شبكة البث المسيحية السي بي إن، وعلى شبكة فوكس نيوز، عمد خلال مسيرته المهنية التي امتدت ٣٠ سنة إلى تمثيل المجموعات المحافظة والدينية والمناهضة للإجهاض.

في النهاية، سأل ترامب داود: «إلى أين وصلتما؟ هل لي برؤية الرسالة؟».

حضر داود إلى مقر الإقامة في البيت الأبيض نهار السبت في ٢٧ من كانون الثاني/ يناير ٢٠١٨، حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر.

رافقه الرئيس في جولة قصيرة شملت أرجاء المكان، فضلاً عن غرفة نوم لينكولن. مازحه قائلاً: قد يكون «هذا السرير يتسع لي ولك».

فردّ داود ممازحاً: «بوسعنا أن نرى أنفسنا في المرآة».

قال ترامب: «إن فزتَ في هذه القضية سأقدم إليك الجولة الذهبية. ستمتد لساعات. برأيي، هذا أجمل قصر في العالم. ليس ثمة مثيل له».

حضر بارون، ابن ترامب، برفقة صديق.

قال بارون: «أبي، يريد صديقي أن يلتقط صورة معك، هل تسمح له بذلك؟».

«بالطبع». وجرى التقاط الصورة.

جلس ترامب وداود حول طاولة تطل على النُصُبَين التذكاريين لواشنطن وجيفرسون.

قال داود: «أريد أن أعطيك فكرة عما قد تكون عليه عملية الإدلاء بالشهادة». سيجريان جلسة تجريبية. «وسنتكلم حول بعض هذه الموضوعات. قد تكون عن كومي وفلين. ولكن بشكل مقتضب. لست مضطراً إلى القيام بأي إعداد مسبق. أجب بشكل ارتجالي».

«أريدك أن تقرأ رسالتنا. أنا جاهز لتوقيعها ولكنني لن أفعل إلى أن تشعر بالرضا عنها، لأنها عبارة عن بيان خطي مهم. فبواسطتها نخبر بوب عن موقفنا وعن موقفه من منظورنا، وعن السبب وراء عدم وجوب خوضك... عن سبب عدم استحقاقه لطرح الأسئلة عليك.

«إن بدت الأسئلة غير مؤذية، فلا تعتبرها على هذا النحو. وأريدك أن تركّز تماماً في الإصغاء إلى الكلام. لستُ مستجوِباً مهذاراً. تروقني الأسئلة القصيرة اللطيفة. ويروقني أن أبنيها. أنا صبور جداً. وسوف أُسدي إليك النصيحة المعتادة: أجب عن السؤال فقط. اتفقنا؟ هل فهمت؟».

«نعم».

«متى عرفت لأول مرة أن ثمة مشكلة مع الجنرال فلين؟».

«لست واثقاً. أعتقد حينما تكلم مكغان مع سالي ييتس. ولكنني لست واثقاً يا جون». قال ترامب إن المدعي العام بالنيابة قال إن فلين أخبر نائب الرئيس أمراً غير صحيح.

«ماذا فعلتَ حيال ذلك؟».

قال ترامب إنه لا يظن أنه فعل أي شيء. «أظن أن دون قد تولّى هذه المسألة. وعملوا...».

«هل استدعيت فلين؟».

«لا».

«هل تكلمت مع فلين بأي شكل من الأشكال؟».

«لا أعلم. أكاد أذكر أنه... اتصل بي هو وبريبوس».

«سيدي الرئيس، هل سألته إن كان قد تكلم عن العقوبات مع كيسلياك (السفير الروسي)؟».

«لا».

«هل أنت واثق بذلك، سيدي الرئيس؟ لدينا بعض الأدلة التي تشير إلى احتمال أن هذا الحديث قد جرى. هل أنت واثق بذلك؟».

كان داود يعي أن بريبوس قدَّم إفادة لمصلحة الرئيس. ذات مرة، وبحضور بريبوس في الغرفة، قال فلين أمام الرئيس إنه لم يتناقش قط مع الرئيس بخصوص أحاديثه مع كيسلياك.

استفاض ترامب بإجابة مطولة وهزيلة.

قال داود: «اسمع، لنعد إلى نقاط البحث الرئيسية».

«آه».

طرح داود سؤالاً عن فلين: «هل مرّ عليك وقت اضطررتَ فيه إلى تسريحه من عمله؟».

«نعم».

«هل تذكر كيفية حدوث ذلك؟».

«لا. أظن أنه قدّم رسالة استقالة. لا أمانع إخبارك بأنني أسفتُ جداً عليه. كان لديه عيوبه، ولكنه رجل لطيف جداً وهو يعجبني. كما تعلم، أحب العسكريين. إذن كانت هذه التوصية، وهذا ما قمت به». كان بريبوس ومكغان قد أوصيا بطرد فلين.

«هل أخبراك يوماً عن مقابلة لمكتب التحقيقات الفيدرالي؟».

«لا أعلم. لا يسعني التذكُّر».

شعر داود بأن ترامب يعجز فعلياً عن التذكُّر. فلدى طرحه لمزيد من الأسئلة قال ترامب إنه لا يقوى على تذكُّر كثير منها. وقد وجد ذلك مفهوماً، بالنظر إلى متطلبات الرئاسة.

عاد داود إلى كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٦، بُعيد الانتخاب، وطرح المزيد من الأسئلة حول فلين.

«هل كان يتواصل مع الدبلوماسيين، وإلى ما هنالك؟».

«أفترض أنه كان يفعل ذلك».

«هل تكلم مع كيسلياك؟».

«لست أعلم. أعلم أن كثيراً من الأحاديث كانت تجري بين أفراد طاقم إدارتي. أظن أنني غرّدت ببعض الأمور».

في ٣١ آذار/مارس[١]، غرّد ترامب قائلاً: «يجب أن يطلب مايك فلين الحصانة؛ فهذه حملة استهداف شرسة جداً (عذراً للخسارة الكبيرة في الانتخابات) يجرِّدها الإعلام والديمقراطيون!».

سأل داود: «ما موقفك من العقوبات التي وافق عليها أوباما؟» حيث قام أوباما بطرد ٣٥ دبلوماسياً روسياً، وفرض عقوبات على أفراد وهيئات متعددة، وإقفال مجمَّعين روسيين في كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

«وجدتُ أن هذا منحني القوة للمضي قدماً».

علّق داود بالقول: «آه، لأن الجميع اعتقدوا أنك ستعارض العقوبات، تريد علاقات طيبة مع بوتين».

كرر ترامب قائلاً: «لا، اعتبرتُها نقطة قوة لي».

بالاستناد إلى الإفادة التي راجعها داود، كان كلامه دقيقاً. وجد داود أن الرئيس يبلي بلاءً حسناً في الإجابات. فالمذكّرة المؤلَّفة من ٦ صفحات التي جمعها البيت الأبيض وداود حول فلين احتوت على معلومات أكثر كثيراً من تلك التي يتذكَّرها ترامب الآن. كان داود قد قدَّم سرداً تفصيلياً يتطرق إلى تفاصيل يومية حول كيفية اكتشاف البيت الأبيض أن فلين قد كذب على مولر وكوارلز، اللذين أطريا على هذه المذكرة لمدى شموليتها.

سأل داود: «لمَ قلتَ للمدير كومي... وطلبتَ منه التروّي مع فلين. لمَ فعلتَ ذلك؟».

أجاب ترامب: «لم أطلب ذلك قط».

قال داود: «كتب ذلك في مذكِّرة بالتزامن مع حدوثه[٢]. وتحدّث بذلك إلى أصدقائه».

أجاب ترامب: «لم أقل هذا الكلام. يا جون لم أقل هذا الكلام مطلقاً».

«في الحقيقة هو يقول...».

---

(١) للاطلاع على تغريدة ترامب: https://twitter.com/realdonaldtrump/status/847766558520856578

(٢) مذكرات كومي متاحة على الموقع الآتي:
https://assets.documentcloud.org/documents/4442900/Ex-FBI-Director-James-Comey-s-memos.pdf

قال ترامب: «إنه كاذب». ثم هاجم كومي بشراسة. «ذاك الرجل منافق، إنه كاذب. إنه يتنقل بين مسألة بريد كلينتون الإلكتروني وكتابة المذكّرات وتسريب المعلومات».

وجّه الرئيس نقداً لاذعاً. وعبّر عنه بلا هوادة وبلا توقُّف. حاول داود أن يقاطعه، فواصل ترامب كلامه من دون انقطاع.

قال داود بعد أن انحسرت العاصفة قليلاً: «اسمع، لا يسعك الإجابة عن أي سؤال بهذا الشكل. فهذا ما يصفونه بالتصرف المنفّر. هذا ليس جيداً. اتفقنا؟ كن مهذباً في الرد».

«سحقاً!».

هل قال لك: «إنك لا تخضع للتحقيق» في السادس من كانون الثاني/يناير؟

«نعم قال لي هذا».

سأل داود: «قصد قضية الفضيحة الجنسية فقط وليس قضية المؤامرة، أليس كذلك؟». كانت هذه إحدى النظريات لدى فريق مولر.

«هذا هراء، لم يقل لي ذلك قط».

صدَّقه داود، لأن كومي كان قد أعلن أنه لم يكن ثمة تحقيق في أية قضية خلال تلك المرحلة.

وكانت مدة نصف الساعة التالية عديمة الفائدة. «هذه مكيدة لعينة!» وكرر ترامب كل ما غرد به أو قاله آنفاً. لم يستطع داود الوصول إلى أي مكان، فترامب يشتعل غضباً. خشي داود لو أن مولر كان مكانه، لقام ترامب على الأرجح بطرده فوراً. بدا وكأن ترامب يسأل: لمَ أنا جالس هنا أجيب عن أسئلة؟ «فأنا رئيس الولايات الأميركية المتحدة».

يا لها من فوضى. هز داود كتفيه أسفاً على ضياع الوقت، ولكنه رأى الكابوس كاملاً. فقد بدت لافتةً رؤية رئيس الولايات المتحدة يستشيط غضباً كأحد ملوك شكسبير.

أخيراً هدأت فورة غضب ترامب، وعاد ليتمالك أعصابه.

قال داود: «سيدي الرئيس، لهذا السبب لا يسعك الإدلاء بإفادتك. أوقن أنك تؤمن بما تقوله. أوقن أن هذا رأيك. وأوقن أنك خضت هذه التجارب. ولكن عندما تجيب عن الأسئلة، وعندما تكون شاهداً على وقائع معيّنة، تحاول أن تقدّم الوقائع. إن كنت تجهل الوقائع، أفضّل أن تقول لبوب إنك لا تذكر، لأنك تواجه الكثير من الأحداث هنا. عوضاً عن التخمين والخلوص إلى شتى أنواع الاستنتاجات المتهورة».

ثم سلّم داود ترامب مسوّدة الرسالة التي سيوجهها إلى مولر. وكان عنوانها: «طلب إدلاء إفادة حول مزاعم عرقلة العدالة».

وطُبع على الرسالة بالخط العريض تأكيد تام لحقّ ممارسة السلطة الرئاسية: **«يحق له، عند الرغبة، إيقاف التحقيق، أو حتى ممارسة سلطته بالانسحاب منه، إن رغب في ذلك»**.

قرأ ترامب الرسالة المؤلفة من ٢٢ صفحة بعناية، متوقفاً لقراءة عدة مقاطع بصوت عالٍ. ثم أبدى إعجابه بالرسالة. «لدي قضية مُحكَمَة هنا. أعجبتني طريقة تنظيمها». وأبدى إعجاباً بالحواشي السفلية البالغ عددها ٥٩ حاشية.

أكمل ليقول: «هذا أحد أفضل الأيام التي عشتها في هذه المعمعة. قدرته على التعبير عن انفعالاته، والترجُّح بين أقوى الانفعالات وأضعفها، بدت في أوجها. «الرسالة جميلة بحق. أعتقد أنها تشمل كل ما فكرت فيه، بل أفضل من ذلك. الآن فهمت. استوعبت ما تقوم به».

أجاب داود: «نعم».

«دعنا ندفعهم ناحية الجدار. ولكنك لا تريدني أن أدلي بإفادتي أليس كذلك؟».

أجاب داود: «لا. دعنا نضغط في هذا الأمر ونستنفد طاقتهم. إذا اقتضت الظروف قد أقترح على بوب أن يعطيني الأسئلة. سنجيب عنها. وسنحضّر نصاً. سأقول له: بوسعك القدوم وتلاوة أسئلتك والرئيس سيقرأ الأجوبة. كيف عساك تتذمر حيال ذلك في حين أنك وثقتَ بنا بخصوص كل ما أدلينا به؟ كما أن الرئيس لا يمكنه تذكُّر كل هذا. وبالمناسبة سيسرُّه جدّاً أن يلتقيك ويحدثك في هذه المسألة، ولكنه بحاجة إلى مساعدة (من النص)».

قال ترامب: «حتماً سأقوم بذلك. هذا ممتاز».

قال داود: تخيَّل فقط لو أن النص ليس بين يديك».

«لست أعلم يا جون. لقد خضنا للتو هذه التجربة، هل تعتقد بأنني كنت أكافح؟».

«نعم كنت تكافح. ولكنني، سيدي الرئيس، لا ألومك. فأنت لستَ كاذباً ولست إنساناً سيئاً أو ما شابه. ولكن المشكلة في كثرة انشغالاتك اليومية. انظر مقدار العمل الذي أنجزناه عصر هذا اليوم».

جرت خلال حديثهما مقاطعات عديدة: موجزان قصيرن يتعلقان بمشكلات حول العالم، وبعض الوثائق الرسمية التي تحتاج إلى توقيع ترامب. كيف عساه يتمكن من تذكر كل شيء؟

أكمل داود قائلاً: «وهذا يعرقل محاولتك لتذكر ما حدث قبل ٦ أو ٩ أشهر».

قال ترامب: «ممتاز، أوافقك الرأي. لا أرغب في الإدلاء بإفادتي».

في اليوم التالي للجلسة التجريبية في البيت الأبيض، اتصل ترامب بداود. قال ترامب: «لقد نمت نوماً عميقاً. أعجبتني تلك الرسالة. هل لي بالحصول على نسخة منها؟».

قال داود: «لا».

أوصل داود الرئيس إلى المكان الذي يريده.

نهار الاثنين في ٢٩ كانون الثاني/يناير ٢٠١٨، وقّع داود وسيكيولو الرسالة. ثم رتّب داود لتوصيلها إلى كوارلز في الأول من شهر شباط/فبراير. تصوّر داود أن عملية التوصيل ستكون شبيهة بما يحدث في الأفلام. حيث سيعبر كوارلز الشارع ويركب في سيارة داود المركونة.

تبادلا بضع مجاملات، واطمأن كل منهما إلى حال أولاد الآخر.

قال داود: «إليك رسالتك».

«ما هذه؟».

قال داود: «رد على موضوعاتكم الستة عشر. وقد بيّنا نوعاً ما جانبنا من القضية. دع الباب مفتوحاً. سأضغط باتجاه الحصول على بعض الأسئلة المحددة. فكّر في الأمر. إذا أردتم التكَلم عن ذلك، قل لبوب إن علينا الاجتماع».

الفصل الحادي والأربعون[1]

اجتمع نافارو وروس وكوهن وبورتر في المكتب البيضاوي في كانون الثاني/يناير ٢٠١٨[٢]. عقب أشهر من الجدال الدائر حول التعريفات واتخاذ مواقف متعنّتة، ازدادت حدة المناقشات وحماوتها.

أعاد كوهن، مدعوماً من بورتر، طرح الخلافات الاقتصادية والنزاعات المتعلقة بالأمن القومي الجيوسياسي. فعمد إلى ذكر خطر تعكير التعريفات للأسواق وتهديدها لكثير من مكاسب سوق الأسهم. قال إنها ستكون بالنتيجة مفروضة على المستهلكين الأميركيين. سوف تصبح وسيلة من وسائل تخريب الإنجازات التي حقّقها ترامب من خلال الإصلاح الضريبي والتنظيمي.

قال ترامب: «أنت المناصر للعولمة. لم يعد يهمني حتى ما تفكر به يا غاري».

لوّح له ترامب بيده كي يبتعد. فانسحب كوهن بعيداً.

أكمل نافار ووبورتر النقاش، وتدخّل روس مؤيداً لنافارو بين الفينة والأخرى. حاجج نافارو قائلاً إن التعريفات ستعزز العائدات وستروق للشركات والاتحادات. قال إنها ستكون طريقة ممتازة يحظى على إثرها ترامب بدعم الاتحادات، ويمكنها أيضاً أن تعزّز قاعدته الجماهيرية مع اقتراب انتخابات النصف الثاني في العام ٢٠١٨.

أتى بورتر على ذكر تعريفات بوش التي أدّت إلى خسارة واضحة لفرص العمل التي كانت متوقعة. وأدلى بورتر بحججه قائلاً إنه، مذاك الحين، توسّع مجال الصناعات البترولية التي تستهلك الصُلب وتعتمد عليه، من بنّائين وأنابيب ومجال صناعة الآليات، فيما انحسرت إمكانية

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

(٢) مراجعة الكاتب للمذكرات التي كتبها أحد المشاركين في الاجتماع.

توسُّع مجال صناعة الصُلب، وكذلك تضاءلت الوظائف في المجال الإنتاجي. وبالمقابل، سوف تتفاقم وتيرة فقدان الوظائف في ظل فرض التعريفات الجديدة بشكل يفوق ما كانت عليه خلال إدارة بوش.

ورأى بورتر أن نافارو مخطئ جداً في اعتقاده أن التعريفات ستلاقي استحساناً عاماً. فكثيرة هي الشركات التي ستعترض عليها، لأنها تشتري الصُلب وتستهلكه.

قال بورتر: «إن صناع الآليات سيرفضونها. لديهم هوامش ضيقة، وهذا سيرفع من تكاليف صناعتهم». وكذلك سيكرهها صناع الأنابيب. إننا نفتح كثيراً من الأراضي العامة الفيدرالية الجديدة ومنصات حفر بحرية. وهذا يتطلب توافر صانعين للأنابيب».

قال بورتر: «والاتحادات... هذا جنون. حتماً نقابة عمال الصُلب سيعجبها الوضع، ولكن اتحاد صناع الآليات لن يعجبه. والعاملون في مجال البناء والتشييد لن يعجبهم ذلك. فهذا سيجعل «التكلفة مرتفعة».

حاول بورتر أن يظل الوسيط الصادق الذي يسهّل مجريات النقاش. وعندما كان يرغب في طرح رأي قوي، كان ينتظر أن تتسنّى له مناقشة الرئيس بشكل مباشر، محاولاً أن يبرز من خلال تلك الآراء والاقتراحات على أنه يمثّل التاجر الحر.

جابه نافارو كل حجة طرحها بورتر بالشراسة نفسها. دخل كبير موظفي البيت الأبيض جون كيلي إلى الغرفة في منتصف الاجتماع. كان الرئيس يراقب الجدال المتبادل بحرارة.

هل أصبحت رجل اقتصاد الآن؟ سؤال طرحه ترامب على بورتر بعد تبادله مع نافارو اشتباكات لفظية لقرابة نصف ساعة من الوقت. ماذا تعرف عن الاقتصاد؟ أنت محام.

قال بورتر إنه درس علم الاقتصاد ودرّسه خلال دراسته في جامعة أكسفورد كحامل لمنحة رودس. وأشار إلى أن كثيراً من النقاط التي طرحها لم تكن منحصرة في الاقتصاد.

قال ترامب: «لطالما عرفتُ أن غاري مناصر لعين للعولمة. ولكنني لم أعرف أنك مثله مناصر لعين للعولمة يا روب».

التفت ترامب إلى كيلي: تنبّهْ لهذا الرجل. إنه مناصر للعولمة!

هز كيلي برأسه وابتسم. أراد أن ينتهي هذا الاجتماع.

وهكذا انتهى الاجتماع من دون التوصُّل إلى أي حل حقيقي، باستثناء تذكير ترامب بأنه قد وقّع مذكرة قرار للمضي قدماً بالتحقيق في انتهاكات الصين بموجب البند ٣٠١ من قانون التجارة، وقد أعلن عن ذلك. وهذا الموضوع له الأولوية على موضوع فرض التعريفات على الصلب. كانت هذه الاستراتيجية والاتفاق.

غادر بورتر البيت الأبيض في ٧ شباط/فبراير، بعد أن ادعت زوجتان سابقتان له أنه قد اعتدى عليهما جسدياً. كشفت إحداهما عن صورة تظهر فيها مصابة بكدمة حول عينها أصيبت بها على يد بورتر. وقدمتْ كل منهما: واحدة أمام الإعلام والأخرى عبر مدوّنة[١]، أوصافاً تفصيلية لواقع تعرّضها للتعنيف الأسري.

خلص بورتر سريعاً إلى أنه سيكون من الأفضل للجميع، لزوجتيه السابقتين ولأسرته ولأصدقائه المقربين وللبيت الأبيض ولنفسه، أن يستقيل. معلناً أنه يريد التركيز في إصلاح تلك العلاقات والشفاء.

أفادت صحيفة النيويورك تايمز[٢] «أن الادعاءات بالتعنيف الأسري تضع حداً لصعود نجم في البيت الأبيض». وأفاد زملاء بورتر السابقون: «الشكل الحسن لمساعد الرئيس يخفي وراءه طبعه الحاد».

وأفاد بورتر في تصريح له[٣]: «لقد التقطتُ الصور التي أُعطيت للإعلام قبل حوالى ١٥ سنة، والحقيقة الكامنة وراء الصور لا تمتّ بصلة إلى ما جرى وصفه».

وغرّد ترامب قائلاً: «هنالك أشخاص تتهشَّم حياتهم[٤] وتُدمَّر بفعل مجرَّد ادعاءات».

واتَّهم مجلس التحرير في الواشنطن بوست[٥] البيت الأبيض «بالاستخفاف بالعنف الأسري»، وأفادت النيويورك تايمز: «يبدو أن ترامب يشكِّك بحركة MeToo Movement#.

رأى كوهن أن أحد التأثيرات الأساسية التي كانت قيداً لترامب قد زال.

بعد الساعة السادسة والنصف من ليلة الأربعاء ٢٨ شباط/فبراير، توجّه وزير التجارة ويلبر روس

---

(١) MMJ Lee and Kevin Liptak, "Former White House Aide's Ex-Wives Detail Abuse Allegations," CNN, February 8, 2018; Colbie Holderness, "Rob Porter Is My Ex-Husband. Here's What You Should Know About Abuse," The Washington Post, February 12, 2018; Felicia Gans, "Jennifer Willoughby Called Rob Porter's Alleged Abuse 'Insidious' Last Year," Boston Globe, February 10, 2018.

(٢) Maggie Haberman and Katie Rogers, "Abuse Claims End Star's Rise in White House," The New York Times, February 8, 2016, p. A1; Katie Rogers, "Aide's Clean-Cut Image Belied His Hot Temper, Former Colleagues Say," The New York Times, February 20, 2018, p. A14.

(٣) Josh Dawsey, Beth Reinhard and Elsie Viebeck, "Senior White House Official to Resign After Ex-Wives' Allegations of Abuse," The Washington Post, February 7, 2018.

(٤) للاطلاع على تغريدة ترامب:

https://twitter.com/realdonaldtrump/status/962348831789797381

(٥) "The White House Shrugged Off Domestic Violence. It's Not Alone," The Washington Post, February 8, 2018; Mark Landler, "Trump, Saying 'Mere Allegation' Ruins Lives, Appears to Doubt #MeToo Movement," The New York Times, February 10, 2018.

وبيتر نافارو إلى المكتب البيضاوي، وأقنعا الرئيس بالمضي قدماً بفرض التعريفات على الصلب قبل إتمام التحقيق تحت البند ٢٠١ من قانون التجارة، فتهدَّمت الاستراتيجية التجارية بالكامل. كان روس قد وضع آنفاً دراسة يفيد فيها أن تزايد واردات الصلب والألومنيوم يشكِّل تهديداً على الأمن القومي، مما يمنح ترامب السلطة لفرض التعريفات من دون الرجوع إلى الكونغرس.

كان روس ونافارو قد رتَّبا لقدوم أبرز أرباب مجال الصلب في الولايات المتحدة إلى البيت الأبيض في اليوم التالي.

وعندما سمع كوهن بالخطة، اتَّصل بكيلي في حوالى الساعة العاشرة مساء.

قال كيلي: «لا أعرف شيئاً عن اي اجتماع. ليس ثمة اجتماع».

«بلى ثمة اجتماع».

«عمَّ تتكلم يا غاري؟».

حاول كوهن أن يلغي الاجتماع، ولقد ظنّ أنه استطاع إلغاءه. لكن ظل الاجتماع قائماً.

حضر أكثر من ١٢ مديراً تنفيذيّاً[١] في اليوم التالي. وفي اجتماع في غرفة مجلس الوزراء، أعلن ترامب أنه قرّر فرض تعريفة بقيمة ٢٥٪ على أنواع الصلب المصنوعة في الخارج و١٠٪ على الألومنيوم.

وقد توجّه إلى المديرين التنفيذيين بالقول: «إنكم ستحظون بالحماية لأول مرة منذ أمد بعيد. وستعيدون إنماء صناعاتكم». رغم أن كل البيانات التي جمعها كوهن قد أظهرت أن هذا الأمر ليس عملانياً كما أنه ليس ممكناً.

اعتقد كوهن أنهم لو أكملوا العمل على قضية الملكية الفكرية المرفوعة ضد الصين، لحظوا بدعم الحلفاء، ولكانوا شكّلوا قضية تجارية ضخمة. وكان بإمكانهم أن يدفعوا أغلب بلدان العالم لتقف في وجه الصين. وبذلك يتسنّى لهم عزل منافسهم الاقتصادي. ولكن التعريفات على الصلب وضعت حداً لكل ذلك.

استنتج كوهن أن ترامب يروق له فقط أن يؤلّب الناس بعضهم ضد بعض. لم يسبق للرئيس

(١) Donald J. Trump, "Remarks at a Listening Session with Steel and Aluminum Industry Leaders and an Exchange with Reporters," March 1, 2018. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, *The American Presidency Project*. http://www .presidency.ucsb.edu/ws/?pid=129484

خوض تجربة اضطر فيها إلى التفكير بشكل استراتيجي للمدى البعيد. وتوجّه لمقابلة ترامب ليقول له بأنه سيستقيل.

قال كوهن: «إن كنت ستدير الأمور بهذه الطريقة فسوف أغادر. بوسعي تقبُّل خسارة معركة في البيت الأبيض، مادمنا نتّبع الأصول والإجراءات الصحيحة. ولكن حينما يُسمح لرجلين بدخول مكتبك في الساعة السادسة والنصف مساء ويحدِّدان اجتماعاً لا أحد يعلم عنه شيئاً، بمن في ذلك كبير موظفي البيت الأبيض، فأنا أعجز عن العمل في هذه البيئة».

أدرك كوهن أهمية هوب هيكس، التي جرت ترقيتها إلى مديرة الاتصالات في البيت الأبيض. غالباً ما كان كوهن يطلب منها أن تنضم إليه لدى توجُّهه لتبادل حديث عسير مع ترامب، فيقول لها: «هوب تعالي معي». فقد رأى أن هيكس تليّن الرئيس، وأن ترامب يعامله بطريقة مختلفة في وجودها.

نهار الثلاثاء في السادس من آذار/مارس، توجّه لرؤية هيكس. وضعا معاً بياناً ليصدره الرئيس مع استقالة كوهن.

«كان غاري أبرز المستشارين الاقتصاديين لدي وقد أبلى بلاء حسناً في تولّي أجندة أعمالنا، حيث أسهم في تحقيق تخفيضات ضريبية وإصلاحات تاريخية، وفي إعادة إطلاق الاقتصاد الأميركي من جديد. فهو يمتلك موهبة نادرة، وأشكره على خدمته المتفانية للشعب الأميركي».

أجريا بعض التصحيحات اللغوية، ثم أخذا نسخة مطبوعة إلى المكتب البيضاوي. جلسا عند طاولة مكتب الرئيس.

قال كوهن: «سيدي الرئيس، أرجِّح أن هذا اليوم، هو اليوم المناسب لي كي أقدِّم استقالتي».

قالت هيكس ملطّفة الأجواء في تلك اللحظة: «كان غاري رائعاً. سوف نشتاق إليه كثيراً. هذا مؤسف. علينا أن نجد طريقة لنعيده».

قال الرئيس: «بالطبع، سنعيده».

كان استعراضاً مزيّفاً حتى النهاية. أدرك كوهن مجدَّداً ما قاله آنفاً للآخرين حول الرئيس. «إنه كاذب محترف».

قالت هيكس: «لدي اقتباس هنا توافقتُ عليه مع غاري. وآمل أن توافق عليه».

أخذ ترامب الورقة وتمتم كلمة، ولكن ترك العبارة على حالها.

قال ترامب: «إنها خسارة فادحة. ولكننا سنكون على ما يرام، وسوف يعود».

جاء في صحيفة بلومبيرغ العنوان الآتي: «غاري كوهن استقال من منصب مستشار ترامب[1] عقب خلاف حول التعريفات». وأوردت صحيفة الواشنطن بوست العنوان الآتي: «استقالة غاري كوهن في خضم خلافات مع ترامب[2] حول التجارة». وكان في عناوين صحيفة ذا أتلانتيك: «استقال غاري كوهن، بسبب التعريفات على ما يبدو[3]». وعنونت صحيفة ذا وول ستريت جورنال: «استقالة غاري كوهن من منصب مستشار البيت الأبيض[4] للشؤون الاقتصادية بعد خسارته في معركة التعريفات».

وفي وقت لاحق، وعقب استقالته، شعر كوهن بالقلق من حدوث زعزعة في الاقتصاد قد تنجم عن التعريفات وعن تأثيرها في المستهلك. الاقتصاد في الولايات المتحدة من النوع المدفوع بالاستهلاك. وإذا كان المستهلك غير واثق بالشكل الذي سيتخذه الاقتصاد وكيف سيكون عليه الدخل المتاح، فسوف يتجلى ذلك سريعاً جداً في الاقتصاد، وفي سوق الأسهم.

أتت تصرفات ترامب وتهديداته المتزايدة حول التعريفات، متعارضة. وارتأى كوهن أن ترامب يجب أن يعرف. «ولكنه لا يتمتع بالرجولة الكافية للاعتراف بذلك. حتى الآن لم يخطئ قط. إنه في الحادية والسبعين من العمر. ولن يعترف أبداً بأنه مخطئ».

توجّه توم بوسيرت، وهو محام وخبير أمني، في الثالثة والأربعين من عمره، يشغل وظيفة مستشار الرئيس للأمن الداخلي ولشؤون الأمن السيبراني ومناهضة الإرهاب، إلى المكتب البيضاوي في ربيع العام ٢٠١٨، ووجد ترامب في غرفة الطعام الخاصة. سأل بوسيرت ترامب: «هل لديك دقيقة من الوقت، سيدي؟».

قال ترامب: «أريد مشاهدة دوري الماسترز». كان قد سجّل عبر مسجِّل الفيديو الرقمي دورة نادي أوغوستا الوطني للغولف، وهو الدوري الأشهر في العالم، وكان يتابعه بشغف.

وهكذا، لم يكن أمام بوسيرت، وهو مساعد بارز آخر لترامب، يمكنه الدخول إلى المكتب البيضاوي وحتى إلى منطقة عمل كيلي، سوى الجلوس والمشاهدة.

كان المحامي على يقين بأن الولايات المتحدة هي أصلاً في حالة دائمة من الحرب السيبرانية

---

(١) Justin Sink, Jennifer Jacobs, Dakin Campbell and Shannon Pettypiece, "Gary Cohn to Resign as Trump Adviser After Dispute over Tariffs," Bloomberg, March 6, 2018.

(٢) Damian Paletta and Philip Rucker, "Gary Cohn, Trump's Top Economic Adviser, to Resign Amid Differences on Trade Policy," The Washington Post, March 7, 2018.

(٣) Derek Thompson, "Gary Cohn Resigns, Apparently over Tariffs," The Atlantic, March 6, 2018

(٤) Nick Timiraos, Peter Nicholas and Liz Hoffman, "Gary Cohn Resigns as White House Economic Adviser After Losing Tariffs Fight," The Wall Street Journal, March 6, 2018.

المنخفضة الحدَّة مع دول أجنبية متقدِّمة ومع خصوم، مثل الصين وروسيا وكوريا الشمالية وإيران. وهو على يقين بأن هذه الدول تملك القدرة على تعطيلٍ شبكة الطاقة الكهربائية في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، ولا يردعها عن الإقدام على ذلك سوى معرفتها الواضحة أن الهجوم السيبراني الضخم لن يُجابه فقط بردّ سيبراني متواز.

يجب أن تشكِّل القوة العسكرية الأميركية الكاملة، بما فيها الأسلحة النووية، جزءاً أساسياً من الرادع. كان يروق لبوسيرت القول، ولطالما ردّد ذلك، إن استخدام أي عنصر من عناصر القوة القومية سيكون مبرراً. الولايات المتحدة ستتكبد خسائر فادحة في أية هجمة سيبرانية عالية التأثير. كرر بوسيرت ذلك مراراً، بحيث بدا له أن الرئيس قد فهم أن استخدام الأسلحة النووية، كرادع سيبراني، لم يصبح بعد جزءاً من النقاش العام.

أخيراً سأل ترامب: «ماذا يجري؟».

قال بوسيرت: «سأعيد مرة أخرى. سوف أشارك في برنامج تلفزيوني، أقصد حلقة من برنامج ذيس ويك على شبكة الآي بي سي يوم الأحد القادم. «ولكن سيجري طرح مسألة التجارة مع الصين من جديد». وكذلك الموضوع السيبراني.

قال ترامب: «أنت وموضوعك السيبراني سوف تقحمانني في حرب. بئساً لكل ترهاتك السيبرانية».

«هذه هي الفكرة، سيدي. أحاول أن أستخدم عناصر أخرى من عناصر القوة الوطنية لمنع إساءة السلوك على الإنترنت. وهذا سيضعني في وسط كل القرارات التي تتخذها. لهذا السبب أتيت. أنت الآن في خضم مفاوضات شخصية مع الرئيس (شي).

لقد رفعت قيمة التعريفات التي ستفرضها إلى ١٥٠ مليار دولار[١] مع الصين. حسناً. كيف تريدني أن أتناول هذه المسألة على التلفاز؟ لا أريد الظهور وقول كلام قد يغضبك لاحقاً».

تلقّف ترامب فوراً الدعوة لتقديم تدريب على الظهور التلفزيوني، وللإفادة من حكمته في مجال الاستعراض. أدخل ذلك السرور التام على قلبه.

قال ترامب: «إليك كيف تقوم بالأمر»، ورفع أصابعه في الهواء. «هل أنت جاهز يا توم؟ اظهر على شاشة التلفاز وقل...» أراد أن يصوغ كلامه بالشكل المناسب. «قل لهم إنك لم ترقط من قبل، لا مهلاً. قل لهم أولاً إن ترامب جاد جداً. قل لهم ذلك. هل أنت جاهز؟».

---

(١) Bob Davis, "Trump Weighs Tariffs on $100 Billion More of Chinese Goods," The Wall Street Journal, April 5, 2018.

التقى بوسيرت وترامب في ٦ نيسان/إبريل ٢٠١٨.

عاد ترامب ليرفع يديه وأصابعه عالياً. «قل لهم ١٥٠ مليار دولار. مهلاً! قل لهم إن ١٥٠ مليار دولار ليس بمبلغ يُذكر. إنه مستعد ليرفعه إلى ٥٠٠ مليار، دولار لأنه سئم عدم معاملته بإنصاف. هذا ما عليك قوله لهم».

واصل ترامب الإيماء بأصابعه: «هل أنت جاهز؟ هذا ما عليك قوله لهم».

قال بوسيرت: «حسناً. تريدني أن أوجِّه إليهم كلاماً قاسياً؟».

قال ترامب بحماسة: «وجِّه إليهم كلاماً قاسياً! لو لم يكن نهار الأحد لكنت أقفلتَ الأسواق. فلتستخدم هذا الحد من القسوة اللعينة».

رفع أصابعه مجدَّداً. «مهلاً! انتظر! ثم قل: لا تقلقوا حيال الأمر. انظر، راقبني، إليك ما تفعله». قدَّم ترامب بعض الإخراج المسرحي، ورفع مجدّداً يده لأغراض درامية. «ثم تقول: سيكون الأمر على ما يرام لأن علاقة ترامب مع شي في غاية...»، ثم كف عن الكلام. راح يتخيّر كلماته. «إنها أفضل علاقة!» مهلاً! «لم تروا في حياتكم قط علاقة طيبة كهذه بين رئيسين. ولن تروا لها مثيلاً أبداً».

سأله الرئيس: «هل أنت جاهز؟».

اعتقد بوسيرت أنه سيظل يتذكَّر النص واستعراض ترامب لبقية حياته. إنها طريقة ترامب في طلب التكلُّم بقسوة، واستعداده لبذل كل ما في طاقته. لأننا نُعامَل بطريقة مجحفة.

قال ترامب: «ولا تقلقوا بخصوص فول الصويا». قال الصينيون من قبل إنهم سينتقمون بفرض تعريفات على الزراعات الأميركية[1] وغيرها من البضائع. تكلَّم ترامب بصيغة الغائب وقال: «سيشتري ترامب المزيد من فول الصويا اللعين إن اضطر إلى ذلك. سيشتري ما يحتاج إليه من فول الصويا اللعين من مزارعي بلاده، قبل أن يضغط عليه الصينيون. ولكن اعمد بعدها إلى القول لهم: سيكون الوضع على ما يرام. فهو و(شي) سيعقدان صفقة. وستكون صفقة جميلة. أفضل صفة رأيتموها في حياتكم».

سأل بوسيرت: «إذن تريدني اتباع الشدّ والرخي؟»: الشد لناحية الإصرار، والرخي لناحية العلاقة مع شي.

«نعم».

---

(١) Bob Davis, "Trump Weighs Tariffs on $100 Billion More of Chinese Goods," The Wall Street Journal, April 5, 2018.

التقى بوسيرت وترامب في ٦ نيسان/إبريل ٢٠١٨.

عاود بوسيرت طرح الموضوع السيبراني.

فقال ترامب: «آه بالله عليك! إذا اضطررت أن تطرّق إلى الموضوع السيبراني فلا بأس».

رأى بوسيرت أن ترامب قد أراد منه التزام الموضوع التجاري. «أيها الرئيس إليك كيف سأقوم بالأمر: إنه خلاف تجاري وليس حرباً تجارية. هنالك عجز تجاري. في الثمانينات نشب بيننا وبين اليابان خلاف تجاري، وكنا حليفين مقربين في الوقت نفسه».

قال ترامب: «ممتاز! أحسنت. أضف هذه الترهات، تبدو جيدة، ثم تخبرهم بما قلته لك. ثم ستبلي بلاء حسناً». في محاولة منه لتخفيف الشعور بالقلق أضاف: «توم ستكون على ما يرام».

بعد ذلك، أقحم بوسيرت رأسه من باب مكتب كيلي، لياقة، وليقول له إنه كان يحضّر لظهور تلفزيوني مع الرئيس، وليس لديه أي خبر خارج إطار العادي ليبلغ عنه. فلوّح له كيلي بيده لينصرف. بدا لبوسيرت أن كبير موظفي البيت الأبيض يشعر بالتحجيم والخضوع، وقد استسلم إلى درجة بالغة.

جهّز بوسيرت النقاط التي سيتكلم عنها[١]، ولكن على شاشة الآي بي سي ركّزت المذيعة مارثا راداتز في أمن الحدود. كان ترامب قد قال إنه أراد إرسال ما بين ألفين وأربعة آلاف جندي من الحرس الوطني إلى الحدود الجنوبية. كان هذا موضوع الساعة، بسبب تعليق ترامب. ولم تسأل قط عن الصين.

خاب ظن بوسيرت، لأنه كان «مستعداً» لنقل رسالة الرئيس حول الإصرار وحول العلاقة الاستثنائية التي تربطه برئيس الصين شي.

---

(١) "Transcript of This Week," ABC News, April 8, 2018

الفصل الثاني والأربعون[1]

خلال ما تبقى من شهر شباط/فبراير لم يسمع داود الكثير. ظن أن مولر وكوارلز يبطئان التحقيق. إلى أن جرى أخيراً الترتيب لاجتماع نهار الاثنين في الخامس من آذار/مارس عند الساعة الثانية بعد الظهر في مكتب مولر.

قام كوارلز وثلاثة مدعين آخرين بمرافقة مولر.

وقام سيكيولو ومحام آخر بمرافقة داود. ثم سرعان ما تجلّى وجهات نظرهم مختلفة حول هدف الاجتماع.

قال مولر: «أعتقد أننا وصلنا إلى المرحلة المنشودة».

سأل داود: «عم تتكلم؟ أين الأسئلة؟».

قال مولر وكأنه المغامِر في منتصف اللعب: «لا أعلم».

«قال جيم إن هذا ما سنتلقاه هنا».

كرر مولر مجدداً: «في الواقع لا أعلم. يبدو لي أنكم لن تدلوا بالشهادة».

«في ظل الظروف الراهنة، هذا صحيح تماماً».

قال مولر: «بوسعي دوماً استصدار مذكرة جلب من هيئة محلفين كبرى».

قال داود ضارباً على الطاولة بيده: «افعل ذلك، اطلب إصدار تلك المذكرة، وأنا سأكون على

(١) إن المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة بشكل أساسي من مقابلات مع أشخاص من الصف الأول من دون ذكر أسمائهم.

أهبة الانتظار لرفع دعوى لعينة لإبطالها. وأريد أن أسمعك تشرح لقاضي المقاطعة الأميركي عن ماهية الجريمة. وأريدك أن تقدِّم شرحاً».

قال داود إن مولر قد تسلَّم كل الأدلة التي قد يحتاج إليها. «ستضم دعوى الإبطال التي سأرفعها كل ما قدمتُه إليك، بما في ذلك إفادة ٣٧ شاهداً، وكذلك ١,٤٠٠,٠٠٠ وثيقة مع إبراز الأحاديث الحميمية جداً التي أجراها الرئيس.أريدك أن تخبر ذاك القاضي عن سبب حاجتك إلى مذكرة جلب صادرة عن هيئة محلّفين كبرى. وأذكّرك بعدم إصدار مثل هذه المذكرة بحق أي رئيس في تاريخ البلاد. وبالمناسبة ليس ثمة رئيس، وصولاً إلى توماس جيفرسون، تمتّع بهذا القدر من الشفافية».

أكمل داود كلامه: «تريد شن الحرب؟ فليكن. وبالمناسبة سأخبر الرئيس أنك هدَّدتنا الآن بمذكّرة جلب صادرة عن هيئة محلّفين كبرى. 'أيها السيد الرئيس إن لم تقدِّم إفادتك فسوف نجرّك أمام الناس وسنستصدر مذكرة جلب من هيئة محلّفين كبرى. سنقيم جلسة استماع'. وبالمناسبة يا بوب، لم يُقدَّم أي من هذه الأدلّة إلى هيئة محلّفين كبرى. لذا أريدك أن تشرح لقاضٍ فيدرالي سبب عدم تقديم أي من هذه المعلومات إلى هيئة محلّفين كبرى بعد».

اعتقد داود أن كل الأدلّة الأساسية مثبتة في المقابلات والوثائق. ونادراً ما جرى تقديم هذا النوع من الأدلّة إلى هيئة محلّفين كبرى.

قال مولر: «لا بأس يا جون»، في محاولة لتهدئة داود.

«بوب، لقد هدَّدتَ رئيس الولايات المتحدة بمذكّرة جلب صادرة عن هيئة محلّفين كبرى فيما هو ليس بهدف. وبالكاد هو خاضع للتحقيق. إنه أساساً شاهد لعين. وسوف أبلغ القاضي بذلك. وبالتالي لا تقع عليه أية مسؤولية جنائية بدءاً من ٥ آذار/مارس ٢٠١٨»، تاريخ لقائهم. «لا شيء. وسأخبر القاضي بأنني لن أسمح لك بممارسة لعبة «الملاحقة والضبط». لن أسمح لك أن تبدأ باختبار ذاكرة الرئيس بخصوص شيء... ليس هنالك جريمة. بوب، سبق أن سألتك. أنت الذي أردتَ الصدام. إليك المعاملة بالمثل. أخبروني أين هي المؤامرة. ولا تكلّموني عن ذاك اللقاء التافه الذي جرى في حزيران/يونيو». قالها داود، مشيراً إلى لقاء دونالد ترامب الابن مع محام روسي في برج ترامب.

«هذا ليس أمراً يستحق الذكر. ليس فيه أثر لأية مؤامرة. والعرقلة؟ إنها مهزلة. العرقلة بذاتها مهزلة. فلين؟ بيتس وكومي لم يعتقدا بأنه قد كذب. ففي مذكّرة الهيئة الاستشارية للبيت الأبيض قال لهم إن العملاء قد أغلقوا ملفّه. ظنّ فلين أنه بمنأى عن الخطر، نعم. ظنّ أن الخطر لن يصل إليه على الإطلاق».

واصل داود كلامه وقال: «لا أطيق صبراً حتى أقرأ أوراقك. أوراقي ستُقدّم أولاً. وبالمناسبة، أعطني مذكّرة الجلب. سوف آخذها».

قال مولر: «جون، أنا لا أحاول تهديدك. إنني أفكّر فقط بالاحتمالات الواردة».

ارتدّ داود لأسلوب الفتى الطيّب. «الاحتمال الآخر أن تعطيني الأسئلة. لدينا علاقة ملؤها الثقة المتبادلة. لقد وثقنا بكم. وأنتم وثقتم بنا. ولم نخذلكم قط. بوب: أليس المهم فعلياً أن تحصلوا على الحقيقة أياً تكن؟ ونحن نتعاون معكم».

قرّر داود أن يتّخذ خطوة استثنائية. فقال: «لا أخفي عنكم أية أسرار. سأخبركم عن حديثي مع رئيس الولايات المتحدة حول موضوع الشهادة». ذكر ثلاثة من الأسئلة التي راجعها مع ترامب في مقر الإقامة في البيت الأبيض. عند السؤال الثالث لم يكن الرئيس يفقه شيئاً من الإجابة. «لقد اخترع إجابة، هذه طبيعته».

لاحظ داود أنه لفت انتباه مولر تماماً.

قال لسيكيولو: «جاي، مثّل أنت دور الرئيس وأنا سأمثّل دور مولر، اتفقنا؟». أرادا أن يمثّلا الواقعة التي اختبرها داود مع الرئيس. «لنتكلّم حول كومي». سأل داود عن أحد أحاديث ترامب مع كومي. فردّ سيكيولو بطريقة ترامب الكلاسيكية: إنه جواب مندفع يضجّ بالتناقضات والتلفيق والغضب. أداء مثالي. ترامب مثالي.

«وجدتها وجدتها، ١٠٠١!» قال داود وهو يضرب على الطاولة. مشيراً إلى الفقرة من القانون الأميركي التي تتعلق بالإفادات الكاذبة.

«وجدتها، ١٠٠١!».

طرح داود سؤالاً بسيطاً آخر على سيكيولو الذي لا يزال يؤدّي دور ترامب.

قال سيكيولو: «لا أعلم. لا أعلم. لا أعلم».

قال داود: «جاي، كم مرة ردّد عبارة (لا أعلم) حينما كنا نكلمه؟».

«١٢ أو ٢٠ مرة».

قال داود لمولر: «بوب، إليك قصدي. أنت تطلب مني الجلوس إلى جانب رئيس يصل إلى السؤال الثالث، ويفسد. وبعد ذلك، وبالنظر إلى أنني سأقدّم إليه المشورة، سيبدي عدم معرفته للإجابة وعدم تذكّره. إذن سيقول إنه لا يذكر ٢٠ مرة. صدّقني يا بوب، هو لا يذكر. وبالمناسبة، إن شئت سآتي بالجنرال كيلي إلى هنا كي يقول لك إنه لا يذكر. وسبب عدم تذكّره بسيط للغاية.

ففي المقام الأول، تُعدّ تلك وقائع وأحداثاً لها حيز صغير في حياته». وأغلبها حدث في وقت سبق رئاسته.

«فجأة أصبح الرئيس. وراحت المعلومات تتراكم عنده من كل الأنحاء، بما في ذلك من الإعلام كل يوم. وهذا يشكّل ضغطاً كبيراً عليه. وأنا، في الحقيقة، لا أريد له أن يبدو أبله. ولن أجلس هناك وأدعه يبدو كذلك. إذا نشرت هذه المسوَّدة، ككل الأشياء التي تتسرّب إلى الإعلام في واشنطن، سوف يقول الناس في الخارج: ألم نقل لكم إن هذا الرجل أبله. قلنا لكم إنه معتوه لعين. لمَ عسانا نتعامل مع ذاك المغفَّل؟ لا يسعه حتى تذكّر أسخف التفاصيل فيما يخصّ مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي يعمل معه».

كان داود يدرك أنه قد ولّد انطباعاً عن الرئيس بأنه «عاجز بشكل واضح».

قال مولر: «أفهمك يا جون».

«بوب ماذا تريد أن تعرف؟ أعطني سؤالاً واحداً لم يجب عنه أحد».

«أودّ أن أعرف إن كانت لديه نية سيئة».

«بوب هل تعتقد أنه سيردّ بالإيجاب؟ سوف أجيبك بالنفي نيابة عنه. وإذا أردت مني أن أحصل لك على إفادة من الرئيس بأنه لا يملك نية سيئة، فسوف أجلبها لك».

قال مولر: «دعني أفكر في الأمر. أكره الاعتقاد بأنك ستتلاعب بنا».

قال داود: «مهلاً. ارحمني قليلاً. لديه سجل طويل معكم موثوق تماماً. سل جيم كوارلز إن تلاعبت به يوماً. هل ذكرتُ لك شيئاً لم يكن صحيحاً؟».

أجاب كوارلز: «لا، جون أحد أفضل المحامين الذين نتعامل معهم».

بدأ داود يعتقد بأن مولر لا يعرف وقائع القضية.

بموجب اتفاقية الدفاع المشتركة مع حوالى ٣٧ شاهداً، تلقّى داود تقارير معلومات من محامين وقدّمها إليهم.

سأل داود: «هل كذب أي منهم؟».

قال مولر: «لا».

«هل عمد أحدهم إلى الإضرار بالوثائق؟».

أجاب مولر: «لا».

«هل أنا محقّ في قولي إنك تريد أجوبة جيدة وموثوقة؟».

«نعم».

قال داود: «أعطني الأسئلة؛ سوف آخذها وأخبرك إن كان بمقدورنا الإجابة عنها». كان سيقدم الأجوبة بمعدَّل سطر أو سطرين عن كل سؤال. أكمل ليقول: «مقايضة عادلة. أعطني الأسئلة كي أعرف ما الذي يدور في خلدك».

بمقدور الجنرال كيلي إدخال مولر وفريقه وصحفي من المحكمة إلى البيت الأبيض من دون علم أحد. «سنحضّر نصاً». سيكون الرئيس خاضعاً للقسم. «سننفِّذ الأمر بالطريقة التي نريدها. وبالنتيجة سنقول لك إن هذه هي الحقيقة كما نعرفها. سيقول الرئيس إن هذه هي الحقيقة كما يعرفها، بمساعدة من محام. إما أن نقوم بذلك، وإما أن تجلس أنت هناك، فيما نقوم نحن بمقاطعته لست ساعات وعندها سيظل يردِّد «لا أعلم».

راح الشبان في فريق مولر يهزّون رؤوسهم؛ وتوضَّح أن هذه الطريقة غير مسبوقة، على الإطلاق، ولم يسمع بها أحد من قبل.

قال مولر: «دعني أفكر إن كنتُ سأعطيك بعض الأسئلة».

ذكّر داود مولر بأنه في تموز/يوليو أو آب/أغسطس، عندما هاجم ترامب مولر وسيشنز، تواصل مولر مع داود وقال له: «لدي مشكلة هلا أتيت إلي؟ قلتَ، لدي أشخاص يرفضون الإدلاء بشهاداتهم وليس ثمة داع كي يرفضوا الإدلاء بالشهادة. فهم ليسوا مذنبين بتاتاً. ولكن أخشى أن يجعلهم الجو العام يشعرون، في حال إدلائهم بشهاداتهم، أنهم سيُعتبرون غير أوفياء».

وقال له داود: «سأخرج إلى العلن وأقول إننا نودّ تعاون الجميع. فالرئيس يتعاون ونحن نتعاون تماماً. ونشجِّع الجميع على فعل الأمر عينه». ونُقل عن كوب وداود تصريحهما للإعلام[1] بأن ترامب والبيت الأبيض سيواصلان إبداء التعاون التام.

كحاله في كل إجماع، قال داود: «ما وُضع على المحك هو البلد». والرئيس في حاجة إلى القيام بعمله وليس لديه متسع من الوقت لهذا التحقيق. وثمة مشكلات خطيرة بل هائلة في العالم: كوريا الشمالية وإيران والشرق الأوسط وروسيا والصين.

أجاب مولر: «إنني أراعي ذلك تماماً. إنني أبذل ما في وسعي».

ضغط داود قائلاً: «لمَ لا تعطينا الأسئلة فقط؟».

(١) Michael S. Schmidt, Matt Apuzzo and Maggie Haberman, "Mueller Is Said to Seek Interviews with West Wing in Russia Case," The New York Times, August 12, 2017.

لم يرق الأمر لمولر.

أيقن داود أنه يجازف ويتحدّى مولر مهدّداً بمجابهة مذكّرة الجلب الصادرة عن هيئة محلّفين كبرى. كانت هذه نيته، أراد أن يبعث برسالة تفيد بالآتي: إذا رغب مولر في اتباع مسار هيئة المحلّفين الكبرى، فستؤول الأمور إلى هذا المآل. سيملأ الدعوى التي سيقدِّمها بالأدلة. وسيقضي قاضي المقاطعة أسبوعين في قراءتها.

بيّن داود الأمر بأوضح شكل ممكن لمولر، قائلاً: «وسيتعيّن عليك الوقوف في قاعة المحكمة واطلاع القاضي على سبب رغبتك في إحالة رئيس الولايات المتحدة إلى هيئة المحلّفين. أنت تعلم يا بوب، أنني تسلّمت في السابق قضايا من هذا القبيل. وما كنت لأقترب من هيئة المحلفين الكبرى برئيس الولايات المتحدة».

كان لديه تعليق أخير. فهاجم قائلاً: «فخ الحنث باليمين هو من صنيع أيدي فريق مولر. فعلتم ذلك بفلين، وبغايتس[1]، وبـ(جورج) بابادوبولوس»، وهو مساعد سابق في الحملة الانتخابية. «هذه هي الألاعيب التي تمارسونها أنتم». ريك غايتس، وهو شريك مانافورت في التجارة ونائب رئيس إدارة حملة ترامب، أجلس بقربه أحد أفضل المحامين؛ ومع ذلك كذب. أنتم لم تعطوه وقتاً للتحضير. والآن اتُّهم بجنحة. بوب، هذا بالضبط ما قلته للرئيس: هذا ما سيفعلونه بك لدى إجرائك مقابلة».

اعتقد داود أن من الممكن، بل من الوارد جداً، أن يكون ثمة شيء يجهله. «بوب، أنتم تحضّرون لشيء ما. لا بد أن ثمة أمراً ما يجري. لعلكم لا توافقون على سلوك الرئيس. ولكن ليس لديكم قضية». أياً يكن ما لديكم، قال داود: «اذهبوا وقولوه لمن تريدون بمن فيهم موقع (ذا هيل). فالأمر لم يعد يهمّني».

جلس مولر، ووجهه خال من التعابير ومتحجّر تماماً كالرخام، ولا يستجيب بتاتاً. إنها قدرة عالية على ضبط النفس. انتهى الاجتماع.

في الساعة الخامسة عصراً، توجّه داود وسيكيولو لمقابلة الرئيس في غرفة الطعام قبالة المكتب البيضاوي.

سأل ترامب: «كيف جرى الاجتماع؟».

أجاب داود: «سيدي الرئيس هذا سخيف».

---

(١) Jeremy Herb, Evan Perez, Marshall Cohen, Pamela Brown and Shimon Prokupecz, "Ex-Trump Campaign Adviser Pleads Guilty to Making False Statement," CNN, October 31, 2017; Carrie Johnson, «Rick Gates Pleads Guilty and Begins Cooperating with Mueller's Russia Investigation," NPR, February 23, 2018.

قال ترامب: «يا إلهي!». لقد خرج داود من الاجتماع بمولر بانطباع سيّىء جداً، فخشي ترامب على أثره أن يكون الآن قد وقع فعلاً في المتاعب.

قال داود: «لا. أنت لم تحترم مولر بحق. أنت، بالفعل، تملك حدساً جيداً، ولكنني لم أصدق ذلك. لكن علي القول لك إنني قد وجدت حدسك صائباً. هو في الحقيقة لم يكن متحضّراً. وإلّا لَمَ ترانا عدنا إلى هنا خاليَي الوفاض؟».

بعد أسبوع، أي في ١٢ آذار/مارس، توجّه داود وفريقه مجدّداً لمقابلة مولر وفريقه. راوده أمل بعيد بأن يعبّر مولر عن ميله إلى رفض المحاكمة، والقول إنه يحتاج إلى شهادة الرئيس لمجرّد كتابة تقرير إلى روزنشتاين نائب المدعي العام.

قام فريق مولر، أي كوارلز وثلاثة آخرون(١)، بإملاء ٤٩ سؤالاً، وراح جاي سيكيولو يدوّن الملاحظات. وتمحورت كل الأسئلة تقريباً حول سلوك ترامب وآرائه وعملية اتخاذه للقرارات أو استخلاصه للاستنتاجات حيال أشخاص أساسيين، مثل فلين وكومي وسيشنز. تطرّقت بعض الأسئلة إلى دونالد الابن واجتماعه الشهير في برج ترامب، والعرض الذي تلقّاه من محام روسي لتوفير معلومات قذرة حول هيلاري كلينتون. تعلّقت أسئلة أخرى بشؤون التنمية العقارية في روسيا.

أكد اتّساع نطاق الموضوعات على صحة ما ورد في نشرات الأخبار حول ما يحقّق فيه مولر.

وجد داود ذلك ترّهات. إنها أسئلة لطلاب السنة الثانية في اختصاص الحقوق. سبق أن أجيب عن العديد منها. وأن يعمد ترامب إلى الإجابة عنها، فهذا بالطبع سيكون كارثة، لأنه قد يثور ولن يعطي إجابات محدَّدة. من ناحية معيَّنة اعتقد داود أن هذه المجموعة الواسعة من الأسئلة تشير إلى أن مولر لا يملك أي، معلومات، ويود خوض حملة اصطياد ضخمة. فقد نصب فخّاً لترامب السريع الاهتياج كي يحنث باليمين، وسيكون ذلك ضرباً من لعب الأطفال.

قال داود لمولر: «ليس ثمة قضية هنا».

قال مولر: «أريد شهادة الرئيس. ما كانت نيته تجاه كومي؟».

ردّ داود: « لست واثقاً إن كان يحق لك دستورياً أن تشكك في ذلك. فسلطات الرئيس وفقاً للمادة الثانية مُعترف بها منذ أمد طويل، حتى من قبل كومي».

كرّر مولر مجدداً: «أريد التأكد إن كانت هنالك نية سيئة». كان هذا لب الموضوع. فقوانين

(١) راجعوا أسئلة مولر التي حصلت عليها صحيفة النيويورك تايمز في نيسان/إبريل ٢٠١٨ على الموقع الآتي:

https://www.nytimes .com/2018/04/30/us/politics/questions-mueller-wants-to-ask-trump -russia.html

عرقلة العدالة لا تجرّم التصرفات فقط. يجب أن تكون التصرفات على نحو سيّىء أو عمداً، بنيَّة عرقلة العدالة. الحالة الذهنية تُعدّ أساسية. لماذا تصرّف الرئيس على النحو الذي تصرّف به؟ لهذا السبب أراد مولر أن يدلي الرئيس بشهادته، وفق اعتقاد داود.

سأل داود: «هل تملك دليلاً على أنه تلقّى رشوة؟» إن تلقّي المال مقابل عمل مناف للقانون، أو الدفع باتجاه الحنث باليمين، أو إتلاف الأدلة، هي في العادة ما يجب أن يتوفر لإثبات حدوث عرقلة للعدالة. وتشكِّل أشرطة التسجيل، أو إدلاء شاهد بإفادته تحت القسم، أو وجود وثائق، أفضل الأدلّة. إلا إذا أفلح المدعون في إخراج الحقيقة من فم الشخص الخاضع للتحقيق، أو إذا اندفع الشخص للاعتراف، وكان داود واثقاً تماماً أن الرئيس قد يفعل ذلك.

قال داود: «إن نائب المدعي العام العائد إليكم هو نفسه شاهد لمصلحة الرئيس». كان روزنشتاين قد كتب المذكِّرة التي تحثّ على طرد كومي جرّاء سلوكه في قضية بريد كلينتون الإلكتروني.

«في الحقيقة قام هو [روزنشتاين] بأخذ رسالة الرئيس المؤلفة من ٤ صفحات وإعادة صياغتها. هذا يُثبت ما أقوله. ثم لديك المدعي العام. ثم لديك نائب الرئيس. ثم لديك مكغان، وكل من هو حول الرئيس. ثم لديك سلوك كومي. الذي أدانه المدعي العام ونائبه في قضية كلينتون.

أكمل داود ليقول: «النية. كل الوثائق والشهادات تجيب عن ذلك. لقد سألتَ الشهود عما قاله الرئيس وعما فعله ومتى فعله. وقُدّمت كل تلك المعلومات في وقتها».

هذا هو كل ما يلزم لتبيان نية الرئيس.

لم يقتنع مولر.

غادر داود وسيكيولو المبنى.

سأل سيكيولو: «ماذا تعتقد؟».

قال داود: «لن يدلي بشهادته». كان الاعتقاد بأن مولر سيلغي المحاكمة، هو آخر ما يمكن تخيّله أو توقّعه.

اعتقد داود أن بمقدوره استخدام قرار محكمة الاستئناف في تحقيق المحقّق المستقل في قضية وزير الزراعة مايك إيبسي في عهد بيل كلينتون. كانت المحكمة قد قرَّرت أن الرئيس ومستشاريه يحق لهم الحصول على امتيازات تنفيذية. والمدعون الذين يرغبون في تخطّي هذا الامتياز عليهم أن يُظهروا بأن دعواهم التي يلاحقونها تضم أدلة مهمّة غير متوافرة في أماكن أخرى.

قرّرت المحكمة أن المدعين عليهم أن يثبتوا أن ما يحقّقون فيه جريمة خطرة، وأن ما من أحد، باستثناء الشاهد الذي أمر بجلبه، أن يكون قادراً على الإجابة.

نقل داود وسيكيولو مجريات اللقاء إلى ترامب.

قال داود لترامب: «بات لدي صورة مختلفة تماماً عن مولر». كان الرئيس محقّاً. «لست أثق به».

أقلقت الأسئلة التسعة والأربعون داود. لمَ لا تكون مجرد خمسة أسئلة؟

لمَ لا توجد مراعاة لرئيس الولايات المتحدة الذي لم يملك الوقت للتحضير، ثم الإجابة عن الأسئلة، في خضم كمّ هائل من المشكلات العالمية؟ قال داود إن هذا يعزّز قرار عدم وجوب إدلاء الرئيس بإفادته.

قال ترامب: «نعم. لقد حصلوا على إجابات عن كل أسئلتهم».

بدأ كوب يقول على الملأ إن الرئيس يرغب جداً في تقديم شهادته والإجابة عن بضعة أسئلة.

قال داود: «سيدي الرئيس، ليست مجرد بضعة أسئلة. بل هنالك ٤٩ سؤالاً. ولا أنصحك بذلك».

سأل ترامب: «ماذا سيقول الناس؟ كيف سيبدو الأمر في الإعلام؟».

«سيدي الرئيس إنه فخ. ليس لديهم دافع قانوني أو دستوري يجيز لهم التكلم معك». وذكر لترامب محامين كانوا قد مثّلوه في السابق. «إن لم تشأ تصديق كلامي اتصل بهم».

اتصل ترامب بداود من الطائرة الرئاسية في وقت لاحق من شهر آذار/مارس.

قال داود: «سيدي الرئيس عليك أن تأخذ بنصيحتي. وإلا فسنواجه كارثة كبرى. يستحيل أن تتمكّن من تجاوز هذه المشكلات. هل تذكر لقاءنا حينما قرأتَ رسالتنا؟ هل تذكر كيف شعرت بعدم الارتياح، فقد فهمت استراتيجيتهم؟ سيدي الرئيس لقد فزنا تماماً في هذه المعركة. الأسئلة التسعة والأربعون قد أجيب عنها آنفاً، ووافقت أنت على ذلك. لديك مساعدون هنا أجابوا عن تلك الأسئلة. لديك محامون كانت لديهم الإجابة. لديك جهاز إدارة. بريبوس وبانون والجميع قدّموا شهادات قبلها المحقق الخاص. وهو لم يعترض عليها.

«سيدي الرئيس، ليس ثمة ما يضر بقضيتنا. لم يكذب أحد. ليس ثمة وثائق ناقصة. ليس ثمة رئيس في تاريخ بلادنا فعل ما فعلته أنت. لمَ لا يسعني إقناعك كي تفخر بذلك وتكتفي به؟».

«سيدي الرئيس أنصح بأن نعلن كل هذا على الملأ. سنخبر بوب بكل تهذيب بأنك لن تخضع لمقابلة، للأسباب الجلية وللأسباب الدستورية، ولكونك تحمي المنصب لخلفائك. إن أدليت بشهادتك فسوف يظل الرئيس لعقود يخضع للعبة الملاحقة ولإخضاعه للقسم. إنها اللعبة الجديدة. خصوصاً حينما لا تتوفر أية جريمة، أو أي أساس للاتهام».

قال إن التحقيقات مع ريغان في قضية إيران كونترا. وكلينتون في قضية وايتووتر-لوينسكي، ونيكسون في قضية ووترغيت تضمّنت كلها نشاطات جرمية. «وبالمناسبة، إن كان هنالك أيّ نشاط جرمي، فإن بمقدور إدارتك في البيت الأبيض المساعدة على كشفه، لا شك لدي بأنك كنت لتستجيب. وأنا واثق أنك، في حال سؤالك عن أحد ما في إدارتك أساء التصرف وشهدتَ أنت على عمله، سوف تعمد حتماً إلى الإدلاء بشهادتك. نعم، كنت ستدلي بإفادتك. ولكن القضية ليست هنا. فالقضية جرت فيها الإجابة عن كل الأسئلة.

«سيدي الرئيس أنت تحجّمني، في حين أنني أحاول أن أكون محامياً جيداً لك».

قال ترامب: «أنت محام جيد. بل محام ممتاز».

«سيدي الرئيس، بصفتي محامياً وموظف محكمة، لا يسعني أن أكون بقربك وأن أدعك تجلس لتجيب عن هذه الأسئلة، فيما أدرك تماماً أنك غير قادر على ذلك».

أراد داود أن يلطِّف كلامه قدر الإمكان، ويقول إن الذنب ليس ذنبك، أعباء العمل هي السبب. أيقن أنه في هذه المواجهة لا يسعه توجيه الإهانة. فهو لا يقوى على قول الحقيقة التي يدرك أنها صحيحة: «أنت كاذب لعين». كانت هذه هي المشكلة.

لذا قال داود: «أنت تعاني من مشكلة في التزام الموضوع، وهذا لن يصب في مصلحتك، ثم تحاول أن تتدارك ذلك، فتسيء التعبير عن أمر معيّن، وهنا تقع المصيبة. هذا كحال مايك فلين الذي لم يقو على تذكُّر حديثه مع كيسلياك».

اتصل ترامب مجدداً بمحاميه من الطائرة الرئاسية.

سأله الرئيس: «هل أنت مسرور؟».

أجاب داود: «لا. لست مسروراً سيدي الرئيس. قلبي منفطر تماماً. أشعر بأنني أخفقتُ، أخفقتُ كمحام لك. فأنا لم أقوَ على إقناعك بالأخذ بنصيحتي. رغم أنني لست مختلفاً عن الطبيب. فأنا أعرفُ ما يؤلمك، وأعرف ما هي مشكلتك، وقد أعطيتك الوصفة التي أوقن أنها ستبقيك بعيداً عن الخطر. تذكر أن القاعدة الأولى يا سيدي الرئيس هي عدم إيقاع الأذى، هذا ما وصلنا إليه. وإن ذهبتُ وجلست معك وتركتك تقوم بعمل أوقن أنه سيضرك وسيوقعك في مزيد من المتاعب، لوجب أن أخسر رخصتي. لعلك تجد محامين قد يغضّون الطرف نوعاً ما عن كل هذا».

«أعرف ذلك. أعرف أنك محبط يا جون».

«فعلاً. ولا أمانع إخبارك بأنني أندم على اليوم الذي أوصيت فيه بتاي كوب. ولا أقوى على التصديق بأنه أسهم في إضعافي».

قال ترامب: «أنا طلبتُ منه» أن يتكلم علناً، ويقول إن الرئيس لا يخشى الإدلاء بشهادته.

«وجب عليه أن يرفض القيام بذلك، إنه موظف حكومي. وبإمكانهم، في المناسبة، استدعائه كشاهد، لأن وجوده معك لا يمنحه أي امتياز».

قال ترامب مبدياً قلقه: «يا للهول! لقد تكلمت كثيراً معه».

قال داود: «ليت بوسعي إقناعك. لا تدلِ بشهادتك. إما أن تلتزم ذلك وإما تتعرَّض لخطر كبير. إن قررت أن تمضي قدماً في تقديم إفادتك فلا يسعني أن أكون معك».

قال ترامب: «أنت تنسحب، كيف تتخلّى عني؟».

قال داود إنها مسألة مبدأ، وواجب المحامي أن يحاول حماية موكّله.

«أتمنى أن تبقى، فأنت محام ممتاز».

أيقن داود أن كلامه هذا مجرد هراء. ولكن كان هذا واحداً من تناقضات ترامب. حيث بمقدوره تبادل حديث قاس جداً، ولكن حينما يفرغ من حديثه، عبر الهاتف أو وجهاً لوجه، يقول: «شكراً لك وأقدّر كل ما تفعله».

طوال مسيرة داود المهنية في مجال المحاماة، ربما قابل خمسة موكلين فقط أبدوا شكرهم الجزيل.

اتصل سيكيولو وكوب بداود ليشتكيا من عدم إصغاء الرئيس إليهما وتجاهلهما. أراد أن يتصل داود بالرئيس.

«سيدي الرئيس»، قال داود في اتصال جرى حوالى الساعة العاشرة من ليل الحادي والعشرين من آذار/مارس.

قال الرئيس وقد بدا في غاية اللطف والهدوء: «مرحباً يا جون».

قال داود: «سيدي الرئيس آسف لإزعاجك، ولكن اتصل بي تاي وجاي». أرادا حلّ المسألة المتعلقة بتقديم الشهادة.

قال ترامب إنه قرر الإدلاء بشهادته. بوسعه مواجهة مولر.

«هذا موقفي يا جون. ويؤسفني أنك لا توافقني الرأي».

«ليست وظيفتي أن أوافقك الرأي بل أن أرعاك. وإن بدأت تعمل بنصيحتك الخاصة فسوف تقع في المتاعب. سيدي الرئيس أنا لا آخذ بنصيحتي الخاصة».

«لديك محامون؟».

«بالطبع. في كل المتاعب التي وقعت فيها، بالطبع لديّ محامون».

كرر ترامب قائلاً: «هذا موقفي. أعتقد أن رئيس الولايات المتحدة يجب ألا يراه الناس يمتنع عن الإدلاء بشهادته».

«سيدي الرئيس بوسعنا أن نقدّم ذلك بطريقة أفضل كثيراً. بالمناسبة كنتُ لأضيف شيئاً. أعتقد أن علينا أن نبلغ القادة البارزين على موقع (هيل) أولاً، قبل أن نعلن عن الأمر». أن يأخذوا الإفادة والوثائق كلها، ويعرضوا أمامهم القضية قبل الانخراط في معركة قضائية. «سنخبرهم عن سبب امتناعنا عن الإدلاء بالشهادة. إن أريناهم كل ما لدينا...».

قال ترامب: « هذه ليست فكرة سيئة، ولكن يا جون ثمة أشخاص لن يفرحوا إن لم أدلِ بشهادتي». لم يبيّن هوية أولئك الأشخاص، ولكن داود أيقن أن ترامب يقصد قاعدته الجماهيرية، الحشود التي تحضر مهرجاناته السياسية، ومشاهديه على محطة فوكس نيوز، والبائسين.

«ماذا سيعتقدون عندما يطالب مولر بإدانة على خلفية انتهاك الفقرة ١٠٠١ من القانون؟»، سأل داود مشيراً إلى الإفادة المزوّرة.

«لا، لا، أنا شاهد جيد. سأكون شاهداً جيداً فعلياً».

أيقن داود أن كلام ترامب خداع للنفس، بل محض هراء. كان قد أخبر الرئيس آنفاً قصة من محام صديق من فلوريدا أخذ ذات مرة إفادة ترامب. عندما سأل المحامي ترامب عن ماهية عمله، أجاب ترامب بحوالى ١٦ صفحة.

كرّر داود مجدداً: «لستَ شاهداً جيداً». ويمكن القول ببساطة إن بعض الشهود ليسوا شهوداً جيدين. وقدّم داود مثالاً. «سيدي الرئيس هل تذكر راج راجاراتنام؟».

تذكّره ترامب قائلاً: «صاحب صندوق التحوّط». كان داود وكيل راجاراتنام[1]، المؤسس الملياردير لمجموعة غاليون، الذي أُدين عام ٢٠١١ بالاتجار غير المشروع، مستخدماً معلومات سرية من أصحاب السلطة، وحُكم عليه بالسجن ١١ عاماً.

قال داود: «إنه رجل ذكي. لو جلست معه على الطاولة وحدثته كنت لتقول إنه من أفصح وأذكى الأشخاص التقيتهم في حياتي. بمقدوره التكلم عن أي موضوع. سيدي الرئيس، عندما جهزتُه للإدلاء بشهادته لمدة خمس دقائق فقط ضمن استدعاء، ارتعب. فجأة توتر جداً، أقصد أنه لم

(١) Peter Lattman, "Galleon Chief Sentenced to 11-Year Term in Insider Case," The New York Times, October 13, 2011.

يسعه.... لكن عندما قدّم شهادته في المحكمة بالكاد أمكنه تذكّر اسمه. هذه طبيعة هذه التجربة الصعبة، وأنا خبير في هذه التجربة الصعبة.

قال داود: «سيدي الرئيس أخشى ألا أتمكّن من مساعدتك».

وقال للرئيس إن من حقّه تماماً أن يغضب من مولر.

«لن يتّهموك. هل تمازحني؟ إنهم مجموعة جبناء، كلهم. الإعلام والكونغرس. إنهم يفتقرون إلى الشجاعة. بمَ سيتهمونك؟ بممارسة سلطتك وفق المادة الثانية؟ ها؟ أتسمعني؟ أود أن أسمع رئيس مجلس النواب رايان يطرح هذا الاتهام أمام اللجنة المعنية بنظام المحكمة، وتلك المعنية بالممارسات القضائية».

قال ترامب: «إنه الإعلام الذي يضغط عليّ تماماً».

«سيدي الرئيس، أنت لم تصرّح عن عائداتك الضريبية. لقد فزت أصلاً بالجولة الأولى. إنهم متضايقون جداً. يكرهونك. يكرهون جرأتك».

سأل ترامب: «ماذا يريد الإعلام؟».

سأسحب دَل أوراق اعتماداتهم. سأطردهم من هنا. لا أعتقد أن لديهم أي حق بالقدوم إلى البيت الأبيض والتصرف بالطريقة التي يتصرفون بها».

قال ترامب إن هذا كان موقفه هو أيضاً. «ولكن دوماً يجري نقض رأيي يا جون. هوب هيكس وكيلي ينقضان رأيي كل مرة أرغب بها في سحب أوراق اعتماد أحدهم».

الإعلام ومولر والكونغرس، قال داود: «علينا أن ندفعهم بعيداً. ودعْنا نَعُد إلى مهمتك كرئيس للولايات المتحدة. لأن هذه المسألة، مقارنة بما تقوم به يومياً، ليست سوى بعوضة على مؤخرة فيل. وعلينا أن نعاملها بحسب حجمها هذا والمضي قدماً». اعتبرها داود مرافعته الختامية.

قال ترامب: «أنت رجل رائع. أشكرك. وآسف لأنني أبقيتك ساهراً حتى هذا الوقت المتأخر».

في صباح اليوم التالي، قال داود لزوجته كارول: «سأترك عملي». اتصل بالرئيس وأخبره بأنه سيستقيل. «يؤسفني أنني سأستقيل. أحبك وأدعمك. وأتمنّى لك الأفضل. ولكن إذا كنت لن تأخذ بنصيحتي، فلا يسعني تمثيلك».

قال الرئيس: «أفهم إحباطك، لقد أبليت بلاء حسناً جداً في عملك».

«سيدي الرئيس، إن أردت مني أي شيء فلتتصل بي في أي وقت».

«شكراً لك».

بعد دقيقتين، اتصلت النيويورك تايمز بداود وكذلك الواشنطن بوست. تخيّل دواد ترامب وهو يرفع سماعة الهاتف ويتصل بماغي هابرمان من صحيفة التايمز: «ماغي؟ لقد استقال للتو داود اللعين». لطالما راق لترامب أن يكون أول من يوصل الأخبار.

على الأقل شعر داود بأنه سبق في هذه المسألة، فاستقال قبل تعرُّضه للطرد والإهانة.

ظل داود مقتنعاً بأن مولر لم يحظ قط بقضية روسية أو قضية عرقلة للعدالة. كان يبحث عن فخ الحنث باليمين. وعقب تقييم ذاتي صادق تماماً، اعتقد بأن مولر قد تلاعب به وبالرئيس لأجل أشخاص معينين بغية الحصول على تعاونهم حول الشهود والوثائق.

خاب ظن داود بمولر، لقيامه بهذه الحيلة.

بعد ٤٧ سنة، بات داود يدرك اللعبة ويعرف المدعين. إنهم يبنون القضايا. بوساطة كل الشهادات والوثائق، يستطيع مولر أن يبني قضية ستبدو سيئة. ربما كان لديهم دليل جديد ومُدين كما بات يشتبه تقريباً.ربما عمد شاهد مثل فلين إلى تغيير إفادته، فقد سبق أن وقعت مثل هذه الأمور، وهذا من شأنه أن يغيّر اللعبة بكاملها. المساعد البارز السابق يدلي بإفادته ويعترف، وينقلب على الرئيس. لم يعتقد داود ذلك، ولكن وجب عليه أن يقلق ويفكر في هذا الاحتمال.

كانت بعض الأمور واضحة على عكس الكثير من الأمور الأخرى التي لم تكن واضحة وسط هذا التحقيق المعقّد والمتشابك. لم يكن ثمة صورة أشعة أو شرائط تسجيل أو رسوم هندسية واضحة. اعتقد داود بأن الرئيس لم يتآمر مع روسيا ولم يعرقل العدالة.

ولكن رأى داود في هذا الرجل وفي رئاسته العيب المأساوي.

بفعل الترجُّح السياسي والمراوغات والإنكارات والتغريدات والتعتيمات والصياح بعبارة «إنه خبر كاذب» والسخط، عانى ترامب مشكلة كبيرة عرفها داود، ولكنه لم يقوَ على دفع نفسه للقول للرئيس: أنت كاذب لعين».

شكر وتنويه

هذا هو كتابي التاسع عشر مع أليس ماهيو، محرّرة كتبي التي ظهرت على مدى السنوات الست والأربعين الماضية في دار سايمون آند شوستر. وقد أدركت أليس على الفور، وفي خضّم رئاسة ترامب الحافلة بالجدالات والتحقيقات، أهمية الكشف عمّا أنجزه خلال تولّيه منصب الرئيس في السياستين الخارجية والداخلية. ويعود الفضل إلى أليس في التزامها الكامل الباهر جوهر الكتاب، ووتيرة العمل عليه، وهيكليته وأسلوبه.

أما جوناثان كارب، الرئيس والناشر في دار نشر سايمون آند شوستر للكبار، فهو رجلٌ متمكّنٌ في عمله. وقد خصّص وقته وتفكيره الثاقب لهذا الكتاب، وساعد على تنقيحه، وفكّر في الفرص المتاحة أمامه، وفي المسؤوليات، والمشكلات التي قد يثيرها كتابٌ حول الرئيس ترامب في هذه الحقبة المتمثلة بالتشنّج. إنني أدين له بالكثير في هذا المجال، وهو الذي كان بوي وندر [في رواية جايمس بايكر، بوي وندر]، أما الآن فهو وندر في منتصف العمر، لكنه يستمر في امتلاك طاقة بوي وندر.

وأريد أن أتوجّه بالشكر إلى كارولين ك. ريدي، المديرة التنفيذية في سايمون آند شوستر، التي دأبت طوال عقودٍ من الزمن على رعاية أعمالي والترويج لها.

وأريد توجيه الشكر أيضاً إلى العاملين في «سايمون آند شوستر» (Simon & Schuster) التالية أسماؤهم: ستيوارت روبرتس، وأليس ماهيو، وهي المساعدة الموهوبة النشيطة وكثيرة الاهتمام العاملة في الدار، وريتشارد روتر، وماري غولدشتاين، وستيفن بدفورد، وإيرين خيرادي، وكريستين ليمير، وليزا إروين، وليزا هيلي، ولويلين بولانكو، وجوشوا كوهن، ولورا تاروم، وكاتي هيغلر، وتوبي يوين، وكايت ميرتس، وإليزا ريفلين.

وأود أيضاً توجيه شكري الخاص إلى فْريد تشايس، المستشار المتنقل، والمحرر الاستثنائي لنص

الكتاب، وهو الذي قضى أسبوعاً في واشنطن مع إيفلين ومعي. يحب فْريد الكلمات والأفكار، وهو الذي راجع في ذلك الأسبوع مسوّدة الكتاب ثلاث مرات، وقد فعل ذلك بحكمة وعناية فائقتين. إننا نُطلق على فْريد لقب المصحّح، وهو الأمر الذي يقوم به في كل صفحةٍ من صفحات الكتاب تقريباً، مستعيناً بقلَمَيه الأحمر والأخضر.

كنتُ أتمنى لو أنني تعوّدت تدوين ملاحظات دقيقة على مدى السنتين الأخيرتين لأحاديثي المنتظمة مع كارل روبنشتاين، والتي دارت حول ترامب، وهو الذي كان شريكي في أيام ووترغيت-نكسون. لم نتفق في كل المرات، لكنني أحببت تلك الأحاديث والأفكار العميقة حول رئاسته، وواشنطن، ووسائل الإعلام. إنني أؤكد أن صداقتي مع كارل، وإعجابي به، هما من المباهج القليلة في حياتي.

إنني أشعر بالفخر لأن صحيفة واشنطن بوست كانت سخيةً بما يكفي عندما أبقتني مساعداً لرئيس التحرير. لكنني لا أسهم كثيراً في تحرير الصحيفة، لأنني نادراً ما أقوم بزيارةٍ إلى مقر واشنطن بوست الكائن في وسط مدينة واشنطن، لاسيَّما وأنني أعمل في مكتبي داخل منزلي. لكن مشاركاتي في التحرير غالباً ما تكون محادثة هاتفية مع أحد المراسلين الذين يرغبون في مساعدتي لهم، وغالباً ما تكون مشكلاتهم متعلقة بأحداثٍ مضت. وتُعدُّ وظيفة مساعد رئيس التحرير مركزاً رائعاً، وهي تسمح لي بالتواصل المستمر مع جذوري كوني صحافياً. كانت البوست بمثابة بيتي الأساسي وأسرتي على مدى ٤٧ عاماً. أما إدارتها الآن فهي جيدة بشكلٍ استثنائي في هذه الأيام، وهي، فضلاً عن ذلك، تقوم ببعض أفضل وأكثر المهمات الصحافيَّة والضرورية في عهد ترامب.

أرغب في تقديم شكري إلى مارتي بارون الذي يشغل منصب كبير المحررين، وكاميرون بار، مدير التحرير، وجيف لين محرر التحقيقات، وروبرت كوستا، وتوم هامبرغر، وروزاليند هيلدرمان، ودافيد فارينتهولد، وكارين تيومولتي، وفيليب روكر، وروبرت أوهارو، وآمي غولدشتاين، وسكوت ويلسون، وستيفن جينسبيرغ، وبيتر والستين، ودان بالز، ولوسي شاكلفورد، وإلى عدد لا حصر له من أسرة البوست.

وأريد أن أشكر أيضاً زملائي وأصدقائي القدامى من أسرة البوست، أو الذين عملوا فيها ذات يوم: دون غراهام، وسالي كوين، ودافيد مارانيس، وريك أركينسون، وكريستيان ولیامز، وبول ريتشارد، وباتريك تايلور، وتوم ولكنسون، وليونارد داوني الابن، وماركوس براوكلي، وستيف كول، وستيف لوكسنبيرغ، وسكوت آرمسترونغ، وآل كامين، وبن وايزر، ومارتا شيريل، وبيل باورز، وكارلوس لوزادا، وفْريد هيات، وجون فاينشتاين، والناشر فْريد رايان.

وأرغب في تقديم جزيل الشكر إلى مايكل كرانيش، ومارك فيشر الذي جمع مجموعةً من

المراسلين، وكنت منهم لإعداد تقارير عن ترامب، وذلك قبل الانتخابات. وكانت نتيجة هذا الجهد كتاب انكشاف ترامب، والذي كان من تأليف وايكل ومارك، وكان هذا الكتاب واحداً من أفضل المراجع حول الرئيس المنتخب. وقد اشتمل ذلك الكتاب على حصيلة ما يزيد على ٢٠ ساعة من المقابلات التي أجريت عن ترامب.

يشعر جميع الذين ما زالوا موظفين في البوست أو المرتبطين بها، بالامتنان لأن جيف بيزوس، مؤسس أمازون والمدير التنفيذي فيها، هو مالك البوست. وقد أنفق الكثير من الوقت وقدراً كبيراً من المال، لمنح الصحيفة المزيد من المراسلين ومصادر التحرير، وذلك من أجل إتاحة فرصة التمحيص المعمّق لموادها. يُضاف إلى ذلك أن كاثرين غراهام ودون غراهام قد تبنيا الثقافة الاستقلالية للصحيفة ودعماها بشدة، وهو الأمر الذي ما زال مستمراً وجيّداً.

ويدين الكتاب الذي يدور حول أداء الرئيس الحالي بالكثير إلى الصحافة، والكتابات، والكتب التي نُشرت من قبل. وقد نُشرت كتبٌ كثيرة حول ترامب في دوامة الأخبار اليومية التي لا تنقطع على مدار الساعة. لكن الأمر لم يعد يشبه دوامة، بل كان أكثر شبهاً بجدول ماء ينساب باستمرار. ويستند هذا الكتاب إلى تقاريري الخاصة؛ لكنْ، لا بدّ من التأكيد أنَّ الأفكار أو المعلومات مستقاة من منشورات أو مقالات إخبارية أخرى. إنني أدين بالكثير جداً للذين كتبوا عن ترامب وعن هذه الحقبة السياسية، وأذكر منهم على وجه الخصوص الصحافيين الذين يعملون في الواشنطن بوست، النيويورك تايمز، وول ستريت جورنال، آكسيوس، بوليتيكو.

وقد قام روبرت ب. بارنر، وهو المحامي الذي يمثّلني في القضايا القانونية، ومستشاري و صديقي فوق هذا كلّه، بعمله الرائع مجدداً. إذ نذر نفسه كلياً لمفهوم الإخلاص التام وتقديم المساندة الكلّية. وهو يعرف الكثير عن الممارسة السياسية السائدة في واشنطن وحركة النشر في نيويورك أكثر من أي شخصٍ آخر، ويستخدم تلك المعرفة بإبداعٍ وإخلاص لمصلحة موكّليه.

إنني أرى، مع إيفلين، أنفسنا محظوظَين لوجود روزا كريولو وجاكي كرو معنا.

أريد التعبير عن تقديري ومحبتي العميقين لتالي وود ورد، ابنتي الكبرى، مديرة برنامج الماجستير في الفنون بكلية كولومبيا للصحافة. فهي لم تبخل عليّ لحظة بتقديم المشورة الحكيمة بشكلٍ منتظم. وأريد التعبير أيضاً عن محبتي العميقة لزوجها غايب روث، وولديهما، حفيديَّ: زادي وثيو.

وتدخل ابنتنا الصغرى، ديانا وود وارْد سنة تخرجّها في جامعة يال، حيث تخصّصت في الإنسانيات وعلم النفس. لكن لدى عودتها في إجازاتها الجامعية، تجلب معها التألّق والبهجة اللذين نفتقدهما كثيراً في المنزل.

وأود إهداء هذا الكتاب إلى زوجتي إلسا والش، هي التي يعرفها الناس بلقب «سيدة اللطف»، لأنها تعيش على مفهوم أهمية اللطف ومركزيته بحسب تعبير هنري جايمس. وترى إلسا أن هذا لا يتعلق فقط بتقديم التقدير إلى كل شخص، والذي لا يخلو فقط من الأنانية، بل بتقديم الاحترام إلى كل شخص بمفرده. وهذا الكتاب هو الخامس عشر في غضون ٣٧ سنة عشناها معاً. وإلسا التي عملت في السابق مراسلة لصحيفة الواشنطن بوست، وكتبت في صحيفة النيويورك تايمز، تحب الناس، والأفكار، والكتب. وقد استخدمت مهاراتها في التحرير، وفي العمل المجهد الذي مارسته طويلاً، وطبّقت هذه المهارات في هذا الكتاب. إنني مدينٌ لها إلى الأبد، وأشعر أنني عاجزٌ عن شكرها بما تستحقّ على محبتها ودعمها لي. ويمكنني أن أؤكّد أنني اكتسبتُ خلال هذه السنين الطويلة احتراماً دائماً من آرائها وأحكامها. وإنني أسأل نفسي على الدوام: كيف تعرف كل ذلك؟ ومن أين أتت هذه الموهبة والذكاء؟ لكنني لم أتوصل بعدُ إلى الإجابة الكاملة عن تلك الأسئلة. ومع ذلك، فقد تعوّدت ملاحظة سحرها في حياتنا اليومية. إنني متعلّق بها، فهي شريكتي والحبُّ النقيُّ في حياتي.

حقوق الصور

الصورة رقم ٢٧	AFP PHOTO/KCNA VIA KNS:
الصورة رقم ٥	J.T. Armstrong (U.S. Air Force):
الصورة رقم ١	Joyce Boghosian (The White House):
الصورة رقم ٢٦	D. Myles Cullen (The White House):
الصورة رقم ٨	Shealah Craighead (Official White House photographer):
الصورة رقم ٧	Glenn Fawcett (U.S. Customs and Border Patrol):
الصورة رقم ٢٢	Federal Bureau of Investigation (FBI):
الصورة رقم ١١	James E. Foehl (U.S. Navy):
الصورة رقم ٢٠	Peter Foley (Bloomberg via Getty Images):
الصورة رقم ٢١	Michelle Gonzalez (U.S. Army National Guard):
الصورة رقم ٢٠	Andrew Harrer (Bloomberg via Getty Images):
الصورة رقم ١٩	Saul Loeb (AFP/Getty Images):
الصورة رقم ٩	Office of the President Elect:
الصور رقم ٤، ١٤	Dominique A. Pineiro (U.S. Navy):
الصور رقم ٢، ٦، ١٠، ١٥، ١٧، ٢٥	Gage Skidmore:
الصور رقم ١٢، ١٨	Chip Somodevilla (Getty Images):
الصورة رقم ٢٣	Pete Souza (Oficial White House Photographer):
الصورة رقم ٣	The State Department:
الصورة رقم ١٣	Evan Walker (The White House):
الصورة رقم ١٦	The White House:

بوب يـبشور وودورد

أحد أشهر الصحافيين الاستقصائيين في التاريخ الأميركي وأكثرهم احتراماً. عمل لأكثر من ٤٧ عاماً في صحيفة الواشنطن بوست، وحاز جائزتي بوليتزر بالإضافة إلى حفنة من الجوائز المرموقة الأخرى. شارك في تأليف ١٨ كتاباً تعتبر من الكتب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة الأميركية.

«مردّ السُّلطة الحقيقية هو، لا أريد حتى أن أقول الكلمة، **الخوف**»

مفجّر فضيحة ووترغيت، التي أدّت إلى استقالة نيكسون، ينتظر ٤٤ عاماً ليصدر كتابه الجديد «خوف»، الذي قد يطيح الرئيس دونالد ترامب في انتخابات منتصف المدة لما يتضمّنه من معلوماتٍ خطيرة وفضائح كبيرة عن لسان مسؤولين ومقرّبين إلى ترامب وبيته الأبيض.

مئات الساعات من اللقاءات مع شهود عيان وأصحاب قرار، ومقابلات سرية أجراها الرئيس مع أعوانه، فضلاً عن وثائق وملفّات ومذكّرات بخط اليد للرئيس يد فيها، يفردها الكاتب، المعروف بصدقيّته وبقنوات اتصاله ومصادره التي لا تُضاهى.

من يقوم بإخفاء الأوراق الخطيرة من المكتب البيضاوي؟

من يحمي ترامب؟ ومن يسعى إلى زجّه في السجن؟ ومن يؤثّر في قراراته؟

في هذا الكتاب إجاباتٌ عن أسئلة كثيرة حول سياسات ترامب المحليّة، وحول السياسة الخارجية الأميركية الحالية تجاه كلٍّ من كوريا الشمالية وأفغانستان وإيران وحلف الناتو والصين وروسيا والشرق الأوسط.

كيف أمر ترامب باغتيال الرئيس السوري بشار الأسد؟ ومن الذي تجاهل أوامره؟

وما الذي جعل الرئيس الأميركي يصف محادثته مع الرئيس السيسي بأنها «موجعة»؟

كتابٌ يصفه مؤلّفه بالقوة والواقعية، في حين ينعته ترامب بأنه «تضليلٌ للجماهير».